الكِفايـة

في التَّفسيرِ بِالمأْثورِ والدِّرايـة

تأليف الفقير إلى رحمة ربه
عبدالله خضر حمد
باحث عراقي

الجزء الثاني والعشرون

[سورة النحل، الآية: ١٠١]- [سورة الكهف، الآية:٢١]

الطبعة الأولى
١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

الرقم الدولي(ISBN):٥-٧١٥-٧٢-٩٩٥٣
الطبعة الأولى، ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م
الناشر: دار القلم- بيروت – لبنان

ملاحظة:

إلى الذين يرغبون بطبع التفسير من دور النشر والجهات الخيرية، يرجى مراسلة المؤلف -لطفا وتكرما- على البريد الالكتروني الآتي، وذلك لإرسال التفسير بأحدث نسخة إن شاء الله، وفقنا الله تعالى وإيَّاكم لما يرضيه برحمته، آمين.

Abdulla.khdhir@gmail.com
Abdulla. khdhir@hotmail.com

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

القرآن

{وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١)} [النحل : ١٠١]

التفسير:

وإذا بدَّلنا آية بآية أخرى، والله الخالق أعلم بمصلحة خَلْقه بما ينزله من الأحكام في الأوقات المختلفة، قال الكفار: إنما أنت -يا محمد- كاذب مختَلِق على الله ما لم يَقُلْه. ومحمد ﷺ ليس كما يزعمون. بل أكثرهم لا عِلْم لهم بربهم ولا بشرعه وأحكامه.

سبب نزول الآيتين[١٠١-١٠٢]:

قال الواحدي:" نزلت حين قال المشركون: إن محمدا يسخر بأصحابه، يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدا، أو يأتيهم بما هو أهون عليهم، وما هو إلا مفتر يقوله من تلقاء نفسه. فأنزل الله تعالى هذه الآية والتي بعدها"[١].[بدون إسناد]

قوله تعالى:{وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ} [النحل : ١٠١]، أي:" وإذا أنزلنا آيةٌ مكان آية وجعلناها بدلاً منها بأن ننسخ تلاوتها أو حكمها"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وإذا نسخنا حكم آية، فأبدلنا مكانه حكم أخرى"[٣].

قال النسفي:" تبديل الآية مكان الآية هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لحكمة رآها"[٤].

وفي قوله تعالى:{وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ} [النحل : ١٠١]، وجهان:

أحدهما : شريعة تقدمت بشريعة مستأنفة ، قاله ابن بحر[٥].

الثاني : أي نسخنا آية بآية، إما نسخ الحكم والتلاوة وإما نسخ الحكم مع بقاء التلاوة . حكاه الماوردي عن الجمهور[٦].

قال مجاهد:" نسخناها، بدّلناها، رفعناها، وأثبتنا غيرها"[٧].

قال قتادة:" هو كقوله :{مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا}"[٨].

قال ابن زيد:": وهذا التبديل ناسخ، ولا نبدل آية مكان آية إلا بنسخ"[٩].

قال السدي:" هذا في الناسخ والمنسوخ. قال: إذا نسخنا آية وجئنا بغيرها. قالوا ما بالك؟ قلت: كذا وكذا، ثم نقضته أنت تفتري. قال الله :{والله أعلم بما ينزل}"[١٠].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ} [النحل : ١٠١]، أي:" والله أعلم بما هو أصلح للعباد وبما فيه خيرهم"[١١].

قال الطبري:" يقول: والله أعلم بالذي هو أصلح لخلقه فيما يبدِّل ويغير من أحكامه"[١٢].

قال السمعاني:" يعني: والله أعلم بمنفعة العباد فيما ينزل"[١٣].

---

[١] أسباب النزول:٢٨٨.

[٢] صفوة التفاسير:١٣٢/٢.

[٣] تفسير الطبري:٢٩٧/١٧.

[٤] تفسير النسفي:٢٣٣/٢.

[٥] انظر: النكت والعيون:٢١٤/٣.

[٦] انظر: النكت والعيون:٢١٤/٣.

[٧] أخرجه الطبري:٢٩٧/١٧.

[٨] أخرجه الطبري:٢٩٧/١٧.

[٩] اخرجه الطبري:٢٩٧/١٧.

[١٠] أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٦٥٩):ص٢٣٠٢/٧.

[١١] صفوة التفاسير:١٣٢/٢.

[١٢] تفسير الطبري:٢٩٧/١٧.

[١٣] تفسير السمعاني:٢٠٢/٣.

قوله تعالى:{قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ} [النحل : ١٠١]، أي:" ، قال الكفار: إنما أنت -يا محمد- كاذب مختَلِق على الله ما لم يَقُلْه"[١].

قال الطبري:" يقول: قال المشركون بالله، المكذبو رسوله لرسوله: إنما أنت يا محمد مفتر، أي: مكذب تخرص بتقوّل الباطل على الله"[٢].

قال ابن زيد:" قالوا: إنما أنت مفتر، تأتي بشيء وتنقضه، فتأتي بغيره"[٣].

قوله تعالى:{بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [النحل : ١٠١]، أي:" بل أكثرهم لا عِلْم لهم بربهم ولا بشرعه وأحكامه"[٤].

قال الطبري:" يقول الله تعالى بل أكثر هؤلاء القائلين لك يا محمد: إنما أنت مفتر جهال، بأنّ الذي تأتيهم به من عند الله ناسخه ومنسوخه، لا يعلمون حقيقة صحته"[٥].

قال السمعاني:" يعني: كلهم لا يعلمون أني أنا المنزل لجميع الآيات الناسخ والمنسوخ"[٦].

الفوائد:

١- بيان فائدة نزول القرآن بالناسخ والمنسوخ وهي تثبيت الذين آمنوا على إيمانهم وهدى من الضلالة وبشرى للمسلمين بالفوز والفلاح في الدارين.

٢- أن الناسخ والمنسوخ آيات مشهورات مذكورات في مواضعها من كتب التفسير وغيرها، وأنه لا يأتي كتاب بعد القرآن الكريم ولا مغير ولا مبدل لشيء من شرائعه بعده فهو المهيمن على الكتب قبله والحاكم عليها وليس لأحد الخروج عن شيء من أحكامه، وأنه من كذب بشيء منه• من الأمم الأولى فقد كذب بكتابه كما أن من كذب بما أخبر عنه القرآن من الكتب السابقة فقد كذب به، وأن من اتبع غير سبيله ولم يقتف أثره ضل.

٣- ومن الفوائد: بطلان دعوى النصارى التي يروجون لها اليوم في الكتب الخضراء التي طبعوها في أمريكا لترويج المسيحية والتي يقولون فيها: إن الإنجيل ثبت في القرآن أنه كلام الله، وثبت في القرآن أيضاً: أنه لا مبدل لكلمات الله، فلا يمكن أن يبدل ولا أن يغير، فكيف تزعمون أننا غيرنا فيه أو بدلنا؟

فيجاب: بالقول بعدم توارد الآيتين على محل واحد، فالإنجيل كلام الله من الكلمات التشريعية، والكلمات الكونية هي التي لا تبديل فيها؛ لقوله تعالى: {وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ} [الأنعام:٣٤] .

فالكلمات التشريعية تبدل حتى في القرآن؛ لقوله: {وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ} [النحل:١٠١][٧].

القرآن

{قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢)} [النحل : ١٠٢]

التفسير:

قل لهم -أيها الرسول-: ليس القرآن مختلَقًا مِن عندي، بل نَزَّله جبريل مِن ربك بالصدق والعدل؛ تثبيتًا للمؤمنين، وهداية من الضلال، وبشارة طيبة لمن أسلموا وخضعوا لله رب العالمين.

---

[١] التفسير الميسر:٢٧٨.

[٢] تفسير الطبري:٢٩٧/١٧.

[٣] اخرجه الطبري:٢٩٧/١٧.

[٤] التفسير الميسر:٢٧٨.

[٥] تفسير الطبري:٢٩٧/١٧.

[٦] تفسير السمعاني:٢٠٢/٣.

[٧] انظر: سلسلة الأسماء والصفات: محمد الحسن الددو الشنقيطي(٣/٩)[دروس صوتية مرقم آليا].

قوله تعالى:{قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ} [النحل : ١٠٢]، أي:" قل لهم -أيها الرسول-: ليس القرآن مختلَقًا مِن عندي، بل نَزَّله جبريل مِن ربك بالصدق والعدل"[١].

قال الطبري:" قل جاء به جَبرئيل من عند ربي بالحق"[٢].

قال السمعاني:" أي: جبريل. وقوله: {من ربك بالحق} أي: بالصدق"[٣].

قال محمد بن كعب: "روح القُدُس: جبرئيل"[٤].

قال ابن عثيمين:" هو جبريل، ووصفه بذلك لطهارته من الخيانة عليه الصلاة والسلام. ولهذا قال في آية أخرى {إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين} [التكوير:١٩ - ٢٠]، قوله: {من ربك} قال: {من ربك} ، ولم يقل: من رب العالمين؛ إشارة إلى الربوبية الخاصة؛ ربوبية الله للنبي، ﷺ، وهي ربوبية أخص الخاصة، وقوله: {بالحق}: إما أن يكون وصفا للنازل أو للمنزول به، فإن كان وصفا للنازل؛ فمعناه: أن نزوله حق، وليس بكذب. وإن كان وصفا للمنزول به؛ فمعناه: أن ما جاء به فهو حق، وكلاهما مراد؛ فهو حق من عند الله، ونازل بالحق "[٥].

قوله تعالى:{لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا} [النحل : ١٠٢]، أي:" تثبيتًا للمؤمنين"[٦].

قال السمعاني:" أي: ليثبت قلوب الذين آمنوا"[٧].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: قل نزل هذا القرآن ناسخه ومنسوخه، روح القدس عليّ من ربي، تثبيتا للمؤمنين، وتقوية لإيمانهم، ليزدادوا بتصديقهم لناسخه ومنسوخه إيمانا لإيمانهم"[٨].

قوله تعالى:{وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} [النحل : ١٠٢]، أي:" وهداية من الضلال، وبشارة طيبة لمن أسلموا وخضعوا لله رب العالمين"[٩].

قال الطبري:" وهدى لهم من الضلالة، وبُشرى للمسلمين الذين استسلموا لأمر الله، وانقادوا لأمره ونهيه، وما أنزله في آي كتابه، فأقرّوا بكل ذلك،وصدقوا به قولا وعملا"[١٠].

الفوائد

١- إثبات عالم الملائكة، فمنهم الموكل بالوحي من الله تعالى إلى رسله عليهم الصلاة والسلام، وهو الروح الأمين جبريل عليه السلام، قال تعالى: {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ}.

٢- في قله تعالى:{قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ}: التصريح بالعلو المطلق الدال على جميع مراتب العلو، ذاتاً، وقدراً، وشرفاً، ومنه قوله تعالى: {تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} [الزمر: ١] ، وقوله تعالى: {تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت:٤٢].

القرآن

{وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (١٠٣)} [النحل : ١٠٣]

التفسير:

---

[١] التفسير الميسر:٢٧٨.
[٢] تفسير الطبري:٢٩٨/١٧.
[٣] تفسير السمعاني:٢٠٢/٣.
[٤] أخرجه الطبري:٢٩٨/١٧.
[٥] شرح العقيدة الواسطية:٤٤٣/١.
[٦] التفسير الميسر:٢٧٨.
[٧] تفسير السمعاني:٢٠٢/٣.
[٨] تفسير الطبري:٢٩٨/١٧.
[٩] التفسير الميسر:٢٧٨.
[١٠] تفسير الطبري:٢٩٨/١٧.

ولقد نعلم أن المشركين يقولون: إن النبي يتلقى القرآن مِن بشر مِن بني آدم. كذبوا؛ فإن لسان الذي نسبوا إليه تعليم النبي ﷺ أعجمي لا يُفصح، والقرآن عربي غاية في الوضوح والبيان.

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها: قال ابن عباس:" كان رسول الله ﷺ يعلِّم قينا بمكة، وكان أعجميّ اللسان، وكان اسمه بَلْعام، فكان المشركون يَرَوْن رسول الله ﷺ حين يدخل عليه، وحين يخرج من عنده، فقالوا: إنما يعلِّمه بلعام، فأنزل الله تعالى ذكره :{وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ}"(١).

الثاني: قال عبد الله بن مسلم، " كان لنا غلامان فكان يقرآن كتابًا لهما بلسانهما، فكان النبيّ ﷺ يمرّ عليهما، فيقوم يستمع منهما، فقال المشركون: يتعلم منهما، فأنزل الله تعالى ما كذّبهم به، فقال: {لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ}"(٢).

فأنزل الله تعالى فأكذبهم: لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ} [النحل : ١٠٣]، أي:" ولقد نعلم أن المشركين يقولون: إن النبي يتلقى القرآن مِن بشر مِن بني آدم"(٣).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ولقد نعلم أن هؤلاء المشركين يقولون جهلا منهم: إنما يعلم محمدا هذا الذي يتلوه بشر من بني آدم، وما هو من عند الله"(٤).

واختلف في اسم من أراده المشركون فيما ذكروه من تعليم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على أقوال:

أحدها : أنه بلعام وكان قيناً بمكة ، وكان رسول الله -ﷺ- يدخل عليه يعلمه ، فاتهمته قريش أنه كان يتعلم منه ، قاله ابن عباس(٥)، ومجاهد(٦).

الثاني : أنه كان غلاما بني المغيرة وكان اسمه: «يعيش». قاله عكرمة(٧).

وقال قتادة:" قالت قريش: إنما يعلمه بشر، عبد لبني الحَضْرميّ يقال له: يعيش"(٨).

قال مجاهد:" قول كفار قريش: إنما يعلِّم محمدا عبدُ ابن الحضرميّ، وهو صاحب كتاب"(٩).

الثالث: أنه غلام نصراني يقال له «جَبْر»، عبد لبني بياضة الحَضْرَمِيّ، فكانوا يقولون: والله ما يعلِّم محمدا كثيرا مما يأتي به إلا جَبْرٌ النصرانيُّ غلام الحضرميّ. قاله ابن إسحاق(١٠).

وقال ابن جريج:" قال عبد الله بن كثير: كانوا يقولون: إنما يعلمه نصرانيّ على المَرْوة، ويعلم محمدا رُوميّ يقولون اسمه جَبْر وكان صاحب كُتُب عبد لابن الحضرميّ"(١١).

الرابع : أنهما غلامان لبني الحضرمي ، وكانا من أهل عين التمر صيقلين يعملان السيوف اسم أحدها يسار ، والآخر جبر ، وكانا يقرآن التوراة ، وكان رسول الله ربما جلس إليهما ، قاله عبد الله بن مسلم الحضرميّ(١٢).

---

(١) أخرجه الطبري:١٧/٢٨-٢٩٩.

(٢) أخرجه الطبري:١٧/٢٠٠، والواحدي في أسباب النزول:٢٨٨، وذكره الحافظ في الإصابة (٢/ ٤٤٧) في ترجمة عبيد الله بن مسلم الحضرمي، وذكره السيوطي في لباب النقول (ص ١٦٣) ومدار هذا الأثر على حصين بن عبد الرحمن: قال الحافظ في التقريب: ثقة تغير حفظه في الآخر.

(٣) التفسير الميسر: ٢٧٩.

(٤) تفسير الطبري:١٧/٢٩٨.

(٥) انظر: تفسير الطبري:١٧/٢٩٩.

(٦) انظر: النكت والعيون:٣/ ٢١٥.

(٧) انظر: تفسير الطبري:١٧/٢٩٩.

(٨) أخرجه الطبري:١٧/٢٩٩.

(٩) أخرجه الطبري:١٧/٣٠٠.

(١٠) انظر: تفسير الطبري:١٧/٢٩٩.

(١١) أخرجه الطبري:١٧/٢٩٩.

(١٢) انظر: تفسير الطبري:١٧/٣٠٠.

الخامس: أنه كان عبداً أعجمياً لامرأة بمكة ، يقال له :«أبو فكيهة»، كان يغشى رسول الله -ﷺ- فيقرأ عليه ويتعلم منه ، فقالوا لمولاته احبسيه فحبستْه ، وقالت له : اكنس البيت وكل كناسته ، ففعل وقال : والله ما أكلت أطيب منه ولا أحلى ، وكان يسأل مولاته بعد ذلك أن تحبسه فلا تفعل[١].

السادس : أنه سلمان الفارسي ، قاله الضحاك[٢].

السابع: إن الذي قال ذلك رجل كاتب لرسول الله ﷺ ارتدّ عن الإسلام. وهذا قول سعيد بن المسيب[٣].

قال سعيد بن المسيب: "أن الذي ذكر الله إنما يعلمه بشر، إنما افتتن إنه كان يكتب الوحي، فكان يملي عليه رسول الله ﷺ: «سميع عليم» أو «عزيز حكيم» وغير ذلك من خواتم الآي، ثم يشتغل عنه رسول الله ﷺ وهو على الوحي، فيستفهم رسول الله ﷺ، فيقول: أعزيز حكيم، أو سميع عليم، أو عزيز عليم؟ فيقول رسول الله ﷺ: أيّ ذلك كتبت فهو كذلك، ففتنه ذلك، فقال: إن محمدا يكل ذلك إليّ، فأكتب ما شئت"[٤].

قوله تعالى:{لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ} [النحل : ١٠٣]، أي:" لسان الذي يزعمون أنه علَّمه وينسبون إليه التعليم أعجمي"[٥].

قال الطبري:" يقول الله تعالى ذكره مكذّبهم في قيلهم ذلك: ألا تعلمون كذب ما تقولون، إن لسان الذي تلحدون إليه: يقول: تميلون إليه بأنه يعلم محمدا أعجميّ، وذلك أنهم فيما ذُكر كانوا يزعمون أن الذي يعلِّم محمدا هذا القرآن عبد رومي"[٦].

قال الزمخشري:" المعنى: لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة إليه لسان أعجمي غير بين.. و«اللسان»: اللغة. ويقال: ألحد القبر ولحده، وهو ملحد وملحود، إذا أمال حفره عن الاستقامة، فحفر في شق منه ثم استعير لكل إمالة عن استقامة، فقالوا:
ألحد فلان في قوله، وألحد في دينه. ومنه الملحد، لأنه أمال مذهبه عن الأديان كلها، لم يمله عن دين إلى دين"[٧].

عن مجاهد:" {لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ}، أي: يتكلم بالرومية"[٨].

وقرئ: «يَلْحِدُونَ إِلَيْهِ» بفتح الياء، يعني: يميلون إليه، من لحد فلان إلى هذا[٩].

قوله تعالى:{وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ} [النحل : ١٠٣]، أي:" وهذا القرآن عربيٌ في غاية الفصاحة"[١٠].

قال الطبري:" يقول: وهذا القرآن لسان عربيّ مبين"[١١].

قال الزمخشري:" وهذا القرآن {لسان عربي مبين} ذو بيان وفصاحة، ردا لقولهم وإبطالا لطعنهم"[١٢].

قال السمعاني:" أي: كلام عربي مبين، ومعنى الآية: أنه كيف يأخذ منهم، وهم لا يفصحون بالعربية؟ وقد روي أن ذلك الرجل الذي كانوا يشيرون إليه أسلم، وحسن إسلامه"[١٣].

---

[١] انظر: النكت والعيون:٣/٢١٤-٢١٥.
[٢] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٦٦٣):ص٧/٢٣٠٣، وتفسير الطبري:١٧/٣٠٠.
[٣] انظر: تفسير الطبري:١٧/٣٠١.
[٤] أخرجه الطبري:١٧/٣٠١.
[٥] صفوة التفاسير:٢/١٣٢.
[٦] تفسير الطبري:١٧/٢٩٨.
[٧] الكشاف:٢/٦٣٥.
[٨] تفسير مجاهد:٤٢٦.
[٩] انظر: تفسير الطبري:١٧/٣٠١.
[١٠] صفوة التفاسير:٢/١٣٢.
[١١] تفسير الطبري:١٧/٢٩٨.
[١٢] الكشاف:٢/٦٣٥.
[١٣] تفسير السمعاني:٣/٢٠٣.

قال الشافعي -رحمه الله-: فأقام - الله - عز وجل - حجته بأن كتابه عربي - في كل آية ذكرناها -، ثم أكد ذلك بأن نفى عنه - جل ثناؤه - كل لسان غير لسان العرب في آيتين من كتابه:

- الأولى: فقال تبارك وتعالى: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ} [النحل : ١٠٣].
- الثانية: وقال: {وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ} [فصلت : ٤٤] الآية.

قال الشافعي رحمه الله: فقال منهم قائل: إن في القرآن عربيا وأعجميا. والقرآن يدل على أن ليس من كتاب الله شيء إلا بلسان العرب، ووجد قائل هذا القول من قبل ذلك منه، تقليدا له، وتركا للمسألة له عن حجته، ومسألة غيره ممن خالفه، وبالتقليد أغفل من أغفل منهم، والله يغفر لنا ولهم"[١].

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤)} [النحل : ١٠٤]

التفسير:

إن الكفار الذين لا يصدقون بالقرآن لا يوفقهم الله لإصابة الحق، ولهم في الآخرة عذاب مؤلم موجع.

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ} [النحل : ١٠٤]، أي:" إن الذين لا يُصدّقون بهذا القرآن لا يوفقهم الله لإصابة الحق"[٢].

قال السمعاني:" يعني: لا يرشدهم الله إلى الحق، وقد قال في موضع آخر: {وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ} [التغابن : ١١]"[٣].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى أنه لا يهدي من أعرض عن ذكره وتَغَافل عما أنزله على رسوله ، ولم يكن له قصد إلى الإيمان بما جاء من عند الله ، فهذا الجنس من الناس لا يهديهم الله إلى الإيمان بآياته وما أرسل به رسله في الدنيا"[٤].

قوله تعالى:{وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النحل : ١٠٤]، أي:" ولهم في الآخرة عذاب مؤلم موجع"[٥].

قال السمعاني:" أي: مؤلم"[٦].

قال ابن كثير:" ولهم عذاب أليم موجع في الآخرة "[٧].

القرآن

{إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٠٥)} [النحل : ١٠٥]

التفسير:

إنما يختلق الكذبَ مَن لا يؤمن بالله وآياته، وأولئك هم الكاذبون في قولهم ذلك. أما محمد ﷺ المؤمن بربه الخاضع له فمحال أن يكذب على الله، ويقول عليه ما لم يقله.

قوله تعالى:{إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ} [النحل : ١٠٥]، أي:" إنما يختلق الكذبَ مَن لا يؤمن بالله وآياته"[١].

---

[١] تفسير الإمام الشافعي:٢/١٠١٥-١٠١٦.
[٢] صفوة التفاسير:٢/١٣٢.
[٣] تفسير السمعاني:٣/٢٠٢.
[٤] تفسير ابن كثير:٤/٦٠٤.
[٥] التفسير الميسر: ٢٧٩.
[٦] تفسير السمعاني:٣/٢٠٢.
[٧] تفسير ابن كثير:٤/٦٠٤.

قال الزمخشري: " يعنى: إنما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن، لأنه لا يترقب عقابا عليه"[٢].

قال البغوي:" أخبر الله تعالى أن الكفار هم المفترون، لا محمد ﷺ"[٣].

قال الواحدي:" لأنَّهم يقولون لما لا يقدر عليه إلاَّ الله هذا من قول البشر"[٤].

قال ابن كثير:" أخبر تعالى أن رسوله ليس بمفتر ولا كَذَّاب ؛ لأنه { إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ } على الله وعلى رسوله شِرارُ الخلق ، {الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ} من الكفرة والملحدين المعروفين بالكذب عند الناس. والرسول محمد ﷺ ، كان أصدق الناس وأبرهم وأكملهم علما وعملا وإيمانا وإيقانا ، معروفًا بالصدق في قومه ، لا يشك في ذلك أحد منهم بحيث لا يُدْعى بينهم إلا بالأمين محمد ؛ ولهذا لما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان عن تلك المسائل التي سألها من صفة رسول الله ﷺ ، كان فيما قال له : أو كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال : لا. فقال : هرقل فما كان لِيَدع الكذب على الناس ويذهب فيكذب على الله عز وجل"[٥].

عن معاوية بن صالح قال: ذكر الكذب عند أبي أمامة فقال: اللهم عفوا، أما تسمعون الله يقول: إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون"[٦].

قوله تعالى:{وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ} [النحل : ١٠٥]، أي:" وأولئك هم الكاذبون في قولهم ذلك"[٧].

قال الزمخشري: "{أولئك} إشارة إلى قريش هم الكاذبون أى هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون. أو إلى الذين لا يؤمنون. أى أولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب، لأن تكذيب آيات الله أعظم الكذب: أو أولئك هم الذين عادتهم الكذب لا يبالون به في كل شيء، لا تحجبهم عنه مروءة ولا دين. أو أولئك هم الكاذبون في قولهم إنما أنت مفتر"[٨].

قال البغوي:" فإن قيل: قد قال: {إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون}، فما معنى قوله {وأولئك هم الكاذبون}؟ قيل: {إنما يفتري الكذب}: إخبار عن فعلهم، {وهم الكاذبون} نعت لازم لهم، كقول الرجل لغيره: كذبت وأنت كاذب، أي: كذبت في هذا القول، ومن عادتك الكذبم"[٩].

عن عبد الله بن جراد قال :"قلت: يا رسول الله المؤمن يزني؟ قال: قد يكون ذلك، قال قلت: المؤمن يسرق؟ قال: قد يكون ذلك، قلت المؤمن يكذب؟ قال: لا". قال الله: {إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله}"[١٠].

فوائد الآيات:[١٠٣-١٠٥]:

١- دفاع الله تعالى عن رسوله ودرء كل تهمة توجه إلى رسول الله ﷺ.
٢- المكذبون بآيات الله يحرمون هداية الله، لأن طريق الهداية هو الإيمان بالقرآن. فلما كفروا به فعلى أي شيء يهتدون.
٣- المؤمنون لا يكذبون لإيمانهم بثواب الصدق وعقاب الكذب، ولكن الكافرين هم الذين يكذبون لعدم ما يمنعهم من الكذب إذ لا يرجون ثوابا ولا يخافون عقابا.

---

[١] التفسير الميسر: ٢٧٩.
[٢] الكشاف:٦٣٥/٢.
[٣] تفسير البغوي:٤٥/٥.
[٤] الوجيز:٦٢٠.
[٥] تفسير ابن كثير:٦٠٤/٤-٦٠٥
[٦] أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٦٦٥):ص٢٣٠٣/٧.
[٧] التفسير الميسر: ٢٧٩.
[٨] الكشاف:٦٣٥/٢.
[٩] تفسير البغوي:٤٥/٥.
[١٠] أخرجه البغوي في تفسيره: ٤٥/٥، و أخرجه الخرائطي في مساوئ الأخلاق ص ٦٩ بتحقيق أبو النصر شلبي، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٥ / ١٦٨ لابن عساكر في تاريخه. وفيه يعلى بن الأشدق العقيلي؛ قال أبو حاتم: ليس بشيء، ضعيف الحديث، وقال ابن حبان: لا تحل الرواية عنه بحال، ولا الاحتجاج به. انظر الجرح والتعديل: ٩ / ٣٠٣، المجروحين لابن حبان: ٣ / ١٤٢.

القرآن

{مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦)} [النحل : ١٠٦]

التفسير:

إنما يفتري الكذب مَن نطق بكلمة الكفر وارتدَّ بعد إيمانه، فعليهم غضب من الله، إلا مَن أُرغم على النطق بالكفر، فنطق به خوفًا من الهلاك وقلبه ثابت على الإيمان، فلا لوم عليه، لكن من نطق بالكفر واطمأن قلبه إليه، فعليهم غضب شديد من الله، ولهم عذاب عظيم.

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها: أنها نزلت في عمار بن ياسر، قاله ابن عباس[١]، وقتادة[٢]، وابو مالك[٣].

عن ابن عباس، قوله :"{مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ} ... إلى آخر الآية، وذلك أن المشركين أصابوا عمار بن ياسر فعذّبوه، ثم تركوه، فرجع إلى رسول الله ﷺ فحدّثه بالذي لقي من قريش، والذي قال: فأنزل الله تعالى ذكره عذره :{مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ} ... إلى قوله (وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}"[٤].

وأخرج ابن ابي حاتم بسنده عن ابن عباس، قال:"لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم إن يهاجر إلى المدينة، قال لأصحابه: تفرقوا عني، فمن كانت به قوة فليتأخر إلى آخر الليل، ومن لم تكن به قوة فليذهب في أول الليل، فإذا سمعتم بن قد استقرت بي الأرض، فالحقوا بي. فأصبح بلال المؤذن وخباب وعمار وجارية من قريش كانت أسلمت، فأصبحوا بمكة فأخذهم المشركون وأبو جهل، فعرضوا على بلال إن يكفر فأبى، فجعلوا يضعون درعا من حديد في الشمس ثم يلبسونها إياه، فإذا ألبسوها إياه قال: أحد.. أحد.. وأما خباب، فجعلوا يجرونه في الشوك، وأما عمار فقال لهم كلمة أعجبتهم تقية، وأما الجارية، فوتد لها أبو جهل أربعة أوتاد ثم مدها فأدخل الحربة في قبلها حتى قتلها، ثم خلوا عن بلال وخباب وعمار، فلحقوا برسول الله ﷺ فأخبروه بالذي كان من أمرهم، واشتد على عمار الذي كان تكلم به. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف كان قلبك حين قلت الذي قلت: أكان منشرحا بالذي قلت أم لا؟ قال: لا قال: وأنزل الله إلا من اكره وقلبه مطمئن بالإيمان"[٥].

عن قتادة :"{مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ}، قال: ذُكِر لنا أنها نزلت في عمار بن ياسر، أخذه بنو المغيرة فغطوه في بئر ميمون وقالوا: اكفر بمحمد، فتابعهم على ذلك وقلبه كاره، فأنزل لله تعالى ذكره (إلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا} : أي: من أتى الكفر على اختيار واستحباب، {فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}"[٦].

عن أبي مالك، في قوله :"{إلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ}، قال: نزلت في عمار بن ياسر"[٧].

الثاني: أنها نزلت في عمار بن ياسر وأبويه ياسر وسُمية وبلال وصهيب وخبّاب، أظهروا الكفر بالإكراه وقلوبهم مطمئنة بالإيمان. حكاه الماوردي عن الكلبي[٨].

---

[١] انظر: تفسير الطبري:٣٠٤/١٧.
[٢] انظر: تفسير الطبري:٣٠٤/١٧.
[٣] انظر: تفسير الطبري:٣٠٤/١٧.
[٤] أخرجه الطبري:٣٠٤/١٧.
[٥] تفسير ابن أبي حاتم(١٢٦٦٦):ص٢٣٠٤/٧.
[٦] أخرجه الطبري:٣٠٤/١٧.
[٧] أخرجه الطبري:٣٠٤/١٧.
[٨] انظر: النكت والعيون:٢١٧/٣.

الثالث: قال ابن سيرين:"نزلت هذه الآية : {إلا مَنْ أُكْرِهَ} في عياش بن أبي ربيعة. قاله ابن سيرين[١].

الرابع: عن مجاهد: "نزلت هذه الآية في أناس من اهل مكة آمنوا، فكتب إليهم بعض الصحابة بالمدينة: إن هاجروا فإنا لا نرى أنكم منا حتى تهاجروا إلينا، فخرجوا يريدون المدينة فأدركتهم قريش في الطريق ففتنوهم، فكفروا مكرهين، ففيهم نزلت هذه الآية" [٢].[مرسل]

قوله تعالى:{مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ} [النحل : ١٠٦]، أي:" إنما يفتري الكذب مَن نطق بكلمة الكفر وارتدَّ بعد إيمانه"[٣].

قال الواحدي:" هذا ابتداء كلام وخبره في قوله: {فعليهم غضب من الله}"[٤].

قال الزمخشري: المعنى:" إنما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه"[٥].

قوله تعالى:{إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ} [النحل : ١٠٦]، أي:" إلا مَن أُرغم على النطق بالكفر، فنطق به خوفًا من الهلاك وقلبه ثابت على الإيمان، فلا لوم عليه"[٦].

قال الواحدي:" استثنى المُكره على الكفر فقال: {إلاَّ مَنْ أكره} أَيْ: على التَّلفظ بكلمة الكفر {وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ}"[٧].

قال ابن عباس:" فأخبر الله سبحانه أنه من كفر من بعد إيمانه، فعليه غضب من الله وله عذاب عظيم، فأما من أكره فتكلم به لسانه وخالفه قلبه بالإيمان لينجو بذلك من عدوّه، فلا حرج عليه، لأن الله سبحانه إنما يأخذ العباد بما عقدت عليه قلوبهم"[٨].

أبي عبيدة بن محمد بن عمار عن أبيه قال: "أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سب النبي ﷺ وذكر آلهتهم. بخير ثم تركوه، فلما أتى رسول الله ﷺ قال: ما وراءك شيء؟ قال: شر ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير قال: كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئن بالإيمان. قال: إن عادوا فعد. {إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ}"[٩].

قوله تعالى:{وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا} [النحل : ١٠٦]، أي:" لكن من نطق بالكفر واطمأن قلبه إليه"[١٠].

قال الواحدي:" أَيْ: فتحه ووسَّعه لقبوله"[١١].

قال البغوي:" أي: فتح صدره للكفر بالقبول واختاره"[١٢].

قوله تعالى:{فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [النحل : ١٠٦]، أي:" فعليهم غضب شديد من الله، ولهم عذاب عظيم"[١٣].

قال الماوردي:" قال بعض المتكلمين : إنما يجوز للمكرَه إظهارُ الكفر عل وجه التعريض دون التصريح الباتّ . لقبح التصريح بالتكذيب وخطره في العرف والشرع ، كقوله إن محمداً كاذب في اعتقادكم ، أو يشير لغيره ممن يوافق اسمه لاسمه إذا عرف منه الكذب ، وهذا لعمري أولى الأمرين ، ولم يَصِرِ المكرَه بالتصريح كافر"[١٤].

---

[١] أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٦٦٨):ص٢٣٠٤/٧.
[٢] تفسير ابن ابي حاتم(١٢٦٦٩):ص١٣٠٤/٧، وحكاه الواحدي في أسباب النزول:٢٨٩. دون إسناد.
[٣] التفسير الميسر: ٢٧٩.
[٤] الوجيز:٦٢٠.
[٥] الكشاف:٦٣٦/٢.
[٦] التفسير الميسر: ٢٧٩.
[٧] الوجيز:٦٢٠.
[٨] أخرجه الطبري:٣٠٥/١٧.
[٩] أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٦٦٧):ص٢٣٠٤/٧.
[١٠] التفسير الميسر: ٢٧٩.
[١١] الوجيز:٦٢٠.
[١٢] تفسير البغوي:٤٦/٥.
[١٣] التفسير الميسر: ٢٧٩.
[١٤] النكت والعيون:٢١٧/٣.

الفوائد:

١- الرخصة في كلمة الكفر في حال التعذيب بشرط اطمئنان القلب إلى الإيمان وعدم انشراح الصدر بكلمة الكفر.

وكذلك الرخصة في العتاق والطلاق والنكاح والحلف والحنث ما دام مكرها فلا يلزمه شيء لحديث: "رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه"[١] الحديث، وكذا من أكره على تسليم زوجته فلا شيء عليه إذ أكره إبراهيم على ذلك وعصمه الله تعالى ومن صبر على ما أكره به من الضرب والتعذيب فله ذلك فقد صبر عبد الله بن حذافة السهمي على ألوان من التعذيب والتهديد على يد ملك الروم حيث أسر مع جمع من المسلمين فعذب ما شاء الله أن يعذب ثم أطلق الأسرى، وقبل عمر رضي الله عنه رأسه إكراما له واعترافا بفضله لأن ملك الروم أخذ ما أكرهه عليه تقبيل رأسه فقبله.

قال السعدي:" ودل ذلك على أن كلام المكره على الطلاق أو العتاق أو البيع أو الشراء أو سائر العقود أنه لا عبرة به، ولا يترتب عليه حكم شرعي، لأنه إذا لم يعاقب على كلمة الكفر إذا أكره عليها فغيرها من باب أولى وأحرى"[٢].

قال البغوي:" أجمع العلماء على: أن من أكره على كلمة الكفر، يجوز له أن يقول بلسانه، وإذا قال بلسانه غير معتقد لا يكون كفرا، وإن أبى أن يقول حتى يقتل كان أفضل[٣]، واختلف أهل العلم في طلاق المكره. فذهب أكثرهم إلى أنه لا يقع[٤]"[٥].

٢- نؤمن بأن الله تعالى يغضب على من يستحق الغضب من الكافرين وغيرهم، قال تعالى: {وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}، وقال تعالى: {وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [الفتح : ٦].

القرآن

{ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (١٠٧)} [النحل : ١٠٧]

التفسير:

وذلك بسبب إيثارهم الدنيا وزينتها، وتفضيلهم إياها على الآخرة وثوابها، وأن الله لا يهدي الكافرين، ولا يوفقهم للحق والصواب.

قوله تعالى:{ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ} [النحل : ١٠٧]، أي:" ذلك العذاب بسبب أنهم آثروا الدنيا واختاروها على الآخرة"[٦].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: حلّ بهؤلاء المشركين غضب الله، ووجب لهم العذاب العظيم، من أجل أنهم اختاروا زينة الحياة الدنيا على نعيم الآخرة "[١].

---

[١] أخرجه الطبرانى (٩٧/٢، رقم ١٤٣٠) قال الهيثمى (٢٥٠/٦) : فيه يزيد بن ربيعة الرحبى وهو ضعيف. وأخرجه أيضا: الطبرانى فى الشاميين (١٥٢/٢، رقم ١٠٩٠).

[٢] تفسير السعدي:٤٥٠.

[٣] انظر: القرطبي: ١٠ / ١٨١،١٨٨-١٩٠، أحكام القرآن للجصاص: ٤ / ١٣-١٤، أحكام القرآن لابن العربي: العربي: ٣ / ١١٧٧-١١٧٩، زاد المسير: ٤ / ٤٩٦.

[٤] قال الشافعي، ومالك، وأحمد: لا يقع طلاق المكره، وهو مروي عن عمر، وعلي، وابن عباس. وذكره ابن المنذر عن ابن الزبير، وابن عمر، وابن عباس، وعطاء، وطاوس، والحسن، وشريح، والقاسم، وسالم، والأوزاعي، وإسحاق، وأبي ثور. وأجازه أبو حنيفة، فقال: طلاق المكره يلزم، لأنه لم يعدم فيه أكثر من الرضا، وليس وجوده بشرط في الطلاق. وهذا مروي عن الشعبي، والنخعي، وأبي قلابة، والزهري، وقتادة. انظر بالتفصيل: تفسير القرطبي: ١٠ / ١٨٤، زاد المسير: ٤ / ٤٩٧، أحكام القرآن للجصاص: ٥ / ١٤ - ١٥ أحكام القرآن لابن العربي: ٣ / ١١٨١.

[٥] تفسير البغوي:٤٦/٥.

[٦] صفوة التفاسير:١٣٣/٢.

قال الواحدي:" {ذلك} الكفر {بأنهم استحبوا الحياة الدنيا} اختاروها"[٢].

قوله تعالى:{وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} [النحل : ١٠٧]، أي:" وأن الله لا يهدي الكافرين، ولا يوفقهم للحق والصواب"[٣].

قال البغوي:أي:" لا يرشدهم"[٤].

قال الطبري:"ولأن الله لا يوفق القوم الذين يجحدون آياته مع إصرارهم على جحودها"[٥].

قال الواحدي:" لا يهديهم ولا يريد هدايتهم ثمَّ وصفهم بأنَّهم مطبوعٌ على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأنَّهم غافلون عمَّا يُراد بهم"[٦].

القرآن

{أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٠٨)} [النحل : ١٠٨]

التفسير:

أولئك هم الذين ختم الله على قلوبهم بالكفر وإيثار الدنيا على الآخرة، فلا يصل إليها نور الهداية، وأصم سمعهم عن آيات الله فلا يسمعونها سماع تدبُّر، وأعمى أبصارهم، فلا يرون البراهين الدالة على ألوهية الله، وأولئك هم الغافلون عمَّا أعدَّ الله لهم من العذاب.

قوله تعالى:{أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ} [النحل : ١٠٨]، أي:" أولئك هم الذين ختم الله على قلوبهم بالكفر وإيثار الدنيا على الآخرة، فلا يصل إليها نور الهداية، وأصم سمعهم عن آيات الله فلا يسمعونها سماع تدبُّر، وأعمى أبصارهم، فلا يرون البراهين الدالة على ألوهية الله"[٧].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: هؤلاء المشركون الذين وصفت لكم صفتهم في هذه الآيات أيها الناس، هم القوم الذين طبع الله على قلوبهم، فختم عليها بطابعه، فلا يؤمنون ولا يهتدون، وأصمّ أسماعهم فلا يسمعون داعي الله إلى الهدى، وأعمى أبصارهم فلا يبصرون بها حجج الله إبصار معتبر ومتعظ "[٨].

قوله تعالى:{وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} [النحل : ١٠٨]، أي:" وأولئك هم الغافلون عمَّا أعدَّ الله لهم من العذاب"[٩].

قال الطبري:" يقول: وهؤلاء الذين جعل الله فيهم هذه الأفعال هم الساهون، عما أعدّ الله لأمثالهم من أهل الكفر وعما يراد بهم"[١٠].

قال الزمخشري: أي:هم" الكاملون في الغفلة، الذين لا أحد أغفل منهم، لأن الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة ومنتهاها"[١١].

القرآن

{لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٠٩)} [النحل : ١٠٩]

---

[١] تفسير الطبري:٣٠٥/١٧.

[٢] الوجيز:٦٢٠.

[٣] التفسير الميسر: ٢٧٩.

[٤] تفسير البغوي:٤٧/٥.

[٥] تفسير الطبري:٣٠٥/١٧.

[٦] الوجيز:٦٢٠.

[٧] التفسير الميسر: ٢٧٩.

[٨] تفسير الطبري:٣٠٥/١٧-٣٠٦.

[٩] التفسير الميسر: ٢٧٩.

[١٠] تفسير الطبري:٣٠٦/١٧.

[١١] الكشاف:٦٣٧/٢.

التفسير:
حقًا إنهم في الآخرة هم الخاسرون الهالكون، الذين صرفوا حياتهم إلى ما فيه عذابهم وهلاكهم.
قال السمعاني:" أي: حقا أنهم في الآخرة هم المغبونون"[١].
قال الطبري:{هُمُ الْخَاسِرُونَ}، أي:"الهالكون، الذين غَبَنوا أنفسهم حظوظها من كرامة الله تعالى"[٢].
قال البغوي: {هُمُ الْخَاسِرُونَ}، أي:" المغبونون"[٣].
قال السعدي:" الذين خسروا أنفسهم وأموالهم وأهليهم يوم القيامة وفاتهم النعيم المقيم وحصلوا على العذاب الأليم"[٤].
فوائد الآيات:[١٠٧-١٠٩]:
١- إيثار الدنيا على الآخرة سبيل الضلال والهلاك.
٢- إن استحباب الدنيا على الآخرة هو الأصل الموجب للخسران، قال تعالى :{ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ}.
٣- أخبر تعالى أنه لا يهدي هؤلاء الكفار مع كونهم يعتذرون بمحبة الدنيا، وأخبر تعالى أنهم الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم، وأنهم الغافلون.
٤- ومن الفوائد: إنما الهداية بيد الله تعالى، وكذا الإضلال، فهو سبحانه الذي تفرد بهداية القلوب كما تفرد بخلق المخلوقات فتبين أنه الإله الحق وهو الذي ينفع وهو الذي يضر جل وعلا .
فمن هداه الله فذلك نعمة من الله عليه وفضل وكرم، ومن أضله فلم يظلمه، وليس للعبد حجة على الله، بل لله الحجة البالغة، فإذا شاء هدى وإذا شاء أضل، فمن هداه الله فقد أنعم عليه، فهدايته له فضل منه، ومن أضله الله فإنه عدل منه، فإنه تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، وأيضا هو المنعم المتفضل على خلقه.

القرآن
{ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١١٠)} [النحل : ١١٠]
التفسير:
ثم إن ربك للمستضعفين في «مكة» الذين عذَّبهم المشركون، حتى وافقوهم على ما هم عليه ظاهرًا، ففتنوهم بالتلفظ بما يرضيهم، وقلوبهم مطمئنة بالإيمان، ولمَّا أمكنهم الخلاص هاجروا إلى «المدينة» ، ثم جاهدوا في سبيل الله، وصبروا على مشاق التكاليف، إن ربك -من بعد توبتهم- لَغفور لهم، رحيم بهم.
في سبب نزول الآية وجوه:
أحدها: قال ابن عباس:" كان قوم من أهل مكة أسلموا، وكانوا يستخفون بالإسلام، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم، فأصيب بعضهم، وقُتِل بعض، فقال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين، وأكرهوا فاستغفروا لهم، فنزلت :{إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم} ... إلى آخر الآية؛ قال: وكتب إلى من بقي بمكة من المسلمين هذه الآية لا عذر لهم، قال: فخرجوا فلحقهم المشركون، فأعطوهم الفتنة، فنزلت هذه الآية :{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ} ... إلى آخر الآية، فكتب المسلمون إليهم بذلك، فخرجوا وأيسوا من كلّ خير، ثم نزلت فيهم :{ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا

---
[١] تفسير السمعاني:٢٠٤/٣.
[٢] تفسير الطبري:٣٠٦/١٧.
[٣] تفسير البغوي:٤٧/٥.
[٤] تفسير السعدي:٤٥٠.

وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}، فكتبوا إليهم بذلك: إن الله قد جعل لكم مخرجا، فخرجوا، فأدركهم المشركون فقاتلوهم، ثم نجا من نجا، وقُتِل من قُتِل"[1].

عن مجاهد :"{مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ}، قال: ناس من أهل مكة آمنوا، فكتب إليهم بعض أصحاب النبيّ ﷺ بالمدينة، أن هاجروا، فإنا لا نراكم منا حتى تهاجروا إلينا، فخرجوا يريدون المدينة، فأدركتهم قريش بالطريق، ففتنوهم وكفروا مكرهين، ففيهم نزلت هذه الآية"[2].

قال قتادة:" ذكر لنا أنه لما أنزل الله أن أهل مكة لا يُقبل منهم إسلام حتى يهاجروا، كتب بها أهل المدينة إلى أصحابهم من أهل مكة؛ فلما جاءهم ذلك تبايعوا بينهم على أن يخرجوا، فإن لحق بهم المشركون، من أهل مكة قاتلوهم حتى ينجوا أو يلحقوا بالله، فخرجوا فأدركهم المشركون، فقاتلوهم، فمنهم من قُتِل، ومنهم من نجا، فأنزل الله تعالى {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا} ... الآية"[3].

الثاني: قال ابن إسحاق:" نزلت هذه الآية في عمَّار ابن ياسر وعياش بن أبي ربيعة، والوليد بن الوليد :{ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا}"[4].

الثالث: قال البغوي:"نزلت في عياش بن أبي ربيعة، أخي أبي جهل من الرضاعة، وفي أبي جندل بن سهيل بن عمرو، والوليد بن الوليد بن المغيرة، وسلمة بن هشام وعبد الله بن أسيد الثقفي، فتنهم المشركون فأعطوهم بعض ما أرادوا ليسلموا من شرهم، ثم إنهم هاجروا بعد ذلك وجاهدوا"[5].

الرابع: أنها نزلت في شأن ابن أبي سرح. قاله الحسن[6]، وعكرمة[7].

عن عكرمة والحسن البصري، "قالا في سورة النحل {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}، ثم نسخ واستثنى من ذلك، فقال {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} وهو عبد الله بن أبي سرح الذي كان يكتب لرسول الله ﷺ، فأزلَّه الشيطان، فلحق بالكفار، فأمر به النبيّ ﷺ أن يُقتل يوم فتح مكة، فاستجار له أبو عمرو فأجاره النبيّ ﷺ"[8].

قوله تعالى:{ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا} [النحل : ١١٠]، أي:" ثم إن ربك يا محمد للذين هاجروا في سبيل الله بعد ما فتنهم المشركون الطغاة عن دينهم بالعذاب"[9].

قال البغوي:أي:" عذبوا ومنعوا من الإسلام، فتنهم المشركون"[10].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ثم إن ربك يا محمد للذين هاجروا من ديارهم ومساكنهم وعشائرهم من المشركين، وانتقلوا عنهم إلى ديار أهل الإسلام ومساكنهم وأهل ولايتهم، من بعد ما فتنهم المشركون الذين كانوا بين أظهرهم قبل هجرتهم عن دينهم"[11].

وقرأ ابن عامر:«فتنوا» بفتح الفاء والتاء، ورده إلى من أسلم من المشركين فتنوا المسلمين[12].

---

[1] أخرجه الطبري:١٧/٣٠٧-٣٠٨.
[2] أخرجه الطبري:١٧/٣٠٦-٣٠٧.
[3] أخرجه الطبري:١٧/٣٠٧.
[4] أخرجه الطبري:١٧/٣٠٨.
[5] تفسير البغوي:٥/٤٧، وانظر: تفسير الخازن: ٤ / ٩٧.
[6] انظر: تفسير الطبري:١٧/٣٠٨.
[7] انظر: تفسير الطبري:١٧/٣٠٨.
[8] أخرجه الطبري:١٧/٣٠٨.
[9] صفوة التفاسير:٢/١٣٣.
[10] تفسير البغوي:٥/٤٧.
[11] تفسير الطبري:١٧/٣٠٦.
[12] انظر: تفسير البغوي:٥/٤٨.

قوله تعالى:{ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا} [النحل : ١١٠]، أي:" ثم جاهدوا في سبيل الله وصبروا على مشاقّ الجهاد"[١].

قال الطبري:"ثم جاهدوا المشركين بعد ذلك بأيديهم بالسيف وبألسنتهم بالبراءة منهم، ومما يعبدون من دون الله، وصبروا على جهادهم"[٢].

قال البغوي:{وَصَبَرُوا}:" على الإيمان والهجرة والجهاد"[٣].

قوله تعالى:{إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} [النحل : ١١٠]، أي:" إن ربك بعد تلك الهجرة والجهاد والصبر سيغفر لهم ويرحمهم"[٤].

قال الطبري:" يقول: إن ربك من بعد فعلتهم هذه لهم لغفور، يقول: لذو ستر على ما كان منهم من إعطاء المشركين ما أرادوا منهم من كلمة الكفر بألسنتهم، وهم لغيرها مضمرون، وللإيمان معتقدون، رحيم بهم أن يعاقبهم عليها مع إنابتهم إلى الله وتوبتهم"[٥].

قال البغوي:" {من بعدها} من بعد تلك الفتنة والغفلة {لغفور رحيم}"[٦].

قال السعدي:" أي: ثم إن ربك الذي ربى عباده المخلصين بلطفه وإحسانه {لغفور رحيم} لمن هاجر في سبيله، وخلى دياره وأمواله طلبا لمرضاة الله، وفتن على دينه ليرجع إلى الكفر، فثبت على الإيمان، وتخلص ما معه من اليقين، ثم جاهد أعداء الله ليدخلهم في دين الله بلسانه ويده، وصبر على هذه العبادات الشاقة على أكثر الناس.

فهذه أكبر الأسباب التي تنال بها أعظم العطايا وأفضل المواهب، وهي مغفرة الله للذنوب صغارها وكبارها المتضمن ذلك زوال كل أمر مكروه، ورحمته العظيمة التي بها صلحت أحوالهم واستقامت أمور دينهم ودنياهم، فلهم الرحمة من الله في يوم القيامة"[٧].

الفوائد:

١- فضل الهجرة والجهاد والصبر، وما تكفر هذه العبادات من الذنوب وما تمحو من خطايا.

٢- ومن الفوائد: إثبات هذين الاسمين الكريمين: «الغفور»، و«الرحيم»؛ وما تضمناه من صفة، وفعل.

- فـ«الغفور»: هو: "الذي لم يزل يغفر الذنوب ويتوب عل كل من يتوب"[٨].

قال الخطابي:"«الغفور»:هو الذي تكثر منه المغفرة. وبناء فعول: بناء المبالغة في الكثرة[٩].

- و«الرحيم»:أي: "ذو الرحمة الواسعة التي وسعت كل شيء" [١٠].

القرآن

{يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١١١)} [النحل : ١١١]

التفسير:

---

[١] صفوة التفاسير:١٣٣/٢.
[٢] تفسير الطبري:٣٠٦/١٧.
[٣] تفسير البغوي:٤٧/٥.
[٤] صفوة التفاسير:١٣٣/٢.
[٥] تفسير الطبري:٣٠٦/١٧.
[٦] تفسير البغوي:٤٧/٥.
[٧] تفسير السعدي:٤٥٠.
[٨] الحق الواضح المبين، السعدي:٧٣، ٧٤، وانظر: أسماء الله الحسنى:٢١٩.
[٩] انظر: شأن الدعاء:٦٥/١.
[١٠] انظر:تفسير ابن عثيمين: الفاتحة والبقرة:١٨٨/١، وشرح أسماء الحسنى في ضوء الكتاب والسنة:٨٤.

وذكرهم -أيها الرسول- بيوم القيامة حين تأتي كل نفس تخاصم عن ذاتها، وتعتذر بكل المعاذير، ويوفي الله كل نفس جزاء ما عَمِلَتْه من غير ظلم لها، فلا يزيدهم في العقاب، ولا ينقصهم من الثواب.

قوله تعالى:{يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا} [النحل : ١١١]، أي:" وذكرهم -أيها الرسول- بيوم القيامة حين تأتي كل نفس تخاصم عن ذاتها، وتعتذر بكل المعاذير"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن ربك من بعدها لغفور رحيم {يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ} تخاصم عن نفسها، وتحتجّ عنها بما أسلفت في الدنيا من خير أو شرّ أو إيمان أو كفر"[٢].

قال البغوي:أي: " تخاصم وتحتج، {عن نفسها} بما أسلفت من خير وشر، مشتغلا بها لا تتفرغ إلى غيرها"[٣].

قوله تعالى:{وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ} [النحل : ١١١]، أي:" ويوفي الله كل نفس جزاء ما عَمِلَتْه"[٤].

قال الطبري:أي:" في الدنيا من طاعة ومعصية"[٥].

قوله تعالى:{وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [النحل : ١١١]، أي: وهم" لا ينقصون أجورهم بل يُعطونها كاملةً وافية"[٦].

قال الطبري:" يقول: وهم لا يفعل بهم إلا ما يستحقونه ويستوجبونه بما قدّموه من خير أو شرّ، فلا يجزى المحسن إلا بالإحسان ولا المسيء إلا بالذي أسلف من الإساءة، لا يعاقب محسن ولا يبخس جزاء إحسانه، ولا يثاب مسيء إلا ثواب عمله"[٧].

عن كعب قال: "كنت عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: خوفنا يا كعب، فقلت: يا أمير المؤمنين، أو ليس فيكم كتاب الله وحكمه رسوله؟ قال: بلى، ولكن خوفنا، قلت: يا أمير المؤمنين، لو وافيت القيامة بعمل سبعين نبيا لازدريت عملك مما ترى. قال: زدنا. قلت: يا أمير المؤمنين، لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب، لغلا دماغه حتى يسيل من حرها. قال: زدنا. قلت: يا أمير المؤمنين، إن جهنم لتزفر زفرة يوم القيامة، لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا خر جاثيا على ركبتيه، حتى إن إبراهيم خليله ليخر جاثيا على ركبتيه، فيقول: رب نفسي ... نفسي ... لا أسألك اليوم إلا نفسي فأطرق عمر مليا. قلت: يا أمير المؤمنين، أو ليس تجدون هذا في كتاب الله؟ قال: كيف؟ قلت: قول الله في هذه الآية :{يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون}"[٨].

روى عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية قال:" ما تزال الخصومة بين الناس يوم القيامة، حتى تخاصم الروح الجسد، فتقول الروح: يا رب، لم يكن لي يد أبطش بها، ولا رجل أمشي بها، ولا عين أبصر بها. ويقول الجسد: خلقتني كالخشب ليست لي يد أبطش بها، ولا رجل أمشي بها، ولا عين أبصر بها، فجاء هذا كشعاع النور، فبه نطق لساني، وأبصرت عيني، ومشت رجلي. فيضرب الله لهما مثلا أعمى ومقعد، دخلا حائطا فيه ثمار، فالأعمى لا يبصر الثمر، والمقعد لا يناله، فحمل الأعمى المقعد فأصابا من الثمر فعليهما العذاب"[٩].

---

[١] التفسير الميسر:٢٨٠.
[٢] تفسير الطبري:٣٠٨/١٧.
[٣] تفسير البغوي:٤٨/٥.
[٤] التفسير الميسر:٢٨٠.
[٥] تفسير الطبري:٣٠٨/١٧.
[٦] صفوة التفاسير:١٣٥/٢.
[٧] تفسير الطبري:٣٠٨/١٧-٣٠٩.
[٨] أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٦٧١):ص٢٣٠٥/٧.
[٩] حكاه البغوي في تفسيره:٤٨/٥.

قال الآلوسي : "والظاهر هو عدم صحة هذا الخبر عن الحبر -ابن عباس- وهو أجل من أن يحمل المجادلة في الآية على ما ذكر. والحق أنه ليس فيه إلا الدلالة على عدم الاهتمام"[^١].

وقال ابن عطية: " وظاهر الآية: أن كل نفس تجادل، مؤمنة كانت أو كافرة، فإذا جادل الكفار بكذبهم وجحدهم الكفر شهدت عليهم الجوارح والرسل وغير ذلك بحسب الطوائف، فحينئذ لا ينطقون {ولا يؤذن لهم فيعتذرون} [المرسلات:٣٦]، فتجتمع آيات القرآن باختلاف المواطن. وقالت فرقة: قول كل أحد من الأنبياء وغيرهم: نفسي، نفسي، وهذا ليس بجدال ولا احتجاج، وإنما هو مجرد رغبة"[^٢].

الفوائد:

١- تعظيم يوم الآخر، وذكر الأمر الهائل في كل نفس.

٢- وجوب التذكير باليوم الآخر وما يتم فيه من ثواب وعقاب للتجافي عن الدنيا والإقبال على الآخرة.

٣- نفي الظلم ولو عن الأشرار، قال تعالى:{وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ}.

٤- ومن الفوائد: أن «النفس» في القرآن تطلق على الذات بحملتها، قال تعالى: {يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها}، وتطلق على الروح وحدها كقوله تعالى: {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ} [الفجر : ٢٧].

٥- من أسماء يوم القيامة: «يوم الجدال»، أخذا من قوله تعالى: (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها) [النحل: ١١١].

القرآن

{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢)} [النحل : ١١٢]

التفسير:

وضرب الله مثلا بلدة «مكة» كانت في أمان من الاعتداء، واطمئنان مِن ضيق العيش، يأتيها رزقها هنيئًا سهلا من كل جهة، فجحد أهلُها نِعَمَ الله عليهم، وأشركوا به، ولم يشكروا له، فعاقبهم الله بالجوع، والخوف من سرايا رسول الله ﷺ وجيوشه، التي كانت تخيفهم؛ وذلك بسبب كفرهم وصنيعهم الباطل.

قوله تعالى:{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً} [النحل : ١١٢]، أي:" وضرب الله مثلا بلدة «مكة» كانت في أمان من الاعتداء، واطمئنان مِن ضيق العيش"[^٣].

قال البغوي:" يعني: مكة، كانت آمنة، لا يهاج أهلها ولا يغار عليها، {مطمئنة} قارة بأهلها، لا يحتاجون إلى الانتقال للانتجاع كما يحتاج إليه سائر العرب"[^٤].

قال الطبري:" يقول الله تعالى ذكره: ومثّل الله مثلا لمكة التي سكنها أهل الشرك بالله هي القرية التي كانت آمنة مطمئنة، وكان أمنها أن العرب كانت تتعادى، ويقتل بعضها بعضا، ويَسْبي بعضها بعضا، وأهل مكة لا يغار عليهم، ولا يحارَبون في بلدهم، فذلك كان أمنها. وقوله {مُطْمَئِنَّةً} يعني: قارّة بأهلها، لا يحتاج أهلها إلى النَّجْع، كما كان سكان البوادي يحتاجون إليها"[^٥].

قال الزمخشري:" أى: جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة...[ويجوز] أن تكون في قرى الأولين قرية كانت هذه حالها، فضربها الله مثلا لمكة إنذارا

[^١]: روح المعاني: ١٤ / ٢٤١.
[^٢]: المحرر الوجيز: ٨ / ٥٢٥.
[^٣]: التفسير الميسر:٢٨٠.
[^٤]: تفسير البغوي:٤٨/٥.
[^٥]: تفسير الطبري:٣٠٩/١٧.

من مثل عاقبتها، [قوله]: {مطمئنة}: لا يزعجها خوف، لأن الطمأنينة مع الأمن، والانزعاج والقلق مع الخوف"[١].

قوله تعالى:{يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ} [النحل : ١١٢]، أي:" يأتيها رزقها هنيئًا سهلا من كل جهة"[٢].

قال الطبري:" يقول: يأتي أهلها معايشهم واسعة كثيرة، من كلّ فجّ من فِجاج هذه القرية، ومن كلّ ناحية فيها"[٣].

قال الزجاج:" أي: واسعا من كل مكان"[٤].

قال البغوي:أي: " يحمل إليها من البر والبحر نظيره: {يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ} [القصص : ٥٧]"[٥].

قال السعدي:" هذه القرية هي مكة المشرفة التي كانت آمنة مطمئنة لا يهاج فيها أحد، وتحترمها الجاهلية الجهلاء حتى إن أحدهم يجد قاتل أبيه وأخيه، فلا يهيجه مع شدة الحمية فيهم، والنعرة العربية فحصل لها من الأمن التام ما لم يحصل لسواها وكذلك الرزق الواسع، كانت بلدة ليس فيها زرع ولا شجر، ولكن يسر الله لها الرزق يأتيها من كل مكان، فجاءهم رسول منهم يعرفون أمانته وصدقه، يدعوهم إلى أكمل الأمور، وينهاهم عن الأمور السيئة"[٦].

قوله تعالى:{فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ} [النحل : ١١٢]، أي:" فجحد أهلُها نِعَمَ الله عليهم، وأشركوا به، ولم يشكروا له"[٧].

قال الزمخشري:" فكفروا وتولوا"[٨].

قال السعدي:" فكذبوه وكفروا بنعمة الله عليهم"[٩].

قوله تعالى:{فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ} [النحل : ١١٢]، أي:" فعاقبهم الله بالجوع، والخوف من سرايا رسول الله ﷺ وجيوشه، التي كانت تخيفهم"[١٠].

قال الزمخشري:" فأنزل الله بهم نقمته"[١١].

قال القرطبي:{لِبَاسَ الْجُوعِ}" أي أذاق أهلها، وهو الجوع الذي وقع بمكة. وقيل: الشدائد والجوع منها.. وأذاقها الخوف. وهو بعث النبي ﷺ سراياه التي كانت تطيف بهم. وأصل «الذوق» بالفم ثم يستعار فيوضع موضع الابتلاء... وسماه «لباسا»، لأنه يظهر عليهم من الهزال وشحوبة اللون وسوء الحال ما هو كاللباس "[١٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فأذاق الله أهل هذه القرية لباس الجوع، وذلك جوع خالط أذاه أجسامهم، فجعل الله تعالى ذكره ذلك لمخالطته أجسامهم بمنزلة اللباس لها. وذلك أنهم سلط عليهم الجوع سنين متوالية بدعاء رسول الله ﷺ، حتى أكلوا العلهز والجِيَف. قال أبو جعفر: والعلهز: الوبر يعجن بالدم والقُراد يأكلونه؛ وأما الخوف فإن ذلك كان خوفهم من سرايا رسول الله ﷺ التي كانت تطيف بهم"[١٣].

---

[١] الكشاف:٢/٦٣٨.
[٢] التفسير الميسر:٢٨٠.
[٣] تفسير الطبري:١٧/٣٠٩.
[٤] معاني القرآن:٣/٢٢١.
[٥] تفسير البغوي:٥/٤٨.
[٦] تفسير السعدي:٤٥١.
[٧] التفسير الميسر:٢٨٠.
[٨] الكشاف:٢/٦٣٨.
[٩] تفسير السعدي:٤٥١.
[١٠] التفسير الميسر:٢٨٠.
[١١] الكشاف:٢/٦٣٨.
[١٢]تفسير القرطبي:١٠/١٩٤-١٩٥. [بتصرف]
[١٣] تفسير الطبري:١٧/٣١١.

وقرئ: «والخوف» عطفا على «اللباس»، أو على تقدير حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه. أصله: ولباس الخوف، وقرئ: «لباس الخوف والجوع»[1].

قوله تعالى:{بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} [النحل : ١١٢]، أي:" وذلك بسبب كفرهم وصنيعهم الباطل"[2].

قال الطبري:" يقول: بما كانوا يصنعون من الكفر بأنعم الله، ويجحدون آياته، ويكذّبون رسوله"[3].

قال القرطبي:" أي: من الكفر والمعاصي"[4].

قال السعدي:" وذلك بسبب صنيعهم وكفرهم وعدم شكرهم"[5].

وفي هذه القرية التي ضربها الله تعالى مثلاً أقوال :

أحدها : أنها «مكة»، كان أمنها أن أهلها آمنون لا يتفاوزون كالبوادي، {فأذاقها اللهُ لباسَ الجوع والخوْف}، وسماه لباساً، لأنه قد يظهر عليهم من الهزال وشحوبة اللون وسوء الحال ما هو كاللباس ، وقيل إن القحط بلغ بهم إلى أن أكلوا القد والعلهز وهو الوبر يخلط بالدم ، والقِد أديم يؤكل ، قاله ابن عباس[6]، ومجاهد[7]، وقتادة[8]، وعطية[9]، وابن زيد[10].

الثاني : أنها «المدينة»، آمنت برسول الله -ﷺ-، ثم كفرت بأنعم الله بقتل عثمان بن عفان وما حدث بعد رسول الله -ﷺ- بها من الفتن ، وهذا قول عائشة[11]، وحفصة[12] رضي الله عنهما، وبه قال ابن شهاب[13].

الثالث : أنه مثل مضروب بأي قرية كانت على هذه الصفة من سائر القرى. حكاه الماوردي[14].

القرآن

{وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١١٣)} [النحل : ١١٣]

التفسير:

ولقد أرسل الله إلى أهل «مكة» رسولا منهم، هو النبي محمد ﷺ، يعرفون نسبه وصدقه وأمانته، فلم يقبلوا ما جاءهم به، ولم يصدقوه، فأخذهم العذاب من الشدائد والجوع والخوف، وقَتْل عظمائهم في «بدر» وهم ظالمون لأنفسهم بالشرك بالله، والصدِّ عن سبيله.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ} [النحل : ١١٣]، أي:" ولقد أرسل الله إلى أهل «مكة» رسولا منهم، هو النبي محمد ﷺ، يعرفون نسبه وصدقه وأمانته، فلم يقبلوا ما جاءهم به، ولم يصدقوه"[15].

---

[1] انظر: الكشاف:٢/٦٤٠.
[2] التفسير الميسر:٢٨٠.
[3] تفسير الطبري:٣١١/١٧.
[4] تفسير القرطبي:١٩٤/١٠.
[5] تفسير السعدي:٤٥١.
[6] انظر: تفسير الطبري:٣١٠/١٧.
[7] انظر: تفسير الطبري:٣١٠/١٧.
[8] انظر: تفسير الطبري:٣١٠/١٧.
[9] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٦٧٢):ص٢٣٠٥/٧.
[10] انظر: تفسير الطبري:٣١٠/١٧.
[11] انظر: النكت والعيون:٣/ ٢١٨، وتفسير القرطبي:١٩٤/١٠.
[12] انظر: تفسير الطبري:٣١٠/١٧.
[13] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٦٧٥):ص٢٣٠٥/٧.
[14] انظر: النكت والعيون:٢١٨/٣.
[15] التفسير الميسر:٢٨٠.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ولقد جاء أهل هذه القرية التي وصف الله صفتها في هذه الآية التي قبل هذه الآية رسول الله ﷺ من أنفسهم يعرفونه، ويعرفون نسبه وصدق لهجته، يدعوهم إلى الحقّ، وإلى طريق مستقيم {فَكَذَّبُوهُ} ولم يقبلوا ما جاءهم به من عند الله"[١].

قال السمعاني:" {ولقد جاءهم رسول منهم} أي: محمد، وقوله: {منهم} أي: نسبهم، وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وقوله: {فكذبوه}، أي: كفروا به"[٢].

عن قتادة :{وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ}، إي والله، يعرفون نسبه وأمره"[٣].

قوله تعالى:{فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ} [النحل : ١١٣]، أي:" فأصابتهم الشدائد والنكبات وهم ظالمون بارتكاب المعاصي والآثام"[٤].

قال الطبري:" وذلك لباس الجوع والخوف مكان الأمن والطمأنينة والرزق الواسع الذي كان قبل ذلك يرزقونه، وقتل بالسيف، وهم مشركون، وذلك أنه قتل عظماؤهم يوم بدر بالسيف على الشرك"[٥].

قال السمعاني:" {وهم ظالمون}، أي: كافرون"[٦].

قال قتادة : فأخذهم الله بالجوع والخوف والقتل"[٧].

فوائد الآيتين:[١١٢-١١٣]:

١- استحسان ضرب الأمثال من أهل العلم.
٢- كفر النعم بسبب زوالها والانتقام من أهلها.
٣- تكذيب الرسول ﷺ في ما جاء به، ولو بالإعراض عنه وعدم العمل به يجر البلاء والعذاب.

القرآن

{فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١١٤)} [النحل : ١١٤]

التفسير:

فكلوا -أيها المؤمنون- مما رزقكم الله، وجعله لكم حلالا مستطابًا، واشكروا نعمة الله عليكم بالاعتراف بها وصَرْفها في طاعة الله، إن كنتم حقًّا منقادين لأمره سامعين مطيعين له، تعبدونه وحده لا شريك له.

قوله تعالى:{فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا} [النحل : ١١٤]، أي:" فكلوا -أيها المؤمنون- مما رزقكم الله، وجعله لكم حلالا مستطابًا"[٨].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فكلوا أيها الناس مما رزقكم الله من بهائم الأنعام التي أحلها لكم حلالا طيبا مُذَكَّاة غير محرّمة عليكم"[٩].

قال النسفي:" {فكلوا مما رزقكم الله} على يدي محمد ﷺ {حلالا طيبا} بدلا عما كنتم تأكلونه حراما خبيثا من الأموال المأخوذة بالغارات والغصوب وخبائث الكسوب"[١].

---

(١) تفسير الطبري:٣١٢/١٧.
(٢) تفسير السمهعاني:٢٠٧/٣.
(٣) أخرجه الطبري:٣١٢/١٧.
(٤) صفوة التفاسير:١٣٥/٢.
(٥) تفسير الطبري:٣١٢/١٧.
(٦) تفسير السمهعاني:٢٠٧/٣.
(٧) أخرجه الطبري:٣١٢/١٧.
(٨) التفسير الميسر:٢٨٠.
(٩) تفسير الطبري:٣١٢/١٧.

قال الزمخشري:" لما وعظهم بما ذكر من حال القرية وما أوتيت به من كفرها وسوء صنيعها، وصل بذلك بـ«الفاء» في قوله {فكلوا} صدهم عن أفعال الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة التي كانوا عليها، بأن أمرهم بأكل ما رزقهم الله من الحلال الطيب، وشكر إنعامه بذلك"[٢].

قوله تعالى:{وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [النحل : ١١٤]، أي:" واشكروا نعمة الله عليكم بالاعتراف بها وصَرْفها في طاعة الله، إن كنتم حقًّا منقادين لأمره سامعين مطيعين له، تعبدونه وحده لا شريك له"[٣].

قال الطبري:" يقول: واشكروا الله على نعمه التي أنعم بها عليكم في تحليله ما أحلّ لكم من ذلك، وعلى غير ذلك من نعمه، إن كنتم تعبدون الله، فتطيعونه فيما يأمركم وينهاكم"[٤].

قال الزمخشري:{إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}" يعنى: تطيعون. أو إن صح زعمكم أنكم تعبدون الله بعبادة الآلهة، لأنها شفعاؤكم عنده"[٥].

قال النسفي:أي:" تطيعون أو إن صح زعمكم أنكم تعبدون الله بعبادة الآلهة لأنها شفعاؤكم عنده"[٦].

قال السعدي:" أي: إن كنتم مخلصين له العبادة، فلا تشكروا إلا إياه، ولا تنسوا المنعم"[٧].

الفوائد:

١- يجب مقابلة النعيم بالشكر فمن غير العدل أن يكفر العبد نعم الله تعالى عليه فلا يشكره عليها بذكره وحمده وطاعته بفعل محابه وترك مساخطه.
٢- إخلاص العبادة لله وحده والتحذير من الشرك.

القرآن

{إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١١٥)} [النحل : ١١٥]

التفسير:

إنما حرَّم الله عليكم الميتة من الحيوان، والدم المسفوح من الذبيح عند ذبحه، ولحم الخنزير، وما ذبح لغير الله، لكن مَن ألجأته ضرورة الخوف من الموت إلى أَكْلِ شيء مِن هذه المحرمات وهو غير ظالم، ولا متجاوزٍ حدَّ الضرورة، فإن الله غفور له، رحيم به، لا يعاقبه على ما فعل.

قوله تعالى:{إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ} [النحل : ١١٥]، أي:" إنما حرَّم الله عليكم الميتة من الحيوان، والدم المسفوح من الذبيح عند ذبحه، ولحم الخنزير"[٨].

قال مقاتل:" يعني:أكل الميتة والدم ولحم الخنزير"[٩].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره مكذِّبًا المشركين الذين كانوا يحرّمون ما ذكرنا من البحائر وغير ذلك: ما حرّم الله عليكم أيها الناس إلا الميتة والدم ولحم الخنزير"[١٠].. فالميتة والدم مخرجهما في الظاهر مخرج عموم، والمراد منهما الخصوص. وأما لحم الخنزير، فإن ظاهره كباطنه، وباطنه كظاهره، حرام جميعه، لم يخصص منه شيء"[١١].

---

[١] تفسير النسفي:١/١٥١.
[٢] الكشاف:٢/٦٤٠.
[٣] التفسير الميسر:٢٨٠.
[٤] تفسير الطبري:١٧/٣١٢.
[٥] الكشاف:٢/٦٤٠.
[٦] تفسير النسفي:١/١٥١.
[٧] تفسير السعدي:٤٥١.
[٨] التفسير الميسر:٢٨٠.
[٩] تفسير مقاتل بن سليمان:١/٤٥١.
[١٠] تفسير الطبري:١٧/٣١٣.
[١١] تفسير الطبري:٩/٤٩٣.

قال السعدي:أي:" {إنما حرم عليكم} الأشياء المضرة تنزيها لكم، وذلك: كـ {الميتة} ويدخل في ذلك كل ما كان موته على غير ذكاة مشروعة، ويستثنى من ذلك ميتة الجراد والسمك، {والدم} المسفوح وأما ما يبقى في العروق واللحم فلا يضر، {ولحم الخنزير} لقذارته وخبثه وذلك شامل للحمه وشحمه وجميع أجزائه"[١].

وفي قوله تعالى:{إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ} [النحل : ١١٥]، وجهان[٢]:

أحدهما: أنه كل ما له نفس سائلة من دواب البر وطيره.

والثاني، أنه كل ما فارقته الحياة من دواب البر وطيره بغير ذكاة .

وفي تفسير قوله تعالى: {وَالدَّمَ} [النحل : ١١٥]، قولان[٣]:

أحدهما: أن الحرام منه ما كان مسفوحاً، كقوله تعالى{أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً} [الأنعام: ١٤٥].

الثاني: أنه كل دم مسفوح وغير مسفوح، إلا ما خصته اسنة من الكبد والطحال.

قال الماتريدي:"فعلى القول الأول لا يحرم السمك، وعلى الثاني يحرم .

قال الطبري:" فإنه الدم المسفوح، دون ما كان منه غير مسفوح، لأن الله جل ثناؤه قال: {قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزيرٍ} [سورة الأنعام: ١٤٥]، فأما ما كان قد صار في معنى اللحم، كالكبد والطحال، وما كان في اللحم غير"[٤].

وفي قوله تعالى:{وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ} [النحل : ١١٥]، وجهان:

أحدهما: أن التحريم يختص بلحم الخنزير دون شحمه، وهذا قول داود[٥].

والثاني: أنه يعم اللحم وما خالطه من شحم وغيره.

قال الماوردي: [والثاني] هو قول الجمهور، ولا فرق بين الأهلي منه والوحشي[٦].

قال الطبري:" يعني: وحُرِّم عليكم لحم الخنزير، أهليُّه وبَرِّيّه"[٧].

قوله تعالى:{وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ} [النحل : ١١٥]، أي:" وما ذبح لغير الله"[٨].

قال الطبري:" وما ذبح للأنصاب، فسمي عليه غير الله، لأن ذلك من ذبائح من لا يحلّ أكل ذبيحته"[٩].

قال مقاتل:" يعني: الذي ذبح لأصنام المشركين ولغيرهم هذا حرام البتة، إن أدركت ذكاته أو لم تدرك ذكاته فإنه حرام البتة، لأنهم جعلوه لغير الله- عز وجل-"[١٠].

قال ابن عثيمين: "المراد: ما ذكر عليه اسم غير الله عند ذبحه مثل أن يقول: «باسم المسيح»، أو «باسم جبريل»، أو «باسم اللات»، ونحو ذلك"[١١].

قال الزجاج:" أي: ما رفع فيه الصوت بتسمية غير الله عليه وهذا موجود في اللغة، ومنه الإهلال بالحج إنما هو رفع الصوت بالتلبية"[١٢].

قال أبو عبيدة:أي:" وما ذكر غير اسم الله عليه إذا ذبح أو نحر، وهى من استهلال الكلام"[١٣].

---

[١] تفسير السعدي:٤٥١.
[٢] انظر: تفسير الطبري:٤٩٢/٩.
[٣] انظر: تفسير الطبري:٤٩٣/٩، والنكت والعيون:١٠/٢.
[٤] تفسير الطبري:٤٩٣/٩.
[٥] انظر: النكت والعيون:١٠/٢.
[٦]النكت والعيون:١٠/٢.
[٧] تفسير الطبري:٤٩٣/٩.
[٨] التفسير الميسر:٢٨٠.
[٩] تفسير الطبري:٣١٣/١٧.
[١٠] تفسير مقاتل بن سليمان:٤٥١/١.
[١١] تفسير ابن عثيمين:٤٩٩/٣.
[١٢] معاني القرآن:٢٤٣/١.
[١٣] مجاز القرآن:١٤٩/١.

و«الإهلال»، هو رفع الصوت [١].

قال الأصمعي: "الإهلال: أصله رفع الصوت، فكل رافع صوته فهو مهل، قال ابن أحمر [٢]:

يهل بالفرقد ركبانها كما يهل الراكب المعتمر

هذا معنى الإهلال في اللغة، ثم قيل للمحرم: مهل، لرفعه الصوت بالتلبية، يقال: أهل فلان بحجة أو عمرة، أي: أحرم بها؛ وذلك لأنه يرفع الصوت بالتلبية عند الإحرام، والذابح مهل، وذلك لأنه كان يسمي الأوثان عند الذبح، ويرفع صوته بذكرها" [٣].

ومنه الحديث: "إذا استهل المولود ورث" [١].

قال الطبري: قيل أن العرب كانوا إذا أرادوا ذبح ما قرَّبوه لآلهتهم، سموا اسم آلهتهم التي قربوا ذلك لها، وجَهروا بذلك أصْواتَهم، فجرى ذلك من أمرهم على ذلك، حتى قيل لكل ذابح، سمَّى أو لم يُسمِّ، جهر بالتسمية أو لم يجهر: (مُهِلٌّ)، فرفعهم أصواتهم بذلك هو (الإهلال) الذي ذكره الله تعالى فقال:{وما أهِلَّ به لغير الله}، ومن ذلك قيل للملبِّي في حَجة أو عمرة «مُهِلّ»، لرفعه صوته بالتلبية، واستهلال المطر، وهو صوت وُقوعه على الأرض، كما قال الشاعر [٤]:

ظَلَّمَ البِطَاحَ لَهُ انْهِلالُ حَرِيصَةٍ فَصَفَا النِّطَافُ لَهُ بُعَيْدَ المُقْلَعِ [٥]

قال السعدي:" كالذي يذبح للأصنام والقبور ونحوها لأنه مقصود به الشرك" [٦].

وفي تفسير قوله تعالى: {وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ} [النحل : ١١٥]، وجهان:

أحدهما: أنه يعني: ما ذبح لغير الله. وهذا قول ابن عباس [٧]، وقتادة [٨]، ومجاهد [٩]، والضحاك [١٠]، وعطاء [١١].

والثاني: معناه: ما ذكر عليه غير اسم الله. وهذا قول الربيع بن أنس [١٢]، وابن زيد [١]، وعقبة بن بن مسلم التُّجيبي [٢]، وقيس بن رافع الأشجعي [٣].

([١]) انظر: معاني القرآن للزجاج:٢٤٣/١.

([٢])البيت في "ديوانه" ص ٦٦، "مجاز القرآن" ١/ ١٥٠، "غريب الحديث" لأبي عبيد ١/ ١٧٣، "تفسير السمعاني" ٢/ ١٣٠، الثعلبي ١/ ١٣٤٦، "لسان العرب" ٣/ ١٥٩٥، و ١٧١٤، ٥/ ٣١٠٢.

واسمه عمرو بن أحمر بن العمرو بن تميم بن ربيعة الباهلي، أبو الخطاب، أدرك الإسلام فأسلم، وغزا مغازي الروم، وأصيبت إحدى عينيه هناك، ونزل الشام، وتوفي على عهد عثمان، وهو صحيح الكلام، كثير الغرائب. ينظر: "طبقات فحول الشعراء" ٢/ ٥٧١، و ٥٨٠، و"الشعر والشعراء" ص ٢٢٣.

([٣]) التفسير البسيط: ٤٩٩/٣، وانظر: في الإهلال: تفسير الطبري" ٣/ ٣١٩، والثعلبي:٤٤/٢، والمفردات" ص ص ٥٢٢، واللسان" ٨/ ٤٦٨٩.

([١]) أخرجه أبو داود ص١٤٤١، كتاب الفرائض، باب ١٨: في المولود يستهل ثم يموت، حديث رقم ٢٩٢٠، وأخرجه بطريق آخر ابن ماجة ص٢٦٤٢، كتاب الفرائض، باب ١٧: إذا استهل لمولود ورث، حديث رقم ٢٧٥١؛ وقال الألباني في الإرواء: سنده صحيح (١٤٩/٦)؛ فالحديث صحيح بشواهده [راجع الإرواء ١٤٧/٦ ــ ١٥٠، حديث رقم ١٢٠٧ والسلسلة الصحيحة للألباني ٢٣٣/١ ــ ٢٣٥، أحاديث رقم ١٥١، ١٥٢، ١٥٣].

([٤]) البيت الحادرة الذبياني ، انظر: ديوانه: قصيدة : ٤ ، البيت رقم : ٧ ، وشرح المفضليات : ٥٤ . والبطاح جمع بطحاء وأبطح : وهو بطن الوادي . وأنهل المطر انهلالا : اشتد صوبه ووقعه . والحريصة والحارصة : السحابة التي تحرص مطرتها وجه الأرض ، أي تقشره من شدة وقعها . والنطاف جمع نطفة : وهي الماء القليل يبقى في الدلو وغيره . وقوله : " بعيد المقلع " : أي بعد أن أقلعت هذه السحابة . ورواية المفضليات : " ظلم البطاح له " وقوله : " له " : أي من أجله .

([٥]) انظر: تفسير الطبري: ٣١٩/٣-٣٢٠.

([٦]) تفسير السعدي:٤٥١.

([٧]) انظر: تفسير الطبري(٢٤٧١):ص٣٢٠/٣.

([٨]) انظر: تفسير الطبري(٢٤٦٨):ص٣٢٠/٣.

([٩]) انظر: تفسير الطبري(٢٤٧٠):ص٣٢٠/٣.

([١٠]) انظر: تفسير الطبري(٢٤٧٢):ص٣٢٠/٣.

([١١]) انظر: تفسير الطبري(٢٤٧٤):ص٣٢٠/٣.

([١٢]) انظر: تفسير الطبري(٢٤٧٥):ص٣٢١/٣.

قوله تعالى:{فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النحل : ١١٥]، أي:" لكن مَن ألجأته ضرورة الخوف من الموت إلى أَكْلِ شيء مِن هذه المحرمات وهو غير ظالم، ولا متجاوزٍ حدَّ الضرورة، فإن الله غفور له، رحيم به، لا يعاقبه على ما فعل"(٤).

قال الطبري:" فمن اضطرّ إلى ذلك أو إلى شيء منه لمجاعة حلَّت فأكله {غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}، يقول: ذو ستر عليه أن يؤاخذه بأكله ذلك في حال الضرورة، رحيم به أن يعاقبه عليه"(٥).

قال السعدي:" {فمن اضطر} إلى شيء من المحرمات -بأن حملته الضرورة وخاف إن لم يأكل أن يهلك- فلا جناح عليه إذا لم يكن باغيا أو عاديا، أي: إذا لم يرد أكل المحرم وهو غير مضطر، ولا متعد الحلال إلى الحرام، أو متجاوز لما زاد على قدر الضرورة، فهذا الذي حرمه الله من المباحات"(٦).

قال قتادة:" وإن الإسلام دين يطهره الله من كلّ سوء، وجعل لك فيه يا ابن آدم سعة إذا اضطرت إلى شيء من ذلك. قوله {فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ}، غير باغ في أكله ولا عاد أن يتعدّى حلالا إلى حرام، وهو يجد عنه مندوحة"(٧).

الفوائد:

١- من فوائد الآية: تحريم الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أهل به لغير لله.
٢- ومنها: أن التحريم والتحليل إلى الله؛ لقوله تعالى: { إنما حرم عليكم }.
٣- ومن فوائد الآية: تحريم جميع الميتات؛ لقوله تعالى: { والميتة }؛ و «أل» هذه للعموم إلا أنه يستثنى من ذلك السمك، والجراد - يعني ميتة البحر، والجراد -؛ للأحاديث الواردة في ذلك؛ والمحرم هنا هو الأكل؛ لقول النبي ﷺ في الميتة: «إنما حرم أكلها»(٤)؛ ويؤيده أن الله سبحانه وتعالى قال هنا: {كلوا من طيبات ما رزقناكم} [البقرة: ٥٧]، ثم قال تعالى: { إنما حرم عليكم الميتة }؛ لأن السياق في الأكل؛ ويدخل في تحريم أكل الميتة جميع أجزائها.
٤- ومن فوائد الآية: تحريم الدم المسفوح؛ لقوله تعالى: { والدم }.
٥- ومنها: تحريم لحم الخنزير؛ لقوله تعالى: { ولحم الخنزير }؛ وهو شامل لشحمه، وجميع أجزائه؛ لأن اللحم المضاف للحيوان يشمل جميع أجزائه؛ لا يختص به جزء دون جزء؛ اللهم إلا إذا قُرن بغيره، مثل أن يقال: «اللحم، والكبد»، أو «اللحم، والأمعاء»، فيخرج منه ما خصص.
٦- ومنها :تحريم ما ذكر اسم غير الله عليه؛ لقوله تعالى: { وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ} [النحل : ١١٥]، وهو أنواع:

- النوع الأول: أن يهل بها لغير الله فقط، مثل أن يقول: باسم جبريل، أو محمد، أو غيرهما؛ فالذبيحة حرام بنص القرآن - ولو ذبحها لله -.
- النوع الثاني: أن يهل بها لله، ولغيره، مثل أن يقول: «باسم الله واسم محمد»؛ فالذبيحة حرام أيضاً؛ لأنه اجتمع مبيح، وحاظر؛ فغلب جانب الحظر.

---

(١) انظر: تفسير الطبري(٢٤٧٦):ص٣٢١/٣.
(٢) انظر: تفسير الطبري(٢٤٧٧):ص٣٢١/٣.
(٣) انظر: تفسير الطبري(٢٤٧٧):ص٣٢١/٣.
(٤) التفسير الميسر:٢٨٠.
(٥) تفسير الطبري:٣١٣/١٧.
(٦) تفسير السعدي:٤٥١.
(٧) أخرجه الطبري:٣١٣/١٧.
(٤) أخرجه البخاري ص٤٧٥، كتاب الذبائح والصيد، باب ٢٨: لحوم الحمر الإنسية، حديث رقم ٥٥٢٧؛ ومسلم ص١٠٢٤، كتاب الصيد والذبائح...، باب ٥: تحريم أكل لحم الحمر الإنسية، حديث رقم ٥٠٠٧ [٢٣] ١٩٣٦.

- النوع الثالث: أن يهل بها باسم الله، وينوي به التقرب، والتعظيم لغيره؛ فالذبيحة حرام أيضاً؛ لأنه شرك.

وهل يكون ذبح الذبيحة للضيف إهلالاً بها لغير الله؟

الجواب: إن قصد بها إكرام الضيف فلا يدخل بلا شك، كما لو ذبح الذبيحة لأولاده ليأكلوها، وإن قصد بذلك التقرب إليه، وتعظيمه تعظيم عبادة فإنه شرك، كالمذبوح على النصب تماماً، فلا يحل أكلها؛ وقد كان بعض الناس - والعياذ بالله - إذا قدم رئيسهم أو كبيرهم يذبحون بين يديه القرابين تعظيماً له - لا ليأكلها، ثم تترك للناس -؛ وهذا يكون قد ذبح على النصب؛ فلا يحل أكله - ولو ذكر اسم الله عليه -.

- النوع الرابع: أن لا يهل لأحد - أي لم يذكر عليها اسم الله، ولا غيره؛ فالذبيحة حرام أيضاً؛ لقوله تعالى: {ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه} [الأنعام: ١٢١]، ولقول النبي ﷺ: "ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا"[١].

٧- ومنها: تحريم ما ذبح لغير الله - ولو ذكر اسم الله عليه -، مثل أن يقول: «بسم الله والله أكبر؛ اللهم هذا للصنم الفلاني»؛ لأنه أهل به لغير الله.

٨- ومنها: أن الشرك قد يؤثر الخبثَ في الأعيان - وإن كانت نجاسته معنوية -؛ هذه البهيمة التي أُهل لغير الله بها نجسة خبيثة محرمة؛ والتي ذكر اسم الله عليها طيبة حلال؛ تأمل خطر الشرك، وأنه يتعدى من المعاني إلى المحسوسات؛ وهو جدير بأن يكون كذلك؛ لهذا قال الله عز وجل:{إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا} [التوبة: ٢٨] مع أن بدن المشرك ليس بنجس؛ لكن لقوة خبثه المعنوي، وفساد عقيدته وطويته صار مؤثراً حتى في الأمور المحسوسة.

٩- ومن فوائد الآية: فضيلة الإخلاص لله.

١٠- ومنها: أن الضرورة تبيح المحظور؛ لقوله تعالى: {فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النحل : ١١٥]؛ ولكن هذه الضرورة تبيح المحرم بشرطين:

- الشرط الأول: صدق الضرورة بحيث لا يندفع الضرر إلا بتناول المحرم.
- الشرط الثاني: زوال الضرورة به حيث يندفع الضرر.

فإن كان يمكن دفع الضرورة بغيره لم يكن حلالاً، كما لو كان عنده ميتة ومذكاة، فإن الميتة لا تحل حينئذ؛ لأن الضرورة تزول بأكل المذكاة؛ ولو كان عطشان، وعنده كأس من خمر لم يحل له شربها؛ لأن ضرورته لا تزول بذلك؛ إذا لا يزيده شرب الخمر إلا عطشاً؛ ولهذا لو غص بلقمة، وليس عنده ما يدفعها به إلا كأس خمر كان شربها لدفع اللقمة حلالاً.

١١-ومن فوائد الآية: إثبات رحمة الله عز وجل؛ لأن من رحمة الله أن أباح المحَرَّمَ للعبد لدفع ضرورته.

١١- ومنها: أن الأعيان الخبيثة تنقلب طيبة حين يحكم الشرع بإباحتها على أحد الاحتمالين؛ فإن حل الميتة للمضطر يحتمل حالين:

- الأولى: أن نقول: إن الله على كل شيء قدير؛ فالذي جعلها خبيثة بالموت بعد أن كانت طيبة حال الحياة قادر على أن يجعلها عند الضرورة إليها طيبة، مثل ما كانت الحمير طيبة تؤكل حال حلها، ثم أصبحت بعد تحريمها خبيثة لا تؤكل؛ فالله سبحانه وتعالى هو خالق الأشياء، وخالق صفاتها، ومغيرها كيف يشاء؛ فهو قادر على أن يجعلها إذا اضطر عبده إليها طيبة.

---

[١] أخرجه البخاري ص١٩٧، كتاب الشركة، باب ١٦: من عدل عشرة من الغنم بجزور في القسم، حديث رقم ٢٥٠٧، وأخرجه مسلم ص١٠٢٩، كتاب الأضاحي، باب ٤: جواز الذبح بكل ما أنهر الدم إلا السن والظفر وسائل العظام، حديث رقم ٥٠٩٢ [٢٠] ١٩٦٨.

- الحال الثانية: أنها ما زالت على كونها خبيثة؛ لكنه عند الضرورة إليها يباح هذا الخبيث للضرورة؛ وتكون الضرورة واقية من مضرتها؛ فتناولها للضرورة مباح؛ وضررها المتوقع تكون الضرورة واقية منه.

والحالان بينهما فرق؛ لأنه على الحال الأولى انقلبت من الرجس إلى الطهارة؛ وعلى الحال الثانية هي على رجسيتها لكن هناك ما يقي مضرتها - وهو الضرورة -؛ وهذه الحال أقرب؛ لأنه لو كان عند الضرورة يزول خبثها لكانت طيبة تحل للمضطر، وغيره؛ ويؤيده الحس: فإن النفس كلما كانت أشد طلباً للشيء كان هضمه سريعاً، بحيث لا يتضرر به الجسم؛ وانظر إلى نفسك إذا أكلت طعاماً على طعام يتأخر هضم الأول، والثاني - مع ما يحصل فيه من الضرر -؛ لكن إذا أكلت طعاماً وأنت جائع فإنه ينهضم بسرعة؛ ويشهد لهذا ما يروى عن صهيب الرومي أنه كان في عينيه رمد؛ فجيء إلى النبي ﷺ بتمر وهو حاضر؛ فأكل منه النبي ﷺ، فأراد صهيب أن يأكل منه، فقال له النبي ﷺ: «تأكل تمراً وبك رمد» - لأن المعروف أن التمر يزيد في وجع العين - فقال: «إني أمضَغ من ناحية أخرى»[1]،أي: إذا كانت اليمنى هي المريضة بالرمد أمضغه على الجانب الأيسر؛ فضحك النبي ﷺ، ومكنه من أكله؛ قال ابن القيم - رحمه الله -: «إن الحكمة في أن الرسول مكنه - مع أن العادة أن هذا ضرر -؛ لأن قوة طلب نفسه له يزول بها الضرر: ينهضم سريعاً، ويتفاعل مع الجسم، ويذهب ضرره»[1].

١٢- ومن فوائد الآية: أن من تناول المحرم بدون عذر فهو آثم؛ لقوله تعالى: {فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ} [النحل : ١١٥]؛ فعُلم منها أن من كان غير مضطر فعليه إثم.

١٣- ومن الفوائد: إثبات هذين الاسمين الكريمين: «الغفور»، و«الرحيم»؛ وما تضمناه من صفة، وفعل.

- فـ«الغفور»: هو: "الذي لم يزل يغفر الذنوب ويتوب عل كل من يتوب "[2].

قال الخطابي:"«الغفور»:هو الذي تكثر منه المغفرة. وبناء فعول: بناء المبالغة في الكثرة[3].

- و«الرحيم»:أي: "ذو الرحمة الواسعة التي وسعت كل شيء" [4].

١٤- ومنها: إثبات ما ذكره أهل السنة والجماعة من أن أسماء الله سبحانه وتعالى المتعدية يستفاد منها ثبوت تلك الأحكام المأخوذة منها؛ فالأسماء المتعدية تتضمن الاسم، والصفة، والأثر - الذي هو الحكم المترتب عليه -؛ والعلماء يأخذون من مثل هذه الآية ثبوت الأثر - وهو الحكم -؛ لأنه لكونه: غفوراً رحيماً، غفر لمن تناول هذه الميتة لضرورته، ورحمه بحلها؛ فيكون في هذا دليل واضح على أن أسماء الله عز وجل تدل على «الذات» الذي هو المسمى؛ و«الصفة»؛ و«الحكم»، كما قال بذلك أهل العلم - رحمهم الله -.

القرآن

{وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (١١٦)} [النحل : ١١٦]

التفسير:

---

[1] أخرجه ابن ماجة ص٢٦٨٤، كتاب الطب، باب ٣: الحمية، حديث رقم ٣٤٤٣، وقال الألباني في صحيح ابن ماجة ٣٥٣/٢، حديث رقم ٢٧٧٦: "حسن".

[1] نقلا عن تفسير ابن عثيمين:٢٥٨/٢.

[2]الحق الواضح المبين، السعدي:٧٣، ٧٤، وانظر: أسماء الله الحسنى:٢١٩.

[3] انظر: شأن الدعاء:٦٥/١.

[4] انظر:تفسير ابن عثيمين: الفاتحة والبقرة:١٨٨/١، وشرح أسماء الحسنى في ضوء الكتاب والسنة:٨٤.

ولا تقولوا -أيها المشركون- للكذب الذي تصفه ألسنتكم: هذا حلال لِما حرَّمه الله، وهذا حرام لِما أحَلَّه الله؛ لتختلقوا على الله الكذب بنسبة التحليل والتحريم إليه، إن الذين يختلقون على الله الكذب لا يفوزون بخير في الدنيا ولا في الآخرة.

قوله تعالى:{وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ} [النحل : ١١٦]، أي:" ولا تقولوا -أيها المشركون- للكذب الذي تصفه ألسنتكم: هذا حلال لِما حرَّمه الله، وهذا حرام لِما أحَلَّه الله"(١).

قال الزمخشري:" أى: لا تحرموا ولا تحللوا لأجل قول تنطق به ألسنتكم ويجول في أفواهكم، لا لأجل حجة وبينة، ولكن قول ساذج ودعوى فارغة. فإن قلت: ما معنى وصف ألسنتهم الكذب؟ قلت: هو من فصيح الكلام وبليغه، جعل قولهم كأنه عين الكذب ومحضه، فإذا نطقت به ألسنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته، كقولهم: ووجهها يصف الجمال. وعينها تصف السحر"(٢).

قال السعدي:" أي: لا تحرموا وتحللوا من تلقاء أنفسكم، كذبا وافتراء على الله وتقولا عليه"(٣).

وقرئ «الكذب» بالجر صفة لـ{ما} المصدرية، كأنه قيل: لوصفها الكذب، بمعنى الكاذب، كقوله تعالى: {بِدَمٍ كَذِبٍ} [يوسف : ١٨]، وقرئ «الكذب» جمع كذوب بالرفع، صفة للألسنة، وبالنصب على الشتم. أو بمعنى: الكلم الكواذب، أو هو جمع الكذاب من قولك: كذب كذابا، ذكره ابن جنى (٤).

قوله تعالى:{لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ} [النحل : ١١٦]، أي:" لتختلقوا على الله الكذب بنسبة التحليل والتحريم إليه"(٥).

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ} [النحل : ١١٦]، أي:" إن الذين يختلقون على الله الكذب لا يفوزون بخير في الدنيا ولا في الآخرة"(٦).

قال السعدي:" {لا يفلحون} لا في الدنيا ولا في الآخرة"(٧).

القرآن

{مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١٧)} [النحل : ١١٧]

التفسير:

متاعهم في الدنيا متاع زائل ضئيل، ولهم في الآخرة عذاب موجع.

قوله تعالى:{مَتَاعٌ قَلِيلٌ} [النحل : ١١٧]، أي:" متاعهم في الدنيا متاع زائل ضئيل"(٨).

قال الزمخشري:" أى: منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية منفعة قليلة"(٩).

قال السعدي:" لا بد أن يظهر الله خزيهم وإن تمتعوا في الدنيا فإنه {متاع قليل}"(١٠).

قوله تعالى:{وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النحل : ١١٧]، أي:" ولهم في الآخرة عذاب موجع"(١١).

قال الزمخشري:أي:" وعقابها عظيم"(١٢).

---

(١) التفسير الميسر:٢٨٠.
(٢) الكشاف:٦٤١/٢.
(٣) تفسير السعدي:٤٥١.
(٤) انظر: الكشاف:٦٤١/٢.
(٥) التفسير الميسر:٢٨٠.
(٦) التفسير الميسر:٢٨٠.
(٧) تفسير السعدي:٤٥١.
(٨) التفسير الميسر:٢٨٠.
(٩) الكشاف:٦٤١/٢.
(١٠) تفسير السعدي:٤٥١.
(١١) التفسير الميسر:٢٨٠.
(١٢) الكشاف:٦٤١/٢.

قال السعدي:" ومصيرهم إلى النار"[1].

فوائد الآيتين:[١١٦-١١٦]:

١- حرمة التحريم والتحليل بغير دليل شرعي قطعي لا ظني إلا ما غلب على الظن تحريمه.

٢- حرمة الكذب على الله وأن الكاذب على الله لا يفلح في الآخرة وفلاحه في الدنيا جزيء قليل لا قيمة له.. هذا إن أفلح.

القرآن

{وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٨)} [النحل : ١١٨]

التفسير:

وعلى اليهود حَرَّمنا ما أخبرناك به -أيها الرسول- مِن قبل، وهو كل ذي ظُفُر، وشحوم البقر والغنم، إلا ما حَمَلَتْه ظهورها أو أمعاؤها أو كان مختلطًا بعظم، وما ظلمناهم بتحريم ذلك عليهم، ولكن كانوا ظالمين لأنفسهم بالكفر والبغي، فاستحقوا التحريم عقوبة لهم.

قوله تعالى:{وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ} [النحل : ١١٨]، أي:" وعلى اليهود حَرَّمنا ما أخبرناك به -أيها الرسول- مِن قبل، وهو كل ذي ظُفُر، وشحوم البقر والغنم، إلا ما حَمَلَتْه ظهورها أو أمعاؤها أو كان مختلطًا بعظم"[2].

قال السعدي:" فالله تعالى ما حرم علينا إلا الخبيثات تفضلا منه، وصيانة عن كل مستقذر، وأما الذين هادوا فحرم الله عليهم طيبات أحلت لهم بسبب ظلمهم عقوبة لهم، كما قصه في سورة الأنعام في قوله: {وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ} [الأنعام : ١٤٦]"[3].

قوله تعالى:{وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [النحل : ١١٨]، أي:" وما ظلمناهم بتحريم ذلك عليهم، ولكن كانوا ظالمين لأنفسهم بالكفر والبغي، فاستحقوا التحريم عقوبة لهم"[4].

الفوائد:

١- قد يحرم العبد النعم بسبب ظلمه فكم حرمت أمة الإسلام من نعم بسبب ظلمها في عصور انحطاطها.

٢- انتفاء الظلم عن الله مع ثبوت كمال ضده وهو العدل، قال تعالى: :{وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}.

القرآن

{ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١١٩)} [النحل : ١١٩]

التفسير:

ثم إن ربك للذين فعلوا المعاصي في حال جهلهم لعاقبتها وإيجابها لسخط الله -فكل عاص لله مخطئًا أو متعمدًا فهو جاهل بهذا الاعتبار وإن كان عالمًا بالتحريم-، ثم رجعوا إلى الله عمَّا كانوا عليه من الذنوب، وأصلحوا نفوسهم وأعمالهم، إن ربك -مِن بعد توبتهم وإصلاحهم- لَغفور لهم، رحيم بهم.

---

[1] تفسير السعدي:٤٥١.

[2] التفسير الميسر:٢٨٠.

[3] تفسير السعدي:٤٥١.

[4] التفسير الميسر:٢٨٠.

قوله تعالى:{ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ} [النحل : ١١٩]، أي:" ثم إن ربك يا محمد للذين ارتكبوا تلك القبائح بجهلٍ وسفه"[١].

عن ابن عباس: "{عملوا السوء}، أي: الشرك"[٢].

قال الخازن:" المقصود من هذه الآية بيان فضل الله وكرمه وسعة مغفرته ورحمته، لأن «السوء»: لفظ جامع لكل فعل قبيح فيدخل تحته الكفر وسائر المعاصي وكل ما لا ينبغي وكل من عمل السوء فإنما يفعله بالجهالة، لأن العاقل لا يرضى بفعل القبيح فمن صدر عنه فعل قبيح من كفر أو معصية، فإنما يصدر عنه بسبب جهله إما لجهله بقدر ما يترتب عليه من العقاب أو لجهله بقدر من يعصيه، فثبت بهذا أن فعل السوء إنما يفعل بجهالة"[٣].

قوله تعالى:{ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا} [النحل : ١١٩]، أي:" ثم رجعوا إلى ربهم وأنابوا وأصلحوا العمل بعد ذلك الزلل"[٤].

قال البغوي:" معنى «الإصلاح»: الاستقامة على التوبة"[٥].

قال الخازن:" وعد من عمل سوءا بجهالة ثم تاب، وأصلح العمل في المستقبل أن يتوب عليه ويرحمه وهو قوله تعالى: {ثم تابوا من بعد ذلك}، يعني: من بعد عمل ذلك السوء {وَأَصْلَحُوا}، يعني: أصلحوا العمل في المستقبل، وقيل معنى «الإصلاح» الاستقامة على التوبة"[٦].

قوله تعالى:{إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} [النحل : ١١٩]، أي:" إن ربك -مِن بعد توبتهم وإصلاحهم- لَغفور لهم، رحيم بهم"[٧].

قال البغوي:" أي: من بعد الجهالة، {لغفور رحيم}"[٨].

قال الخازن:" يعني: من بعد عمل السوء بالجهالة والتوبة منه {لَغَفُورٌ}، يعني: لمن تاب وآمن {رَحِيمٌ}، يعني: بجميع المؤمنين والتائبين، [و]المقصود من هذه الآية بيان فضل الله وكرمه وسعة مغفرته ورحمته، لأن «السوء»: لفظ جامع لكل فعل قبيح فيدخل تحته الكفر وسائر المعاصي وكل ما لا ينبغي وكل من عمل السوء فإنما يفعله بالجهالة، لأن العاقل لا يرضى بفعل القبيح فمن صدر عنه فعل قبيح من كفر أو معصية، فإنما يصدر عنه بسبب جهله إما لجهله بقدر ما يترتب عليه من العقاب أو لجهله بقدر من يعصيه، فثبت بهذا أن فعل السوء إنما يفعل بجهالة"[٩].

قال السعدي في هذه الآية:" وهذا حض منه لعباده على التوبة، ودعوة لهم إلى الإنابة، فأخبر أن من عمل سوءا بجهالة بعاقبة ما تجني عليه، ولو كان متعمدا للذنب، فإنه لا بد أن ينقص ما في قلبه من العلم وقت مفارقة الذنب. فإذا تاب وأصلح بأن ترك الذنب وندم عليه وأصلح أعماله، فإن الله يغفر له ويرحمه ويتقبل توبته ويعيده إلى حالته الأولى أو أعلى منها"[١٠].

الفوائد:

١- باب التوبة مفتوح لكل ذي ذنب عظم أو صغر على شرط صدق التوبة بالإقلاع الفوري والندم والاستغفار الدائم وإصلاح المفاسد.

---

[١] صفوة التفاسير:١٣٦/٢.

[٢] حكاه عنه القرطبي في تفسيره:١٩٧/١٠.

[٣] لباب التأويل: ١٠٤/٣.

[٤] صفوة التفاسير:١٣٦/٢.

[٥] تفسير البغوي:٥٠/٥.

[٦] لباب التأويل: ١٠٤/٣.

[٧] التفسير الميسر: ٢٨١.

[٨] تفسير البغوي:٥٠/٥.

[٩] لباب التأويل: ١٠٤/٣.

[١٠] تفسير السعدي:٤٥١.

٢- ومن الفوائد: إثبات هذين الاسمين الكريمين: «الغفور»، و«الرحيم»؛ وما تضمناه من صفة، وفعل.
١٥- فـ«الغفور»: هو: "الذي لم يزل يغفر الذنوب ويتوب عل كل من يتوب"[١].
١٦- و«الرحيم»:أي: "ذو الرحمة الواسعة التي وسعت كل شيء" [٢].

القرآن
{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠)} [النحل : ١٢٠]
التفسير:
إن إبراهيم كان إمامًا في الخير، وكان طائعا خاضعًا لله، لا يميل عن دين الإسلام موحِّدًا لله غير مشرك به.
قوله تعالى:{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً} [النحل : ١٢٠]، أي:" إن إبراهيم كان إمامًا في الخير"[٣].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن إبراهيم خليل الله كان مُعَلِّم خَيْر، يأتمّ به أهل الهدى"[٤].
عن مجاهد :"{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً}، على حدة"[٥].
وفي قوله تعالى:{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً} [النحل : ١٢٠]، ثلاثة وجوه:
أحدها : يُعلّم الناس الخير، قاله ابن مسعود[٦]، وإبراهيم النخعي[٧]، والإمام الشافعي[٨]، وابن قتيبة[٩]، قال كعب بن زهير[١٠]:
وَأَكْرَمَهُ الأَكْفَاءُ فِي كُلِّ مَعْشَرٍ ... كِرَامٍ، فَإِنْ كَذَّبْتَنِي، فَاسْأَلِ الأُمَمْ
يعني: العلماء.
الثاني : أمة يقتدى به، قاله الضحاك[١١]. وسمي «أمة»، لقيام الأمة به[١٢].
الثالث : إمام يؤتم به، قاله الكسائي[١٣]، وأبو عبيدة[١٤].
وقال مقاتل:" يعني: إماما يقتدى به في الخير"[١٥].
قال الزجاج:" أكثر التفسير أنه كان معلما للخير وإماما"[١٦].

---

[١]الحق الواضح المبين، السعدي:٧٣، ٧٤، وانظر: أسماء الله الحسنى:٢١٩.
[٢] انظر:تفسير ابن عثيمين: الفاتحة والبقرة:١٨٨/١، وشرح أسماء الحسنى في ضوء الكتاب والسنة:٨٤.
[٣] التفسير الميسر: ٢٨١.
[٤] تفسير الطبري:٣١٦/١٧.
[٥] أخرجه الطبري:٣١٨/١٧.
[٦] انظر: تفسير الطبري:٣١٦/١٧.
[٧] انظر: النكت والعيون:٢١٩/٣.
[٨] انظر: تفسير الإمام الشافعي:٩٨٠/٢.
[٩] انظر: غريب القرآن: ٢٤٩.
[١٠]ديوانه: ٦٤، قصيدة جيدة، يرد فيها ما قاله فيه مزرد، أخو الشماخ، حين ذكر كعب الحطيئة في شعره وقدمه وقدم نفسه، فغضب مزرد وهجاه، فقال يفخر بأبيه ثم بنفسه، بعد البيت السالف في الجزء الأول في التفسير: فَإِنْ تَسْأَلِ الأَقْوَامَ عَنِّي، فَإِنَّنِي ... أَنَا ابْنُ أَبِي سُلْمَى عَلَى رَغْمِ مَنْ رَغِمْ
أَنَا ابنُ الَّذِي قَدْ عَاشَ تِسْعِينَ حِجَّةً ... فَلَمْ يَخْزَ يَوْمًا في مَعَدٍّ وَلَمْ يُلَمْ
وَأَكْرَمَهُ الأَكْفَاءُ فِي كُلِّ مَعْشَرٍ ... كِرَامٍ، فَإِنْ كَذَّبْتَنِي، فَاسْأَلِ الأُمَمْ
أَتَى العُجْمَ. . . . .
[١١] انظر: النكت والعيون:٢١٩/٣.
[١٢] انظر: النكت والعيون:٢١٩/٣.
[١٣] انظر: النكت والعيون:٢١٩/٣.
[١٤] انظر: مجاز القرآن: ٣٦٩/١.
[١٥] تفسير مقاتل بن سليمان:٤٩٢/٢.
[١٦] معاني القرآن:٢٢٢/٣.

قال السعدي:" أي: إماما جامعا لخصال الخير هاديا مهتديا"[١].
قوله تعالى:{قَانِتًا لِلَّهِ} [النحل : ١٢٠]، أي:" وكان طائعا خاضعًا لله"[٢].
وفي قوله تعالى:{قَانِتًا لِلَّهِ} [النحل : ١٢٠]، أقوال:
أحدها : مطيعاً لله، قاله ابن مسعود[٣]، وسعيد بن جبير[٤]، ومجاهد[٥]، والشعبي[٦]، وبه قال مقاتل[٧]، وأبو عبيدة[٨]، وابن قتيبة[٩]، وابن جرير الطبري[١٠].
وقال قتادة:" مطيعًا تُتَّبع سُنَّته ومِلَّته"[١١].
الثاني : إن «القانت»: هو الذي يدوم على العبادة لله[١٢].
الثالث: مديما لطاعة ربه مخلصا له الدين. قاله السعدي [١٣].
الرابع: كثير الدعاء لله عز وجل[١٤].
قوله تعالى:{حَنِيفًا} [النحل : ١٢٠]، أي:" مائلاً عن كل دين باطل إلى دين الحق، دين الإسلام"[١٥].
قال السعدي: أي:" مقبلا على الله بالمحبة، والإنابة والعبودية معرضا عمن سواه"[١٦].
قال الطبري: "«الحنيف»: المستقيم من كل شيء، ومنه قيل للأعرج: أحنف، تفاؤلا بالسلامة، كما قالوا للديغ: سليم، والمهلكة: مفازة، قالوا: فكل من أسلم لله ولم ينحرف عنه في شيء فهو حنيف"[١٧].
وفي قوله تعالى:{حَنِيفًا} [النحل : ١٢٠]، على أقوال:
أحدها: أن الحنيفية حج البيت، والحنيف هو الحاج. وهذا قول ابن عباس[١٨]، والحسن[١٩]، ومجاهد[٢٠]، وعطية[٢١]، وكثير بن زياد[٢٢]، وعبدالله بن قاسم[٢٣]، والضحاك[٢٤]، والسدي[٢٥].
الثاني: أنها اتباع الحق، قاله مجاهد[٢٦]، والربيع بن أنس[٢٧].

---

[١] تفسير السعدي:٤٥١.
[٢] التفسير الميسر: ٢٨١.
[٣] انظر: تفسير الطبري:٣١٧/١٧.
[٤] انظر: تفسير الطبري:٣١٨/١٧.
[٥] انظر: تفسير الطبري:٣١٨/١٧.
[٦] انظر: تفسير الطبري:٣١٦/١٧.
[٧] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٤٩٢/٢.
[٨] انظر: مجاز القرآن: ٣٦٩/١.
[٩] انظر: غريب القرآن: ٢٤٩.
[١٠] انظر: تفسير الطبري:٣١٦/١٧.
[١١] أخرجه الطبري:٣١٨/١٧.
[١٢] انظر: النكت والعيون:٢١٩/٣.
[١٣] انظر: تفسير السعدي:٤٥١.
[١٤] انظر: النكت والعيون:٢١٩/٣.
[١٥] صفوة التفاسير:١٣٦/٢.
[١٦] تفسير السعدي:٤٥١.
[١٧] تفسير الطبري: ١٠٤/٣. [بتصرف]
[١٨] انظر: تفسير الطبري(٢٠٩٧):ص١٠٦/٣، وابن أبي حاتم(١٢٩١):ص٢٤١/١، و(٣٦٥٠):ص٦٧٣/٢.
[١٩] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٣٦٥٠):ص٦٧٣/٢، وتفسير الطبري(٢٠٩١):ص١٠٤/٣.
[٢٠] انظر: تفسير الطبري(٢٠٩٤):ص١٠٦/٣.
[٢١] انظر: تفسير الطبري(٢٠٩٢)، و(٢٠٩٣):ص١٠٤/٣-١٠٥.
[٢٢] انظر: تفسير الطبري(٢٠٩٥):ص١٠٦/٣.
[٢٣] انظر: تفسير الطبري(٢٠٩٨):ص١٠٦/٣.
[٢٤] انظر: تفسير ابن أبي حاتم: (١٢٩١):ص٢٤١/١، و(٣٦٥٠):ص٦٧٣/٢.
[٢٥]انظر: تفسير ابن أبي حاتم: (١٢٩١):ص٢٤١/١، و(٣٦٥٠):ص٦٧٣/٢.
[٢٦] انظر: تفسير الطبري(٢٠٩٩):ص١٠٦/٣، وابن أبي حاتم(١٢٩٢):ص٢٤١/١.
[٢٧]انظر: تفسير ابن أبي حاتم: (١٢٩٢):ص٢٤١/١.

الثالث: أن«الحنيف»: المخلص دينه لله وحده[١]، قاله السدي[٢]، وخصيف[٣]، ومقاتل بن سليمان[٤].

الرابع: أن «الحنيف»: المسلم. ومن كان فى الجاهلية يختتن ويحجّ البيت فهو حنيف. قاله أبو عبيدة[٥].

وقال القفال: "وبالجملة فـ«الحنيف»: لقب لمن دان بالإسلام كسائر ألقاب الديانات، وأصله من إبراهيم عليه السلام"[٦].

الخامس: أن «الحنيف»: المستقيم. قاله محمد بن كعب[٧]، وعيسى بن جارية[٨]، وبه قال ابن جرير جرير الطبري[٩].

السادس: أن «الحنيف»: الذي يؤمن بالرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم. قاله أبو قلابة[١٠].

السابع: أن الحنيف: الذي يستقبل البيت بصلاته، ويرى أن حجه عليه إن استطاع إليه سبيلا. قاله أبو العالية[١١].

الثامن: أن الحنيفية: شهادة أن لا إله إلا الله. يدخل فيها تحريم الأمهات والبنات والخالات، والعمات، وما حرم الله عز وجل، والختان. وكانت حنيفة في الشرك: كانوا أهل الشرك، وكانوا يحرمون في شركهم الأمهات والبنات والخالات والعمات، وكانوا يحجون البيت، وينسكون المناسك. قاله قتادة[١٢].

قوله تعالى:{وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [النحل : ١٢٠]، أي:" موحِّدًا لله غير مشرك به"[١٣].

قال مقاتل:" يهوديا ولا نصرانيا"[١٤].

قال الطبري:" يقول: ولم يك يُشرك بالله شيئا، فيكون من أولياء أهل الشرك به، وهذا إعلام من الله تعالى أهل الشرك به من قريش أن إبراهيم منهم بريء وأنهم منه برآء"[١٥].

قال ابن عطية:" ونفى عنه الإشراك، فانتفت عبادة الأوثان واليهودية لقولهم: عزير ابن الله، والنصرانية لقولهم: المسيح ابن الله"[١٦].

قال شَهْر بن حَوْشَب: "لم تبق الأرض إلا وفيها أربعة عشر يدفع الله بهم عن أهل الأرض وتخرج بركتها، إلا زمن إبراهيم فإنه كان وحده"[١٧].

القرآن

{شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٢١)} [النحل : ١٢١]

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٠٦/٣.
(٢) انظر: تفسير الطبري(٢١٠٠):ص١٠٧/٣.
(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٥):ص٢٤٢/١.
(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١٤١/١.
(٥) انظر: مجاز القرآن: ٣٦٩/١.
(٦) مفاتيح الغيب: ٧١/٤.
(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٣):ص٢٤٢/١.
(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٢٤٢/١.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٣١٦/١٧.
(١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٤):ص٢٤٢/١.
(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٦):ص٢٤٢/١.
(١٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٧):ص٢٤٢/١.
(١٣) التفسير الميسر: ٢٨١.
(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٩٢/٢.
(١٥) تفسير الطبري:٣١٦/١٧.
(١٦) المحرر الوجيز: ٢١٥/١.
(١٧) أخرجه الطبري:٣١٨/١٧.

التفسير:
وكان شاكرًا لنعم الله عليه، اختاره الله لرسالته، وأرشده إلى الطريق المستقيم، وهو الإسلام.
قوله تعالى:{شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ} [النحل : ١٢١]، أي:" وكان شاكرًا لنعم الله عليه"[١].
قال الطبري:" يقول: كان يخلص الشكر لله فيما أنعم عليه، ولا يجعل معه في شكره في نعمه عليه شريكا من الآلهة والأنداد وغير ذلك، كما يفعل مشركو قريش"[٢].
قال السعدي:" أي: آتاه الله في الدنيا حسنة، وأنعم عليه بنعم ظاهرة وباطنة، فقام بشكرها"[٣].
قوله تعالى:{اجْتَبَاهُ} [النحل : ١٢١]، أي:" اختاره الله لرسالته"[٤].
قال الطبري:" يقول: اصطفاه واختاره لخُلته"[٥].
قال السعدي:" اختصه بخلته وجعله من صفوة خلقه، وخيار عباده المقربين"[٦].
قوله تعالى:{وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [النحل : ١٢١]، أي:" وأرشده إلى الطريق المستقيم، وهو الإسلام"[٧].
قال البغوي: " أي: إلى دين الحق"[٨].
قال الطبري:" يقول: وأرشده إلى الطريق المستقيم، وذلك دين الإسلام لا اليهودية ولا النصرانية"[٩].
قال السعدي: أي:" في علمه وعمله فعلم بالحق وآثره على غيره"[١٠].

القرآن
{وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٢٢)} [النحل : ١٢٢]
التفسير:
وآتيناه في الدنيا نعمة حسنة من الثناء عليه في الآخِرين والقدوة به، والولد الصالح، وإنه عند الله في الآخرة لمن الصالحين أصحاب المنازل العالية.
قوله تعالى:{وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً} [النحل : ١٢٢]، أي:" وآتيناه في الدنيا نعمة حسنة من الثناء عليه في الآخِرين والقدوة به، والولد الصالح"[١١].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وآتينا إبراهيم على قنوته لله، وشكره له على نعمه، وإخلاصه العبادة له في هذه الدنيا ذكرًا حسنا، وثناءً جميلا باقيا على الأيام"[١٢].
قال السعدي: أي:" رزقا واسعا، وزوجة حسناء، وذرية صالحين، وأخلاقا مرضية"[١٣].
وفي قوله تعالى:{وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً} [النحل : ١٢٢]، وجوه:
أحدها : أن «الحسنة»: النبوة ، قاله الحسن[١٤].
الثاني : لسان صدق ، قاله مجاهد[١].

---

[١] التفسير الميسر: ٢٨١.
[٢] تفسير الطبري:٣١٦/١٧.
[٣] تفسير السعدي:٤٥١.
[٤] التفسير الميسر: ٢٨١.
[٥] تفسير الطبري:٣١٦/١٧.
[٦] تفسير السعدي:٤٥١.
[٧] التفسير الميسر: ٢٨١.
[٨] تفسير البغوي:٥١/٥.
[٩] تفسير الطبري:٣١٦/١٧.
[١٠] تفسير السعدي:٤٥١.
[١١] التفسير الميسر: ٢٨١.
[١٢] تفسير الطبري:٣١٩/١٧.
[١٣] تفسير السعدي:٤٥١.
[١٤] انظر: النكت والعيون: ٢١٩/٣.

الثالث : أن جميع أهل الأديان يتولونه ويرضونه، قاله قتادة[2].
الرابع : أنها تنوية الله بذكره في الدنيا بطاعته لربه . حكاه ابن عيسى[3].
الخامس : أنه بقاء ضيافته وزيارة الأمم لقبره. أفاده الماوردي[4].
السادس: يعني: الصلوات في قول هذه الأمة: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم». قاله مقاتل بن حيان[5].
السابع: أولادا أبرارا على الكبر. حكاه البغوي[6].
الثامن: بقاء ضيافته وزيارة قبره. حكاه القرطبي[7].
قال القرطبي، بعد أن سرد الأقوال:" وكل ذلك أعطاه الله"[8].
قوله تعالى:{وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} [النحل : ١٢٢]، أي:" وإنه عند الله في الآخرة لمن الصالحين أصحاب المنازل العالية"[9].
قال الطبري:" يقول: وإنه في الدار الآخرة يوم القيامة لممن صلح أمره وشأنه عند الله، وحَسُنت فيها منزلته وكرامته"[10].
قال البغوي:أي:" مع آبائه الصالحين في الجنة. وفي الآية تقديم وتأخير، مجازه: وآتيناه في الدنيا والآخرة حسنة، وإنه لمن الصالحين"[11].
قال القرطبي:" {من} بمعنى «مع»، أي: مع الصالحين، لأنه كان في الدنيا أيضا مع الصالحين"[12].
قال السعدي:{ لَمِنَ الصَّالِحِينَ}، أي:" الذين لهم المنازل العالية والقرب العظيم من الله تعالى، ومن أعظم فضائله أن الله أوحى لسيد الخلق وأكملهم أن يتبع ملة إبراهيم، ويقتدي به هو وأمته"[13].

القرآن
{ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٣)} [النحل : ١٢٣]
التفسير:
ثم أوحينا إليك -أيها الرسول- أن اتبع دين الإسلام كما اتبعه إبراهيم، وأن استقم عليه، ولا تَحِدْ عنه، فإن إبراهيم لم يكن من المشركين مع الله غيره.
قوله تعالى:{ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا} [النحل : ١٢٣]، أي:" ثم أوحينا إليك -أيها الرسول- أن اتبع دين الإسلام كما اتبعه إبراهيم، وأن استقم عليه، ولا تَحِدْ عنه"[14].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ثم أوحينا إليك يا محمد وقلنا لك: اتبع ملة إبراهيم الحنيفية المسلمة {حَنِيفًا}، يقول: مسلما على الدين الذي كان عليه إبراهيم، بريئًا من الأوثان والأنداد التي يعبدها قومك، كما كان إبراهيم تبرأ منها"[1].

---
(1) انظر: تفسير الطبري:٣١٩/١٧.
(2) انظر: تفسير الطبري:٣١٩/١٧.
(3) انظر: النكت والعيون: ٢١٩/٣.
(4) انظر: النكت والعيون: ٢١٩/٣.
(5) حكاه عنه البغوي في تفسيره:٥١/٥.
(6) انظر: تفسير البغوي:٥١/٥.
(7) انظر: تفسير القرطبي:١٩٨/١٠.
(8) تفسير القرطبي:١٩٨/١٠.
(9) التفسير الميسر: ٢٨١.
(10) تفسير الطبري:٣١٩/١٧.
(11) تفسير البغوي:٥١/٥.
(12) تفسير القرطبي:١٩٨/١٠.
(13) تفسير السعدي:٤٥١.
(14) التفسير الميسر: ٢٨١.

وفي قوله تعالى:{ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا} [النحل : ١٢٣]، ثلاثة وجوه:

أحدها: اتباعه في جميع ملته إلا ما أمر بتركه، حكاه الماوردي عن بعض أصحاب الشافعي[٢].

قال البغوي:" قال أهل الأصول: كان النبي ﷺ مأمور بشريعة إبراهيم إلا ما نسخ في شريعته، وما لم ينسخ صار شرعا له"[٣].

قال الماوردي:" وهذا دليل على جواز الأفضل للمفضول لأن النبي -ﷺ- أفضل الأنبياء"[٤].

الثاني : أمر باتباعه في مناسك الحج كما علم إبراهيم جبريل عليهما السلام. قاله ابن عامر[٥].

الثالث: اتباعه في التبرؤ من الأوثان والتدين بالإسلام ، قاله أبو جعفر الطبري[٦].

قوله تعالى:{وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [النحل : ١٢٣]، أي:" فإن إبراهيم لم يكن من المشركين مع الله غيره"[٧].

فوائد الآيات:[١٢٠-١٢٣]:

١- من الفوائد: الثناء على إبراهيم عليه السلام من وجوه ثلاثة:
أولاً: إمامته؛ ووجهها: أننا أمرنا باتباعه؛ والمتبوع هو الإمام.
ثانياً: أنه حنيف؛ والحنيف هو المائل عن كل دين سوى الإسلام.
ثالثاً: أنه ليس فيه شرك في عمله -ﷺ-؛ لقوله تعالى: {وما كان من المشركين}.

٢- ومن فوائد: أن الشرك ممتنع في حق الأنبياء؛ لقوله تعالى: {وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}.

٣- ومنها: أن ملة إبراهيم -عليه السلام- أفضل الملل؛ وهي التوحيد، والحنيفية السمحة؛ لقوله تعالى: {أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا} [النحل : ١٢٣].

٤- ومنها: أن اليهودية والنصرانية نوع من الشرك؛ لأن قوله تعالى: {وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}. في مقابل دعوتهم إلى اليهودية والنصرانية يدل على أنهما نوع من الشرك؛ كل من كفر بالله ففيه نوع من الشرك؛ لكن إن اتخذ إلهاً فهو شرك حقيقة، وواقعاً؛ وإلا فإنه شرك باعتبار اتباع الهوى.

القرآن

{إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٢٤)} [النحل : ١٢٤]

التفسير:

إنما جعل الله تعظيم يوم السبت بالتفرغ للعبادة فيه على اليهود الذين اختلفوا فيه على نبيهم، واختاروه بدل يوم الجمعة الذي أُمِروا بتعظيمه. وإن ربك -أيها الرسول- لَيحكم بين المختلفين يوم القيامة فيما اختلفوا فيه على نبيهم، ويجازي كلا بما يستحقه.

قوله تعالى:{إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ} [النحل : ١٢٤]، أي:" إنما جعل الله تعظيم يوم السبت بالتفرغ للعبادة فيه على اليهود الذين اختلفوا فيه على نبيهم، واختاروه بدل يوم الجمعة الذي أُمِروا بتعظيمه"[٨].

---

[١] تفسير الطبري:١٧/٣١٩-٣٢٠.

[٢] انظر: النكت والعيون:٣/٢١٩. وللاستزادة حول هذه الموضوع، انظر: الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم: ٥ / ٧٢٢ وما بعدها، تفسير القرطبي: ١٠ / ١٩٨

[٣] تفسير البغوي:٥/٥١.

[٤] النكت والعيون:٣/٢١٩.

[٥] انظر: تفسير القرطبي:١٠/١٩٨.

[٦] انظر: تفسير الطبري:١٧/٣١٩-٣٢٠.

[٧] التفسير الميسر: ٢٨١.

[٨] التفسير الميسر: ٢٨١.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ما فرض الله أيها الناس تعظيم يوم السبت إلا على الذين اختلفوا فيه"[1].

قال قتادة:" استحله بعضهم، وحرّمه بعضهم"[2].

قال السدي:" إن الله فرض على اليهود الجمعة فأبوا وقالوا: يا موسى، إنه لم يخلق يوم السبت شيئا فاجعل لنا السبت، فلما جعل عليهم السبت استحلوا فيه ما حرم عليهم"[3].

عن أبي مالك وسعيد بن جبير في قوله: إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه قال: باستحلالهم إياه، رأى موسى عليه السلام رجلا يحمل حطبا يوم السبت فضرب عنقه"[4].

عن أبي مالك وسعيد بن جُبير :"{إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ}، قال: باستحلالهم يوم السبت"[5].

وفي اختلافهم في السبت ثلاثة أقوال :

أحدها : أن بعضهم جعله أعظم الأيام حُرْمَةً، لأن الله فرغ من خلق الأشياء فيه[6].

الثاني : أن بعضهم جعل الأحد أعظم حُرمة منه لأن الله ابتدأ خلق الأشياء فيه[7].

الثالث : أنهم عدلوا عما أمروا به من تعظيم «الجمعة» تغليباً لحرمة السبت، قاله مجاهد[8]، وقتادة[9]، وابن زيد[10].

قوله تعالى:{وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} [النحل : ١٢٤]، أي:" وإن ربك -أيها الرسول- لَيحكم بين المختلفين يوم القيامة فيما اختلفوا فيه على نبيهم، ويجازي كلا بما يستحقه"[11].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن ربك يا محمد ليحكم بين هؤلاء المختلفين بينهم في استحلال السبت وتحريمه عند مصيرهم إليه يوم القيامة، فيقضي بينهم في ذلك وفي غيره مما كانوا فيه يختلفون في الدنيا بالحق، ويفصل بالعدل بمجازاة المصيب فيه جزاءه والمخطئ فيه منهم ما هو أهله"[12].

الفوائد:

١- بيان أن سبت اليهود هو من نقم الله عليهم لا من نعمه وافضاله عليهم.

٢- ومن الفوائد: إثبات يوم القيامة، قال تعالى:{وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ}، فقد اجمع المسلمون وجميع أهل الأديان السماوية على إثبات يوم القيامة.

القرآن

{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥)} [النحل : ١٢٥]

التفسير:

ادعُ -أيها الرسول- أنت ومَنِ اتبعك إلى دين ربك وطريقه المستقيم، بالطريقة الحكيمة التي أوحاها الله إليك في الكتاب والسنة، وخاطِب الناس بالأسلوب المناسب لهم، وانصح لهم نصحًا حسنًا، يرغبهم في الخير، وينفرهم من الشر، وجادلهم بأحسن طرق المجادلة من الرفق واللين.

---

[1] تفسير الطبري:٣٢٠/١٧.

[2] أخرجه الطبري:٣٢٠/١٧.

[3] أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٦٨٦):ص٢٣٠٧/٧.

[4] أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٦٨٧):ص٢٣٠٧/٧.

[5] أخرجه الطبري:٣٢٠/١٧.

[6] انظر: تفسير الطبري:٣٢٠/١٧.

[7] انظر: تفسير الطبري:٣٢٠/١٧.

[8] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٦٨٥):ص٢٣٠٧/٧، وتفسير الطبري:٣٢٠/١٧.

[9] انظر: تفسير الطبري:٣٢٠/١٧.

[10] انظر: تفسير الطبري:٣٢٠/١٧-٣٢١.

[11] التفسير الميسر: ٢٨١.

[12] تفسير الطبري:٣٢١/١٧.

فما عليك إلا البلاغ، وقد بلَّغْتَ، أما هدايتهم فعلى الله وحده، فهو أعلم بمن ضلَّ عن سبيله، وهو أعلم بالمهتدين.

سبب النزول:

قال مجاهد:" لما انصرف المشركون عن قتلى أحد، انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى منظرا ساءه، ورأى حمزة: قد شق بطنه، واصطلم أنفه، وجدعت أذناه. فقال: لولا أن تحزن النساء أو تكون سنة بعدي، لتركته حتى يبعثه الله تعالى من بطون السباع والطير، لأقتلن مكانه سبعين رجلا منهم. ثم دعا ببردة فغطى بها وجهه فخرجت رجلاه، فجعل على رجليه شيئا من الإذخر، ثم قدمه وكبر عليه عشرا، ثم جعل يجاء بالرجل فيوضع وحمزة مكانه حتى صلى عليه سبعين صلاة، وكان القتلى سبعين. فلما دفنوا وفرغ منهم، نزلت هذه الآية: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ} إلى قوله تعالى: {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ}[(١)]، فصبر ولم يمثل بأحد"[(٢)].[ضعيف]

قوله تعالى:{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ} [النحل : ١٢٥]، أي:" ادعُ -أيها الرسول- أنت ومَنِ اتبعك إلى دين ربك وطريقه المستقيم، بالطريقة الحكيمة التي أوحاها الله إليك في الكتاب والسنة، وخاطِب الناس بالأسلوب المناسب لهم، وانصح لهم نصحًا حسنًا، يرغبهم في الخير، وينفرهم من الشر"[(٣)].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ {ادْعُ} يا محمد من أرسلك إليه ربك بالدعاء إلى طاعته {إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ} يقول: إلى شريعة ربك التي شرعها لخلقه، وهو الإسلام {بِالْحِكْمَةِ} يقول بوحي الله الذي يوحيه إليك وكتابه الذي ينزله عليك {وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ} يقول: وبالعبر الجميلة التي جعلها الله حجة عليهم في كتابه، وذكّرهم بها في تنزيله، كالتي عدّد عليهم في هذه السورة من حججه، وذكّرهم فيها ما ذكرهم من آلائه"[(٤)].

قال البغوي:" {بالحكمة} بالقرآن، {والموعظة الحسنة} يعني مواعظ القرآن، وقيل: الموعظة الحسنة هي الدعاء إلى الله بالترغيب والترهيب، وقيل: هو القول اللين الرقيق من غير غلظة ولا تعنيف"[(٥)].

قال الزجاج:" جاء في التفسير: «الحكمة»: النبوة، و«الموعظة»: القرآن"[(٦)].

قوله تعالى:{وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل : ١٢٥]، أي:" وجادلهم بأحسن طرق المجادلة من الرفق واللين"[(٧)].

قال الطبري:" يقول: وخاصمهم بالخصومة التي هي أحسن من غيرها أن تصفح عما نالوا به عرضك من الأذى، ولا تعصه في القيام بالواجب عليك من تبليغهم رسالة ربك"[(٨)].

قال البغوي:" وخاصمهم وناظرهم بالخصومة التي هي أحسن، أي: أعرض عن أذاهم، ولا تقصر في تبليغ الرسالة والدعاء إلى الحق"[(١)].

---

(١)[النحل : ١٢٧].

(٢) أخرجه الواحدي في أسباب النزول:٢٩٠، ضعيف: إسماعيل بن عياش إذا حدث عن الشاميين حديثه مستقيم وإذا حدث عن الحجازيين والعراقيين خلط ما شئت، وفي هذا الحديث يروي عن عبد الملك وهو من أصبهان فتكون الرواية ضعيفة، وهناك علة ثانية في هذا الحديث وهي: الحكم بن عتيبة: قال الحافظ في التقريب (١/ ١٩٢) ثقة ثبت فقيه إلا أنه ربما دلس.

والحديث أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٢٨٧) وابن سعد (٣/ ١/ ٧) من طريق مقسم عن ابن عباس وليس عندهما سبب النزول، وأخرجه الدارقطني (٤/ ١١٦) وابن سعد (٣/ ١/ ٨) والبغوي في شرح السنة (٥/ ٣٦٩) من حديث أنس وليس عندهم سبب النزول..

(٣) التفسير الميسر: ٢٨١.

(٤) تفسير الطبري:٣٢١/١٧.

(٥) تفسير البغوي:٥٢/٥.

(٦) معاني القرآن:٢٢٣/٣.

(٧) التفسير الميسر: ٢٨١.

(٨) تفسير الطبري:٣٢١/١٧.

وفي قوله تعالى:{وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل : ١٢٥]، وجوه[٢]:
أحدها : يعني: أعرض عن أذاهم إياك. قاله مجاهد[٣].
الثاني : بأن توقظ القلوب ولا تسفه العقول[٤].
الثالث : بأن ترشد الخلف ولا تذم السلف[٥].
الرابع : على قدر ما يحتملون .
وفي الحديث:« أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم»[٦].
الخامس: المعنى جادلهم بالقرآن. حكاه ابن الجوزي عن ابن عباس[٧].
السادس: بلا إله إلا الله. حكاه ابن الجوزي عن ابن عباس أيضا[٨].
السابع: جادلهم غير فظ ولا غليظ القلب في ذلك. ألن لهم جانبك. قال الزجاج[٩].
قوله تعالى:{إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [النحل : ١٢٥]، أي:" إن ربك يا محمد هو العالم بحال الضالين وحال المهتدين"[١٠].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إن ربك يا محمد هو أعلم بمن جار عن قصد السبيل من المختلفين في السبت وغيره من خلقه، وحادّ الله، وهو أعلم بمن كان منهم سالكا قصد السبيل ومَحَجة الحقّ، وهو مُجازٍ جميعهم جزاءهم عند ورودهم عليه"[١١].

قال ابن الجوزي:" ذهب كثير من المفسرين إلى أن هذه الآية منسوخة بآية السيف، وفيه بعد، لأن المجادلة لا تنافي القتال، ولم يقل له، اقتصر على جدالهم، فيكون المعنى جادلهم فإن أبوا فالسيف فلا يتوجه نسخ"[١٢].

وذكر مكي بن أبي طالب بعد ذكر قول النسخ: "وهذا لا يجوز نسخه لأنه انتهاء إلى ما أمر الله به، والكف عما نهى الله عنه، فالآية محكمة"[١٣].

الفوائد:

١- وجوب الدعوة إلى الله تعالى أي إلى الإسلام وهو واجب كفائي، إذا قامت به جماعة أجزأ ذلك عنهم.
٢- بيان أسلوب الدعوة وهو أن يكون بالكتاب والسنة وأن يكون خاليا من العنف والغلظة والشدة، وأن تكون المجادلة بالتي هي أحسن من غيرها.

القرآن

{وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (١٢٦)} [النحل : ١٢٦]

التفسير:

وإن أردتم -أيها المؤمنون- القصاص ممن اعتدوا عليكم، فلا تزيدوا عما فعلوه بكم، ولئن صبرتم لهو خير لكم في الدنيا بالنصر، وفي الآخرة بالأجر العظيم.

---

[١] تفسير البغوي:٥٢/٥.
[٢] انظر: النكت والعيون:٢٢٠/٣.
[٣] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٦٨٨):ص٢٣٠٧/٧.
[٤] انظر: النكت والعيون:٢٢٠/٣.
[٥] انظر: النكت والعيون:٢٢٠/٣.
[٦]أخرجه الديلمى (٣٩٨/١، رقم ١٦١١) . قال العجلونى (٢٢٥/١) : رواه الديلمى بسند ضعيف..
[٧] انظر: زاد المسير: ٥٠٦/٤، ونواسخ القرآن: ٤٩٥/٢.
[٨] انظر: زاد المسير: ٥٠٦/٤، ونواسخ القرآن: ٤٩٥/٢.
[٩] انظر: معاني القرآن:٢٢٣/٣.
[١٠] صفوة التفاسير:١٣٧/٢.
[١١] تفسير الطبري:٣٢٢/١٧.
[١٢] نواسخ القرآن:٤٩٨/٢.
[١٣]الإيضاح:٢٩١ .

سبب النزول:

عن أبي هريرة، قال: "أشرف النبي ﷺ على حمزة فرآه صريعا، فلم ير شيئا كان أوجع لقلبه منه، وقال: والله لأقتلن بك سبعين منهم. فنزلت: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ}، فقال رسول الله ﷺ: بل نصبر يا رب"[١].[ضعيف]

عن ابن عباس، قال: "قال رسول الله ﷺ يوم قتل حمزة ومثل به: لئن ظفرت بقريش لأمثلن بسبعين رجلا منهم، فأنزل الله عز وجل: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ}، فقال رسول الله ﷺ: بل نصبر يا رب"[٢].[منقطع]

قال عطاء بن يسار: "نزلت سورة النحل كلها بمكة، وهي مكية، إلا ثلاث آيات في آخرها نزلت في المدينة بعد أُحد، حيث قُتِل حمزة ومُثِّل به، فقال رسول الله ﷺ: «لَئِنْ ظَهَرْنا عَلَيْهِمْ لَنُمَثِّلَنَّ بِثَلاثِينَ رَجُلا مِنْهُمْ»، فلما سمع المسلمون بذلك، قالوا: والله لئن ظهرنا عليهم لنمثلنّ بهم مُثْلة لم يمثِّلها أحد من العرب بأحد قطُّ فأنزل الله :{وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ} ... إلى آخر السورة""[٣].

قال عامر:"أن المسلمين قالوا لما فعل المشركون بقتلاهم يوم أُحد: لئن ظهرنا عليهم لنفعلنّ ولنفعلنّ، فأنزل الله تعالى {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ}، قالوا: بل نصبر"[٤].

ووفي رواية أخرى قال عامر:" لما رأى المسلمون ما فعل المشركون بقتلاهم يوم أُحد، من تبقير البطون، وقطع المذاكير، والمُثْلة السيئة، قالوا: لئن أظفرنا الله بهم، لنفعلنّ ولنفعلنّ، فأنزل الله فيهم {وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلا بِاللَّهِ}"[٥].

وقال ابن زيد:" كانوا قد أمروا بالصفح عن المشركين فأسلم رجال ذو منعة، فقالوا: يا رسول الله، لو أذن الله لنا لانتصرنا من هؤلاء الكلاب. فنزلت هذه الآية ثم نسخ ذلك بالجهاد"[٦].

بالجهاد"[٦].

قوله تعالى:{وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ} [النحل : ١٢٦]، أي:" وإن عاقبتم أيها المؤمنون من ظلمكم واعتدى عليكم فعاملوه بالمثل ولا تزيدوا"[٧].

قال مجاهد:" لا تعتدوا"[٨].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره للمؤمنين: وإن عاقبتم أيها المؤمنون من ظلمكم واعتدى عليكم، فعاقبوه بمثل الذي نالكم به ظالمكم من العقوبة"[٩].

وفي قوله تعالى:{وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ} [النحل : ١٢٦]، وجهان:

---

(١) اخرجه الواحدي في اسباب النزول: ٢٩٠-٢٩١، الحديث في إسناده صالح بن بشير المري قال الحافظ في التقريب: ضعيف [تقريب ١/ ٣٥٨] .

وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٩٧) وسكت عليه وقال الذهبي: صالح واه.

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١١٩) وقال: رواه البزار والطبراني وفيه صالح بن بشير المزني وهو ضعيف.

وزاد السيوطي نسبته في الدر (٤/ ١٣٥) لابن سعد وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٢) اخرجه الواحدي في أسباب النزول:٢٩١. في إسناده ثلاثة علل: منقطع: الحكم لم يسمع من مقسم إلا خمسة أحاديث وعدها يحيى القطان وهذا ليس فيها [تهذيب التهذيب ٢/ ٣٧٣] الحماني متهم بسرقة الحديث [تقريب ٢/ ٣٥٢] .

قيس بن الربيع: صدق تغير لما كبر، أدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به.

وعزاه في الدر (٤/ ١٣٥) لابن المنذر والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٣) أخرجه الطبري:٣٢٣/١٧.

(٤) أخرجه الطبري:٣٢٣/١٧.

(٥) أخرجه الطبري:٣٢٣/١٧.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٦٩٠):ص٢٣٠٧/٧.

(٧) صفوة التفاسير:١٣٧/٢.

(٨) أخرجه الطبري:٣٢٥/١٧.

(٩) تفسير الطبري:٣٢٢/١٧.

أحدهما : أنها نزلت في قتلى أحُد حين مثلت بهم قريش. قاله عامر[١]، وقتادة[٢]، وعطاء بن يسار[٣]، وابن جريج[٤].
والقول الثاني : أنها نزلت في كل مظلوم ان يقتص من ظالمه ، قاله إبراهيم[٥]، وابن سيرين[٦]، سيرين[٦]، ومجاهد[٧].
قال ابن سيرين:" إن أخذ منك رجل شيئا فخذ منه مثله"[٨].
قوله تعالى:{وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ} [النحل : ١٢٦]، أي:" ولئن عفوتم وتركتم القصاص فهو خير لكم وأفضل"[٩].
قال الطبري:" ولئن صبرتم عن عقوبته، واحتسبتم عند الله ما نالكم به من الظلم، ووكلتم أمره إليه، حتى يكون هو المتولى عقوبته {لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ} يقول: للصبر عن عقوبته بذلك خير لأهل الصبر احتسابا، وابتغاء ثواب الله، لأن الله يعوّضه مِنَ الذي أراد أن يناله بانتقامه من ظالمه على ظلمه إياه من لذّة الانتصار"[١٠].
وللمفسرين في حكم هذه الآية، قولان:
أحدهما: أنها نزلت قبل «براءة»، فأمر رسول الله ﷺ، أن يقاتل من قاتله، ولا يبدأ بالقتال، ثم نسخ ذلك وأمر بالجهاد. قاله ابن عباس[١١]، والضحاك[١٢].
والثاني: أنها محكمة، وأنها نزلت فيمن ظلم ظلامة فلا يحل له أن ينال من ظالمه أكثر مما نال الظلم منه. قاله عامر الشعبي، وإبراهيم النخعي[١٣]، وابن سيرين[١٤]، وسفيان الثوري[١٥].
وروي عن مجاهد، "{وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم} يقول: لا تعتدوا يعني: محمدا وأصحابه"[١٦].
قال ابن الجوزي:" وعلى هذا القول يكون المعنى: ولئن صبرتم على المثلة لا عن القتال. وهذا أصح من القول الأول"[١٧].
الفوائد:

١- جواز المعاقبة بالأخذ بقدر ما أخذ من المرء، وتركها صبرا واحتسابا أفضل.

فإن الذي شرعه الله للمسلمين في هذا الباب أكمل وأجل مما عند غيرهم، فإنه - تعالى - أذن لهم في القصاص من المعتدي، وجعله حقا واجبا للمظلوم، وشرع التمكين له من أخذ حقه. ولم يوجب ذلك عليه، بل ندبه إلى الفضل والصبر.
فقال - تعالى -: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ}.

---

[١] انظر: تفسير الطبري:٣٢٣/١٧.
[٢] انظر: تفسير الطبري:٣٢٣/١٧.
[٣] انظر: تفسير الطبري:٣٢٣/١٧.
[٤] انظر: تفسير الطبري:٣٢٣/١٧.
[٥] انظر: تفسير الطبري::٣٢٤/١٧.
[٦] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٦٩٢):ص٢٣٠٨/٧.
[٧] انظر: تفسير الطبري:٣٢٥/١٧.
[٨] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٦٩٢):ص٢٣٠٨/٧.
[٩] صفوة التفاسير:١٣٧/٢.
[١٠] تفسير الطبري:٣٢٢/١٧.
[١١] انظر: تفسير الطبري:٣٢٤/١٧.
[١٢] انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي:٤٩٦/٢ .
[١٣] انظر: تفسير الطبري::٣٢٤/١٧.
[١٤] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٦٩٢):ص٢٣٠٨/٧.
[١٥] انظر: تفسير الطبري:٣٢٤/١٧.
[١٦] نواسخ القرآن لابن الجوزي:٤٩٧/٢.
[١٧] نواسخ القرآن:٤٩٧/٢.

وقال - تعالى -: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ(٤٠) وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ(٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(٤٢) وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ(٤٣)}[الشورى:٤١-٤٣].

فشرع - تعالى - العدل، وهو القصاص، وندب إلى الفضل وهو العفو، ووعد عليه الأجر.

٢- ومن الفوائد: دعوة القرآن الكريم إلى الصبر في موطن تحمل أذى الناس، فلو لم تكن في الصبر إلا أن معية الله مع أهله لكفى فإن الله مع الصابرين يؤيدهم ويقويهم ويثبتهم ويؤنسهم، ولا يدعهم في الطريق وحدهم، ولا يكلهم إلى أنفسهم ويتركهم لطاقاتهم المحدودة ما داموا متوكلين عليه.

القرآن

{وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧)} [النحل : ١٢٧]

التفسير:

واصبر -أيها الرسول- على ما أصابك مِن أذى في الله حتى يأتيك الفرج، وما صبرك إلا بالله، فهو الذي يعينك عليه ويثبتك، ولا تحزن على مَن خالفك ولم يستجب لدعوتك، ولا تغتم مِن مكرهم وكيدهم؛ فإن ذلك عائد عليهم بالشر والوبال.

قوله تعالى:{وَاصْبِرْ} [النحل : ١٢٧]، أي:" واصبر -أيها الرسول- على ما أصابك مِن أذى في الله حتى يأتيك الفرج"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واصبر يا محمد على ما أصابك من أذى في الله"[٢].

قوله تعالى:{وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ} [النحل : ١٢٧]، أي:" وما صبرك إلا بالله، فهو الذي يعينك عليه ويثبتك"[٣].

قال السمعاني:" أي: بمعونة الله"[٤].

قال الطبري:" وما صبرك إن صبرت إلا بمعونة الله، وتوفيقه إياك لذلك"[٥].

قوله تعالى:{وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ} [النحل : ١٢٧]، أي:" ولا تحزن على مَن خالفك ولم يستجب لدعوتك"[٦].

قال السمعاني:" أي: لا تحزن على أفعالهم وإبائهم للإسلام"[٧].

قال الطبري:" يقول: ولا تحزن على هؤلاء المشركين الذين يكذّبونك وينكرون ما جئتهم به في آن ولوا عنك وأعرضوا عما أتيتهم به من النصيحة"[٨].

قوله تعالى:{وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ} [النحل : ١٢٧]، أي:" ولا يضقْ صدرك بما يقولون من السَّفه والجهل، ولا بما يدبرون من المكر والكيد"[٩].

---

[١] التفسير الميسر: ٢٨١.
[٢] تفسير الطبري:٣٢٥/١٧.
[٣] التفسير الميسر: ٢٨١.
[٤] تفسير السمعاني:٢١١/٣.
[٥] تفسير الطبري:٣٢٥/١٧.
[٦] التفسير الميسر: ٢٨١.
[٧] تفسير السمعاني:٢١١/٣.
[٨] تفسير الطبري:٣٢٥/١٧.
[٩] صفوة التفاسير:١٣٧/٢.

قال الطبري:" يقول: ولا يضق صدرك بما يقولون من الجهل، ونسبتهم ما جئتهم به إلى أنه سحر أو شعر أو كهانة، مما يمكرون: مما يحتالون بالخدع في الصدّ عن سبيل الله، من أراد الإيمان بك، والتصديق بما أنزل الله إليك"[1].

قال السمعاني:" {مما يمكرون} أي: يشركون، وقيل: مما فعلوا من الأفاعيل"[2].

وقرأه بعض قرّاء أهل المدينة :«وَلا تَكُ فِي ضِيقٍ»، بكسر الضاد[3].

وفي الفرق«ضِيقٍ»، بالفتح والكسر، قولان :

أحدهما : أن «الضيق» بالفتح: ما قل ، وبالكسر: ما كثر، قاله أبو عبيدة[4].

الثاني : أن «الضيق» بالفتح: ما ضاق عنه صدرك، و«الضيق» بالكسر، ما يكون في الذي يتسع مثل الدار والثوب وأشباه ذلك ، قاله الفراء[5].

قال ابن الجوزي:" هذه الآية متعلقة بالتي قبلها فحكمها حكمها، وقد زعم بعض المفسرين أن «الصبر» هاهنا منسوخ بآية السيف"[6].

الفوائد:

١- فضيلة الصبر على الأذى، قال تعالى: {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ} [النحل: ١٢٧]. هذا أمرٌ، والأمر يقتضي الوجوب، والأمر للنبي - ﷺ - أمرٌ لأمته.
وفي الحديث:« ما يكون عندى من خير فلن أدخره عنكم وإنه من يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن يتصبر يصبره الله وما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر»[7].

٢- أنه لا صبر إلا بالله : فقد نص تعالى على أن من صبر فصبره ليس إلا بالله، فصح أن من صبر فإن الله أتاه الصبر ومن لم يصبر فان الله عزوجل لم يؤته الصبر. أفاده ابن حزم[8].

٣- في قوله تعالى: {واصْبِرْ وما صَبْرُكَ إلاَّ بالله} [النحل: ١٢٧] أمر سبحانه بالصبر، ومنع استقلال أكمل عباده به.

٤- النهي عن الحزن، وعن ضيق الصدر بسبب مكر الماكرين من المشركين، ويدخل في باب: عتاب الدفع وتقوية العزيمة، قال تعالى:{ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ}.

القرآن

{إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (١٢٨)} [النحل : ١٢٨]

التفسير:

إن الله سبحانه وتعالى بتوفيقه وعونه وتأييده ونصره مع الذين اتقوه بامتثال ما أمر واجتناب ما نهى، ومع الذين يحسنون أداء فرائضه والقيام بحقوقه ولزوم طاعته.

---

[1] تفسير الطبري:١٧/٣٢٥-٣٢٦.

[2] تفسير السمعاني:٣/٢١١.

[3] انظر: تفسير الطبري:١٧/٣٢٦.

[4] انظر: مجاز القرآن: ١/٣٦٩، وحكاه عنه الماوردي في النكت والعيون:٣/٢٢٢.

[5] انظر: معاني القرآن: ٢/١١٥.

[6] نواسخ القرآن:٢/٤٩٨.

[7]أخرجه مالك (٢/٩٩٧، رقم ١٨١٢) ، وأحمد (٣/٩٣، رقم ١١٩٠٨) ، والدارمى (١/٤٧٤، رقم ١٦٤٦) ، والبخارى (٢/٥٣٤، رقم ١٤٠٠) ، ومسلم (٢/٧٢٩، رقم ١٠٥٣) ، وأبو داود (٢/١٢١، رقم ١٦٤٤) ، والترمذى
(٤/٣٧٣، رقم ٢٠٢٤) وقال: حسن صحيح. والنسائى (٥/٩٥، رقم ٢٥٨٨) ، وابن حبان (٨/١٩٣، رقم ٣٤٠٠).

[8] انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل:٣/٨٤.

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا} [النحل : ١٢٨]، أي:" إن الله سبحانه وتعالى بتوفيقه وعونه وتأييده ونصره مع الذين اتقوه بامتثال ما أمر واجتناب ما نهى"[١].

قال الماوردي:" أي ناصر الذي اتقوا"[٢].

قال السمعاني:" يعني: اتقوا المناهي.. [وقوله] : {مع} بالحفظ والنصرة والمعونة"[٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره {إِنَّ اللَّهَ} يا محمد {مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا} الله في محارمه فاجتنبوها، وخافوا عقابه عليها، فأحجموا عن التقدّم عليها"[٤].

قال الحسن:" اتقوا فيما حرم الله عليهم"[٥].

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} [النحل : ١٢٨]، أي:" ومع الذين يحسنون أداء فرائضه والقيام بحقوقه ولزوم طاعته"[٦].

قال السمعاني:" بأداء الفرائض"[٧].

قال الطبري:" يقول: وهو مع الذين يحسنون رعاية فرائضه، والقيام بحقوقه، ولزوم طاعته فيما أمرهم به ونهاهم عنه"[٨].

قال الحسن:"وأحسنوا فيما افترض عليهم"[٩].

ذكر الماوردي عن بعضهم:" من اتقى الله في أفعاله أحْسَنَ إليه في أحواله"[١٠].

قال محمد بن حاطب: "كان عثمان رضي الله عنه من الذين آمنوا، والذين اتقوا، والذين هم محسنون"[١١].

قال قتادة:" ذكر لنا أن هَرِم بن حَيان العَبْدِي لما حضره الموت، قيل له: أوص، قال: ما أدري ما أُوصي، ولكن بيعوا درعي، فاقضوا عني ديني، فإن لم تف، فبيعوا فرسي، فإن لم يف فبيعوا غلامي، وأوصيكم بخواتيم سورة النحل :{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ}، ذُكر لنا أن نبيّ الله ﷺ لما نزلت هذه الآية قال بَلْ نَصْبِرُ"[١٢].

الفوائد:

١- معية الله تعالى ثابتة لأهل التقوى والإحسان، وهي معية نصر ومعونة وتأييد وتسديد.
٢- في الآية الرد على حلولية الجهمية أن المراد بهذه المعية معية الذات وقرب الذات، فلذلك قالوا: إن الله بذاته في كل مكان.

وقد أبطل علماء السلف زعم هؤلاء الجهمية واستدلالهم بهذه الآيات ويبينوا أن كل نص يحتجون به هو في الحقيقة حجة عليهم، فنصوص المعية التي استدلوا بها لا تدل بأي حال من الأحوال على ما زعمه هؤلاء، وذلك لأن كلمة «مع» في لغة العرب لا تقتضي أن يكون أحد الشيئين مختلطاً بالآخر، وهي إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال، فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى.

---

[١] التفسير الميسر: ٢٨١.
[٢] النكت والعيون:٢٢٢/٣.
[٣] تفسير السمعاني:٢١١/٣.
[٤] تفسير الطبري:٣٢٧/١٧.
[٥] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٦٩١):ص٢٣٠٨/٧.
[٦] التفسير الميسر: ٢٨١.
[٧] تفسير السمعاني:٢١١/٣.
[٨] تفسير الطبري:٣٢٧/١٧.
[٩] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٦٩١):ص٢٣٠٨/٧.
[١٠] النكت والعيون:٢٢٢/٣.
[١١] أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٦٨٩):ص٢٣٠٧/٧.
[١٢] .أخرجه الطبري: ٣٢٧/١٧

ولفظ المعية قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع واقتضت في كل موضع أموراً لم تقتضها في الموضع الآخر، وذلك بحسب اختلاف دلالتها في كل موضع وهي قد وردت في القرآن بمعنيين هما:

١٧- المعنى الأول: المعية العامة:

والمراد بها أن الله معنا بعلمه، فهو مطلع على خلقه شهيد عليهم، ومهيمن وعالم بهم، وهذه المعية هي المرادة بقوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [المجادلة : ٧].

فالله سبحانه وتعالى قد افتتح الآية بالعلم وختمها بالعلم ولذلك أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم تفسير القرآن على أن تفسير الآية هو أنه معهم بعلمه، وقد نقل هذا الإجماع ابن عبد البر[١]، وأبو عمرو الطلمنكي، وابن تيمية[٢]، تيمية[٢]، وابن القيم[٣].

وعلى هذا فلا حجة للمخالفين في ظاهر هذه الآية.

وكذلك أيضاً ما جاء في قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} .

فظاهر الآية دال على أن المراد بهذه المعية هو علم الله تبارك وتعالى واطلاعه على خلقه، فقد أخبر الله تعالى في هذه الآية بأنه فوق العرش يعلم كل شيء، وهو معنا أينما كنا، فجمع تعالى في هذه الآية بين العلو والمعية، فليس بين الاثنين تناقض البتة، وهو كقوله ﷺ في حديث الأوعال: "والله فوق العرش يعلم ما أنتم عليه".

١٨- المعنى الثاني: المعية الخاصة:

وهي معية الاطلاع والنصرة والتأييد، وسميت خاصة لأنها تخص أنبياء الله وأولياءه مثل قوله تعالى: {إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا} ، وقوله تعالى {إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ} [النحل ١٢٨]، فهذه المعية على ظاهرها وحكمها في هذه المواطن النصر والتأييد.

ولفظ المعية على كلا الاستعمالين ليس مقتضاه أن تكون ذات الرب عز وجل مختلطة بالخلق، ولو كان معنى المعية أنه بذاته في كل مكان لتناقض الخبر العام والخبر الخاص، ولكن المعنى أنه مع هؤلاء بنصره وتأييده دون أولئك[٤].

«آخر تفسير سورة (النحل)، والحمد لله وحده»

---

[١] انظر: التمهيد: ١٣٨/٧.

[٢] انظر: مجموع الفتاوى:١٩٣/٥، و٥١٩/٥، و٢٤٩/١١-٢٥٠.

[٣] انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية :٤٤.

[٤] انظر: مجموع الفتاوى:٢٥٠/١١، و١٠٤/٥، وانظر: العرش للذهبي: ١٧٤-١٧٦.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسير سورة « الإسراء»

سورة «الإسراء»: هي السورة «السابعة عشر» في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة: «القصص»[١]، وعدد آياتها: (١١١) مائة وإحدى عشرة، وقيل: (١١٠) مائة وعشرة، وكلماتها: (١٥٦٣) ألف وخمسمائة وثلاث وستون، وحروفها: (٦٤٦٠) ستة آلاف وأربعمائة وستون[٢].

والمختلف فيها آية واحدة: {لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا} [الإسراء : ١٠٧].

وفواصل آياتها «ألف» إلا الآية الأولى[٣]، فإنها «راء»[٤].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: سورة «الإسراء»:**

«الإسراء» لغة: السير ليلا، يقال: أسرى يسري إسراء ويأتي لازما فيقال: سرى الرجل ويأتي متعديا فيقال: أسرى به[٥].

وهو اسمها المشهور في المصاحب وكتب التفسير، ولم نقف على أحاديث تدل على تسمية الرسول-ﷺ- أو صحابته هذه السورة باسم سورة«الإسراء»، وإنما اشتهرت به، وكتبت في المصاحف، منذ تدوين اسماء السور في اوائلها، ومن المفسرين الذين صرحوا بتسميتها بسورة «الإسراء»، مثل: الأخفش[٦]، وأبو الليث السمرقندي[٧]، والقاسمي[٨]، والألوسي[٩]، والسخاوي[١٠]، وغيرهم.

- **وجه التسمية:**

وجه تسميتها بسورة «الإسراء»، أنها افتتحت بذكر قصة إسراء الرسول-ﷺ- من مكة إلى القدس ليلا على البراق[١١]، فقال تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الإسراء : ١]، وقصة الإسراء هي المعجزة الباهرة التي خص الله تعالى بها نبيه تشريفا له، وقد اختصت هذه السورة بذكر هذه الحادثة فسميت بها.

- **ثانيا:- اسمهاؤها الإجتهادية:**
- **الإسم الأول: سورة «بني إسرائيل»:**

اشتهرت بسورة «بني إسرائيل»، ودوّن هذا الاسم في كثير من المصاحف، وقد ثبت تسميتها في الأحاديث الصحيحة في كلام الصحابة-رضوان الله عليهم-، منها:

- عن عبد الرحمن بن يزيد، قال: سمعت ابن مسعود رضي الله عنه، قال: " في بني إسرائيل، والكهف، ومريم: إنهن من العتاق الأول، وهن من تلادي"[١٢].

---

[١] انظر: الكشاف: ٦٤٦/٢، ومفاتيح الغيب: ٢٩١/٢٠

[٢] انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٨٨.

[٣] وهي قوله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الإسراء : ١].

[٤] انظر: الكشاف: ٥٩٢/٢.

[٥] انظر: العين(سري):ص٢٩١/٧، واللسان:٣٨١/١٤.

[٦] انظر: معاني القرآن:٤٢١/٢.

[٧] انظر: بحر العلوم: ٢٩٩/٢.

[٨] انظر: محاسن التأويل: ٤٢٧/٦.

[٩] انظر: تفسير المنار: ٢/١٥.

[١٠] انظر: جمال القراء: ٣٧/١.

[١١] انظر: تفسير ابن كثير:٤٢/٥.

[١٢] صحيح البخاري(٤٧٠٨):ص٨٢/٦.

«العتاق»: بكسر المهملة وتخفيف المثناة جمع «عتيق»، وهو القديم أو هو كل ما بلغ الغاية في الجودة وبالثاني

- عن أبي لبابة، قال: "قالت عائشة: كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ بني إسرائيل والزمر"[١].
- عن ابي عمرو الشيباني، قال:" صلى بنا عبدالله الفجر، فقرأ بسورتين الآخرة منها بنو إسرائيل"[٢].
- عن ابن عباس-رضي الله عنهما، قال:"نزلت سورة بني إسرائيل بمكة"[٣].

كما عنون لها بعض المفسرين في تفاسيرهم كمقاتل[٤]، والطبري[٥]، والزجاج[٦]، والماتريدي[٧]، والثعلبي[٨]، ومكي بن ابي طالب[٩]، والسمعاني[١٠]، وابن الجوزي[١١]، والرازي[١٢]، والبيضاوي[١٣]، والنسفي[١٤]، والشوكاني[١٥]، والالوسي[١٦]، والسعدي[١٧]، وابن عاشور[١٨]، والشنقيطي[١٩]، وغيرهم.

وترجم لها البخاري [٢٠]، والترمذي[٢١]، والحاكم[٢٢]، وورد هذا الاسم في كتب علوم القرآن مثل جمال القراء[٢٣]، والبصائر[٢٤]، ونظم الدرر[٢٥]، والإتقان[٢٦].

ولم نقف على حديث مرفوع إلى النبي-ﷺ- سماها بسورة«بني إسرائيل».

- **وجه التسمية:**

سميت سورة «بني إسرائيل»، لأنها ذكر فيها من احوال بني إسرائيل ما لم يذكر في غيرها، إذ اوردت السورة قصة تشردهم في الأرض مرتين بسبب فسادهم، حيث استولى عليهم

جزم جماعة في هذا الحديث وبالأول جزم أبو الحسين بن فارس وقوله الأول بتخفيف الواو وقوله :«هن من تلادي» بكسر المثناة وتخفيف اللام، أي: مما حفظ قديما و«التلاد»: قديم الملك، وهو بخلاف الطارف، ومراد بن مسعود أنهن من أول ما تعلم من القرآن وأن لهن فضلا لما فيهن من القصص وأخبار الأنبياء والأمم". [فتح الباري:٣٨٨/٨]

[١] أخرجه الترمذي(٢٩٢٠): ص٣١/٥. وقال:« هذا حديث حسن غريب، وأبو لبابة هذا شيخ بصري قد روى عنه حماد بن زيد غير حديث، ويقال اسمه: مروان. حدثنا بذلك محمد بن إسماعيل في كتاب التاريخ». تحقيق الالباني: صحيح، الصحيحة (٦٤١).

[٢] أخرجه ابن ابي شيبة في مصنفه، كتاب الصلوات، باب"ما يقرأ في صلاى الفجر":ص٣٥٤/١.

[٣] أورده السيوطي في الدر المنثرو:١٨١/٥، وعزاه للنحاس وابن مردويه.

[٤] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥١٢/٢.

[٥] انظر: التفسير: ٥٩٠/١٧.

[٦] انظر: معاني القرآن:٢٥٠/٥.

[٧] انظر: تأويلات أهل السنة:٣/٧.

[٨] انظر: الكشف والبيان:٥٤/٦. [وردت التسميتين: الإسراء وبني إسرائيل]

[٩] انظر: الهداية إلى بلوغ النهايية: ٣١١٢/٤.

[١٠] انظر: التفسير:٢١٢/٣.

[١١] انظر: زاد المسير:٩٢/٣.

[١٢] انظر: مفاتيح الغيب:٤٠٧/١٢.

[١٣] انظر: التفسير: ٢٤٧/٣.

[١٤] انظر: التفسير: ٢٤٤/٢.

[١٥] انظر: فتح القدير: ٣٤٩/٣.

[١٦] تفسير المنار: ٢٧١/٦.

[١٧] انظر: التفسير:٤٥٣.

[١٨] انظر: التحرير والتنوير:٧٨/١١.

[١٩] انظر: أضواء البيان:٤٨٧/١.

[٢٠] صحيح البخاري، كتاب التفسير:٢٧١/٥.

[٢١] في جامعه في ابواب التفسير:٣٠٠/٥.

[٢٢] المستدرك، كتب التفسير:٣٩١/٢.

[٢٣] انظر:٣٧/١.

[٢٤] انظر: ١،٢٨٨.

[٢٥] انظر: ٢٨٦/١١.

[٢٦] انظر: ١٧٣/١.

قوم أولي بأس وهم «الآشوريين»، ثم استولى عليهم قوم آخرين وهم«الروم»[(١)]، قال تعالى: {وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا} [الإسراء : ٤] آلى آخر الآيات.

قال البقاعي في سبب التسمية:" وأما بنو إسرائيل فمن أحاط أيضاً بتفاصيل أمرهم في سيرهم إلى الأرض المقدسة الذي هو كالإسراء وإيتائهم الكتاب وما ذكر مع ذلك من أمرهم في هذه السورة عرف ذلك"[(٢)].

- **الإسم الثاني: سورة «سبحان»:**

كما عرفت تسمية هذه السورة بـ«سورة سبحان»، وعنون لها بعض المفسرين مابن عطية، والثعالبي، وأورد هذه التسمية بعض المفسرين في تفاسيرهم، كيحيى بن سلام[(٣)]، وابن أبي زمنين[(٤)]، ومكي بن ابي طالب[(٥)]، والواحدي[(٦)]، وابن عطية[(٧)]، والقرطبي[(٨)]، وأبو حيان[(٩)]، والسمين الحلبي[(١٠)]، وابن رجب[(١١)]، والشوكاني[(١٢)]، وابن عاشور[(١٣)]، وغيرهم، وقد عدّها السخاوي[(١٤)]، والسيوطي[(١٥)]، في كتابيهما من بين أسماء السورة، وذكرها البقاعي[(١٦)]، والفيروزآبادي[(١٧)].

ولم نقف على حديث او أثر في تسمية السورة بهذا الاسم، إنما هو اسم احتهادي من علماء التفسير وعلوم القرآن، استنبطوها من مضامين السورة.

- **وجه التسمية:**

سميت هذه السورة: «سورة سبحان»، لافتتاحها بهذه الكلمة، وذلك في قوله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١)} [الإسراء : ١].

قال البقاعي:" أما «سبحان»، الذي هو علم للتنزيه فمن أظهر ما يكون فيه، لأن من كان على غاية النزاهة عن كل نقص، كان جديراً بأن لا نعبد إلا إياه، وأن نعرض عن كل ما سواه، لكونه متصفاً بما ذكر"[(١٨)].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على أقوال:

أحدها: أنها مكية جميعها. قاله ابن عباس[(١)]، وبه قال يحيى بن سلام[(٢)]، والماتريدي[(٣)]، وأبو الليث السمرقندي[(٤)]، وابن أبي زمنين[(٥)]، والثعلبي[(٦)]، ومكي بن ابي طالب[(٧)]، والواحدي[(٨)]، والواحدي[(٨)]، والبغوي[(٩)]، وابن كثير[(١٠)]، والسيوطي[(١١)].

---

(١) انظر: تفسير القرطبي:٢١٥/١٠.
(٢) نظم الدرر:٢٨٦/١١-٢٨٧.
(٣) انظر: التفسير:١٠١/١.
(٤) انظر: التفسير:٥/٣.
(٥) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية:٤١٢١/٦.
(٦) انظر: التفسير البسيط:١١٩/١٥.
(٧) انظر: المحرر الوجيز:٤٩٣/٣.
(٨) انظر: التفسير:٤٤٠/١.
(٩) انظر: البحر المحيط:٤١٦/٨.
(١٠) انظر: الدر المصون:٢١٩/٤.
(١١) انظر: التفسير:٦٢٦/١.
(١٢) انظر: فتح القدير:٦٣/١.
(١٣) انظر: التحرير والتنوير:٥/١٥.
(١٤) انظر: جمال القراء:٣٦/١.
(١٥) انظر: الإتقان:١٧٣/١.
(١٦) انظر: نظم الدرر:٢٨٦/١.
(١٧) انظر: البصائر: ٢٨٨/١.
(١٨) نظم الدرر:٢٨٦/١١.

قال الفيروزآبادي: "السورة مكية باتفاق"[١٢].

قال ابن الجوزي: "هي مكية في قول الجماعة"[١٣].

الثاني: أنها مكية إلا ثلاث آيات: {وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ} [الإسراء: ٧٦]، نزلت حين جاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد ثقيف وحين قالت اليهود: ليست هذه بأرض الأنبياء، وقوله: {وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ} [الإسراء: ٨٠]، وقوله: {إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ} [الإسراء: ٦٠]. قاله ابن عطية[١٤]، والقرطبي[١٥].

الثالث: أنها مكية إلا خمس آيات نزلت بالمدينة: {وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي} [الإسراء: ٣٣]، {وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا} [الإسراء: ٣٢]، {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ} [الإسراء: ٥٧]، {أَقِمِ الصَّلَاةَ} [الإسراء: ٧٨]، {وَآتِ ذَا الْقُرْبَى} [الإسراء: ٢٦]. قاله الحسن[١٦].

الرابع: أنها مكية إلا ثمان آيات: من قوله تعالى: {وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا} [الإسراء : ٧٣]، إلى قوله تعالى: {وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا} [الإسراء : ٨٠]. قاله ابن عباس أيضا[١٧]، وقتادة[١٨].

الخامس: أنها مكية كلها إلا تسع آيات فمدنيات، وهن:«٦٠[١٩]، ٧١[٢٠]، ٧٣[٢١]، ٧٤[٢٢]، ٧٥[٢٣]، ٨٠[٢٤]، ١٠٧[٢٥]، ١٠٨[٢٦]، ١٠٩[٢٧]». قاله مقاتل[٢٨].

---

(١) أورده السيوطي في الدر المنثرو:١٨١/٥، وعزاه للنحاس وابن مردويه.

(٢) انظر: تفسير يحيى بن سلام:١٠١/١.

(٣) انظر: تأويلات أهل السنة:٣/٧.

(٤) انظر: بحر العلوم:٢٩٩/٢.

(٥) انظر: تفسير ابن أبي زمنين:٥/٣.

(٦) انظر: الكشف والبيان:٥٤/٦.

(٧) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية:٤١٢١/٦.

(٨) انظر: التفسير الوسيط:٩٣/٣.

(٩) انظر: تفسير البغوي:٥٥/٥.

(١٠) انظر: تفسير ابن كثير:٦١٧/٤.

(١١) انظر: الدر المنثور:١٨١/٥.

(١٢) البصائر:٢٨٨/١.

(١٣) زاد المسير:٧/٣.

(١٤) انظر: المحرر الوجيز:٤٣٤/٣.

(١٥) انظر: تفسير القرطبي:٢٠٣/١٠.

(١٦) حكاه عنه عبدالقاهر الجرجاني في درج الدرر:٣،١٠٨٥، والألوسي في روح المعاني: ٢/١٥.

(١٧) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٧/٣.

(١٨) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٧/٣.

(١٩){وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا} [الإسراء : ٨٠].

(٢٠){وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء : ٧٦].

(٢١){وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا (٧٣)} [الإسراء : ٧٣].

(٢٢){وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤)} [الإسراء : ٧٤].

(٢٣){إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (٧٥)} [الإسراء : ٧٥].

(٢٤){وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا (٨٠)} [الإسراء : ٨٠].

(٢٥){قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧)} [الإسراء : ١٠٧].

(٢٦){وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨)} [الإسراء : ١٠٨].

(٢٧){وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (١٠٩)} [الإسراء : ١٠٩].

(٢٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥١٢/٢.

السادس: أنها مكية إلا إحدى عشر آية، فمدنيات، وهن: «٢٦[١]، ٣٢[٢]، ٣٣[٣]، ٥٧[٤]، ومن ومن آية (٧٣) إلى غاية آية (٨٠)[٥]». قاله الزمخشري[٦]، والفخر الرازي[٧]، وابن جزي الكلبي[٨].

- **مناسبة سورة«الإسراء» مع سورة «النحل»:**

من وجوه المناسبة بين السورتين:

١- إنه سبحانه ذكر فى سورة «النحل» اختلاف اليهود فى السبت، وهنا ذكر شريعة أهل السبت التي شرعها لهم فى التوراة، فقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس أنه قال: «إن التوراة كلها فى خمس عشرة آية من سورة بنى إسرائيل، ثم تلا {لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} [الإسراء : ٢٢]»[٩].

٢- إنه لما أمر نبيه ﷺ بالصبر ونهاه عن الحزن وضيق الصدر من مكرهم فى السورة السالفة- ذكر هنا شرفه وعلو منزلته عند ربه.

٣- إنه ذكر فى السورة السالفة نعما كثيرة حتى سميت لأجلها سورة النعم، ذكر هنا أيضا نعما خاصة وعامة[١٠].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

تدور معظم موضوعات سورة الإسراء على العقيدة؛ وبعضها عن قواعد السلوك الفردي والجماعي وآدابه القائمة على العقيدة، إلى شيء من القصص عن بني إسرائيل، وطرف من قصة آدم وإبليس وتكريم الله للإنسان.

والعنصر البارز في كيان هذه السورة، ومحور موضوعاتها الأصيل هو شخص الرسول الكريم ﷺ، وموقف القوم منه في مكة.

ويمكننا أن نسجل أهم المقاصد التي أبرزتها هذه السورة الكريمة:

١- توحيد الله سبحانه، {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاه} [الإسراء : ٢٣]، فالله سبحانه وتعالى هو الموحد الحق، ولا معبود سواه .

٢- تنزيه الله تعالى وتسبيحه وحمده وشكر آلائه، وقد تكرر مقصد التسبيح في آيات عديدة من هذه السورة؛ ففي مطلعها، قال تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ} [الإسراء : ١]. وعند ذكر دعاوى المشركين عن الآلهة، عقَّب سبحانه بقوله: {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ

---

[١]{وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦)} [الإسراء : ٢٦].

[٢]{وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٢)} [الإسراء : ٣٢].

[٣]{وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (٣٣)} [الإسراء : ٣٣].

[٤]{أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ كَانَ مَحْذُورًا (٥٧)} [الإسراء : ٥٧].

[٥]{وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا (٧٣) وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤) إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (٧٥) وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (٧٦) سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (٧٧) أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا (٧٩) وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا (٨٠)} [الإسراء : ٧٣ - ٨٠].

[٦] انظر: الكشاف:٦٤٦/٢.

[٧] انظر: مفاتيح الغيب:٢٩١/٢٠.

[٨] انظر: التسهيل لعلوم التنزيل:٤٤٠/١.

[٩] تفسير الطبري:٥٩٠/١٧.

[١٠] انظر: تفسير المراغي:٣/١٥.

حَلِيمًا غَفُورًا} [الإسراء : ٤٤]. وعند حكاية قول بعض أهل الكتاب حين يتلى عليهم القرآن :{وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا} [الإسراء : ١٠٨].

٣- قررت السورة أن ثواب الاهتداء وإثم الضلال إنما يعود على الفرد نفسه ولن يغني عن غيره شيئاً كما أن غيره لن يغني عنه شيئاً ، {مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا} [الإسراء : ١٥]، فطريق الهداية واضح وظاهر، أوضحه سبحانه لعباده عن طريق رسله وكتبه، وما على الإنسان إلا أن يسير في هذا الطريق، ويعرض عن غيره من الطرق .

٤- بيان إعجاز القرآن الكريم، وأن البشر يستحيل عليهم أن يأتوا بمثله، {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء : ٨٨]، فالقرآن الكريم معجزة هذا الدين، ومعجزة نبيه عليه الصلاة والسلام، وليس بمقدور أحد -مهما أوتي من علم- أن يأتي بمثل هذا القرآن، ولا بشيء منه.

٥- بيان الحكمة من إنزال القرآن على فترات، وليس دفعة واحدة، {وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا} [الإسراء : ١٠٦]، فغاية إنزال القرآن على دفعات؛ ليستوعب الناس أحكامه، وليكون أمامهم متسع من الوقت؛ ليطبقوا أوامره ويجتنبوا نواهيه.

٦- تنزيه الله عن الولد والشريك والناصر والمعين، {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا} [الإسراء : ١١١]. فالله سبحانه هو الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

٧- قررت السورة مبدأ المسؤولية الشخصية، فكل إنسان يتحمل عاقبة عمله، ولا يتحمل أحد عاقبة عمل غيره، { وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} [الإسراء : ١٥]، فالإنسان إن عمل خيراً فلنفسه، وإن أساء فعليها.

٨- ذكر سبحانه في هذه السورة سُنَّة إلهية، وهي أنه سبحانه لا يعذب عباده إلا بعد أن يرسل إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين، ويقيم عليهم الحجة بالآيات التي تقطع عذرهم، قال سبحانه: { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا} [الإسراء : ١٥].

٩- ذكر سبحانه سُنَّة تتعلق بسلوك الإنسان عموماً، وهي أن الإنسان إذا أصابه ضراء وبلاء، لجأ إلى ربه وخالقه طالباً منه العون والنجاة، ثم إذا كشف الله عنه ما نزل به من ضرٍّ، إذا به يكفر بخالقه، ويُعْرِض عن هدي ربه،{وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا} [الإسراء : ٦٧].

١٠- بينت السورة قيمة القرآن الكريم، حيث ورد لفظ القرآن في هذه السورة أحد عشر مرة. نحو قوله سبحانه: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ} [الإسراء : ٩].

١١- بينت السورة أنه لا أحد يملك من الأمر شيئاً؛ إذ الأمر كله لله، فلا نافع ولا ضار إلا الله، ولا ناصر ولا معين إلا هو سبحانه، {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا} [الإسراء : ٥٦].

١٢- عُنيت السورة بالحديث عن مكارم الأخلاق، فدعت إلى الإحسان إلى الوالدين، وصلة الرحم، والعطف على الفقير والمسكين وابن السبيل، ونهت عن التبذير والقتل والزنا وتطفيف الكيل والميزان وأكل مال اليتيم والكبر والبطر.

١٣- دحضت أوهام الوثنية الجاهلية حول نسبة البنات والشركاء إلى الله، وعن البعث واستبعادهم لوقوعه، وعن استقبالهم للقرآن وتقولاتهم على الرسول ﷺ، {أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا} [الإسراء : ٤٠]، {قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا} [الإسراء : ٤٢].

١٤- أمْرُ المؤمنين أن يقولوا التي هي أحسن، وتحذيرهم من الانسياق وراء وساوس الشيطان، وبيان أنه العدو الأول والأخطر للإنسان؛ لأنه لا يفارقه أبداً، فهو يعيش بين

جنبيه، وهو عدو خفي غير ظاهر، قال تعالى: {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا} [الإسراء : ٥٣].

١٥- بيان الحكمة في عدم إنزال المعجزات التي اقترحها المشركون على النبي صلى الله عليه وسلم، {وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا} [الإسراء : ٥٩].

١٦- بيان عناد المشركين وطلبهم من النبي ﷺ أن يوافقهم في بعض معتقداتهم، وإلحاحهم في ذلك، {وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا} [الإسراء : ٩٠].

١٧- الحديث عن البعث والحشر مع إقامة الأدلة على إمكانه، {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا} [الإسراء : ٩٩]

هذه أهم المقاصد التي تضمنتها هذه السورة الكريمة. وليس من شك، فإن مزيداً من التأمل فيها يهدينا إلى مقاصد أُخر، فإن القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه قارئه ومتأمله[١] .

- **فضائل السورة:**

وردت جملة من الأحاديث النبوية التي تبين فضائل هذه السورة، من ذلك :

- عن ابن مسعود - رضي الله عنه -: "قال: في بني إسرائيل والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: إنهن من العتاق الأول، وهن من تلادي"[٢].
- عن أبي لبابة، قال: "قالت عائشة: كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ بني إسرائيل والزمر"[٣].
- عن عبد الله بن عمرو، قال: "أتى رجل رسول الله ﷺ، فقال: أقرئني يا رسول الله، فقال: «اقرأ ثلاثا من ذوات الر»، فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: «فاقرأ ثلاثا من ذوات حاميم»، فقال مثل مقالته، فقال: «اقرأ ثلاثا من المسبحات»، فقال مثل مقالته، فقال الرجل: يا رسول الله، أقرئني سورة جامعة، فأقرأه النبي -ﷺ- «إذا زلزلت الأرض» حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبدا، ثم أدبر الرجل، فقال النبي ﷺ: «أفلح الرويجل» مرتين"[٤].

---

[١] انظر: اسلام ويب. [موقع الكتروني].

[٢]صحيح البخاري برقم (٤٧٠٨).
العتاق: جمع عتيق، وهو القديم، والعتاق الأول: أي السور التي أنزلت أولا بمكة، وأنها أول ما تعلمه ص من القرآن.
يعني قوله (من تلادي) أي مما حفظته قديمًا، والتليد والتلاد والتالد: المتقدم. والطريف والطارف: المستحدث

[٣] أخرجه الترمذي(٢٩٢٠): ص٣١/٥. وقال:« هذا حديث حسن غريب، وأبو لبابة هذا شيخ بصري قد روى عنه حماد بن زيد غير حديث، ويقال اسمه: مروان. حدثنا بذلك محمد بن إسماعيل في كتاب التاريخ». تحقيق الالباني: صحيح، الصحيحة (٦٤١).

[٤] أخرجه أبو داود في"باب تحزيب القرآن"(١٣٩٩):ص٥٧/٢. والبيهقي في الشعب، في تعظيم القرىن، فصل"في فضائل السور والآيات"(٢٥١٢):ص٤٩٦/٢، والنسائي في عمل اليوم والليلة(٧٢١):ص٢١٦-٢١٧.
وقوله: من ذوات (الر)، أي: من السور التي تبدأ بهذه الأحرف الثلاثة التي تقرأ مقطعة: ألف، لام، را، والذي في القرآن منها خمس سور: يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.
وقوله من ذوات {حم}، أي: من السور التي تبدأ بهذين الحرفين: حا، ميم، وهي في القرآن سبع سور: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.
وقوله: من المسبحات، أي: السور التي أولها سَبَّح ويُسَبحُ وسَبح، وهي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى.
وحكم الألباني«ضعيف»، انظر: «ضعيف أبي داود» (٢٤٧).
[تعليق شعيب الأرنؤوط]
إسناده صحيح، عيسى بن هلال الصدفي، روى عنه غير واحد وذكره المؤلف في الثقات، وهو صدوق كما قال الحافظ في التقريب(ص٤٤١)، وقال الحاكم:"حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي

- عن عرباض بن سارية - رضي الله عنه -: أن رسول الله -ﷺ- كان يقرأ المسبحات قبل أن ينام، إذا اضطجع، وقال: «إن فيهن آية أفضل من ألف آية»[1].
- روي عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله، ﷺ: «من قرأ سورة بني إسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين، أعطي قنطارين في الجنة من الأجر، والقنطار ألف ومائتا أوقية، الأوقية منها خير من الدنيا وما فيها»[2].[موضوع]

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

بقوله:«بل صحيح»، أي: فقط من غير أن يكون على شرط الشيخين(٢/٥٨٠)، وأورده الفسوي في تاريخه: ٢/ ٥١٥ - ٥١٦ في ثقات التابعين من أهل مصر، وباقي رجاله ثقات من رجال الصحيح.

[1]أخرجه أحمد (٤/١٢٨) قال: حدثنا يزيد بن عبد ربه. وأبو داود (٥٠٥٧) قال: حدثنا مؤمل بن الفضل الحراني. والترمذي (٢٩٢١، ٣٤٠٦) قال: حدثنا علي بن حجر. والنسائي في عمل اليوم والليلة (٧١٣) ، و (فضائل القرآن) (٥١) قال: أخبرنا علي بن حجر. وفي عمل اليوم والليلة (٧١٤) قال: أخبرنا زكريا بن يحيى، قال: حدثنا إسحاق.

أربعتهم (يزيد بن عبد ربه، ومؤمل بن الفضل، وعلي بن حجر، وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي) عن بقية ابن الوليد، قال: حدثني بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن عبد الله بن أبي بلال، فذكره.

* أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (٧١٥) قال: أخبرنا أحمد بن عمرو بن السرح، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سمعت معاوية يحدث، عن بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، قال: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لا ينام ... فذكره، مرسلا.

* في رواية يزيد بن عبد ربه، ومؤمل، وإسحاق: «عن ابن أبي بلال» لم ينسبوه.

و في إسناده: بقية بن الوليد المدلس، والرواية الآخرى للنسائي تعل خبره، والله أعلم.

[2] أخرجه الواحدي في التفسير الوسيط(٥٣٤):ص٣/٩٣، والثعلبي في الكشف والبيان:٦/٥٤، وذكره الزمخشري في الكشاف:٢/٧٠١، والبيضاوي في التفسير:٣/٢٧١، وابن عادل في اللباب:١٢/٤١٤، والخطيب الشربيني في سراج المنير:٢/٣٤٧، وقال« حديث موضوع ».

والقنطار: ألف أوقية، ومئتا أوقية.

القرآن

{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١)} [الإسراء : ١]

التفسير:

يمجّد الله نفسه ويعظم شأنه، لقدرته على ما لا يقدر عليه أحد سواه، لا إله غيره، ولا رب سواه، فهو الذي أسرى بعبده محمد ﷺ زمنًا من الليل بجسده وروحه، يقظة لا منامًا، من المسجد الحرام بـ «مكة» إلى المسجد الأقصى بـ «بيت المقدس» الذي بارك الله حوله في الزروع والثمار وغير ذلك، وجعله محلا لكثير من الأنبياء؛ ليشاهد عجائب قدرة الله وأدلة وحدانيته. إن الله سبحانه وتعالى هو السميع لجميع الأصوات، البصير بكل مُبْصَر، فيعطي كُلا ما يستحقه في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى:{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا} [الإسراء : ١]، أي:" تنزَّه وتقدَّس عما لا يليق بجلاله، اللهُ العليُّ الشأن، الذي انتقل بعبده ونبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جزءٍ من الليل"[١].

قال الطبري: يعني:" تنزيها لله، وتبرئة له مما نحله المشركون من الإشراك والأنداد والصاحبة، وما يجل عنه ﷻ، الذي سار بعبده ليلا من بيته الحرام إلى بيته الأقصى"[٢].

قال ابن كثير:" يمجد تعالى نفسه ، ويعظم شأنه ، لقدرته على ما لا يقدر عليه أحد سواه ، فلا إله غيره { الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ } يعني محمدًا ، صلوات الله وسلامه عليه { لَيْلا } أي في جنح الليل"[٣].

و«الإسراء» و«السُّرى»: "سير الليل، قال الشاعر[٤]:

ولَيْلَةٍ ذَاتِ دُجىً سَرَيْتُ ... ولَمْ يَلِتْنِي عَنْ سُواها لَيْتَ"[٥].

قال الزمخشري:" «سبحان»: علم للتسبيح كـ«عثمان» للرجل، وانتصابه بفعل مضمر متروك إظهاره، تقديره: أسبح الله سبحان، ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده"[٦].

وفي قوله تعالى:{سُبْحَانَ} [الإسراء : ١]، ثلاثة وجوه التفسير:

أحدها : تنزيه الله تعالى من السوء، وقيل: بل نزه نفسه أن يكون لغيره في إسراء عبده تأثير.

عن موسى بن طلحة، عن النبيّ ﷺ "أنه سُئل عن التسبيح أن يقول الإنسان: سُبْحان الله، قال: «إنزاهُ الله عَنِ السُّوءِ»"[٧].

الثاني : معناه: برأه الله تعالى من السوء، قال الأعشى تبرءا وتكذيبا لفخر علقمة[٨]:

أقول لمّا جاءني فَخْرُه ... سبحان مِنْ علقمةَ الفاخِرِ

قال ابن قتيبة:" أراد: التبرؤ من علقمة"[٩].

قال أبو عبيدة:" سُبْحانَكَ» تنزيه للرب، وتبرؤ"[١].

---

[١] صفوة التفاسير:١٤٠/٢.

[٢] تفسير الطبري:٣٣٣/١٧.

[٣] تفسير ابن كثير:٦١٧/٤.

[٤] البيت في اللسان: "ليت"، وتفسير الطبري:٣٣٠/١٧.

[٥] تفسير الطبري:٣٢٩/١٧.

[٦] الكشاف:٦٤٦/٢.

[٧] أخرجه الطبري:٣١٩/١٧-٣٢٠.

[٨]ديوانه ١٠٦، الكتاب ١/ ١٣٥- والجهرة ١/ ٢٢٩ والشبنتمرى ١/ ١٦٣ والراغب والأساس واللسان والتاج (سبح) ، والقرطبي ١/ ٢٣٦ والخزانة ٢/ ٤١ وغيرهم. - علقمة: هو علقمة بن علاثة، صحابى، قدم على رسول الله عليه السلام وهو شيخ فأسلم وبايع وروى حديثا واحدا واستعمله عمر بن الخطاب على حوران فمات بها. انظر ترجمته وخبره مع الأعشى فى الأغانى ١٥/ ٥٥ والخزانة ٢/ ٤٢- ٤٤.

[٩] غريب القرآن:٨.

قال الأخفش:" «سبحان» في التفسير: براءة وتنزيه"[٢].

قال الماوردي:"وهو ذكر تعظيم لله لا يصلح لغيره ، وإنما ذكره الشاعر على طريق النادر ، وهو من السبح في التعظيم وهو الجري فيه إلى أبعد الغايات"[٣].

وذكر أبان بن ثعلبة :"أنها كلمة بالنبطية «شبهانك»"[٤].

الثالث: إن «سبحان» في هذا الموضع بمعنى:«عجب»، وتقدير الآية : عجب من الذي أسرى بعبده ليلاً. قاله الكلبي[٥]، ومقاتل[٦]، وقد وافق على هذا التأويل سيبويه وقطرب، واستشهد بقول الأعشى السابق[٧]:

أقول لمّا جاءني فَخْرُه ... سبحان مِنْ علقمةَ الفاخِر

وأن معناه: عجبٌ من علقمة الفاخر .

قال ابن قتيبة:" وقد يكون تعجب بالتسبيح من فخره؛ كما يقول القائل إذا تعجب من شيء: سبحان الله، فكأنه قال: عجبا من علقمة الفاخر"[٨].

قال الماوردي: "ووجه هذا التأويل أنه إذا كان مشاهدة العجب سبباً للتسبيح صار التسبيح تعجباً فقيل عجب ، ومثله قول بشار[٩]:

تلقي بتسبيحةٍ مِنْ حيثما انصرفت ... وتستفزُّ حشا الرائي بإرعاد

وقد جاء التسبيح في الكلام على أربعة أوجه[١٠]:

أحدها : أن يستعمل في موضع الصلاة ، من ذلك قوله تعالى : {فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ} [الصافات : ١٤٣]. أي: من المصلين .

الثاني : أن يستعمل في الاستثناء ، كما قال بعضهم في قوله تعالى : {أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُون} [القلم : ٢٨]،أي: لولا تستثنون.

وقال السمعاني:معناه: " أي: هلا قلتم إن شاء الله تعالى، ووضع التسبيح ها هنا موضع المشيئة؛ لأن التسبيح هو تنزيه الله تعالى عن كل سوء"[١١].

الثالث : النور ، للخبر المروي عن رسول الله -ﷺ- أنه قال: «لأحرقت سبحات وجهه»[١٢]، نور وجهه .

الرابع : التنزيه ، روي عن النبي -ﷺ- أنه سئل عن التسبيح فقال : «إنزاهُ الله عَنِ السُّوءِ»"[١٣].

قال الزمخشري:" فإن قلت: الإسراء لا يكون إلا بالليل، فما معنى ذكر «الليل»؟

قلت: أراد بقوله: {ليلا} بلفظ التنكير: تقليل مدة الإسراء، وأنه أسرى به في بعض الليل من مكة إلى الشأم مسيرة أربعين ليلة، وذلك أن التنكير فيه قد دل على معنى البعضية. ويشهد

---

[١] مجاز القرآن:٣٦/١.

[٢] معاني القرآن:٦٤/١.

[٣] النكت والعيون:٢٢٤/٣.

[٤] حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون:٢٢٤/٣.

[٥] حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون:٢٢٤/٣.

[٦] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٢٨٧/٤.

[٧] في ديوانه: ١٠٦. وسبق تخريجه مفصلا.

[٨] غريب القرآن:٨.

[٩] انظر: النكت والعيون: ٢٢٤/٣، وتفسير القرطبي:٢٦٨/١٠.

[١٠] انظر: النكت والعيون:٢٢٤/٣.

[١١] تفسير السمعاني:٢٥/٦.

[١٢] الحديث« حجَابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه"».
رواه مسلم (١٧٩) كتاب الإيمان، ٧٩ - باب في قوله صلّى الله عليه وسلّم: "إن الله لا ينام".

[١٣] أخرجه الطبري:٣١٩/١٧-٣٢٠.

لذلك قراءة عبد الله وحذيفة: «مِنَ اللَّيْلِ»[1]، أى: بعض الليل، كقوله: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً} نَافِلَةً} [الإسراء : ٧٩]، يعنى: الأمر بالقيام في بعض الليل"[2].

قال ابن العربي:" قال علماؤنا: لو كان للنبي اسم أشرف منه لسماه في تلك الحالة العلية به، وفي معناه تنشد الصوفية[3]:

يا قوم قلبي عند زهراء ... يعرفها السامع والرائي

لا تدعني إلا بيا عبدها ... فإنه أشرف أسمائي

وقال الأستاذ جمال الإسلام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن: «لما رفعه إلى حضرته السنية، وأرقاه فوق الكواكب العلوية، ألزمه اسم العبودية له، تواضعا للإلهية»"[4].

قال القشيري:" فالآية أوضحت شيئين اثنين: نفى التعجب من إظهار فعل الله عز وجل، ونفى الإعجاب فى وصف رسول الله عليه السلام.

ويقال أخبر عن موسى عليه السلام- حين أكرمه بإسماعه كلامه من غير واسطة- فقال: « {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا} [الأعراف : ١٤٣]، وأخبر عن نبينا ﷺ بأنه {أَسْرَى بِعَبْدِهِ} [الإسراء : ١]، وليس من جاء بنفسه كمن أسرى به ربه، فهذا متحمل وهذا محمول، هذا بنعت الفرق وهذا بوصف الجمع، هذا مريد وهذا مراد"[5].

قوله تعالى:{مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى} [الإسراء : ١]، أي:" من مكة المكرمة إلى بيت المقدس"[6].

قال ابن كثير:" {مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ}، مسجد مكة { إِلَى الْمَسْجِدِ الأقْصَى } وهو بيت المقدس الذي هو إيلياء، معدن الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل ؛ ولهذا جمعوا له هنالك كلهم ، فَأمّهم في مَحِلّتهم، ودارهم ، فدل على أنه هو الإمام الأعظم ، والرئيس المقدم ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين"[7].

قال الطبري:" قوله {إلى المسجد الأقصى} يعني: مسجد بيت المقدس، وقيل له: الأقصى، لأنه أبعد المساجد التي تزار، ويبتغى في زيارته الفضل بعد المسجد الحرام. "[8].

قال الماوردي:{الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى}، " يعني: بيت المقدس ، وهو مسجد سليمان بن داود عليهما السلام وسمي الأقصى لبعد ما بينه وبين المسجد الحرام"[9].

وفي قوله تعالى:{مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} [الإسراء : ١]، قولان:

أحدهما : يعني من :«الحرم»، والحرم كله مسجد. وكان -ﷺ- حين أُسرى به نائماً في بيت أم هانىء بنت أبي طالب، روى ذلك أبو صالح عن أم هانىء[10].

قيل:" المراد بـ«المسجد الحرام»: الحرم، لإحاطته بالمسجد والتباسه به"[11].

وروي عن ابن عباس قال:" الحرم كله المسجد الحرام"[12]. وروي عن سعيد بن جبير[1]، ومجاهد[2]، مثل ذلك.

---

[1] أخرجه الطبري:٣٣٠/١٧.

[2] الكشاف:٦٤٧/٢.

[3]لم أتعرف على القائل، والشعر ورد في: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب:١٩٢/٢، واحكام القرآن لابن لابن العربي: ١١٦/٣، وتفسير القرطبي:٢٣٢/١، وفي اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل:٤٣٣/١، وأضواء البيان للشنقيطي:٨/٣.

[4] أحكام القرآن:١٧٨/٣.

[5] لطائف الإشارات:٣٣٣/٢-٣٣٤.

[6] صفوة التفاسير:١٤٠/٢.

[7] تفسير ابن كثير:٦١٧/٤.

[8] تفسير الطبري:٣٣٣/١٧.

[9] النكت والعيون:٢٢٦/٣.

[10] انظر: تفسير الطبري:٣٣١/١٧.

[11] حكاه الزمخشري في الكشاف:٦٤٧/٢.

[12] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠١٥):ص١٧٧٦/٦.

قال الفراء:" الحرم كله مسجد، يعني: مكة وحرمها"[٣].

قالت أمّ هانئ بنت أبي طالب-رضي الله عنها-: "ما أُسري برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو في بيتي نائم عندي تلك الليلة، فصلى العشاء الآخرة، ثم نام ونمنا، فلما كان قُبيل الفجر، أهبنا رسول الله ﷺ فلما صلى الصبح وصلينا معه قال: «يا أمّ هانِئٍ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَكُمْ العِشاءَ الآخِرَةَ كَمَا رأيْت بِهَذَا الوَادِي، ثُمَّ جِئْتُ بَيْتَ المَقْدِسِ فَصَلَّيْتُ فِيهِ، ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلاةَ الغدَاةِ مَعَكُمُ الآنَ كَمَا تَرِينَ»"[٤].

أخرج الطبراني بسنده عن عكرمة، عن أم هانئ بنت أبي طالب، قالت: "بات رسول الله ﷺ ليلة أسري به في بيتي ففقدته من الليل، فامتنع مني النوم مخافة أن يكون عرض له بعض قريش، فقال رسول الله ﷺ: " إن جبريل أتاني فأخذ بيدي فأخرجني، فإذا على البيت دابة دون البغل، وفوق الحمار، فحملني عليها، ثم انطلق حتى انتهى بي إلى بيت المقدس، فأراني إبراهيم يشبه خلقه خلقي، ويشبه خلقي خلقه، وأراني موسى آدم طويلا، سبط الشعر، شبهته برجال أزد شنوءة، وأراني عيسى ابن مريم ربعة أبيض، يضرب إلى الحمرة شبهته بعروة بن مسعود الثقفي، وأراني الدجال ممسوح العين اليمنى، شبهته بقطن بن عبد العزى، وأنا أريد أن أخرج إلى قريش، فأخبرهم بما رأيت فأخذت بثوبه، فقلت: إني أذكرك الله أنك تأتي قوما يذبونك وينكرون مقالتك، فأخاف أن يسطوا بك، قالت: فضرب ثوبه من يدي، ثم خرج إليهم، فأتاهم وهم جلوس فأخبرهم ما أخبرني "، فقام جبير بن مطعم، فقال: يا محمد لو كنت شابا كما كنت ما تكلمت به، وأنت بين ظهرانينا، فقال رجل من القوم: يا محمد هل مررت بإبل لنا في مكان كذا وكذا؟ قال: «نعم والله، وجدتهم قد أضلوا بعيرا لهم فهم في طلبه» ، فقال: هل مررت بإبل لبني فلان، قال: «نعم، في مكان كذا وكذا قد انكسرت لهم ناقة حمراء فوجدتهم، وعندهم قصعة من ماء فشربت ما فيها» ، قالوا: فأخبرنا عدتها وما فيها من الرعاة، قال: «قد كنت عن عدتها مشغولا» ، فقام فأتي بالإبل فعدها وعلم ما فيها من الرعاة، ثم أتى قريشا فقال: «سألتموني عن إبل بني فلان فهي كذا وكذا، وفيها من الرعاة فلان وفلان، وسألتموني عن إبل بني فلان فهي كذا وكذا، وفيها من الرعاة ابن أبي قحافة، وفلان وفلان، وهي مصبحتكم بالغداة على الثنية» ، قال: فغدوا إلى الثنية ينظرون أصدقهم ما قال، فاستقبلوا الإبل، فسألوا هل ضل لكم بعير؟ قالوا: نعم، فسألوا الآخر هل انكسرت لكم ناقة حمراء؟ قالوا: نعم، قالوا: فهل كانت عندكم قصعة؟ قال أبو بكر: أنا والله وضعتها فما شربها أحد ولا هراقوه في الأرض، وصدقه أبو بكر وآمن به فسمي يومئذ الصديق"[٥].

الثاني : أنه أسرى به من المسجد الحرام بعينه، وفيه كان حين أسري به. روى ذلك أنس بن مالك[٦].

قال الزمخشري:" وهو الظاهر"[٧].

عن شريك بن أبي نمر[٨]، قال: "سمعت أنسا يحدثنا عن ليلة المسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد

---

(١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٠١٦):ص١٧٧٦/٦.

(٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٧٧٦/٦. حكاه دون ذكر الإسناد

(٣) معاني القرآن:١١٥/٢.

(٤) أخرجه الطبري:٣٣١/١٧.

(٥) المعجم الكبير(١٠٥٩):ص٤٣٢/٢٤.

(٦) انظر: تفسير الطبري:٣٣١/١٧-٣٣٢.

(٧) الكشاف:٦٤٧/٢.

(٨)قال النووي في شرحه لصحيح مسلم (المطبعة المصرية ٢: ٢١٠) ذكر البخاري رحمه الله رواية شريك هذه عن أنس في صحيحه وأتى بالحديث مطولا. قال الحافظ عبد الحق رحمه الله في كتابه (الجمع بين الصحيحين) بعد ذكر هذه الرواية: هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك بن أبي نمر عن أنس، وقد زاد فيه زيادة مجهولة، وأتى فيه بألفاظ غير معروفة. وقد روى حديث الإسراء جماعة من الحفاظ المتقنين، والأئمة المشهورين، كابن شهاب، وثابت البناني وقتادة (يعني عن أنس) فلم يأت أحد منهم بما أتى به شريك، وشريك ليس بالحافظ عند

الحرام، فقال أولهم: أيهم هو؟ قال: أوسطهم هو خيرهم، فقال أحدهم: خذوا خيرهم، فكانت تلك الليلة، فلم يرهم حتى جاءوا ليلة أخرى فيما يرى قلبه، والنبي ﷺ تنام عيناه، ولا ينام قلبه. وكذلك الأنبياء تنام أعينهم، ولا تنام قلوبهم. فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم، فتولاه منهم جبرائيل عليه السلام، فشق ما بين نحره إلى لبته، حتى فرغ من صدره وجوفه، فغسله من ماء زمزم حتى أنقى جوفه، ثم أتي بطست من ذهب فيه تور محشو إيمانا وحكمة، فحشا به جوفه وصدره ولغاديده[1] ثم أطبقه ثم ركب البراق، فسار حتى أتى به إلى بيت المقدس فصلى فيه بالنبيين والمرسلين إماما، ثم عرج به إلى السماء الدنيا، فضرب بابا من أبوابها، فناداه أهل السماء: من هذا؟ قال: هذا جبرائيل، قيل: من معك؟ قال: محمد، قيل: أوقد بعث إليه[2]؟ قال: نعم، قالوا: فمرحبا به وأهلا فيستبشر به أهل السماء، لا يعلم أهل السماء بما يريد الله بأهل الأرض حتى يعلمهم، فوجد في السماء الدنيا آدم، فقال له جبرائيل: هذا أبوك، فسلم عليه، فرد عليه، فقال: مرحبا بك وأهلا يا بني، فنعم الابن أنت، ثم مضى به إلى السماء الثانية، فاستفتح جبرائيل بابا من أبوابها، فقيل: من هذا؟ فقال: جبرائيل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم قد أرسل إليه، فقيل: مرحبا به وأهلا ففتح لهما؛ فلما صعد فيها فإذا هو بنهرين يجريان، فقال: ما هذان النهران يا جبرائيل؟ قال: هذا النيل والفرات عنصرهما؛ ثم عرج به إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبرائيل بابا من أبوابها، فقيل: من هذا؟ قال: جبرائيل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: نعم قد بعث إليه، قيل: مرحبا به وأهلا ففتح له فإذا هو بنهر عليه قباب وقصور من لؤلؤ وزبرجد وياقوت، وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله، فذهب يشم ترابه، فإذا هو مسك أذفر، فقال: يا جبرائيل ما هذا النهر؟ قال: هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك في الآخرة؛ ثم عرج به إلى الرابعة، فقالوا له مثل ذلك؛ ثم عرج به إلى الخامسة، فقالوا له مثل ذلك؛ ثم عرج به إلى السادسة، فقالوا له مثل ذلك؛ ثم عرج به إلى السابعة، فقالوا له مثل ذلك، وكل سماء فيها أنبياء قد سماهم أنس، فوعيت منهم إدريس في الثانية، وهارون في الرابعة، وآخر في الخامسة لم أحفظ اسمه، وإبراهيم في السادسة، وموسى في السابعة بتفضيل كلامه الله، فقال موسى: رب لم أظن أن يرفع علي أحد، ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله، حتى جاء سدرة المنتهى، ودنا باب الجبار رب العزة، فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما شاء، وأوحى الله فيما أوحى خمسين صلاة على أمته كل يوم وليلة، ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه، فقال: يا محمد ماذا عهد إليك ربك؟ قال: "عهد إلي خمسين صلاة على أمتي كل يوم وليلة؛ قال: إن أمتك لا تستطيع ذلك، فارجع فليخفف عنك وعنهم، فالتفت إلى جبرائيل كأنه يستشيره في ذلك، فأشار إليه أن نعم، فعاد به جبرائيل حتى أتى الجبار عز وجل وهو مكانه، فقال: "رب خفف عنا، فإن أمتي لا تستطيع هذا، فوضع عنه عشر صلوات؛ ثم رجع إلى موسى عليه السلام فاحتبسه، فلم يزل يردده موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس صلوات، ثم احتبسه عند الخمس، فقال: يا محمد قد والله راودت بني إسرائيل على أدنى من هذه الخمس، فضعفوا وتركوه، فأمتك أضعف أجسادا وقلوبا وأبصارا وأسماعا، فارجع فليخفف عنك ربك، كل ذلك يلتفت إلى جبرائيل ليشير عليه، ولا يكره ذلك جبرائيل، فرفعه عند الخمس، فقال: يا رب إن أمتي ضعاف أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبصارهم، فخفف عنا، قال الجبار ﷻ: يا محمد، قال: لبيك وسعديك، فقال: إني لا يبدل القول لدي كما كتبت عليك في أم الكتاب، ولك بكل حسنة عشر أمثالها، وهي خمسون في أم الكتاب، وهي خمس عليك؛ فرجع إلى موسى، فقال: كيف فعلت؟ فقال: خفف عني، أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها، قال: قد والله راودت بني

أهل الحديث. وانظر أيضا ما قاله الشهاب الخفاجي في "نسيم الرياض في شرح فاء القاضي عياض ٢: ٢٤٣ - ٢٤٤، في نقده لرواية شريك بن أبي نمر سندا ومتنا".

[1] في البخاري (باب التوحيد) : فحشا به صدوره ولغاديده، يعني عروق حلقه.

[2] في البخاري (طبعة الحلبي ٩: ١٨٣) : "وقد بعث". وقد أبقينا رواية المؤلف كما هي، لاختلاف نسخ البخاري في رواية بعض الكلم.

إسرائيل على أدنى من هذا فتركوه فارجع فليخفف عنك أيضا، قال: "يا موسى قد والله استحييت من ربي مما أختلف إليه، قال: فاهبط باسم الله، فاستيقظ وهو في المسجد الحرام"[١].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، أن يقال: إن الله عز وجل أخبر أنه أسرى بعبده من المسجد الحرام والمسجد الحرام هو الذي يتعارفه الناس بينهم إذا ذكروه"[٢].

ثم اختلفوا في كيفية إسرائه على قولين :

أحدهما : أنه أسريَ بجسمه وروحه، روى ذلك ابن المسيب[٣]، وأبو سلمة بن عبد الرحمن[٤]، وأبو هريرة[٥]. وحذيفة بن اليمان[٦].

واختلف قائلو ذلك هل دخل بيت المقدس وصلى فيه أم لا، وفيه قولان:

أحدهما: -وهو الصحيح- ثبت في السنَّة الصحيحة أن النبي صلى الله عليه وسلَّم أمَّ إخوانه الأنبياء في رحلته إلى بيت المقدس.

روى أبو هريرة[٧] أنه صلى فيه بالأنبياء، ثم عرج به إلى السماء ، ثم رجع به إلى المسجد الحرام فصلى فيه صلاة الصبح من صبيحة ليلته.

وعن ابن عباس:" فلما دخل النبي ﷺ المسجد الأقصى قام يصلي، ثم التفت فإذا النبيون أجمعون يصلون معه"[٨].

الثاني: أنه عليه الصلاة والسلام لم يدخل بيت المقدس ولم يُصلّ فيه ولا نزل عن البراق حتى عرج به ، ثم عاد إلى ملكه. وهذا قول حذيفة بن اليمان[٩].

وقال حذيفة:" ولو صلى فيه لكتب عليكم الصلاة فيه، كما كتب عليكم الصلاة عند الكعبة"[١٠].

كما اختلف العلماء هل كانت تلك الصلاة قبل عروج النبي ﷺ إلى السماء أم بعد أن هبط منها ، والراجح : الأول.

---

[١] أخرجه الطبري:١٧/٣٣٢-٣٣٣.

[٢] تفسير الطبري:١٧/٣٣٣.

[٣] انظر: تفسير الطبري:١٧/٣٣٥.

[٤] انظر: تفسير الطبري:١٧/٣٣٥.

[٥] انظر: تفسير الطبري:١٧/٣٣٧.

[٦] انظر: تفسير الطبري:١٧/٣٤٩.

[٧] الحديث روواه كسلم(١٧٢):ص١/١٥٦.

ورد فيه:«لقد رأيتنى فى الحجر وقريش تسألنى عن مسراى فسألتنى عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله لى أنظر إليه ما سألونى عن شىء إلا أنبأتهم به وقد رأيتنى فى جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلى فإذا رجل جعد ضرب كأنه من رجال شنوءة وإذا عيسى ابن مريم قائم يصلى أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفى وإذا إبراهيم قائم يصلى أشبه الناس به صاحبكم يعنى نفسه فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت من الصلاة قال قائل يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت إليه فبدأنى بالسلام».

[٨] أخرجه الإمام احمد في المسند(٢٣٢٤):ص٤/١٦٦.

عن ابن عباس، قال: " ليلة أسري بنبي الله ﷺ، دخل الجنة، فسمع من جانبها وجسا، قال: يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا بلال المؤذن "، فقال نبي الله ﷺ حين جاء إلى الناس: «قد أفلح بلال، رأيت له كذا وكذا،» قال: " فلقيه موسى ﷺ فرحب به، وقال: مرحبا بالنبي الأمي، فقال: وهو رجل آدم طويل، سبط شعره مع أذنيه، أو فوقهما فقال: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا موسى عليه السلام، قال: فمضى فلقيه عيسى، فرحب به، وقال: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا عيسى قال: فمضى فلقيه شيخ جليل مهيب فرحب به وسلم عليه وكلهم يسلم عليه، قال: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أبوك إبراهيم، قال: فنظر في النار فإذا قوم يأكلون الجيف، قال: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ورأى رجلا أحمر أزرق جعدا شعثا إذا رأيته قال: من هذا يا جبريل؟ " قال: هذا عاقر الناقة، قال: فلما دخل النبي ﷺ المسجد الأقصى قام يصلي، ثم التفت فإذا النبيون أجمعون يصلون معه، فلما انصرف جيء بقدحين، أحدهما عن اليمين، والآخر عن الشمال، في أحدهما لبن، وفي الآخر عسل، فأخذ اللبن فشرب منه، فقال: الذي كان معه القدح أصبت الفطرة ".

[٩] انظر: تفسير الطبري:١٧/٣٤٩.

[١٠] أخرجه الطبري:١٧/٣٤٩.

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله:" قال عياض : يحتمل أن يكون صلَّى بالأنبياء جميعاً في بيت المقدس ، ثم صعد منهم إلى السماوات مَن ذُكر أنه ﷺ رآه، ويحتمل أن تكون صلاته بهم بعد أن هبط من السماء فهبطوا أيضاً. ... والأظهر : أن صلاته بهم ببيت المقدس كان قبل العروج"[١].

والقول الثاني : أن النبي صلى الله عليه السلام أسري بروحه ولم يسر بجسمه، روى ذلك عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما فُقِدَ جَسَدُ رسول الله - ﷺ-، ولكن الله أسرى بروحه"[٢].

وروي أن معاوية بن أبي سفيان، كان إذا سئل عن مسرى رسول الله ﷺ قال: "كانت رؤيا من الله صادقة"[٣].

قال ابن إسحاق: "فلم ينكر ذلك من قولها الحسن أن هذه الآية نزلت {وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس} ولقول الله في الخبر عن إبراهيم، إذ قال لابنه {يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى} ثم مضى على ذلك، فعرفت أن الوحي يأتي بالأنبياء من الله أيقاظا ونياما، وكان رسول ﷺ يقول: "تنام عيني وقلبي يقظان" فالله أعلم أي ذلك كان قد جاءه وعاين فيه من أمر الله ما عاين على أي حالاته كان نائما أو يقظانا كل ذلك حق وصدق"[٤].

قال الماوردي:" وكان الحسن يتأول قوله تعالى :{وما جَعَلنا الرؤيا التي أريناك إلاّ فتنةً للناس} [الإسراء : ٦٠] أنها في المعراج ، لأن المشركين كذبوا ذلك وجعلوا يسألونه عن بيت المقدس وما رأى في طريقه فوصفه لهم ، ثم ذكر لهم أنه رأى في طريقه قعباً مغطى مملوءاً ماء ، فشرب الماء ثم غطاه كما كان ، ثم ذكر لهم صفة إبل كانت لهم في طريق الشام تحمل متاعاً ، وأنها تقدُم يوم كذا مع طلوع الشمس ، يقدمها جمل أورق ؛ فخرجوا في ذلك اليوم يستقبلونها ، فقال قائل منهم : هذه والله الشمس قد أشرقت ولم تأت ، وقال آخر : هذه والله العير يقدُمها جمل أورق كما قال محمد . وفي هذا دليل على صحة القول الأول أنه أسرى بجسمه وروحه"[٥].

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله أسرى بعبده محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، كما أخبر الله عباده، وكما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، أن الله حمله على البراق حين أتاه به، وصلى هنالك بمن صلى من الأنبياء والرسل، فأراه ما أراه من الآيات؛ ولا معنى لقول من قال: أسرى بروحه دون جسده، لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن في ذلك ما يوجب أن يكون ذلك دليلا على نبوته، ولا حجة له على رسالته، ولا كان الذين أنكروا حقيقة ذلك من أهل الشرك، وكانوا يدفعون به عن صدقه فيه، إذ لم يكن منكرا عندهم، ولا عند أحد من ذوي الفطرة الصحيحة من بني آدم أن يرى الرائي منهم في المنام ما على مسيرة سنة، فكيف ما هو على مسيرة شهر أو أقل؟ وبعد، فإن الله إنما أخبر في كتابه أنه أسرى بعبده، ولم يخبرنا أنه أسرى بروح عبده، وليس جائزا لأحد أن يتعدى ما قال الله إلى غيره. فإن ظن ظان أن ذلك جائز، إذ كانت العرب تفعل ذلك في كلامها، كما قال قائلهم[٦]:

---

[١] فتح الباري:٢٠٩/٧.

[٢] أخرجه الطبري:٣٥٠/١٧.

[٣] أخرجه الطبري:٣٤٩/١٧.

[٤] أخرجه الطبري:٣٥٠/١٧.

[٥] النكت والعيون:٢٢٦/٣.

[٦] انظر: نوادر أبي زيد: ١١٦، ومعاني القرآن للفراء ١/ ٦١ - ٦٢، واللسان (ويب) (عنق) (عقا) (بغم) وغيرها.

البيت من أبيات لذى الخرق الطهوى يخاطب ذئبا تبعه فى طريقه، وقبله:

ألم تعجب لذئب بات يسرى ... ليؤذن صاحبا له باللحاق

و «ويب» كلمة مثل «ويل» تقول: ويبك وويب زيد كما تقول ويلك معناه: ألزمك الله ويلا نصب نصب المصادر. فإن جئت باللام رفعت، قلت: ويب لزيد ونصبت منونا فقلت ويبا لزيد.

وبغام الناقة صوت لا تفصح به. والعناق: الأنثى من المعز.

وانظر الاختلاف في اسم الشاعر، ومن سمي باسمه في المؤتلف والمختلف: ١١٩، والخزانة ١: ٢٠، ٢١

حسبت بغام راحلتي عناقا ... وما هي ويب غيرك بالعناق

يعني: حسبت بغام راحلتي صوت عناق، فحذف الصوت واكتفى منه بالعناق، فإن العرب تفعل ذلك فيما كان مفهوما مراد المتكلم منهم به من الكلام. فأما فيما لا دلالة عليه إلا بظهوره، ولا يوصل إلى معرفة مراد المتكلم إلا ببيانه، فإنها لا تحذف ذلك؛ ولا دلالة تدل على أن مراد الله من قوله :{أسرى بعبده} أسرى بروح عبده، بل الأدلة الواضحة، والأخبار المتتابعة عن رسول الله ﷺ أن الله أسرى به على دابة يقال لها البراق؛ ولو كان الإسراء بروحه لم تكن الروح محمولة على البراق، إذ كانت الدواب لا تحمل إلا الأجسام. إلا أن يقول قائل: إن معنى قولنا: أسرى روحه: رأى في المنام أنه أسرى بجسده على البراق، فيكذب حينئذ بمعنى الأخبار التي رويت عن رسول الله ﷺ، أن جبرائيل حمله على البراق، لأن ذلك إذا كان مناما على قول قائل هذا القول، ولم تكن الروح عنده مما تركب الدواب، ولم يحمل على البراق جسم النبي صلى الله عليه وسلم، لم يكن النبي ﷺ على قوله حمل على البراق لا جسمه، ولا شيء منه، وصار الأمر عنده كبعض أحلام النائمين، وذلك دفع لظاهر التنزيل، وما تتابعت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، وجاءت به الآثار عن الأئمة من الصحابة والتابعين"[1].

قوله تعالى:{الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ} [الإسراء : ١]، أي:" الذي بارك الله حوله في الزروع والثمار وغير ذلك، وجعله محلا لكثير من الأنبياء"[2].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: الذي جعلنا حوله البركة لسكانه في معايشهم وأقواتهم وحروثهم وغروسهم"[3].

وفي تفسير قوله تعالى:{الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ} [الإسراء : ١]، ثلاثة وجوه:

أحدها : يعني بالثمار ومجاري الأنهار. وهذا معنى قول السدي[4]، وبه قال الفراء[5].

قال السدي:" أنبتنا حوله الشجر"[6].

قال ابن كثير:" أي : في الزروع والثمار "[7].

الثاني : بمن جعل حوله من الأنبياء والصالحين ولهذا جعله مقدساً. حكاه الماوردي[8].

وروي ابن حوالة الأزدى عن النبي-ﷺ- قال:« أتدرى ما يقول الله فى الشام، إن الله يقول: يا شام أنت صفوتى من بلادى فيك خيرتى من عبادى إن الله تكفل لى بالشام وأهله»[9].

الثالث: يريد بركات الدين والدنيا، لأنه متعبد الأنبياء من وقت موسى ومهبط الوحى، وهو محفوف بالأنهار الجارية والأشجار المثمرة. قاله الزمخشري[10].

قوله تعالى:{لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا} [الإسراء : ١]، أي:" ليشاهد عجائب قدرة الله وأدلة وحدانيته"[11].

قال الفراء:" يعني النبي ﷺ حين أسري به ليريه تلك الليلة العجائب"[12].

---

(١) تفسير الطبري:٣٥١/١٧.

(٢) التفسير الميسر:٢٨٢.

(٣) تفسير الطبري:٣٥١/١٧.

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣١٧٨):ص٢٣٠٩/٧.

(٥) انظر: معاني القرآن:١١٥/٢.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣١٧٨):ص٢٣٠٩/٧.

(٧) تفسير ابن كثير:٦١٧/٤.

(٨) انظر: النكت والعيون:٢٢٧/٣-٢٢٨.

(٩)أخرجه الطبرانى كما فى مجمع الزوائد (٥٩/١٠) قال الهيثمى: رواه الطبرانى من طريقين ورجال أحدهما رجال الصحيح، غير صالح بن رستم، وهو ثقة. وأخرجه أيضا: الطبرانى فى الشاميين (٣٤٥/١، رقم ٦٠١) . وابن عساكر (١٢٠/١) .
والحديث عند أبى داود وغيره وسيأتى بطرف: "سيصير الأمر".

(١٠) انظر: الكشاف:٦٤٨/٢.

(١١) التفسير الميسر:٢٨٢.

(١٢) معاني القرآن:١١٥/٢.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: كي نري عبدنا محمدا من آياتنا، يقول: من عبرنا وأدلتنا وحججنا، وذلك هو ما قد ذكرت في الأخبار التي رويتها آنفا، أن رسول الله ﷺ أريه في طريقه إلى بيت المقدس، وبعد مصيره إليه من عجائب العبر والمواعظ"[1].

عن قتادة، قوله :"{لنريه من آياتنا}، ما أراه الله من الآيات والعبر في طريق بيت المقدس"[2].

وفي قوله تعالى:{لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا} [الإسراء : ١]، وجهان[3]:

أحدهما : أن الآيات التي أراه في هذا المسرى أن أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في ليلة ، وهي مسيرة شهر .

الثاني : أنه أراه في هذا المسرى آيات.

وفيها قولان[4]:

أحدهما : ما أراه من العجائب التي فيها اعتبار .

الثاني : من أري من الأنبياء حتى وصفهم واحداً واحداً.

وقرأ الحسن: «ليريه» بالياء، ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم فقيل: {أسرى} ثم {باركنا} ثم «ليريه»، على قراءة الحسن، ثم {من آياتنا}، ثم {إنه هو}، وهي طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة[5].

قوله تعالى:{إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الإسراء : ١]، أي:" إن الله سبحانه وتعالى هو السميع لجميع الأصوات، البصير بكل مُبْصَر، فيعطي كُلا ما يستحقه في الدنيا والآخرة"[6].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن الذي أسرى بعبده هو السميع لما يقول هؤلاء المشركون من أهل مكة في مسرى محمد ﷺ من مكة إلى بيت المقدس، ولغير ذلك من قولهم وقول غيرهم، البصير بما يعملون من الأعمال، لا يخفى عليه شيء من ذلك، ولا يعزب عنه علم شيء منه، بل هو محيط بجميعه علما، ومحصيه عددا، وهو لهم بالمرصاد، ليجزي جميعهم بما هم أهله"[7].

قال ابن كثير:"أي : السميع لأقوال عباده ، مؤمنهم وكافرهم ، مصدقهم ومكذبهم ، البصير بهم فيعطي كلا ما يستحقه في الدنيا والآخرة "[8].

قال الزمخشري:" {السميع} لأقوال محمد، {البصير} بأفعاله، العالم بتهذبها وخلوصها، فيكرمه ويقربه على حسب ذلك"[9].

وفي قوله تعالى:{إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الإسراء : ١]، وجهان[10]:

أحدهما : أنه وصف نفسه في هذه الحال بالسميع والبصير ، وإن كانتا من صفاته اللازمة لذاته في الأحوال كلها لأنه حفظ رسوله عند إسرائه في ظلمة الليل فلا يضر ألا يبصر فيها ، وسمع دعاءه فأجابه إلى ما سأل ، فلهذين وصف الله نفسه بالسميع البصير .

الثاني : أن قومه كذبوه عن آخرهم بإسرائه ، فقال : {السميع} يعني: لما يقولونه من تصديق أو تكذيب ، {البصير} لما يفعله من الإسراء والمعراج .

الفوائد:

---

[1] تفسير الطبري:١٧/٣٥١.

[2] أخرجه الطبري:١٧/٣٥٢.

[3] انظر: النكت والعيون:٣/٢٢٧.

[4] انظر: النكت والعيون:٣/٢٢٧.

[5] انظر: الكشاف:٢/٦٤٨.

[6] التفسير الميسر:٢٨٢.

[7] تفسير الطبري:١٧/٣٥٢.

[8] تفسير ابن كثير:٤/٦١٧- ٥/٦.

[9] الكشاف:٢/٦٤٨.

[10] انظر: النكت والعيون:٣/٢٢٧.

١- أن كمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله تعالى. وكلما ازداد العبد تحقيقا للعبودية ازداد كماله وعلت درجته ومن توهم أن المخلوق يخرج عن العبودية بوجه من الوجوه، وأن الخروج عنها أكمل، فهو من أجهل الخلق وأضلهم.
٢- في الآية الدليل على أن الإسراء بجسده في اليقظة، قال تعالى: {سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى} و«العبد»: عبارة عن مجموع الجسد والروح، كما أن الإنسان اسم لمجموع الجسد والروح، هذا هو المعروف عند الإطلاق، وهو الصحيح. فيكون الإسراء بهذا المجموع، ولا يمتنع ذلك عقلا، ولو جاز استبعاد صعود البشر لجاز استبعاد نزول الملائكة، وذلك يؤدي إلى إنكار النبوة.
٣- أن الحكمة في الإسراء إلى بيت المقدس أولا: أنه كان ذلك إظهارا لصدق دعوى الرسول ﷺ المعراج حين سألته قريش عن نعت بيت المقدس فنعته لهم وأخبرهم عن عيرهم التي مر عليها في طريقه، ولو كان عروجه إلى السماء من مكة لما حصل ذلك، إذ لا يمكن اطلاعهم على ما في السماء لو أخبرهم عنه، وقد اطلعوا على بيت المقدس، فأخبرهم بنعته.
٤- وأن في في حديث المعراج دليل على ثبوت صفة العلو لله تعالى من وجوه، لمن تدبره، وبالله التوفيق.
٥- اثبات اسمين من أسمائه تعالى، وهما:«السميع»، «االبصير»:
- فـ«السميع»: هو "الذي يسمع جميع الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات، فالسر عنده علانية البعيد عنده قريب"[1].
- و«البصير»: يعني: "المدرك لجميع المبصرات" [2].

قال السعدي:" «البصير»: الذي أحاط بصره بجميع المبصرات في أقطار الأرض والسماوات، حتى أخفى ما يكون فيها فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، وجميع أعضائها الباطنة، والظاهرة، وسريان القوت في أعضائها الدقيقة، ويرى سريان المياه في أغصان الأشجار، وعروقها وجميع النباتات على اختلاف أنواعها، وصغرها، ودقتها، ويرى نياط[3] عروق النملة، والنحلة، والبعوضة، وأصغر من ذلك، فسبحان من تحدث العقول في عظمته، وسعة متعلقات صفاته، وكمال عظمته، ولطفه، وخبره بالغيب، والشهادة والحاضر، والغائب، ويرى خيانات الأعين، وتقلبات الأجفان، وحركات الجنان، قال تعالى: {الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}[الشعراء:٢١٨-٢٢٠] {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ}[غافر:١٩] {وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}[البروج:٩] أي مطلع، ومحيط علمه، وبصره، وسمعه بجميع الكائنات"[4].

القرآن

{وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا (٢)} [الإسراء : ٢]

التفسير:

وكما كرَّم الله محمدًا ﷺ بالإسراء، كَرَّم موسى عليه السلام بإعطائه التوراة، وجعلها بيانًا للحق وإرشادًا لبني إسرائيل، متضمنة نهيهم عن اتخاذ غير الله تعالى وليًا أو معبودًا يفوضون إليه أمورهم.

---

[1] توضيح الكافية الشافية:١١٨، وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي:٢٠٩.
[2] انظر: شرح العقيدة الواسطية، ابن عثيمين:٢٠٨/١.
[3] النياط: أي العرق المستبطن. انظر: القاموس المحيط (ص٨٩٢.
[4] الحق الواضح المبين :٣٥ ، ٣٦.

قوله تعالى:{وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ} [الإسراء : ٢]، أي:" أعطينا موسى التوراة"[١].
قال ابن كثير:" يعني: التوراة"[٢].
قوله تعالى:{وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ} [الإسراء : ٢]، أي:" هدايةً لبني إسرائيل يخرجهم بواسطة ذلك الكتاب من ظلمات الجهل والكفر إلى نور العلم والإيمان"[٣].
قال ابن كثير:" أي الكتاب، هاديا { لِبَنِي إِسْرَائِيلَ} "[٤].
قال قتادة:" جعله الله لهم هدى، يخرجهم من الظلمات إلى النور، وجعله رحمة لهم"[٥].
قوله تعالى:{أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا} [الإسراء : ٢]، أي:" متضمنة نهيهم عن اتخاذ غير الله تعالى وليًا أو معبودًا يفوضون إليه أمورهم"[٦].
قال ابن كثير:" أي: لئلا تتخذوا { مِنْ دُونِي وَكِيلا }، أي وليًا ولا نصيرًا ولا معبودًا دوني ؛ لأن الله تعالى أنزل على كل نبي أرسله أن يعبده وحده لا شريك له"[٧].
وفي قوله تعالى:{أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا} [الإسراء : ٢]، وجوه:
أحدها : شريكاً ، قاله مجاهد[٨].
قال الطبري:" كأن مجاهدا جعل إقامة من أقام شيئا سوى الله مقامه شريكا منه له، ووكيلا للذي أقامه مقام الله"[٩].
الثاني : يعني: وليا. قاله مقاتل[١٠].
الثالث: يعني: ربّاً يتوكلون عليه في أمورهم ، قاله سهل التستري[١١]، والكلبي[١٢]، والفراء[١٣].
الرابع : كفيلاً بأمورهم ، حكاه الفراء[١٤].
وقرئ:« ألا يتخذوا»، بالياء على الخبر عن بني إسرائيل[١٥].
الفوائد:
١- بيان إفضال الله تعالى على الأمتين الإسلامية والإسرائيلية.
٢- بيان سر إنزال الكتب وهو هداية الناس عبادة الله تعالى وتوحيده فيها.
٣- أن الله تعالى هو مالك الملك، أما البشر فهم المستخلفون فيه، فالملك لله، وهو وكيلهم، فالملك لهم، وذلك ملك الاستخلاف، وبهذا كان الحق تعالى مالك الملك.
٤- أن التوكل فريضة يجب إخلاصه لله تعالى لأنه من أفضل العبادات، وأعلى مقامات التوحيد. بل لا يقوم به على وجه الكمال إلا خواص المؤمنين، قال تعالى: {أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً}.

القرآن
{ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (٣)} [الإسراء : ٣]

---

[١] صفوة التفاسير: ١٤٠/٢.
[٢] تفسير ابن كثير:٤٦/٥.
[٣] صفوة التفاسير: ١٤٠/٢.
[٤] تفسير ابن كثير:٤٦/٥.
[٥] أخرجه الطبري:٣٥٣/١٧.
[٦] التفسير الميسر:٢٨٢.
[٧] تفسير ابن كثير:٤٦/٥.
[٨] انظر: تفسير مجاهد:٤٢٨، وتفسير الطبري:٣٥٣/١٧.
[٩] تفسير الطبري:٣٥٣/١٧.
[١٠] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٢٠/٢.
[١١] انظر: تفسير التستري:٥٢.
[١٢] انظر: النكت والعيون:٢٢٧/٣.
[١٣] انظر: معاني القرآن:١١٦/٢.
[١٤] انظر: معاني القرآن:١١٦/٢.
[١٥] انظر: تفسير الطبري:٣٥٢/١٧.

التفسير:
يا سلالة الذين أنجيناهم وحَمَلْناهم مع نوح في السفينة لا تشركوا بالله في عبادته، وكونوا شاكرين لنعمه، مقتدين بنوح عليه السلام؛ إنه كان عبدًا شكورًا لله بقلبه ولسانه وجوارحه.

قوله تعالى:{ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ} [الإسراء : ٣]، أي:" يا سلالة الذين أنجيناهم وحَمَلْناهم مع نوح في السفينة لا تشركوا بالله في عبادته، وكونوا شاكرين لنعمه، مقتدين بنوح عليه السلام"[١].

قال ابن كثير:" تقديره : يا ذرية من حملنا مع نوح. فيه تهييج وتنبيه على المنة، أي : يا سلالة من نجينا فحملنا مع نوح في السفينة ، تشبهوا بأبيكم "[٢].

قال الطبري:" عنى بالذرية: جميع من احتج عليه جل ثناؤه بهذا القرآن من أجناس الأمم، عربهم وعجمهم من بني إسرائيل وغيرهم، وذلك أن كل من على الأرض من بني آدم، فهم من ذرية من حمله الله مع نوح في السفينة"[٣].

قال قتادة:" والناس كلهم ذرية من أنجى الله في تلك السفينة، وذكر لنا أنه ما نجا فيها يومئذ غير نوح وثلاثة بنين له، وامرأته وثلاث نسوة، وهم: سام، وحام، ويافث؛ فأما سام: فأبو العرب؛ وأما حام: فأبو الحبش؛ وأما يافث: فأبو الروم"[٤].

عن مجاهد :"{ذرية من حملنا مع نوح}، من بني إسرائيل وغيرهم"[٥].

وقال مجاهد: "بنوه ونساؤهم ونوح، ولم تكن امرأته"[٦].

قوله تعالى:{إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} [الإسراء : ٣]، أي:" إنه كان عبدًا شكورًا لله بقلبه ولسانه وجوارحه"[٧].

قال الطبري: يعني:" نوح كان عبدا شكورا لله على نعمه"[٨].

قال ابن كثير: أي:"فاذكروا أنتم نعمتي عليكم بإرسالي إليكم محمدًا ﷺ "[٩].

عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، عن النبي ﷺ قال : "أنا سيد الناس يوم القيامة - بطوله ، وفيه - : فيأتون نوحًا فيقولون : يا نوح ، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وقد سماك الله عبدًا شكورًا ، اشفع لنا إلى ربك"[١٠]. وذكر الحديث بكماله.

وفي قوله تعالى:{إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} [الإسراء : ٣]، وجوه:

أحدها : أنه سماه شكوراً لأنه كان يحمد الله إذا لبس ثوبا أو أكل طعاما، فسمي عبدا شكورا، قاله سلمان[١١]، وسعيد بن مسعود[١٢].

وقال مجاهد :" إنه لم يجدد ثوبا قط إلا حمد الله، ولم يبل ثوبا قط إلا حمد الله، وإذا شرب شربة حمد الله، قال: الحمد لله الذي سقانيها على شهوة ولذة وصحة، وليس في تفسيرها، وإذا شرب شربة قال هذا، ولكن بلغني ذا"[١٣].

عن عمران بن سليم، قال: "إنما سمي نوح عبدا شكورا أنه كان إذا أكل الطعام قال: الحمد لله الذي أطعمني، ولو شاء أجاعني وإذا شرب قال: الحمد لله الذي سقاني، ولو شاء

---

[١] التفسير الميسر:٢٨٢.
[٢] تفسير ابن كثير:٤٦/٥.
[٣] تفسير الطبري:٣٥٣/١٧.
[٤] أخرجه الطبري:٣٥٣/١٧.
[٥] أخرجه الطبري:٣٥٤/١٧.
[٦] أخرجه الطبري:٣٥٣/١٧.
[٧] التفسير الميسر:٢٨٢.
[٨] تفسير الطبري:٣٥٤/١٧.
[٩] تفسير ابن كثير:٤٦/٥.
[١٠]صحيح البخاري برقم (٤٧١٢).
[١١] انظر: تفسير الطبري:٣٥٤/١٧.
[١٢] انظر: تفسير الطبري:٣٥٤/١٧.
[١٣] أخرجه الطبري:٣٥٤/١٧.

أظمأني، وإذا لبس ثوبا قال: الحمد لله الذي كساني، ولو شاء أعراني، وإذا لبس نعلا قال: الحمد لله الذي حذاني، ولو شاء أحفاني، وإذا قضى حاجة قال: الحمد لله الذي أخرج عني أذاه، ولو شاء حبسه"[1].

الثاني : ما أخرجه الطبري بسنده عن ابن أبي مريم ، قال: "إنما سمى الله نوحا عبدا شكورا، أنه كان إذا خرج البراز منه قال: الحمد لله الذي سوغنيك طيبا، وأخرج عنى أذاك، وأبقى منفعتك"[2].

أنه كان يستجد ثوباً إلا حمد الله تعالى عند لباسه ، قاله قتادة[3].

وقال قتالدة:" كان إذا لبس ثوبا قال: الحمد لله، وإذا أخلقه قال: الحمد لله"[4].

وقال قتادة:" وكان يأمر إذا استجد الرجل ثوبا أن يقول: الحمد لله الذي كساني ما أتجمل به، وأواري به عورتي"[5].

ويحتمل وجهين[6]:

أحدهما : أن نوحاً كان عبداً شكوراً فجعل الله تعالى موسى من ذريته .

الثاني : أن موسى كان عبداً شكوراً إذ جعله تعالى من ذرية نوح .

الفوائد:

١- وجوب شكر الله تعالى على نعمه.

٢- امتنان الله على بني إسرائيل أنهم ذرية ذلك العبد الصالح نوح عليه السلام.

٣- بطلان وصف اليهود للأنبياء عليه السلام في التوراة المحرفة:

من يقرأ التوراة والكتب الملحقة بها يجد أن أنبياء الله والموكلين بهداية الناس وتعليمهم الهدى والخير لا يتمتعون بصفات الصالحين والأتقياء، بل يجد أن العهد القديم ينسب إليهم كثيراً من المخازي والقبائح التي يتنزه عنها كثير من الناس العاديين. فكيف يليق أن ينسب شيء من ذلك إلى الأنبياء الذين قد اصطفاهم الله وخصهم بهذه المهمة العظيمة وهي تبليغ دينه والذين هم قدوة للصالحين وأئمة في البر والتقى.

ومما لاشك فيه أن الأنبياء عليهم السلام أكمل الناس ديناً وورعاً وتقوى، وأن الله اصطفاهم ورعاهم وكملهم وحفظهم وعصمهم من القبائح والرذائل، هذه حقيقتهم بلا مراء ولا تردد، وما أضافه اليهود إليهم مما لا يليق نسبته إليهم هو محض إفتراء وكذب، ودليل واضح على تحريفهم لكتبهم لأغراض في نفوسهم، غير مراعين حرمة لمقام النبوة، ولا لما جبل الله عليه أولئك الأنبياء عليهم السلام من الكمال البشري في خلْقهم وخُلقهم.

ومن الأمثلة الدالة على تحريف اليهود لكتابهم بطعنهم في أنبياء الله عز وجل ووصفهم بالصفات التي لا يجوز بحال نسبتها إليهم فمن ذلك قولهم في: نوح عليه السلام، إذ زعم اليهود في كتابهم أن نوحاً عليه السلام، شرب الخمر وتعرى داخل خبائه وفي هذا قالوا في سفر التكوين (٢٠/٩) "وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً وشرب من الخمر وتعرى داخل خبائه".

هكذا وصفوا نبي الله نوحاً عليه السلام وهو أول أنبياء الله إلى المشركين والذي دعا قومه إلى دين الله ألف سنة إلا خمسين عاماً كما ذكر الله عز وجل حيث قال: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ} [العنكبوت:١٤].

---

[1] أخرجه الطبري:٣٥٥/١٧.

[2] تفسير الطبري:٣٥٥/١٧.

[3] انظر: تفسير الطبري:٣٥٥/١٧.

[4] أخرجه الطبري:٣٥٥/١٧.

[5] أخرجه الطبري:٣٥٥/١٧.

[6] انظر: النكت والعيون:٢٢٨/٣.

وامتن الله على بني إسرائيل أنهم ذرية ذلك العبد الصالح نوح عليه السلام فقال جل وعلا {وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدىً لِبَنِي إِسْرائيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً} [الإسراء:٣].

فامتن الله على بني إسرائيل بنسبتهم إلى ذلك العبد الصالح، واليهود يصفونه بتلك النقيصة، وما ذلك منهم إلاّ خدمة لأهوائهم وأغراضهم التي تتضح من بقية كلامهم في القصة نفسها حيث يقولون بعد الكلام السابق في سفر التكوين (٢٢/٩) "فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجاً، فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما، فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به إبنه الصغير. فقال ملعون كنعان عبد العبيد يكون لإخوته".

فيتضح من هذا النص أن مقصد اليهود منه لعن الكنعانيين الذين كانوا أعداءً لبني إسرائيل، كما أن فيه خطأً ظاهراً من ناحية أن حام هو الذي أبصر عورة أبيه حسب النص السابق، فلماذا يلعن ابنه كنعان، مع أن لحام أبناءً آخرين غير كنعان فإن اليهود قالوا في سفر التكوين (٦/١٠) "وبنو حام كوش ومصر ايم ونوط وكنعان".

فلماذا خُص كنعان من بين إخوته؟ ما ذلك إلا لهدف خاص في نفوسهم وهو لعن الكنعانيين أعدائهم ولو كان بالافتراء على الله عز وجل وعلى نبيه نوح عليه السلام[1].

القرآن

{وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤)} [الإسراء : ٤]

التفسير:

وأخبرنا بني إسرائيل في التوراة التي أُنزلت عليهم بأنه لا بد أن يقع منهم إفساد مرتين في «بيت المقدس» وما والاه بالظلم، وقَتْل الأنبياء والتكبر والطغيان والعدوان.

قوله تعالى:{وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ} [الإسراء : ٤]، أي:" وأخبرنا بني إسرائيل في التوراة التي أُنزلت عليهم"[2].

قال ابن كثير:" يقول تعالى : إنه قضى إلى بني إسرائيل في الكتاب ، أي : تقدم إليهم وأخبرهم في الكتاب الذي أنزله عليهم "[3].

وفي قوله تعالى:{وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ}، وجوه:

أحدها: معناه: أعلمناهم. قاله ابن عباس[4]، وابن زيد[5].

قال الطبري:" معنى «القضاء»: الفراغ من الشيء، ثم يستعمل في كل مفروغ منه، فتأويل الكلام في هذا الموضع: وفرغ ربك إلى بني إسرائيل فيما أنزل من كتابه على موسى صلوات الله وسلامه عليه بإعلامه إياهم، وإخباره لهم.."[6].

قال ابن كثير:" كما قال تعالى : { وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ } [الحجر : ٦٦] أي : تقدمنا إليه وأخبرناه بذلك وأعلمناه به "[7].

الثاني: معناه:أنه قضاء مضى عليهم. قاله ابن عباس أيضا[8]، وقتادة[1].

---

[1] انظر: دراسات في الاديان اليهودية والنصرانية:١٠٨-١٠٩.

[2] التفسير الميسر:٢٨٢.

[3] تفسير ابن كثير:٤٨/٥.

[4] انظر: تفسير الطبري:٣٥٦/١٧.

[5] انظر: تفسير الطبري:٣٥٦/١٧.

[6] تفسير الطبري:٣٥٦/١٧.

[7] تفسير ابن كثير:٤٨/٥.

[8] انظر: تفسير الطبري:٣٥٦/١٧.

قال قتادة:" قضاء قضاه على القوم كما تسمعون"[٢].
الثالث: معناه: اخبرناهم. قاله مجاهد[٣].
الرابع: معناه: حكمنا ، قاله قتادة[٤].
قال الطبري:" وكل هذه الأقوال تعود معانيها إلى ما قلت في معنى قوله (وقضينا) وإن كان الذي اخترنا من التأويل فيه أشبه بالصواب لإجماع القراء على قراءة قوله (لتفسدن) بالتاء دون الياء، ولو كان معنى الكلام: وقضينا عليهم في الكتاب، لكانت القراءة بالياء أولى منها بالتاء، ولكن معناه لما كان أعلمناهم وأخبرناهم، وقلنا لهم: كانت التاء أشبه وأولى للمخاطبة"[٥].
قوله تعالى:{لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ} [الإسراء : ٤]، أي:" ليحصلنَّ منكم الإفساد في أرض فلسطين وما حولها مرتين"[٦].
قال الطبري:" يقول: لتعصن الله يا معشر بني إسرائيل ولتخالفن أمره في بلاده مرتين.."[٧].
قال الطبري:" أما إفسادهم في الأرض المرة الآخرة، فلا اختلاف بين أهل العلم أنه كان قتلهم يحيى بن زكريا"[٨].
قال الماوردي:" الفاسد الذي فعلوه قتلهم للناس ظلماً وتغلبهم على أموالهم قهراً، وإخراب ديارهم بغياً"[٩].
عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: "إن بني إسرائيل لما اعتدوا وعلوا، وقتلوا الأنبياء، بعث الله عليهم ملك فارس بختنصر، وكان الله ملكه سبع مئة سنة، فسار إليهم حتى دخل بيت المقدس فحاصرها وفتحها، وقتل على دم زكريا سبعين ألفا، ثم سبى أهلها وبني الأنبياء، وسلب حلي بيت المقدس، واستخرج منها سبعين ألفا ومئة ألف عجلة من حلي حتى أورده بابل، قال حذيفة: فقلت: يا رسول الله لقد كان بيت المقدس عظيما عند الله؟ قال: أجل بناه سليمان بن داود من ذهب ودر وياقوت وزبرجد، وكان بلاطه بلاطة من ذهب وبلاطة من فضة، وعمده ذهبا، أعطاه الله ذلك، وسخر له الشياطين يأتونه بهذه الأشياء في طرفة عين، فسار بختنصر بهذه الأشياء حتى نزل بها بابل، فأقام بنوا إسرائيل في يديه مئة سنة تعذبهم المجوس وأبناء المجوس، فيهم الأنبياء وأبناء الأنبياء، ثم إن الله رحمهم، فأوحى إلى ملك من ملوك فارس يقال له كورس، وكان مؤمنا، أن سر إلى بقايا بني إسرائيل حتى تستنقذهم، فسار كورس ببني إسرائيل وحلي بيت المقدس حتى رده إليه، فأقام بنو إسرائيل مطيعين لله مئة سنة، ثم إنهم عادوا في المعاصي، فسلط الله عليهم ابطيانحوس فغزا بأبناء من غزا مع بختنصر، فغزا بني إسرائيل حتى أتاهم بيت المقدس، فسبى أهلها، وأحرق بيت المقدس، وقال لهم: يا بني إسرائيل إن عدتم في المعاصي عدنا عليكم بالسباء، فعادوا في المعاصي، فسير الله عليهم السباء الثالث ملك رومية، يقال له قاقس بن إسبايوس، فغزاهم في البر والبحر، فسباهم وسبى حلي بيت المقدس، وأحرق بيت المقدس بالنيران، فقال رسول الله ﷺ: هذا من صنعة حلي بيت المقدس، ويرده المهدي إلى بيت المقدس، وهو ألف سفينة وسبع مئة سفينة، يرسى بها على يافا حتى تنقل إلى بيت المقدس، وبها يجمع الله الأولين والآخرين"[١٠].

---

[١] انظر: تفسير الطبري:٣٥٦/١٧.
[٢] أخرجه الطبري:٣٥٦/١٧.
[٣] انظر: تفسير الطبري:٣٥٦/١٧.
[٤] انظر: النكت والعيون:٢٢٨/٣.
[٥] تفسير الطبري:٣٥٦/١٧.
[٦] صفوة التفاسير:١٤٠/٢.
[٧] تفسير الطبري:٣٥٦/١٧.
[٨] تفسير الطبري:٣٦٥/١٧ .
[٩] النكت والعيون:٢٢٨/٣.
[١٠] أخرجه الطبري:٣٥٧/١٧-٣٥٨.

قال ابن إسحاق،: "كان مما أنزل الله على موسى في خبره عن بني إسرائيل، وفي أحداثهم ما هم فاعلون بعده، فقال {وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا} .... إلى قوله {وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا} فكانت بنو إسرائيل، وفيهم الأحداث والذنوب، وكان الله في ذلك متجاوزا عنهم، متعطفا عليهم محسنا إليهم، فكان مما أنزل بهم في ذنوبهم ما كان قدم إليهم في الخبر على لسان موسى مما أنزل بهم في ذنوبهم، فكان أول ما أنزل بهم من تلك الوقائع، أن ملكا منهم كان يدعى صديقة، وكان الله إذا ملك الملك عليهم، بعث نبيا يسدده ويرشده، ويكون فيما بينه وبين الله، ويحدث إليه في أمرهم، لا ينزل عليهم الكتب، إنما يؤمرون باتباع التوراة والأحكام التي فيها، وينهونهم عن المعصية، ويدعونهم إلى ما تركوا من الطاعة؛ فلما ملك ذلك الملك، بعث الله معه شعياء بن أمصيا[1] وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وعيسى وشعياء الذي بشر بعيسى ومحمد، فملك ذلك الملك بني إسرائيل وبيت المقدس زمانا؛ فلما انقضى ملكه عظمت فيهم الأحداث، وشعياء معه، بعث الله عليهم سنحاريب ملك بابل، ومعه ست مئة ألف راية، فأقبل سائرا حتى نزل نحو بيت المقدس، والملك مريض في ساقه قرحة، فجاء النبي شعياء، فقال له: يا ملك بني إسرائيل إن سنحاريب ملك بابل، قد نزل بك هو وجنوده ست مئة ألف راية، وقد هابهم الناس وفرقوا منهم، فكبر ذلك على الملك، فقال: يا نبي الله هل أتاك وحي من الله فيما حدث، فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا وبسنحاريب وجنوده، فقال له النبي عليه السلام: لم يأتني وحي أحدث إلي في شأنك، فبيناهم على ذلك، أوحى الله إلى شعياء النبي: أن ائت ملك بني إسرائيل، فمره أن يوصي وصيته، ويستخلف على ملكه من شاء من أهل بيته. فأتى النبي شيعاء ملك بني إسرائيل صديقة، فقال له: إن ربك قد أوحى إلي أن آمرك أن توصي وصيتك، وتستخلف من شئت على ملكك من أهل بيتك، فإنك ميت؛ فلما قال ذلك شعياء لصديقة، أقبل على القبلة، فصلى وسبح ودعا وبكى، فقال وهو يبكي ويتضرع إلى الله بقلب مخلص وتوكل وصبر وصدق وظن صادق، اللهم رب الأرباب، وإله الآلهة، قدوس المتقدسين، يا رحمن يا رحيم، المترحم الرءوف الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، اذكرني بعملي وفعلي وحسن قضائي على بني إسرائيل وذلك كله كان منك، فأنت أعلم به من نفسي؛ سري وعلانيتي لك، وإن الرحمن استجاب له وكان عبدا صالحا، فأوحى الله إلى شعياء أن يخبر صديقة الملك أن ربه قد استجاب له وقبل منه ورحمه، وقد رأى بكاءه، وقد أخر أجله خمس عشرة سنة، وأنجاه من عدوه سنحاريب ملك بابل وجنوده، فأتى شعياء النبي إلى ذلك الملك فأخبره بذلك، فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع، وانقطع عنه الشر والحزن وخر ساجدا وقال: يا إلهي وإله آبائي، لك سجدت وسبحت وكرمت وعظمت، أنت الذي تعطي الملك من تشاء، وتنزعه ممن تشاء، وتعز من تشاء، وتذل من تشاء، عالم الغيب والشهادة، أنت الأول والآخر، والظاهر والباطن، وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين، أنت الذي أحببت دعوتي ورحمت تضرعي؛ فلما رفع رأسه، أوحى الله إلى شعياء أن قل للملك صديقة فيأمر عبدا من عبيده بالتينة، فيأتيه بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى، ويصبح وقد برأ، ففعل ذلك فشفي، وقال الملك لشعياء النبي: سل ربك أن يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا، قال: فقال الله لشعياء النبي: قل له: إني قد كفيتك عدوك، وأنجيتك منه، وإنهم سيصبحون موتى كلهم إلا سنحاريب وخمسة من كتابه؛ فلما أصبحوا جاءهم صارخ ينبئهم، فصرخ على باب المدينة: يا ملك بني إسرائيل، إن الله قد كفاك عدوك فاخرج، فإن سنحاريب ومن معه قد هلكوا؛ فلما خرج الملك التمس سنحاريب، فلم يوجد في الموتى، فبعث الملك في طلبه، فأدركه الطلب في مغارة وخمسة من كتابه، أحدهم بختنصر، فجعلوهم في الجوامع، ثم أتوا بهم ملك بني إسرائيل؛ فلما رآهم خر ساجدا من حين طلعت الشمس حتى كانت العصر، ثم قال لسنحاريب: كيف ترى فعل ربنا بكم؟ ألم يقتلكم بحوله وقوته، ونحن وأنتم غافلون؟ فقال سنحاريب له: قد أتاني خبر ربكم،

---

[1] اسمه في الكتاب المقدس: إشعياء بن آموص. وانظر خبر النبي شعياء في تاريخ الطبري (٢ قسم أول ٦٣٩) طبعة أوربة.

ونصره إياكم، ورحمته التي رحمكم بها قبل أن أخرج من بلادي، فلم أطع مرشدا، ولم يلقني في الشقوة إلا قلة عقلي، ولو سمعت أو عقلت ما غزوتكم، ولكن الشقوة غلبت علي وعلى من معي، فقال ملك بني إسرائيل: الحمد لله رب العزة الذي كفاناكم بما شاء، إن ربنا لم يبقك ومن معك لكرامة بك عليه، ولكنه إنما أبقاك ومن معك لما هو شر لك، لتزدادوا شقوة في الدنيا، وعذابا في الآخرة، ولتخبروا من وراءكم بما لقيتم من فعل ربنا، ولتنذروا من بعدكم، ولولا ذلك ما أبقاكم، فلدمك ودم من معك أهون على الله من دم قراد لو قتلته، ثم إن ملك بني إسرائيل أمر أمير حرسه، فقذف في رقابهم الجوامع، وطاف بهم سبعين يوما حول بيت المقدس إيليا، وكان يرزقهم في كل يوم خبزتين من شعير لكل رجل منهم، فقال سنحاريب لملك بني إسرائيل: القتل خير مما يفعل بنا، فافعل ما أمرت، فنقل بهم الملك إلى سجن القتل، فأوحى الله إلى شعياء النبي أن قل لملك بني إسرائيل يرسل سنحاريب ومن معه لينذروا من وراءهم، وليكرمهم ويحملهم حتى يبلغوا بلادهم؛ فبلغ النبي شعياء الملك ذلك، ففعل، فخرج سنحاريب ومن معه حتى قدموا بابل؛ فلما قدموا جمع الناس فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده، فقال له كهانه وسحرته: يا ملك بابل قد كنا نقص عليك خبر ربهم وخبر نبيهم، ووحي الله إلى نبيهم، فلم تطعنا، وهي أمة لا يستطيعها أحد مع ربهم، فكان أمر سنحاريب مما خوفوا، ثم كفاهم الله تذكرة وعبرة، ثم لبث سنحاريب بعد ذلك سبع سنين، ثم مات"[١].

وفيمن قتلوه من الأنبياء في الفساد الأول قولان :

أحدهما : أنه زكريا قاله ابن عباس[٢].

أخرج الطبري بسنده عن السدي في خبر ذكره عن أبي صالح، وعن أبي مالك، عن ابن عباس، وعن مرة، عن عبد ا :"أن الله عهد إلى بني إسرائيل في التوراة {لتفسدن في الأرض مرتين} فكان أول الفسادين: قتل زكريا، فبعث الله عليهم ملك النبط، وكان يدعى صحابين فبعث الجنود، وكان أساورته من أهل فارس، فهم أولو بأس شديد، فتحصنت بنو إسرائيل، وخرج فيهم بختنصر يتيما مسكينا، إنما خرج يستطعم، وتلطف حتى دخل المدينة فأتى مجالسهم، فسمعهم يقولون: لو يعلم عدونا ما قذف في قلوبنا من الرعب بذنوبنا ما أرادوا قتالنا، فخرج بختنصر حين سمع ذلك منهم، واشتد القيام على الجيش، فرجعوا، وذلك قول الله {فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا} ثم إن بني إسرائيل تجهزوا، فغزوا النبط، فأصابوا مهم واستنقذوا ما في أيديهم، فذلك قول الله {ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا} يقول: عددا"[٣].

وقال ابن زيد: "كان إفسادهم الذي يفسدون في الأرض مرتين: قتل زكريا ويحيى بن زكريا، سلط الله عليهم سابور ذا الأكتاف ملكا من ملوك فارس، من قتل زكريا، وسلط عليهم بختنصر من قتل يحيى"[٤].

الثاني : أنه شعياً ، قاله ابن إسحاق[٥]، وأن زكريا مات حتف أنفه[٦].

قال الطبري:" أما إفسادهم في الأرض المرة الآخرة، فلا اختلاف بين أهل العلم أنه كان قتلهم يحيى بن زكريا"[٧].

قال الماوردي:"أما المقتول من الأنبياء في الفساد الثاني فيحيى بن زكريا في قول الجميع قال مقاتل : وإن كان بينهما مائتا سنة وعشر"[٨].

---

[١] أخرجه الطبري:١٧/٣٥٨-٣٥٩.
[٢] انظر: تفسير الطبري:١٧/٢٥٦-٢٥٧.
[٣] تفسير الطبري:١٧/٣٥٦-٣٥٧.
[٤] أخرجه الطبري:١٧/٣٥٧.
[٥] انظر: تفسير الطبري:١٧/٣٦٤-٣٦٥.
[٦] انظر: النكت والعيون:٣/٢٢٩.
[٧]تفسير الطبري:١٧/٣٦٥ .
[٨] النكت والعيون:٣/٢٢٩.

أخرج الطبري بسنده عن عبد الله بن الزبير أنه قال، وهو يحدث عن قتل يحيى بن زكريا قال: "ما قتل يحيى بن زكريا إلا بسبب امرأة بغي من بغايا بني إسرائيل، كان فيهم ملك، وكان يحيى بن زكريا تحت يدي ذلك الملك، فهمت ابنة ذلك الملك بأبيها، فقالت: لو أني تزوجت بأبي فاجتمع لي سلطانه دون النساء، فقالت له: يا أبت تزوجني ودعته إلى نفسها، فقال لها: يا بنية إن يحيى بن زكريا لا يحل لنا هذا، فقالت: من لي بيحيى بن زكريا ضيق علي، وحال بيني وبين أن أتزوج بأبي، فأغلب على ملكه ودنياه دون النساء؛ قال: فأمرت اللعابين ومحلت بذلك لأجل قتل يحيى بن زكريا، فقالت: ادخلوا عليه فالعبوا، حتى إذا فرغتم فإنه سيحكمكم، فقولوا: دم يحيى بن زكريا ولا تقبلوا غيره. وكان اسم الملك رواد، واسم ابنته البغي، وكان الملك فيهم إذا حدث فكذب، أو وعد فأخلف خلع فاستبدل به غيره؛ فلما ألعبوه وكثر عجبه منهم، قال: سلوني أعطكم، فقالوا له: نسألك دم يحيى بن زكريا أعطنا إياه، قال: ويحكم سلوني غير هذا، فقالوا: لا نسألك شيئا غيره، فخاف على ملكه إن هو أخلفهم أن يستحل بذلك خلعه، فبعث إلى يحيى بن زكريا وهو جالس في محرابه يصلي، فذبحوه في طست ثم حزوا رأسه، فاحتمله رجل في يده والدم يحمل في الطست معه. قال: فطلع برأسه يحمله حتى وقف به على الملك، ورأسه يقول في يدي الذي يحمله لا يحل لك ذلك، فقال رجل من بني إسرائيل: أيها الملك لو أنك وهبت لي هذا الدم؟ فقال: وما تصنع به؟ قال: أطهر منه الأرض، فإنه كان قد ضيقها علينا، فقال: أعطوه هذا الدم، فأخذه فجعله في قلة، ثم عمد به إلى بيت في المذبح، فوضع القلة فيه، ثم أغلق عليه، ففار في القلة حتى خرج منها من تحت الباب من البيت الذي هو فيه؛ فلما رأى الرجل ذلك، فظع به، فأخرجه فجعله في فلاة من الأرض، فجعل يفور، وعظمت فيهم الأحداث، ومنهم من يقول: أقر مكانه في القربان ولم يحول"[1].

قوله تعالى:{وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا} [الإسراء : ٤]، أي:" تطغون في الأرض المقدسة طغياناً كبيراً بالظلمِ والعدوان وانتهاك محارم الله"[2].

قال ابن كثير:" أي : يتجبرون ويطغون ويفجرون على الناس"[3].

قال الطبري:" يقول: ولتستكبرن على الله باجترائكم عليه استكبارا شديدا"[4].

قال مجاهد:" ولتعلن الناس علوا كبيرا"[5].

القرآن

{فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (٥)} [الإسراء : ٥]

التفسير:

فإذا وقع منهم الإفساد الأول سَلَّطْنا عليهم عبادًا لنا ذوي شجاعة وقوة شديدة، يغلبونكم ويقتلونكم ويشردونكم، فطافوا بين ديارهم مفسدين، وكان ذلك وعدًا لا بدَّ مِن وقوعه؛ لوجود سببه منهم.

قوله تعالى:{فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا} [الإسراء : ٥]، أي:" فإذا وقع منهم الإفساد الأول"[6].

قال الطبري:" يعني: فإذا جاء وعد أولى المرتين اللتين يفسدون بهما في الأرض"[7].

قال ابن زيد:" إذا جاء وعد أولى تينك المرتين اللتين قضينا إلى بني إسرائيل :{لتفسدن في الأرض مرتين}"[1].

---

[1] تفسير الطبري:٣٨٤/١٧.
[2] صفوة التفاسير:١٤٠/٢-١٤١.
[3] تفسير ابن كثير:٤٨/٥.
[4] تفسير الطبري:٣٥٦/١٧.
[5] أخرجه الطبري:٣٦٥/١٧.
[6] التفسير الميسر:١٤١/٢.
[7] تفسير الطبري:٣٦٥/١٧.

قوله تعالى:{بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ} [الإسراء : ٥]، أي:" سَلَّطْنا عليهم عبادًا لنا ذوي شجاعة وقوة شديدة"[٢].

قال الطبري:" وجهنا إليكم، وأرسلنا عليكم {عبادا لنا أولي بأس شديد}، يقول: ذوي بطش في الحروب شديد"[٣].

في قوله: {بَعَثْنَا} [الإسراء : ٥]، وجهان :

أحدهما : خلينا بينكم وبينهم خذلاناً لكم بظلمكم ، قاله الحسن[٤].

الثاني : أمرنا بقتالكم انتقاماً منكم. ذكره الماوردي[٥].

الثالث: وجهنا إليكم، وأرسلنا عليكم. قاله الطبري[٦].

وفي المبعوث عليهم في هذه المرة الأولى خمسة أقوال :

أحدها : جالوت وكان ملكهم طالوت إلى أن قتله داود عليه السلام ، قاله ابن عباس[٧]، وقتادة[٨].

قال ابن عباس:" بعث الله عليهم جالوت، فجاس خلال ديارهم، وضرب عليهم الخراج والذل، فسألوا الله أن يبعث لهم ملكا يقاتلون في سبيل الله، فبعث الله طالوت، فقاتلوا جالوت، فنصر الله بني إسرائيل، وقتل جالوت بيدي داود، ورجع الله إلى بني إسرائيل ملكهم"[٩].

قال قتادة:" فبعث عليهم في الأولى جالوت الجزري، فسبى وقتل، وجاسوا خلال الديار كما قال الله، ثم رجع القوم على دخن فيهم"[١٠].

وقال قتادة:" أما المرة الأولى فسلط الله عليهم جالوت، حتى بعث طالوت ومعه داود، فقتله داود"[١١].

الثاني : أنه بختنصر ، وهو قول سعيد بن المسيب[١٢].

الثالث : أنه سنحاريب ، قاله سعيد بن جبير[١٣].

قال سعيد بن جبير:" بعث الله تبارك وتعالى عليهم في المرة الأولى سنحاريب من أهل أثور ونينوى، فسألت سعيدا عنها، فزعم أنها الموصل"[١٤].

وقال سعيد بن جبير:" كان رجل من بني إسرائيل يقرأ حتى إذا بلغ {بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد}، بكى وفاضت عيناه، وطبق المصحف، فقال ذلك ما شاء الله من الزمان، ثم قال: أي رب أرني هذا الرجل الذي جعلت هلاك بني إسرائيل على يديه، فأري في المنام مسكينا ببابل، يقال له بختنصر، فانطلق بمال وأعبد له، وكان رجلا موسرا، فقيل له أين تريد؟ قال: أريد التجارة حتى نزل دارا ببابل، فاستكراها ليس فيها أحد غيره، فحمل يدعو المساكين ويلطف[١٥] بهم حتى لم يبق أحد، فقال: هل بقي مسكين غيركم؟ قالوا: نعم، مسكين بفج آل فلان مريض يقال له بختنصر، فقال لغلمته: انطلقوا، حتى أتاه، فقال: ما اسمك؟ قال: بختنصر، فقال لغلمته: احتملوه، فنقله إليه ومرضه حتى برأ، فكساه وأعطاه نفقة، ثم آذن الإسرائيلي بالرحيل،

---

[١] أخرجه الطبري:٣٦٥/١٧.

[٢] التفسير الميسر:١٤١/٢.

[٣] تفسير الطبري:٣٦٥/١٧.

[٤] انظر: النكت والعيون:٢٢٩/٣.

[٥] انظر: النكت والعيون:٢٢٩/٣.

[٦] انظر: تفسير الطبري:٣٦٥/١٧.

[٧] انظر: تفسير الطبري:٣٦٦/١٧.

[٨] انظر: تفسير الطبري:٣٦٦/١٧-٣٦٧.

[٩] أخرجه الطبري:٣٦٦/١٧ .

[١٠] اخرجه الطبري:٣٦٧/١٧.

[١١] اخرجه الطبري:٣٦٧/١٧.

[١٢] انظر: النكت والعيون:٢٢٩/٣.

[١٣] انظر: تفسير الطبري:٣٦٧/١٧.

[١٤] أخرجه الطبري:٣٦٧/١٧.

[١٥] في عرائس المجالس للثعلبي: ويتلطف بهم، حتى لا يأتيه أحد مسكين إلا أعطاه.

فبكى بختنصر، فقال الإسرائيلي: ما يبكيك؟ قال: أبكي أنك فعلت بي ما فعلت، ولا أجد شيئا أجزيك، قال: بلى شيئا يسيرا، إن ملكت أطعتني، فجعل الآخر يتبعه ويقول: تستهزئ بي، ولا يمنعه أن يعطيه ما سأله، إلا أنه يرى أنه يستهزئ به، فبكى الإسرائيلي وقال: ولقد علمت ما يمنعك أن تعطيني ما سألتك، إلا أن الله يريد أن ينفذ ما قد قضاه وكتب في كتابه وضرب الدهر من ضربه؛ فقال يوما صيحون، وهو ملك فارس ببابل: لو أنا بعثنا طليعة إلى الشام؟ قالوا: وما ضرك لو فعلت؟ قال: فمن ترون؟ قالوا: فلان، فبعث رجلا وأعطاه مئة ألف، وخرج بختنصر في مطبخه، لم يخرج إلا ليأكل في مطبخه؛ فلما قدم الشام ورأى صاحب الطليعة أكثر أرض الله فرسا ورجلا جلدا، فكسر ذلك في ذرعه، فلم يسأل[١] قال: فجعل بختنصر يجلس مجالس أهل الشام فيقول: ما يمنعكم أن تغزوا بابل، فلو غزوتموها ما دون بيت مالها شيء، قالوا: لا نحسن القتال، قال: فلو أنكم غزوتم، قالوا: إنا لا نحسن القتال ولا نقاتل حتى أنفذ مجالس أهل الشام، ثم رجعوا فأخبر الطليعة ملكهم بما رأى، وجعل بختنصر يقول لفوارس الملك: لو دعاني الملك لأخبرته غير ما أخبره فلان؛ فرفع ذلك إليه، فدعاه فأخبره الخبر وقال: إن فلانا لما رأى أكثر أرض الله فرسا ورجلا جلدا، كبر ذلك في روعه ولم يسألهم عن شيء، وإني لم أدع مجلسا بالشام إلا جالست أهله، فقلت لهم كذا وكذا، وقالوا لي كذا وكذا، الذي ذكر سعيد بن جبير أنه قال لهم، قال الطليعة لبختنصر: إنك فضحتني[٢] لك مئة ألف وتنزع عما قلت، قال: لو أعطيتني أعطيتني بيت مال بابل ما نزعت، ضرب الدهر من ضربه؛ فقال الملك: لو بعثنا جريدة خيل إلى الشام، فإن وجدوا مساغا ساغوا، وإلا انثنوا ما قدروا عليه، قالوا: ما ضرك لو فعلت؟ قال: فمن ترون؟ قالوا: فلان، قال: بل الرجل الذي أخبرني ما أخبرني، فدعا بختنصر وأرسله، وانتخب معه أربعة آلاف من فرسانهم، فانطلقوا فجاسوا خلال الديار، فسبوا ما شاء الله ولم يخربوا ولم يقتلوا، ومات صيحون الملك[٣] قالوا: استخلفوا رجلا قالوا: على رسلكم حتى تأتي أصحابكم فإنهم فرسانكم، لن ينقضوا عليكم شيئا، أمهلوا؛ فأمهلوا حتى جاء بختنصر بالسبي وما معه، فقسمه في الناس، فقالوا: ما رأينا أحدا أحق بالملك من هذا، فملكوه"[٤].

الرابع : أنهم العمالقة وكانوا كفاراً ، قاله الحسن[٥].

الخامس : أنهم كانوا قوماً من أهل فارس يتجسسون أخبارهم ، وهو قول مجاهد[٦].

قال مجاهد:" من جاءهم من فارس يتجسسون أخبارهم، ويسمعون حديثهم، معهم بختنصر، فوعى أحاديثهم من بين أصحابه، ثم رجعت فارس ولم يكن قتال، ونصرت عليهم بنو إسرائيل، فهذا وعد الأولى"[٧].

قوله تعالى:{فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ} [الإسراء : ٥]، أي:" فطافوا بين ديارهم مفسدين"[٨].
مفسدين"[٨].

قال الطبري:" يقول: فترددوا بين الدور والمساكن، وذهبوا وجاءوا"[٩].

قال الصابوني: أي:"فطافوا وسط البيوت يروحون ويغدون للتفتيش عنكم واستئصالكم بالقتل والسلب والنهب لا يخافون من أحد"[١٠].

وفي قوله تعالى:{فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ} [الإسراء : ٥]، وجوه من التفسير:

---

[١] في عرائس المجالس للثعلبي: فلم يسألهم عن شيء.
[٢] كذا في تاريخ الطبري طبع أوربة. وفي الأصل: إن صحبتني. تحريف.
[٣] كذا في عرائس المجالس للثعلبي ص ٣٣٦ طبعة الحلبي، وفي الأصل: ورمى في جنازة صحورا.
[٤] أخرجه الطبري:١٧/٣٦٧-٣٦٨.
[٥] انظر: النكت والعيون:٣/٢٢٩.
[٦] انظر: تفسير الطبري:١٧/٣٦٨.
[٧] أخرجه الطبري:١٧/٣٦٨.
[٨] التفسير الميسر:٢/١٤١.
[٩] تفسير الطبري:١٧/٣٦٥.
[١٠] صفوة التفاسير:٢/١٤١.

أحدها : يعني: مشوا وترددوا بين الدور والمساكن، قال ابن عباس[١].
قال الماوردي:"وهو أبلغ في القهر"[٢].
الثاني : معناه: فداسوا خلال الديار ، ومنه قول الشاعر[٣]:
إِلَيْكَ جُسْتُ اللَّيْلَ بِالمَطِيِّ
الثالث : معناه: فقتلوهم بين الدور والمساكن، وهذا قول أبي عبيدة[٤]، ومنه قول حسان بن ثابت[٥]:
ومِنَّا الَّذِي لاقَى بِسَيْفِ مُحَمَّدٍ ... فَجَاس بِهِ الأَعْدَاءَ عَرْضَ العَسَاكرِ
وقال الفراء: يعني:" قتلوكم بين بيوتكم، {فجاسوا} في معنى :أخذوا وحاسوا أيضا بالحاء في ذلك المعنى"[٦].
الرابع : معناه: فتشوا وطلبوا خلال الديار ، قاله أبو عبيدة[٧].
الخامس : معناه: نزلوا خلال الديار ، قاله قطرب[٨]، ومنه قول الشاعر[٩]:
فَجُسنا ديارهم عَنْوَةً ... وأبنا بساداتهم موثَقينا
السادس: معناه: فطافوا في خلال الديار ينظرون: هل بقي أحد لم يقتلوه، و«الجوس» طلب الشيء باستقصاء. قاله الزجاج[١٠].
وقال ابن سلام البغدادي:" فتخللوا الأزقة بلغة جذام"[١١].
السابع: معناه: عاثوا بين الديار وأفسدوا. قاله ابن قتيبة[١٢].
قال الراغب:" أي: توسطوها وترددوا بينها، ويقارب ذلك جازوا وداسوا، وقيل: الجوس: طلب ذلك الشيء باستقصاء، والمجوس معروف"[١٣].
قال ابن كثير:" أي : تملكوا بلادكم وسلكوا خلال بيوتكم ، أي : بينها ووسطها ، وانصرفوا ذاهبين وجائين لا يخافون أحدا"[١٤].
قوله تعالى:{وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا} [الإسراء : ٥]، أي:" كان ذلك التسليط والانتقام قضاءً جزماً حتماً لا يقبل النقض والتبديل"[١٥].

القرآن
{ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦)} [الإسراء : ٦]
التفسير:

---

[١] انظر: تفسير الطبري:٣٦٦/١٧.
[٢] النكت والعيون:٢٢٩/٣.
[٣] انظر: النكت والعيون:٢٢٩/٣.
[٤] انظر: مجاز القرآن:٣٧٠/١.
[٥]لم أجده في ديوانه المطبوع، وورد في "تفسير الطبري" ١٧/ ٣٦٦، و"الماوردي" ٣/ ٢٢٩، و"الطوسي" ٦/ ٤٤٩، و"القرطبي" ١٠/ ٢١٦، والشوكاني ٣/ ٣٠٠، و"الدر المصون" ٧/ ٣١٤.
[٦] معاني القرآن:١١٦/٢.
[٧] حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون:٢٣٠/٣.
[٨] انظر: النكت والعيون:٢٢٩/٣، وتفسير القرطبي:٢١٦/١٠، والبحر المحيط:٦/٧، والدر المصون:٣١٤/٧، واللباب في علوم الكتاب:٢١٠/١٢.
[٩] انظر: البيت في : النكت والعيون:٢٢٩/٣، وتفسير القرطبي:٢١٦/١٠، والبحر المحيط:٦/٧، والدر المصون:٣١٤/٧، واللباب في علوم الكتاب:٢١٠/١٢، وفتح القدير للشوكاني:٢٤٩/٣.
[١٠] انظر: معاني القرآن:٢٢٧/٣.
[١١] لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم:٧.
[١٢]انظر: غريب القرآن:٢٥١ .
[١٣] المفردات:٢١٢.
[١٤] تفسير ابن كثير:٤٧/٥.
[١٥] صفوة التفاسير:١٤١/٢.

ثم رَدَدْنا لكم -يا بني إسرائيل- الغلبة والظهور على أعدائكم الذين سُلِّطوا عليكم، وأكثرنا أرزاقكم وأولادكم، وقَوَّيناكم وجعلناكم أكثر عددًا من عدوكم؛ وذلك بسبب إحسانكم وخضوعكم لله.

قوله تعالى:{ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ} [الإسراء : ٦]، أي:" ثم رَدَدْنا لكم -يا بني إسرائيل- الغلبة والظهور على أعدائكم الذين سُلِّطوا عليكم"[١].

قال أبو عبيدة:" أعقبنا لكم الدولة"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ثم أدلناكم يا بني إسرائيل على هؤلاء القوم الذين وصفهم جل ثناؤه أنه يبعثهم عليهم"[٣].

قال قتادة:" ثم رددت الكرة لبني إسرائيل"[٤].

وفي كيفية الظفر بهم، ثلاثة أقوال:

أحدها : أن بني إسرائيل غزوا ملك بابل واستنقذوا ما فيه يديه من الأسرى والأموال. ذكره السدي[٥].

قال الطبري:" وكانت تلك الإدالة والكرة لهم عليهم، فيما ذكر السدي في خبره أن بني إسرائيل غزوهم، وأصابوا منهم، واستنقذوا ما في أيديهم منهم. وفي قول آخرين: إطلاق الملك الذي غزاهم ما في يديه من أسراهم، ورد ما كان أصاب من أموالهم عليهم من غير قتال"[٦].

الثاني : أن ملك بابل أطلق من في يده من الأسرى ، وردّ ما في يده من الأموال. حكاه الماوردي[٧].

الثالث : أنه كان بقتل جالوت حين قتله داود. وهذا قول ابن عباس[٨].

قال الطبري:" وفي قول ابن عباس الذي رواه عطية عنه هي إدالة الله إياهم من عدوهم جالوت حتى قتلوه"[٩].

قوله تعالى:{وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ} [الإسراء : ٦]، أي:" وأكثرنا أرزاقكم وأولادكم، وقَوَّيناكم"[١٠].

قال الطبري:" يقول: وزدنا فيما أعطيناكم من الأموال والبنين"[١١].

قال قتادة:" أي: عددا، وذلك في زمن داود"[١٢].

عن السدي :"{وجعلناكم أكثر نفيرا}، يقول: عددا"[١٣].

قال ابن زيد:" جعلناكم بعد هذا أكثر عددا"[١٤].

قال سفيان:" أربعة آلاف"[١٥].

قوله تعالى:{وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا} [الإسراء : ٦]، أي:" وجعلناكم أكثر عددًا من عدوكم"[١].

---

[١] التفسير الميسر: ٢٨٢.
[٢] مجاز القرآن:٣٧١/١.
[٣] تفسير الطبري:٣٧٠/١٧.
[٤] أخرجه الطبري:٣٧٠/١٧.
[٥] انظر: تفسير الطبري:٣٧٠/١٧.
[٦] تفسير الطبري:٣٧٠/١٧.
[٧] انظر: النكت والعيون:٢٣٠/٣.
[٨] انظر: تفسير الطبري:٣٧٠/١٧.
[٩] تفسير الطبري:٣٧٠/١٧.
[١٠] التفسير الميسر: ٢٨٢.
[١١] تفسير الطبري:٣٧٠/١٧.
[١٢] أخرجه الطبري:٣٧٠/١٧.
[١٣] أخرجه الطبري:٣٧٠/١٧.
[١٤] أخرجه الطبري:٣٧٠/١٧.
[١٥] أخرجه الطبري:٣٧٠/١٧.

قال الطبري:" يقول: وصيرناكم أكثر عدد نافر منهم"[٢].

فوائد الآيات:[٤-٦]:

١- ما قضاه الله تعالى كائن، وما وعد به ناجز، والإيمان بذلك واجب.

٢- التنديد بالإفساد والظلم والعلو في الأرض، وبيان سوء عاقبتها.

٣- ومن الفوائد: أن القضاء ينقسم إلى قسمين:

أ- قضاء شرعي.

ب- قضاء كوني.

فالقضاء الشرعي: يجوز وقوعه من المقضي عليه وعدمه، ولا يكون إلا فيما يحبه الله. مثال ذلك: هذه الآية: {وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه} فتكون قضى بمعنى: شرع، أو بمعنى: وصى، وما أشبههما.

والقضاء الكوني: لا بد من وقوعه، ويكون فيما أحبه الله، وفيما لا يحبه.

مثال ذلك: قوله تعالى: {وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا} [الإسراء:٤] فالقضاء هنا كوني، لأن الله لا يشرع الفساد في الأرض، ولا يحبه[٣].

القرآن

{إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (٧)} [الإسراء : ٧]

التفسير:

إن أحسنتم أفعالكم وأقوالكم فقد أحسنتم لأنفسكم؛ لأن ثواب ذلك عائد إليكم، وإن أسأتم فعقاب ذلك عائد عليكم، فإذا حان موعد الإفساد الثاني سَلَّطْنا عليكم أعداءكم مرة أخرى؛ ليذلوكم ويغلبوكم، فتظهر آثار الإهانة والمذلة على وجوهكم، وليدخلوا عليكم «بيت المقدس» فيخرِّبوه، كما خرَّبوه أول مرة، وليدمروا كل ما وقع تحت أيديهم تدميرًا كاملا.

قوله تعالى:{إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ} [الإسراء : ٧]، أي:" إن أحسنتم أفعالكم وأقوالكم فقد أحسنتم لأنفسكم؛ لأن ثواب ذلك عائد إليكم"[٤].

قال الواحدي:" إن أطعتم الله فيما بقي عفا عنكم المساوئ"[٥].

قال السمعاني:" يعني: جلبتم النفع إليها"[٦].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لبني إسرائيل فيما قضى إليهم في التوراة {إن أحسنتم} يا بني إسرائيل، فأطعتم الله وأصلحتم أمركم، ولزمتم أمره ونهيه {أحسنتم} وفعلتم ما فعلتم من ذلك {لأنفسكم}، لأنكم إنما تنفعون بفعلتكم ما تفعلون من ذلك أنفسكم في الدنيا والآخرة. أما في الدنيا فإن الله يدفع عنكم من بغاكم سوءا، وينمي لكم أموالكم، ويزيدكم إلى قوتكم قوة. وأما في الآخرة فإن الله تعالى يثيبكم به جنانه"[٧].

قوله تعالى:{وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا} [الإسراء : ٧]، أي:" وإن أسأتم فعقاب ذلك عائد عليكم"[٨].

قال الواحدي:" بالفساد وعصيان الأنبياء وقتلهم، فعليها يقع الوبال"[٩]

---

(١) التفسير الميسر: ٢٨٢.

(٢) تفسير الطبري:٣٧٠/١٧.

(٣) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد:٣٠/١.

(٤) التفسير الميسر: ٢٨٢.

(٥) الوجيز:٦٢٨.

(٦) تفسير السمعاني:٢٢٠/٣.

(٧) تفسير الطبري:٣٧١/١٧.

(٨) التفسير الميسر: ٢٨٢.

(٩) الوجيز:٦٢٨.

قال الطبري:" يقول: وإن عصيتم الله وركبتم ما نهاكم عنه حينئذ، فإلى أنفسكم تسيئون، لأنكم تسخطون بذلك على أنفسكم ربكم، فيسلط عليكم في الدنيا عدوكم، ويمكن منكم من بغاكم سوءا، ويخلدكم في الآخرة في العذاب المهين"[1].

قال الزمخشري:" أى: الإحسان والإساءة: كلاهما مختص بأنفسكم، لا يتعدى النفع والضرر إلى غيركم"[2].

وعن على رضى الله عنه: "ما أحسنت إلى أحد ولا أسأت إليه". وتلا هذه الآية[3].

قوله تعالى:{فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ} [الإسراء : ٧]، أي:" فإذا حان موعد الإفساد الثاني"[4].

قال الواحدي:أي:" المرَّة الأخيرة من إفسادكم وجواب «إذا» محذوف على تقدير: بعثناهم"[5]

قال الطبري:" يقول: فإذا جاء وعد المرة الآخرة من مرّتيّ إفسادكم يا بني إسرائيل في الأرض"[6].

قال الطبري:" وكان مجيء وعد المرة الآخرة عند قتلهم يحيى، كما حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي في الحديث الذي ذكرنا إسناده قبل أن رجلا من بني إسرائيل رأى في النوم أن خراب بيت المقدس وهلاك بني إسرائيل على يدي غلام يتيم ابن أرملة من أهل بابل، يدعى بختنصر، وكانوا يصدقون فتصدق رؤياهم، فأقبل فسأل عنه حتى نزل على أمه وهو يحتطب، فلما جاء وعلى رأسه حزمة من حطب ألقاها، ثم قعد في جانب البيت فضمه، ثم أعطاه ثلاثة دراهم، فقال: اشتر لنا بها طعاما وشرابا، فاشترى بدرهم لحما وبدرهم خبزا وبدرهم خمرا، فأكلوا وشربوا حتى إذا كان اليوم الثاني فعل به ذلك، حتى إذا كان اليوم الثالث فعل ذلك، ثم قال له: إني أحب أن تكتب لي أمانا إن أنت ملكت يوما من الدهر، فقال: أتسخر بي؟ فقال: إني لا أسخر بك، ولكن ما عليك أن تتخذ بها عندي يدا، فكلمته أمه، فقالت: وما عليك إن كان ذلك وإلا لم ينقصك شيئا، فكتب له أمانا، فقال له: أرأيت إن جئت والناس حولك قد حالوا بيني وبينك، فاجعل لي آية تعرفني بها قال: نرفع صحيفتك على قصبة أعرفك بها، فكساه وأعطاه. ثم إن ملك بني إسرائيل كان يكرم يحيى بن زكريا، ويدني مجلسه، ويستشيره في أمره، ولا يقطع أمرا دونه، وأنه هوى أن يتزوج ابنة امرأة له، فسأل يحيى عن ذلك، فنهاه عن نكاحها وقال: لست أرضاها لك، فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى حين نهاه أن يتزوج ابنتها، فعمدت أم الجارية حين جلس الملك على شرابه، فألبستها ثيابا رقاقا حمرا، وطيبتها وألبستها من الحلي، وقيل: إنها ألبستها فوق ذلك كساء أسود، وأرسلتها إلى الملك، وأمرتها أن تسقيه، وأن تعرض له نفسها، فإن أرادها على نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما سألته، فإذا أعطاها ذلك سألته أن يأتي برأس يحيى بن زكريا في طست، ففعلت، فجعلت تسقيه وتعرض له نفسها؛ فلما أخذ فيه الشراب أرادها على نفسها، فقالت: لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك، فقال: ما الذي تسأليني؟ قالت: أسألك أن تبعث إلى يحيى بن زكريا، فأوتي برأسه في هذا الطست، فقال: ويحك سليني غير هذا، فقالت له: ما أريد أن أسألك إلا هذا. قال: فلما ألحت عليه بعث إليه، فأتى برأسه، والرأس يتكلم حتى وضع بين يديه وهو يقول: لا يحل لك ذلك؛ فلما أصبح إذا دمه يغلي، فأمر بتراب فألقى عليه، فرقى الدم فوق التراب يغلي، فألقى عليه التراب أيضا، فارتفع الدم فوقه، فلم يزل يلقي عليه التراب حتى بلغ سور المدينة وهو يغلى وبلغ صحابين، فثار في الناس، وأراد أن يبعث عليهم جيشا، ويؤمر عليهم رجلا فأتاه بختنصر وكلمه

---

(1) تفسير الطبري:٣٧١/١٧.
(2) الكشاف:٦٥٠/٢.
(3) الكشاف:٦٥٠/٢.
(4) التفسير الميسر: ٢٨٢.
(5) الوجيز:٦٢٨.
(6) تفسير الطبري:٣٧١/١٧.

وقال: إن الذي كنت أرسلته تلك المرة ضعيف، وإني قد دخلت المدينة وسمعت كلام أهلها، فابعثني، فبعثه، فسار بختنصر حتى إذا بلغوا ذلك المكان تحصنوا منه في مدائنهم، فلم يطقهم، فلما اشتد عليهم المقام وجاع أصحابه، أرادوا الرجوع، فخرجت إليهم عجوز من عجائز بني إسرائيل فقالت: أين أمير الجند؟ فأتي بها إليه، فقالت له: إنه بلغني أنك تريد أن ترجع بجندك قبل أن تفتح هذه المدينة، قال: نعم، قد طال مقامي، وجاع أصحابي، فلست أستطيع المقام فوق الذي كان مني، فقالت: أرأيتك إن فتحت لك المدينة أتعطيني ما سألتك، وتقتل من أمرتك بقتله، وتكف إذا أمرتك أن تكف؟ قال: نعم، قالت: إذا أصبحت فاقسم جندك أربعة أرباع، ثم أقم على كل زاوية ربعا، ثم ارفعوا بأيديكم إلى السماء فنادوا: إنا نستفتحك يا الله بدم يحيى بن زكريا، فإنها سوف تساقط، ففعلوا، فتساقطت المدينة، ودخلوا من جوانبها، فقالت له: اقتل على هذا الدم حتى يسكن، وانطلقت به إلى دم يحيى وهو على تراب كثير، فقتل عليه حتى سكن سبعين ألفا وامرأة؛ فلما سكن الدم قالت له: كف يدك، فإن الله تبارك وتعالى إذا قتل نبي لم يرض، حتى يقتل من قتله، ومن رضي قتله، وأتاه صاحب الصحيفة بصحيفته، فكف عنه وعن أهل بيته، وخرب بيت المقدس، وأمر به أن تطرح فيه الجيف، وقال: من طرح فيه جيفة فله جزيته تلك السنة، وأعانه على خرابه الروم من أجل أن بني إسرائيل قتلوا يحيى، فلما خربه بختنصر ذهب معه بوجوه بني إسرائيل وأشرافهم، وذهب بدانيال وعليا وعزاريا وميشائيل، هؤلاء كلهم من أولاد الأنبياء وذهب معه برأس جالوت؛ فلما قدم أرض بابل وجد صحابين قد مات، فملك مكانه، وكان أكرم الناس عليه دانيال وأصحابه، فحسدهم المجوس على ذلك، فوشوا بهم إليه وقالوا: إن دانيال وأصحابه لا يعبدون إلهك، ولا يأكلون من ذبيحتك، فدعاهم فسألهم، فقالوا: أجل إن لنا ربا نعبده، ولسنا نأكل من ذبيحتكم، فأمر بخد فخد لهم، فألقوا فيه وهم ستة، وألقي معهم سبعا ضاريا ليأكلهم، فقال: انطلقوا فلنأكل ولنشرب، فذهبوا فأكلوا وشربوا، ثم راحوا فوجدوهم جلوسا والسبع مفترش ذراعيه بينهم، ولم يخدش منهم أحدا، ولم ينكأه شيئا، ووجدوا معهم رجلا فعدوهم فوجدوهم سبعة، فقالوا: ما بال هذا السابع إنما كانوا ستة، فخرج إليهم السابع، وكان ملكا من الملائكة، فلطمه لطمة فصار في الوحش، فكان فيهم سبع سنين، لا يراه وحشي إلا أتاه حتى ينكحه، يقتص منه ما كان يصنع بالرجال، ثم إنه رجع ورد الله عليه ملكه، فكانوا أكرم خلق الله عليه. ثم إن المجوس وشوا به ثانية، فألقوا أسدا في بئر قد ضري، فكانوا يلقون إليه الصخرة فيأخذها، فألقوا إليه دانيال، فقام الأسد في جانب، وقام دانيال في جانب لا يمسه، فأخرجوه، وقد كان قبل ذلك خد لهم خدا، فأوقد فيه نارا، حتى إذا أججها قذفهم فيها، فأطفأها الله عليهم ولم ينلهم منها شيء. ثم إن بختنصر رأى بعد ذلك في منامه صنما رأسه من ذهب، وعنقه من شبه، وصدره من حديد، وبطنه أخلاط ذهب وفضة وقوارير، ورجلاه من فخار؛ فبينا هو قائم ينظر، إذ جاءت صخرة من السماء من قبل القبلة، فكسرت الصنم فجعلته هشيما، فاستيقظ فزعا وأنسيها، فدعا السحرة والكهنة، فسألهم، فقال: أخبروني عما رأيت، فقالوا له: لا بل أنت أخبرنا، ما رأيت فنعبره لك، قال: لا أدري، قالوا له: فهؤلاء الفتية الذين تكرمهم، فادعهم فاسألهم، فإن هم لم يخبروك بما رأيت فما تصنع بهم؟ قال: أقتلهم، فأرسل إلى دانيال وأصحابه، فدعاهم، فقال لهم: أخبروني ماذا رأيت؟ فقال له دانيال: بل أنت أخبرنا ما رأيت فنعبره لك، قال: لا أدري قد نسيتها، فقال له دانيال: كيف نعلم رؤيا لم تخبرنا بها؟ فأمر البواب أن يقتلهم، فقال دانيال للبواب: إن الملك إنما أمر بقتلنا من أجل رؤياه، فأخرنا ثلاثة أيام، فإن نحن أخبرنا الملك برؤياه وإلا فاضرب أعناقنا، فأجلهم فدعوا الله، فلما كان اليوم الثالث أبصر كل رجل منهم رؤيا بختنصر على حدة، فأتوا البواب فأخبروه، فدخل على الملك فأخبره، فقال: أدخلهم علي؛ وكان بختنصر لا يعرف من رؤياه شيئا، إلا شيئا يذكرونه، فقالوا له: أنت رأيت كذا وكذا، فقصوها عليه، فقال: صدقتم، قالوا: نحن نعبرها لك. أما الصنم الذي رأيت رأسه من ذهب، فإنه ملك حسن مثل الذهب، وكان قد ملك الأرض كلها؛ وأما العنق من الشبه، فهو ملك ابنك بعد، يملك فيكون ملكه حسنا، ولا يكون مثل الذهب؛ وأما صدره الذي من حديد فهو ملك أهل فارس، يملكون بعدك ابنك، فيكون ملكهم شديدا مثل الحديد؛ وأما بطنه الأخلاط، فإنه يذهب ملك أهل

فارس، ويتنازع الناس الملك في كل قرية، حتى يكون الملك يملك اليوم واليومين، والشهر والشهرين، ثم يقتل، فلا يكون للناس قوام على ذلك، كما لم يكن للصنم قوام على رجلين من فخار؛ فبينما هم كذلك، إذ بعث الله تعالى نبيا من أرض العرب؛ فأظهره على بقية ملك أهل فارس، وبقية ملك ابنك وملكك، فدمره وأهلكه حتى لا يبقى منه شيء، كما جاءت الصخرة فهدمت الصنم، فعطف عليهم بختنصر فأحبهم، ثم إن المجوس وشوا بدانيال، فقالوا: إن دانيال إذا شرب الخمر لم يملك نفسه أن يبول، وكان ذلك فيهم عارا، فجعل لهم بختنصر طعاما، فأكلوا وشربوا، وقال للبواب: انظر أول من يخرج عليك يبول، فاضربه بالطبرزين، وإن قال: أنا بختنصر، فقل: كذبت، بختنصر أمرني، فحبس الله عن دانيال البول، وكان أول من قام من القوم يريد البول بختنصر، فقام مدلا وكان ذلك ليلا يسحب ثيابه؛ فلما رآه البواب شد عليه، فقال: أنا بختنصر، فقال: كذبت، بختنصر أمرني أن أقتل أول من يخرج، فضربه فقتله"[١].

قوله تعالى:{لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ} [الإسراء : ٧]، أي:" سَلَّطْنا عليكم أعداءكم مرة أخرى؛ ليذلوكم ويغلبوكم، فتظهر آثار الإهانة والمذلة على وجوهكم"[٢].

قال الطبري:" يقول: ليسوء مجيء ذلك الوعد للمرة الآخرة وجوهكم فيقبحها"[٣].

قال الواحدي: أي:"ليخزوكم خزياً يظهر أثره في وجوهكم كبسي ذراريكم وإخراب مساجدكم"[٤]

وفيمن جاءهم فيها قولان :

أحدهما : بختنصّر المجوسي البابلي، قاله ابن عباس، ومجاهد[٥]، وسعيد بن جبير[٦]، وقتادة[٧]، وقتادة[٧]، وابن زيد[٨].

قال ابن عباس:" فلما أفسدوا بعث الله عليهم في المرة الآخرة بختنصر، فخرب المساجد وتبر ما علوا تتبيرا"[٩].

وقال ابن عباس:" بعث عيسى ابن مريم يحيى بن زكريا، في اثني عشر من الحواريين يعلمون الناس، قال: فكان فيما نهاهم عنه، نكاح ابنة الأخ، قال: وكانت لملكهم ابنة أخ تعجبه يريد أن يتزوجها، وكانت لها كل يوم حاجة يقضيها؛ فلما بلغ ذلك أمها قالت لها: إذا دخلت على الملك فسألك حاجتك، فقولي: حاجتي أن تذبح لي يحيى بن زكريا؛ فلما دخلت عليه سألها حاجتها، فقالت: حاجتي أن تذبح يحيى بن زكريا، فقال: سلي غير هذا! فقالت: ما أسألك إلا هذا، قال: فلما أبت عليه دعا يحيى ودعا بطست فذبحه، فبدرت قطرة من دمه على الأرض، فلم تزل تغلي حتى بعث الله بختنصر عليهم، فجاءته عجوز من بني إسرائيل، فدلته على ذلك الدم، قال: فألقى الله في نفسه أن يقتل على ذلك الدم منهم حتى يسكن، فقتل سبعين ألفا منهم من سن واحد فسكن"[١٠].

قال مجاهد:" بعث الله ملك فارس ببابل جيشا، وأمر عليهم بختنصر، فأتوا بني إسرائيل، فدمروهم، فكانت هذه الآخرة ووعدها"[١١].

قال قتادة:" فبعث الله عليهم في الآخرة بختنصر المجوسي البابلي، أبغض خلق الله إليه، فسبا وقتل وخرب بيت المقدس، وسامهم سوء العذاب"[١].

---

[١] أخرجه الطبري:١٧/٣٧٢-٣٧٣.
[٢] التفسير الميسر: ٢٨٢.
[٣] تفسير الطبري:١٧/٣٧١.
[٤] الوجيز:٦٢٨.
[٥] انظر: تفسير الطبري:١٧/٣٧٦.
[٦] انظر: تفسير الطبري:١٧/٣٧٣-٣٧٤.
[٧] انظر: تفسير الطبري:١٧/٣٧٧.
[٨] انظر: تفسير الطبري:١٧/٣٨٧.
[٩] أخرجه الطبري:١٧/٣٧٧.
[١٠] أخرجه الطبري:١٧/٣٨٨.
[١١] أخرجه الطبري:١٧/٣٧٦.

قال ابن زيد:" كانت الآخرة أشد من الأولى بكثير، قال: لأن الأولى كانت هزيمة فقط، والآخرة كان التدمير، وأحرق بختنصر التوراة حتى لم يبق منها حرف واحد، وخرب المسجد"[٢].

قال سعيد بن جبير:" بعث الله عليهم في المرة الأولى سنحاريب، قال: فرد الله لهم الكرة عليهم، كما قال؛ قال: ثم عصوا ربهم وعادوا لما نهوا عنه، فبعث عليهم في المرة الآخرة بختنصر، فقتل المقاتلة، وسبى الذرية، وأخذ ما وجد من الأموال، ودخلوا بيت المقدس، كما قال الله عز وجل :{وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا} دخلوه فتبروه وخربوه وألقوا فيه ما استطاعوا من العذرة والحيض والجيف والقذر، فقال الله: {عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا} فرحمهم فرد إليهم ملكهم وخلص من كان في أيديهم من ذرية بني إسرائيل، وقال لهم: إن عدتم عدنا، فقال أبو المعلى، ولا أعلم ذلك؛ إلا من هذا الحديث، ولم يعدهم الرجعة إلى ملكهم"[٣].

وقال ابن إسحاق: "فلما رفع الله عيسى من بين أظهرهم وقتلوا يحيى بن زكريا (وبعض الناس يقول: وقتلوا زكريا) ، ابتعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له خردوس، فسار إليه بأهل بابل حتى دخل عليهم الشام، فلما ظهر عليهم أمر رأسا من رءوس جنده يدعى نبور زاذان صاحب القتل، فقال له: إني قد كنت حلفت بإلهي لئن أظهرنا على أهل بيت المقدس لأقتلنهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكري، إلا أن لا أجد أحدا أقتله، فأمر أن يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم نبور زاذان، فدخل بيت المقدس، فقال في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم، فوجد فيها دما يغلي، فسألهم فقال: يا بني إسرائيل، ما شأن هذا الدم الذي يغلي، أخبروني خبره ولا تكتموني شيئا من أمره؟ فقالوا: هذا دم قربان كان لنا كنا قربناه فلم يتقبل منا، فلذلك هو يغلي كما تراه، ولقد قربنا منذ ثمان مئة سنة القربان فتقبل منا إلا هذا القربان، قال: ما صدقتموني الخبر قالوا له: لو كان كأول زماننا لقبل منا، ولكنه قد انقطع منا الملك والنبوة والوحي، فلذلك لم يتقبل منا، فذبح منهم نبور زاذان على ذلك الدم سبع مئة وسبعين روحا من رءوسهم، فلم يهدأ، فأمر بسبع مئة غلام من غلمانهم فذبحوا على الدم فلم يهدأ، فأمر بسبعة آلاف من شيعهم وأزواجهم، فذبحهم على الدم فلم يبرد ولم يهدأ؛ فلما رأى نبور زاذان أن الدم لا يهدأ قال لهم: ويلكم يا بني إسرائيل أصدقوني واصبروا على أمر ربكم، فقد طال ما ملكتم في الأرض، تفعلون فيها ما شئتم قبل أن لا أترك منكم نافخ نار، لا أنثى ولا ذكرا إلا قتلته، فلما رأوا الجهد وشدة القتل صدقوه الخبر، فقالوا له: إن هذا دم نبي منا كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله، فلو أطعناه فيها لكان أرشد لنا، وكان يخبرنا بأمركم فلم نصدقه، فقتلناه، فهذا دمه، فقال لهم نبور زاذان: ما كان اسمه؟ قالوا: يحيى بن زكريا، قال: الآن صدقتموني، بمثل هذا ينتقم ربكم منكم؛ فلما رأى نبور زاذان أنهم صدقوه خر ساجدا وقال لمن حوله: غلقوا الأبواب، أبواب المدينة، وأخرجوا من كان ههنا من جيش خردوس وخلا في بني إسرائيل ثم قال: يا يحيى بن زكريا، قد علم ربي وربك ما قد أصاب قومك من أجلك، وما قتل منهم من أجلك، فاهدأ بإذن الله قبل أن لا أبقي من قومك أحدا، فهدأ دم يحيى بن زكريا بإذن الله، ورفع نبور زاذان عنهم القتل وقال: آمنت بما آمنت به بنو إسرائيل، وصدقت وأيقنت أنه لا رب غيره، ولو كان معه آخر لم يصلح، ولو كان له شريك لم تستمسك السماوات والأرض، ولو كان له ولد لم يصلح فتبارك وتقدس، وتسبح وتكبر وتعظم، ملك الملوك الذي له ملك السماوات السبع والأرض وما فيهن، وما بينهما، وهو على كل شيء قدير، فله الحلم والعلم والعزة والجبروت، وهو الذي بسط الأرض وألقى فيها رواسي لئلا تزول، فكذلك ينبغي لربي أن يكون ويكون ملكه. فأوحى الله إلى رأس من رءوس بقية الأنبياء أن نبور زاذان حبور صدوق، والحبور بالعبرانية: حديث الإيمان، وإن نبور زاذان قال لبني

---

[١] أخرجه الطبري:٣٧٧/١٧.

[٢] أخرجه الطبري:٣٨٧/١٧.

[٣] أخرجه الطبري:٣٧٣/١٧-٣٧٤.

إسرائيل: يا بني إسرائيل، إن عدو الله خردوس أمرني أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره، وإني لست أستطيع أن أعصيه، قالوا له: افعل ما أمرت به. فأمرهم فحفروا خندقا وأمر بأموالهم من الخيل والبغال والحمير والبقر والغنم والإبل، فذبحها حتى سال الدم في العسكر، وأمر بالقتلى الذين كانوا قبل ذلك، فطرحوا على ما قتل من مواشيهم حتى كانوا فوقهم، فلم يظن خردوس إلا أن ما كان في الخندق من بني إسرائيل، فلما بلغ الدم عسكره، أرسل إلى نبور زاذان أن ارفع عنهم، فقد بلغتني دماؤهم، وقد انتقمت منهم بما فعلوا، ثم انصرف عنهم إلى أرض بابل، وقد أفنى بني إسرائيل أو كاد، وهي الوقعة الآخرة التي أنزل الله ببني إسرائيل، يقول الله عز ذكره لنبيه محمد ﷺ (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) وعسى من الله حق، فكانت الوقعة الأولى: بختنصر وجنوده، ثم رد الله لكم الكرة عليهم، وكانت الوقعة الآخرة خردوس وجنوده، وهي كانت أعظم الوقعتين، فيها كان خراب بلادهم، وقتل رجالهم، وسبي ذراريهم ونسائهم، يقول الله تبارك وتعالى: {وليتبروا ما علوا تتبيرا} ثم عاد الله عليهم فأكثر عددهم، ونشرهم في بلادهم، ثم بدلوا وأحدثوا الأحداث، واستبدلوا بكتابهم غيره، وركبوا المعاصي، واستحلوا المحارم وضيعوا الحدود"[١].

وقال ابن إسحاق:" فيما بلغني، استخلف الله على بني إسرائيل بعد ذلك، يعني بعد قتلهم شعياء رجلا منهم يقال له: ناشة بن آموص، فبعث الله الخضر نبيا، وكان رسول الله ﷺ فيما قد بلغني يقول: "إنما سمي الخضر خضرا، لأنه جلس على فروة بيضاء، فقام عنها وهي تهتز خضراء" قال: واسم الخضر فيما كان وهب بن منبه يزعم عن بني إسرائيل: أرميا بن حلفيا، وكان من سبط هارون بن عمران"[٢].

الثاني : أنه انطياخوس بن سيس الرومي ملك أرض نينوى ، وهو قول مقاتل[٣].

قال الماوردي:"وقيل إنه قتل منهم مائة ألف وثمانين ألفاً ، وحرق التوراة وأخرب بيت المقدس ، ولم يزل على خرابه حتى بناه المسلمون"[٤].

وقرئ: «ليسوء وجوهكم»، على التوحيد وبالياء، وقرئ«لنسوء وجوهكم» على وجه الخبر من الله تبارك وتعالى اسمه عن نفسه[٥].

قوله تعالى:{وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ} [الإسراء : ٧]، أي:" وليدخلوا عليكم «بيت المقدس» فيخرِّبوه، كما خرَّبوه أول مرة"[٦].

قال الطبري:" يقول: وليدخل عدوكم الذي أبعثه عليكم مسجد بيت المقدس قهرا منهم لكم وغلبة، كما دخلوه أول مرة حين أفسدتم الفساد الأول في الأرض"[٧].

قوله تعالى:{وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا} [الإسراء : ٧]، أي:" وليدمروا كل ما وقع تحت أيديهم تدميرًا كاملا"[٨].

قال القرطبي:" أي: ليدمروا ويهلكوا"[٩].

---

[١] أخرجه الطبري:١٧/٣٨٤-٣٨٥ .
[٢] أخرجه الطبري:١٧/٣٧٧.
[٣] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٢/٥٢٢.
[٤] النكت والعيون:٣/٢٣١.
[٥] انظر: تفسير الطبري:١٧/٣٧١-٣٧٢.
[٦] التفسير الميسر: ٢٨٢.
[٧] تفسير الطبري:١٧/٣٨٨.
[٨] التفسير الميسر: ٢٨٢.
[٩] تفسير القرطبي:١٠/٢٢٣.

قال الطبري:" يقول: وليدمروا ما غلبوا عليه من بلادكم تدميرا، يقال منه: دمرت البلد: إذا خربته وأهلكت أهله، وتبر تبرا وتبارا، وتبرته أتبره تتبيرا، ومنه قول الله تعالى ذكره : {وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا} [نوح : ٢٨]، يعني: هلاكا"[١].

وفي قوله تعالى:{وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا} [الإسراء : ٧]، وجهان:

أحدهما : أنه الهلاك والدمار[٢].

قال ابن عباس :"{وليتبروا ما علوا تتبيرا}، قال: تدميرا"[٣].

قال قتادة:" يدمروا ما علوا تدميرا"[٤].

الثاني : أنه الهدم والإخراب ، قاله قطرب[٥]، ومنه قول لبيد[٦]:

وما النَّاسُ إلا عَامِلان فَعَامِلٌ ... يُتَبِّرُ مَا يَبْنِي وَآخَرُ رَافِعٌ

الفوائد:

١- صدق وعد الله تعالى.
٢- تقرير نبوة النبي ﷺ إذ مثل هذه الأنباء لا يقصها إلا نبي يوحى إليه.
٣- أن ثمرة الإحسان تعود إلى المحسن نفسه.
٤- بيان جهل من تخيل أن له على الله حقاً.
٥- أن الله - عز وجل - لا تنفعه طاعة الخلق، ولا تضره معصيتهم.

وفي الحديث:« قال الله يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته محرما بينكم فلا تظالموا يا عبادى كلكم ضال إلا من هديته فاستهدونى أهدكم يا عبادى كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم يا عبادى كلكم عار إلا من كسوته فاستكسونى أكسكم يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفرونى أغفر لكم يا عبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئا يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئا يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»[٧].

٦- أن العبد له قصد واختيار فليس بمجبور، قال تعالى: {إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها}، وفيه الرد على الجبرية.

وأحاديث الرسول التي فيها إبطال لقول الجبرية كثيرة وشهيرة والحمد لله رب العالمين.

القرآن

{عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (٨)} [الإسراء : ٨]

التفسير:

---

[١] تفسير الطبري:٣٨٨/١٧.
[٢] انظر: النكت والعيون:٢٣١/٣.
[٣] أخرجه الطبري:٣٨٨/١٧.
[٤] أخرجه الطبري:٣٧٧/١٧.
[٥] انظر: النكت والعيون:٢٣١/٣، وتفسير القرطبي:٢٢٣/١٠.
[٦]ديوانه: ٨٩ .
[٧]أخرجه مسلم (١٩٩٤/٤، رقم ٢٥٧٧) ، وابن حبان (٣٨٥/٢، رقم ٦١٩) ، والحاكم (٢٦٩/٤، رقم ٧٦٠٦) ، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

عسى ربكم -يا بني إسرائيل- أن يرحمكم بعد انتقامه إن تبتم وأصلحتم، وإن عدتم إلى الإفساد والظلم عُدْنا إلى عقابكم ومذلّتكم. وجعلنا جهنم لكم وللكافرين عامة سجنًا لا خروج منه أبدا.

قوله تعالى:{عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ} [الإسراء : ٨]، أي:" عسى ربكم -يا بني إسرائيل- أن يرحمكم بعد انتقامه إن تبتم وأصلحتم"[١].

قال قتادة:" فعاد الله عليهم بعائدته ورحمته"[٢].

قوله تعالى:{وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا} [الإسراء : ٨]، أي:" وإن عدتم إلى الإفساد والظلم عُدْنا إلى عقابكم ومذلّتكم"[٣].

قال يحيى بن سلام: أي:" عليكم بالعقوبة"[٤].

قال مقاتل:" يقول وإن عدتم إلى المعاصي عدنا عليكم بأشد مما أصابكم يعني من القتل والسبي فعادوا إلى الكفر وقتلوا يحيى بن زكريا فسلط الله عليهم ططس بن استاتوس الرومي، ويقال اصطفابوس، فقتل على دم يحيى بن زكريا مائة ألف وثمانين ألفا من اليهود فهم الذين قتلوا الرقيب على عيسى الذي كان شبه لهم وسبى ذراريهم وأحرق التوراة وخرب بيت المقدس وألقى فيه الجيف وذبح فيه الخنازير فلم يزل خرابا حتى جاء الإسلام فعمره المسلمون"[٥].

وفي قوله تعالى:{وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا} [الإسراء : ٨]، وجهان:

أحدهما : إن عدتم إلى الإساءة عدنا إلى الانتقام، فعادوا .

قال ابن عباس:" فعادوا فسلط الله عليهم المؤمنين"[٦].

وقال ابن عباس:" عادوا فعاد، ثم عادوا فعاد، ثم عادوا فعاد. قال: فسلط الله عليهم ثلاثة ملوك من ملوك فارس: سندباذان وشهرباذان وآخر"[٧].

قال قتادة:" فبعث الله عليهم محمدا ﷺ، فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون"[٨].

وقال قتادة:" عاد القوم بشر ما يحضرهم، فبعث الله عليهم ما شاء أن يبعث من نقمته وعقوبته، ثم كان ختام ذلك أن بعث الله عليهم هذا الحي من العرب، فهم في عذاب منهم إلى يوم القيامة؛ قال الله عز وجل في آية أخرى :{وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة} .... الآية، فبعث الله عليهم هذا الحي من العرب"[٩].

قال ابن زيد:" لما صنعتم لمثل هذا من قتل يحيى وغيره من الأنبياء {عدنا} إليكم بمثل هذا"[١٠].

الثاني : إن عدتم إلى الطاعة عدنا إلى القبول ، حكاه الماوردي عن بعض الصالحين[١١].

قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا} [الإسراء : ٨]، أي:" وجعلنا جهنم لكم وللكافرين عامة سجنًا لا خروج منه أبدا"[١٢].

قال ابن عباس:" يقول: جعل الله مأواهم فيها"[١٣].

قال مجاهد:" يحصرون فيها"[١٤].

---

[١] التفسير الميسر:٢٨٣.
[٢] اخرجه الطبري:٣٨٩/١٧.
[٣] التفسير الميسر:٢٨٣.
[٤] تفسير يحيى بن سلام:١١٨/١.
[٥] تفسير مقاتل بن سليمان:٥٢٣/٢.
[٦] أخرجه الطبري:٣٨٩/١٧.
[٧] أخرجه الطبري:٣٨٩/١٧.
[٨] أخرجه الطبري:٣٨٩/١٧.
[٩] اخرجه الطبري:٣٨٩/١٧.
[١٠] أخرجه الطبري:٣٨٩/١٧-٣٩٠.
[١١] انظر: النكت والعيون:٢٣١/٣.
[١٢] التفسير الميسر:٢٨٣.
[١٣] أخرجه الطبري:٣٩٠/١٧.
[١٤] اخرجه الطبري:٣٩٠/١٧.

وفي قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا} [الإسراء : ٨]، وجهان[١]:
أحدهما : يعني فراشاً ومهاداً ، قاله الحسن [٢].
قال الماوردي:"مأخوذ من الحصير المفترش"[٣].
قال الطبري:"ذهب الحسن بقوله هذا إلى أن الحصير في هذا الموضع عني به الحصير الذي يبسط ويفترش، وذلك أن العرب تسمي البساط الصغير حصيرا، فوجه الحسن معنى الكلام إلى أن الله تعالى جعل جهنم للكافرين به بساطا ومهادا، كما قال (لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش) وهو وجه حسن وتأويل صحيح"[٤].
الثاني : سجنا يسجنون فيها، قاله ابن عباس[٥]، وقتادة[٦]، وابن زيد[٧]، مأخوذ من الحصر وهو الحبس. والعرب تسمي الملك حصيراً لأنه بالحجاب محصور ، قال لبيد[٨]:
وَمَقَامةٍ غُلْبِ الرِّقَابِ كَأنهم ... جِنٌّ لدى طَرَفِ الحَصِيرِ قِيامُ
يعني بـ«الحصير»: الملك، ويقال للبخيل: حصور وحصر: لمنعه ما لديه من المال عن أهل الحاجة، وحبسه إياه عن النفقة، كما قال الأخطل[٩]:
وشارب مربح بالكأس نادمني ... لا بالحصور ولا فيها بسوار
ويروى: بسآر. ومنه الحصر في المنطق لامتناع ذلك عليه، واحتباسه إذا أراده. ومنه أيضا الحصور عن النساء لتعذر ذلك عليه، وامتناعه من الجماع، وكذلك الحصر في الغائط: احتباسه عن الخروج، وأصل ذلك كله واحد وإن اختلفت ألفاظه[١٠].
قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: معنى ذلك {وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا} فراشا ومهادا لا يزايله من الحصير الذي بمعنى البساط، لأن ذلك إذا كان كذلك كان جامعا معنى الحبس والامتهاد، مع أن الحصير بمعنى البساط في كلام العرب أشهر منه بمعنى الحبس"[١١].
الفوائد:
١- وجوب الرجاء في الله وهو انتظار الفرج والخير منه وإن طال الزمن.
٢- وفي هذه الآية وما قبلها، تحذير لهذه الأمة من العمل بالمعاصي؛ لئلا يصيبها مثل ما أصاب بني إسرائيل، فسنن الله واحدة لا تبدل ولا تغير.
٣- قد يجمع الله تعالى للكافرين بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، وكذا الفاسقون من المؤمنين.

---

[١] انظر: النكت والعيون:٢٣١/٣.
[٢] انظر: تفسير الطبري:٣٩٠/١٧.
[٣]النكت والعيون:٣٣١/٣ .
[٤] تفسير الطبري:٣٩٠/١٧-٣٩١.
[٥] انظر: تفسير الطبري:٣٩٠/١٧.
[٦] انظر: تفسير الطبري:٣٩٠/١٧.
[٧] انظر: تفسير الطبري:٣٩٠/١٧.
[٨] ديوانه: ١٦٠، ومجاز القرآن:٣٧١/١، وفيه: باب الحصير"، والسمط :٩٥٥، وتفسير الطبري:٣٩١/١٧، وتفسير القرطبي: ١٠/ ٢٢٤ والصحاح واللسان والتاج (حصر).
[٩]ديوانه: ١١٦، ومجاز القرآن ١/ ٩٢، وطبقات فحول الشعراء: ٤٣٢، واللسان (حصر) (سأر) (سور) ، من قصيدته التي قالها ليزيد بن معاوية، لما منعه حين هجا الأنصار في قصة مشهورة. وفي المخطوطة"مرجح بالكأس"، وهو خطأ. والمربح: المعطي الربح للتاجر، يريد أنه يغالي بثمن الخمر لا يبالي بما يبذل فيها. والسوار: الذي تسور الخمر في دماغه، فيعربد على إخوانه وندمائه عربدة رديئة، والخمر عندهم تشف عن غرائز شاربيها. وأما رواية"سآر" التي سيذكرها، فهي من السؤر: وهو بقية الخمر في القدح. يريد أنه عرضة شراب، لا يكف عن الخمر، ولا يدع في كأسه سؤرا من قلة صبره، أو سوء احتماله لشدتها.
[١٠] انظر: تفسير الطبري:٣٩١/١٧.
[١١] تفسير الطبري:٣٩٢/١٧.

القرآن

{إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (٩)} [الإسراء : ٩]

التفسير:

إن هذا القرآن الذي أنزلناه على عبدنا محمد ﷺ يرشد الناس إلى أحسن الطرق، وهي ملة الإسلام، ويبشر المؤمنين الذين يعملون بما أمرهم الله به، وينتهون عمَّا نهاهم عنه، بأن لهم ثوابًا عظيمًا.

قوله تعالى:{إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} [الإسراء : ٩]، أي:" إن هذا القرآن الذي أنزلناه على عبدنا محمد ﷺ يرشد الناس إلى أحسن الطرق، وهي ملة الإسلام"[١].

قال الطبري:" يقول جلّ ثناؤه: فهذا القرآن يهدي عباد الله المهتدين به إلى قصد السبيل التي ضل عنها سائر أهل الملل المكذبين به"[٢].

قال ابن كثير:" يمدح تعالى كتابه العزيز الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ وهو القرآن ، بأنه يهدي لأقوم الطرق ، وأوضح السبل"[٣].

وفي قوله تعالى:{إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} [الإسراء : ٩]، وجهان:

أحدهما : شهادة أن لا إله إلا الله ، قاله الكلبي[٤]، والفراء[٥].

وقال النحاس:" المعنى: يهدي للحال التي هي أقوم، والحال التي هي أقوم: توحيد الله واتباع رسله والعمل بطاعته"[٦].

الثاني : ما تضمه من الأوامر والنواهي التي هي أصوب ، قاله ابن زيد[٧]، ومقاتل[٨].

عن ابن زيد:" {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}، قال: التي هي أصوب: هو الصواب وهو الحقّ؛ قال: والمخالف هو الباطل. وقرأ قول الله تعالى :{فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ}، قال: فيها الحقّ ليس فيها عوج. وقرأ :{وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا} يقول: قيما مستقيما"[٩].

قوله تعالى:{وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا} [الإسراء : ٩]، أي:" ويبشر المؤمنين الذين يعملون بما أمرهم الله به، وينتهون عمَّا نهاهم عنه، بأن لهم ثوابًا عظيمًا"[١٠].

قال الطبري:" يقول: ويبشر أيضا مع هدايته من اهتدى به للسبيل الأقصد الذين يؤمنون بالله ورسوله، ويعملون في دنياهم بما أمرهم الله به، وينتهون عما نهاهم عنه بأن {لَهُمْ أَجْرًا} من الله على إيمانهم وعملهم الصالحات {كَبِيرً} يعني ثوابا عظيما، وجزاء جزيلا وذلك هو الجنة التي أعدّها الله تعالى لمن رضي عمله"[١١].

عن ابن جريج :"{أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا} قال: الجنة، وكلّ شيء في القرآن :«أجر كبير»، «أجر كريم»، و«رزق كريم»: فهو الجنة"[١٢].

القرآن

{وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٠)} [الإسراء : ١٠]

---

[١] التفسير الميسر:٢٨٣.
[٢] تفسير الطبري:٣٩٢/١٧.
[٣] تفسير ابن كثير:٤٨/٥.
[٤] انظر: النكت والعيون:٢٣٢/٣.
[٥] انظر: معاني القرآن:١١٧/٢.
[٦] معاني القرآن:١٢٧/٤.
[٧] انظر: تفسير الطبري:٣٩٢/١٧-٣٩٣.
[٨] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٢٣/٢.
[٩] أخرجه الطبري:٣٩٢/١٧-٣٩٣.
[١٠] التفسير الميسر:٢٨٣.
[١١] تفسير الطبري:٣٩٣/١٧.
[١٢] أخرجه الطبري:٣٩٣/١٧.

التفسير:
وأن الذين لا يصدقون بالدار الآخرة وما فيها من الجزاء أعددنا لهم عذابًا موجعًا في النار.

قوله تعالى:{وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ} [الإسراء : ١٠]، أي:" وأن الذين لا يصدقون بالدار الآخرة وما فيها من الجزاء"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وأن الذين لا يصدّقون بالمعاد إلى الله، ولا يقرّون بالثواب والعقاب في الدنيا، فهم لذلك لا يتحاشون من ركوب معاصي الله"[٢].

قال ابن كثير:" أي : ويبشر الذين لا يؤمنون بالآخرة"[٣].

قوله تعالى:{أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} [الإسراء : ١٠]، أي:" أعددنا لهم عذابًا موجعًا في النار"[٤].

قال الطبري:" يقول: أعددنا لهم، لقدومهم على ربهم يوم القيامة {عَذَابًا أَلِيما}، يعني: موجعا، وذلك عذاب جهنم"[٥].

قال ابن كثير:" أي : يوم القيامة ، كما قال تعالى : { فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } [آل عمران : ٢١] "[٦].

فوائد الآيتين:[٩-١٠]:

١- بيان فضل القرآن الكريم، بهدايته إلى الإسلام الذي هو سبيل السعادة للإنسان
٢- أن القرآن العظيم أعظم ما قضى به ودعا إليه ثم سنته التي هي تفسير القرآن وبيانه كما أجمعت عليه الأمة في تفاصيل الصلاة والزكاة وسائر أركان الاسلام وفي المواريث وغيرها
٣- التمسك بدين الله عز وجل وحبله المتين وكتابه القويم: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} [الإسراء:٩] ، ولا يوجد دستور في الأرض كلها يهدي للتي هي أقوم.
٤- بيان عجز جميع البشر عن الإتيان بأنظمة تُصْلِحُ الخلق وتقوّمُ أخلاقهم، وعلى أن القرآن كلام الله سليم من كل عيب، كفيل برعاية مصالح العباد، وهدايتهم إلى كلِّ ما يُصلح أحوالهم في الدنيا والآخرة إذا تمسكوا به واهتدوا بهديه، قال تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا}.

وبالجملة فإن الشريعة التي جاء بها كتاب الله تعالى مدارها على ثلاث مصالح:

- المصلحة الأولى: درء المفاسد عن ستة أشياء:حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنّسب، والعرض، والمال.
- المصلحة الثانية: جلب المصالح: فقد فتح القرآن الأبواب لجلب المصالح في جميع الميادين، وسدّ كل ذريعة تؤدي إلى الضرر.
- المصلحة الثالثة: الجري على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات، فالقرآن الكريم حلَّ جميع المشكلات العالمية التي عجز عنها البشر، ولم يترك جانباً من الجوانب التي يحتاجها البشر في الدنيا والآخرة إلا وضع لها القواعد، وهدى إليها بأقوم الطرق وأعدلها[٧].

---

[١] التفسير الميسر:٢٨٣.
[٢] تفسير الطبري:٣٩٣/١٧.
[٣] تفسير ابن كثير:٤٨/٥.
[٤] التفسير الميسر:٢٨٣.
[٥] تفسير الطبري:٣٩٣/١٧.
[٦] تفسير ابن كثير:٤٨/٥.
[٧]انظر: أضواء البيان، ٣/ ٤٠٩ – ٤٥٧، مناهل العرفان للزرقاني، ٢/ ٢٤٧، وأثر تطبيق الحدود في المجتمع المجتمع الإسلامي، من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص١١٧، ومعالم الدعوة للديلمي، ١/ ٤٢٦،

٥- الوعد والوعيد بشارة المؤمنين العاملين للصالحات، ونذارة الكافرين باليوم الآخر.

القرآن

{وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا (١١)} [الإسراء : ١١]

التفسير:

ويدعو الإنسان أحيانًا على نفسه أو ولده أو ماله بالشر، وذلك عند الغضب، مثل ما يدعو بالخير، وهذا من جهل الإنسان وعجلته، ومن رحمة الله به أنه يستجيب له في دعائه بالخير دون الشر؛ لأنه يعلم منه عدم القصد إلى إرادة ذلك، وكان الإنسان بطبعه عجولا.

قوله تعالى:{وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ} [الإسراء : ١١]، أي:" ويدعو الإنسان أحيانًا على نفسه أو ولده أو ماله بالشر، وذلك عند الغضب، مثل ما يدعو بالخير"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره مذكرا عباده أياديه عندهم، ويدعو الإنسان على نفسه وولده وماله بالشر، فيقول: اللهم أهلكه والعنه عند ضجره وغضبه، كدعائه بالخير: يقول: كدعائه ربه بأن يهب له العافية، ويرزقه السلامة في نفسه وماله وولده، يقول: فلو استجيب له في دعائه على نفسه وماله وولده بالشر كما يستجاب له في الخير هلك، ولكن الله بفضله لا يستجيب له في ذلك"[٢].

قال الفراء:" يريد كدعائه بالخير في الرغبة إلى الله عز وجل فيما لا يحب الداعي إجابته، كدعائه على ولده فلا يستجاب له في الشر وقد دعا به. فذلك أيضا من نعم الله عز وجل عليه"[٣].

وفي قوله تعالى:{وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ} [الإسراء : ١١]، وجهان:

أحدها : أن يطلب النفع في العاجل بالضر العائد عليه في الآجل. حكاه الماوردي[٤].

الثاني : أن يدعوا أحدهم على نفسه أو ولده بالهلاك، ولو استجاب دعاءه بهذا الشر كما استجاب له بالخير لهلك. قاله ابن عباس[٥]، مجاهد[٦]، وقتادة[٧]، وبه قال ابن قتيبة[٨]، والفراء[٩]، والطبري[١٠].

قال ابن عباس:" يعني: قول الإنسان: اللهم العنه واغضب عليه، فلو يعجل له ذلك كما يعجل له الخير، لهلك، قال: ويقال: هو : {وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا}[١١]، أن يكشف ما به من ضر، يقول تبارك وتعالى: لو أنه ذكرني وأطاعني، واتبع أمري عند الخير، كما يدعوني عند البلاء، كان خيرا له"[١٢].

قوله تعالى:{وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا} [الإسراء : ١١]، أي:" وكان الإنسان بطبعه عجولا"[١٣].

وفي قوله تعالى:{وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا} [الإسراء : ١١]، وجهان:

---

[١] التفسير الميسر:٢٨٣/١.
[٢] تفسير الطبري:٣٩٣/١٧.
[٣] معاني القرآن:١١٨/٢.
[٤] انظر: النكتو العيون:٢٣٢/٣.
[٥] انظر: تفسير الطبري:٣٩٣/١٧-٣٩٤.
[٦] انظر: تفسير الطبري:٣٩٤/١٧.
[٧] انظر: تفسير الطبري:٣٩٤/١٧.
[٨] انظر: غريب القرآن:٢٥١.
[٩] انظر: معاني القرآن:١١٨/٢.
[١٠] انظر: تفسير الطبري:٣٩٣/١٧.
[١١][يونس : ١٢].
[١٢] أخرجه الطبري:٣٩٣/١٧-٣٩٤.
[١٣] التفسير الميسر:٢٨٣/١.

أحدهما : عجولاً في الدعاء على نفسه وولده وما يخصه، وهذا قول ابن عباس[١]، مجاهد[٢]، وقتادة[٣].

قال ابن قتيبة:"أي: يعجل عند الغضب. والله لا يعجل بإجابته"[٤].

الثاني : أنه عنى آدم حين نفخ فيه الروح، حتى بلغت إلى سُرّته فأراد أن ينهض عجلاً ، وهذا قول سلمان الفارسي[٥]، وإبراهيم[٦]، والضحاك[٧].

قال سلمان الفارسي -رضي الله عنه-: "أول ما خلق الله من آدم عليه السلام رأسه، فجعل ينظر وهو يخلق وبقيت رجلاه، فما كان العصر قال: يا رب، اعجل قبل الليل، فذلك قوله: {وكان الإنسان عجولا}"[٨].

وقال ابن عباس:" لما نفخ الله في آدم من روحه أتت النفخة من قبل رأسه، فجعل لا يجرى شيء منها في جسده، إلا صار لحما ودما؛ فلما انتهت النفخة إلى سرته، نظر إلى جسده، فأعجبه ما رأى من جسده فذهب لينهض فلم يقدر، فهو قول الله تبارك وتعالى: {وكان الإنسان عجولا} قال: ضجرا لا صبر له على سراء، ولا ضراء"[٩].

الفوائد:

١- بيان طبع الإنسان قبل تهذيبه بالآداب القرآنية والأخلاق النبوية.
٢- ومن الفوائد: أن الإنسان ربما دعا بما هو شر له ولا يدري، فيحسبه خيرا له، على أن الله تعالى إنما يستجيب الدعاء بالمستجمع شرائطه إذا علم للداعي فيما سأل خيرا. فأما إذا علم أن له فسادا أو شرا فإنه لا يستجيب له دعاءه إكراما وثوابا له بدعائه. ولكنه إذا كان عليه ساخطا فقد يفعل ذلك به عقوبة له والله أعلم[١٠].

القرآن

{وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا (١٢)} [الإسراء : ١٢]

التفسير:

وجعلنا الليل والنهار علامتين دالَّتين على وحدانيتنا وقدرتنا، فمَحَوْنا علامة الليل -وهي القمر- وجعلنا علامة النهار -وهي الشمس- مضيئة؛ ليبصر الإنسان في ضوء النهار كيف يتصرف في شؤون معاشه، ويخلد في الليل إلى السكن والراحة، وليعلم الناس -من تعاقب الليل والنهار- عدد السنين وحساب الأشهر والأيام، فيرتبون عليها ما يشاؤون من مصالحهم. وكل شيء بيَّناه تبيينًا كافيًا.

قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ} [الإسراء : ١٢]، أي:" وجعلنا الليل والنهار علامتين دالَّتين على وحدانيتنا وقدرتنا"[١١].

---

[١] انظر: تفسير الطبري:١٧/٣٩٣-٣٩٤.
[٢] انظر: تفسير الطبري:١٧/٣٩٤.
[٣] انظر: تفسير الطبري:١٧/٣٩٤.
[٤] غريب القرآن:٢٥١.
[٥] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٢٠٢):ص٧/٢٣٢٠، وتفسيرالطبري:١٧/٣٩٤
[٦] انظر: النكت والعيون:٣/٢٣٢.
[٧] انظر: النكت والعيون:٣/٢٣٢.
[٨] أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٠٢):ص٧/٢٣٢٠.
[٩] أخرجه الطبري:١٧/٣٩٥.
[١٠] انظر: المنهاج في شعب الغيمان:١/٥٤١-٥٤٢.
[١١] التفسير الميسر:١/٢٨٣.

قوله تعالى:{فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ} [الإسراء : ١٢]، أي:" فمَحَوْنا علامة الليل -وهي القمر-"[١].

قال ابن قتيبة:" يعني: محو القمر"[٢].

قال علي-رضي الله عنه-:" هو السواد الذي في القمر"[٣].

وفي رواية الفراء عنه، قال:" هو اللطخ الذي في القمر"[٤].

عن علي بن ربيعة قال ابن الكواء[٥] لعلي: يا أمير المؤمنين، ما هذه اللطخة التي في القمر؟ فقال: ويحك أما تقرأ القرآن {فمحونا آية الليل}، فهذه محوه"[٦].

وفي رواية عن رفيع بن أبي كثير قال: "قال علي بن أبي طالب رضوان الله عليه: سلوا عما شئتم، فقام ابن الكواء فقال: ما السواد الذي في القمر، فقال: قاتلك الله، هلا سألت عن أمر دينك وآخرتك؟ قال: ذلك محو الليل"[٧].

عن محمد بن كعب القرظي -رضي الله عنه- في الآية، قال: "كانت شمس بالليل وشمس بالنهار فمحا الله شمس الليل فهو المحو الذي في القمر"[٨].

عن مجاهد -رضي الله عنه-قوله: "{فمحونا آية الليل}، قال: ظلمة الليل"[٩].

عن مجاهد-رضي الله عنه- :{ فمحونا آية الليل}، قال: "السواد الذي في القمر، وكذلك خلقه الله"[١٠].

قال ابن عباس-رضي الله عنهما-:" كان القمر يضيء كما تضيء الشمس، والقمر آية الليل، والشمس آية النهار، فمحونا آية الليل: السواد الذي في القمر"[١١].

قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً} [الإسراء : ١٢]، أي:" وجعلنا علامة النهار -وهي الشمس- مضيئة"[١٢].

قال قتادة: أي: منيرة، وخلق الشمس أنور من القمر وأعظم"[١٣].

عن مجاهد -رضي الله عنه- قوله: "{وجعلنا آية النهار مبصرة}، قال:وسدف النهار"[١٤].

قوله تعالى:{لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ} [الإسراء : ١٢]، أي:" لتطلبوا في النهار أسباب معايشكم"[١٥].

عن مجاهد -رضي الله عنه-قوله: "{ لتبتغوا فضلا من ربكم}، قال: جعل لكم سبحا طويلا"[١٦].

---

[١] التفسير الميسر:٢٨٣/١.
[٢] غريب القرآن:٢٥١.
[٣] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٠٣):ص٢٣٢٠/٧.
[٤] معاني القرآن:١١٨/٢.
[٥]ابن الكواء: هو عبد الله بن الكواء الخارجي، أحد الذين كانوا مع علي في صفين، ثم فارقوه بعد التحكيم. فكان فكان من زعماء الخوارج.
[٦] أخرجه الطبري:٣٩٥/١٧.
[٧] أخرجه الطبري:٣٩٦/١٧.
[٨] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٠٤):ص٢٣٢٠/٧.
[٩] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٠٥):ص٢٣٢٠/٧.
[١٠]أخرجه الطبري:٣٩٦/١٧ .
[١١] أخرجه الطبري:٣٩٦/١٧.
[١٢] التفسير الميسر:٢٨٣/١.
[١٣] أخرجه الطبري:٣٩٦/١٧.
[١٤] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٠٥):ص٢٣٢٠/٧.
[١٥] صفوة التفاسير:١٤٢/٢.
[١٦] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٠٥):ص٢٣٢٠/٧.

قوله تعالى:{وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ} [الإسراء : ١٢]، أي:" وليعلم الناس -من تعاقب الليل والنهار- عدد السنين وحساب الأشهر والأيام، فيرتبون عليها ما يشاؤون من مصالحهم"[١].

قوله تعالى:{وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا} [الإسراء : ١٢]، أي:" وكل شيء بيَّناه تبيينًا كافيًا"[٢].

قال ابن عبس-رضي الله عنهما:" يقول: بيناه"[٣].

الفوائد:

١- كون الليل والنهار آيتين على الله تعالى وتقرران علمه وقدرته وتدبيره.

إذ أخبرنا ربنا عز وجل أنه جعل الليل والنهار آيتين ، أي: علامتين دالتين على أنه هو الإله المعبود الذي يستحق العبادة وحده دون سواه، كما قال تعالى: :{وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ} [الإسراء : ١٢]، ، ومنه قوله: {ومن آياته الليل والنهار}. . .]فصلت ٣٧]، وقوله تعالى {وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون} [يس ٣٧]. وقوله تعالى {إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب} [آل عمران ١٩٠].

٢- مشروعية علم الحساب وتعلمه.

٣- اشتمال القرآن على تشريع انتظم قانوناً عادلاً مؤلفاً من مواد قليلة تتضمن أحكاماً كلية، ومبادئ عامة في كل الفروع وذلك ما لم يحصل لغيره من الكتب السماوية: قال الله تعالى: {وكل شيء فصلناه تفصيلاً} [الإسراء: ١٢].

القرآن

{وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (١٣)} [الإسراء : ١٣]

التفسير:

وكل إنسان يجعل الله ما عمله مِن خير أو شر ملازمًا له، فلا يحاسَب بعمل غيره، ولا يحاسَب غيره بعمله، ويخرج الله له يوم القيامة كتابًا قد سُجِّلت فيه أعماله يراه مفتوحًا.

قوله تعالى:{وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ} [الإسراء : ١٣]، أي:" وكل إنسان يجعل الله ما عمله مِن خير أو شر ملازمًا له، فلا يحاسَب بعمل غيره، ولا يحاسَب غيره بعمله"[٤].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وكل إنسان ألزمناه ما قضى له أنه عامله، وهو صائر إليه من شقاء أو سعادة بعمله في عنقه لا يفارقه، وإنما قوله {ألزمناه طائره} مثل لما كانت العرب تتفاءل به أو تتشاءم من سوانح الطير وبوارحها، فأعلمهم جل ثناؤه أن كل إنسان منهم قد ألزمه ربه طائره في عنقه نحسا كان ذلك الذي ألزمه من الطائر، وشقاء يورده سعيرا، أو كان سعدا يورده جنات عدن"[٥].

عن جابر بن عبد الله أن نبي الله ﷺ قال: "لا عدوى ولا طيرة وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه"[٦].

قال ابن عباس:" الطائر: عمله، قال: والطائر في أشياء كثيرة، فمنه التشاؤم الذي يتشاءم به الناس بعضهم من بعض"[١].

---

[١] التفسير الميسر:٢٨٣/١.
[٢] التفسير الميسر:٢٨٣/١.
[٣] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٠٦):ص٢٣٢٠/٧.
[٤] التفسير الميسر:٢٨٣/١.
[٥] تفسير الطبري:٣٩٧/١٧.
[٦] أخرجه الطبري:٣٩٧/١٧.

وعن ابن عباس أيضا، قوله :"{وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه}، قال: عمله وما قدر عليه، فهو ملازمه أينما كان، فزائل معه أينما زال"[2].

قال قتادة:" طائره: عمله"[3]، وقال:" إي والله بسعادته وشقائه بعمله"[4].

عن مجاهد في قوله:{ طائره في عنقه}، قال: "عمله وما كتب الله له"[5].

عن الحكم، قال مجاهد:" ما من مولود يولد إلا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد. قال: وسمعته يقول: {أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ}[6]، قال: هو ما سبق"[7].

قال الطبري:" فإن قال قائل: وكيف قال: ألزمناه طائره في عنقه إن كان الأمر على ما وصفت، ولم يقل: ألزمناه في يديه ورجليه أو غير ذلك من أعضاء الجسد؟ قيل: لأن العنق هو موضع السمات، وموضع القلائد والأطوقة، وغير ذلك مما يزين أو يشين، فجرى كلام العرب بنسبة الأشياء اللازمة بني آدم وغيرهم من ذلك إلى أعناقهم وكثر استعمالهم ذلك حتى أضافوا الأشياء اللازمة سائر الأبدان إلى الأعناق، كما أضافوا جنايات أعضاء الأبدان إلى اليد، فقالوا: ذلك بما كسبت يداه، وإن كان الذي جر عليه لسانه أو فرجه، فكذلك قوله :{ألزمناه طائره في عنقه}"[8].

قوله تعالى:{وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا} [الإسراء : ١٣]، أي:" ويخرج الله له يوم القيامة كتابًا قد سُجِّلت فيه أعماله يراه مفتوحًا"[9].

قال ابن عباس:" هو عمله الذي عمل أحصي عليه، فأخرج له يوم القيامة ما كتب عليه من العمل يلقاه منشورا"[10].

قال قتادة:" نخرج ذلك العمل {كتابا يلقاه منشورا}"[11].

قال معمر: "وتلا الحسن {عن اليمين وعن الشمال قعيد} يا ابن آدم بسطت لك صحيفتك، ووكل بك ملكان كريمان، أحدهما عن يمينك، والآخر عن يسارك. فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت، أقلل أو أكثر، حتى إذا مت طويت صحيفتك، فجعلت في عنقك معك في قبرك، حتى تخرج يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا {اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا} قد عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك"[12].

عن مجاهد أنه قرأها :"«ويخرج له يوم القيامة كتابا»، قال: يزيد: يعني يخرج الطائر كتابا"[13].

وقرأ ذلك بعض أهل المدينة: "«ويخرج له» بضم الياء على مذهب ما لم يسم فاعله، وكأنه وجه معنى الكلام إلى ويخرج له الطائر يوم القيامة كتابا، يريد: ويخرج الله ذلك الطائر قد صيره كتابا، إلا أنه نحاه نحو ما لم يسم فاعله"[14].

الفوائد:

١- تقرير عقيدة القضاء والقدر.

---

(1) أخرجه الطبري:١٧/٣٩٧-٣٩٨.
(2) أخرجه الطبري:١٧/٣٩٨.
(3) أخرجه الطبري:١٧/٣٩٧-٣٩٨.
(4) أخرجه الطبري:١٧/٣٩٧-٣٩٨.
(5) أخرجه الطبري:١٧/٣٩٨.
(6)[الأعراف : ٣٧].
(7) أخرجه الطبري:١٧/٣٩٨.
(8) تفسير الطبري:١٧/٣٩٩.
(9) التفسير الميسر:١/٢٨٣.
(10) اخرجه الطبري:١٧/٤٠٠.
(11) اخرجه الطبري:١٧/٤٠٠.
(12) اخرجه الطبري:١٧/٤٠٠.
(13) أخرجه الطبري:١٧/٣٩٩.
(14) تفسير الطبري:١٧/٣٩٩.

٢- أجمع أهل السنة على أن العباد يأخذون يوم القيامة صحائف أعمالهم التي كتبتها الملائكة الكرام[١].

وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما العرضة الثالثة: فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله"[٢].

وقال السفاريني: "والحاصل أن نشر الصحف وأخذها باليمين والشمال مما يجب الإيمان به وعقد القلب بأنه حق لثبوته بالكتاب والسنة والإجماع"[٣].

القرآن

{اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤)} [الإسراء : ١٤]

التفسير:

يقال له: اقرأ كتاب أعمالك، فيقرأ، وإن لم يكن يعرف القراءة في الدنيا، تكفيك نفسك اليوم محصية عليك عملك، فتعرف ما عليها من جزاء.

قوله تعالى:{اقْرَأْ كِتَابَكَ} [الإسراء : ١٤]، أي:" يقال له: اقرأ كتاب أعمالك"[٤].

قال قتادة:" سيقرأ يومئذ من لم يكن قارئا في الدنيا"[٥].

قوله تعالى:{كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} [الإسراء : ١٤]، أي:" تكفيك نفسك اليوم محصية عليك عملك، فتعرف ما عليها من جزاء"[٦].

الفوائد:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢- تقرير العدال الإلهية يوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا، فإنه من أعظم العدل والإنصاف أن يقال للعبد: حاسِبْ نفسك، كفى بها حسيبًا عليك.

القرآن

{مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥)} [الإسراء : ١٥]

التفسير:

من اهتدى فاتبع طريق الحق فإنما يعود ثواب ذلك عليه وحده، ومن حاد واتبع طريق الباطل فإنما يعود عقاب ذلك عليه وحده، ولا تحمل نفس مذنبة إثم نفس مذنبة أخرى. ولا يعذب الله أحدًا إلا بعد إقامة الحجة عليه بإرسال الرسل وإنزال الكتب.

قوله تعالى:{مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ} [الإسراء : ١٥]، أي:" من اهتدى فاتبع طريق الحق فإنما يعود ثواب ذلك عليه وحده"[٧].

قال الطبري:" من استقام على طريق الحق فاتبعه، وذلك دين الله الذي ابتعث به نبيه محمدا ﷺ عليه وسلم، فليس ينفع بلزومه الاستقامة، وإيمانه بالله ورسوله غير نفسه"[٨].

---

[١]وقد نص أئمة أهل السنة على ما جاء في ذلك وآمنوا به. (انظر عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني ١٢١/٢، وشرح الطحاوية ص٣٦٠، ٣٦١.

[٢]انظر سننه كتاب القيامة باب ٤ ج٤/٦١٧، وقال الألباني حديث ضعيف لأن الحسن البصري رواه عن أبي هريرة والحسن مدلس ولم يصرح بالتحديث. (انظر الطحاوية ص٤٦٨، وانظر ضعيف الجامع للألباني ١١٦/٦).

[٣]لوامع الأنوار ١٨١/٢.

[٤] التفسير الميسر:٢٨٣/١.

[٥] أخرجه الطبري:٤٠١/١٧.

[٦] التفسير الميسر:٢٨٣/١.

[٧] التفسير الميسر:٢٨٣/١.

[٨] تفسير الطبري:٤٠٢/١٧.

قوله تعالى:{وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا} [الإسراء : ١٥]، أي:" ومن حاد واتبع طريق الباطل فإنما يعود عقاب ذلك عليه وحده"[١].

قال الطبري:" يقول: ومن جار عن قصد السبيل، فأخذ على غير هدى، وكفر بالله وبمحمد ﷺ وبما جاء به من عند الله من الحق، فليس يضر بضلاله وجوره عن الهدى غير نفسه، لأنه يوجب لها بذلك غضب الله وأليم عذابه.. وإنما عنى بقوله {فإنما يضل عليها} فإنما يكسب إثم ضلاله عليها لا على غيرها"[٢].

قوله تعالى:{وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} [الإسراء : ١٥]، أي:" ولا تحمل نفس مذنبة إثم نفس مذنبة أخرى"[٣].

قال الطبري:" يعني تعالى ذكره: ولا تحمل حاملة حمل أخرى غيرها من الآثام.. والوزر: هو الإثم، يجمع أوزارا، كما قال تعالى : {وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ} [طه : ٨٧]، وكأن معنى الكلام: ولا تأثم آثمة إثم أخرى، ولكن على كل نفس إثمها دون إثم غيرها من الأنفس"[٤].

قال قتادة:" والله ما يحمل الله على عبد ذنب غيره، ولا يؤاخذ إلا بعمله"[٥].

قوله تعالى:{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا} [الإسراء : ١٥]، أي:" ولا يعذب الله أحدًا إلا بعد إقامة الحجة عليه بإرسال الرسل وإنزال الكتب"[٦].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وما كنا مهلكي قوم إلا بعد الإعذار إليهم بالرسل، وإقامة الحجة عليهم بالآيات التي تقطع عذرهم"[٧].

قال قتادة:" إن الله تبارك وتعالى ليس يعذب أحدا حتى يسبق إليه من الله خبرا، أو يأتيه من الله بينة، وليس معذبا أحدا إلا بذنبه"[٨].

عن أبي هريرة، قال: إذا كان يوم القيامة، جمع الله تبارك وتعالى نسم الذين ماتوا في الفترة والمعتوه والأصم والأبكم، والشيوخ الذين جاء الإسلام وقد خرفوا، ثم أرسل رسولا أن ادخلوا النار، فيقولون: كيف ولم يأتنا رسول، وايم الله لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما، ثم يرسل إليهم، فيطيعه من كان يريد أن يطيعه قبل؛ قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم :{وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا}"[٩].

الفوائد:

١- بيان سنة الله تعالى في إهلاك الأمم غير أنها لا تهلك إلا بعد الإنذار والإعذار إليها.

٢- أنه لا يجني جان إلا على نفسه.

٣- أنه تعالى لا يأخذ أحدا بذنب أحد، وأن نفع العمل وضرره عائد إلى عامله لا إلى غيره.

القرآن

{وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا (١٦)} [الإسراء : ١٦]

التفسير:

---

[١] التفسير الميسر:٢٨٣/١.
[٢] تفسير الطبري:٤٠٢/١٧.
[٣] التفسير الميسر:٢٨٣/١.
[٤] تفسير الطبري:٤٠٢/١٧.
[٥] أخرجه الطبري:٤٠٢/١٧.
[٦] التفسير الميسر:٢٨٣/١.
[٧] تفسير الطبري:٤٠٢/١٧.
[٨] أخرجه الطبري:٤٠٢/١٧.
[٩] أخرجه الطبري:٤٠٢/١٧-٤٠٣.

وإذا أردنا إهلاك أهل قرية لظلمهم أَمَرْنا مترفيهم بطاعة الله وتوحيده وتصديق رسله، وغيرهم تبع لهم، فعصَوا أمر ربهم وكذَّبوا رسله، فحقَّ عليهم القول بالعذاب الذي لا مردَّ له، فاستأصلناهم بالهلاك التام.

قوله تعالى:{وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا} [الإسراء : ١٦]، أي:" وإذا أردنا هلاك قوم من الأقوام أمرنا المتنعمِّين فيها والقادة والرؤساء بالطاعة على لسان رسلنا فعصوا أمرنا وخرجوا عن طاعتنا وفسقوا وفجروا"[١].

قال الطبري:{ فَفَسَقُوا فِيهَا}، أي:" فخالفوا أمر الله فيها، وخرجوا عن طاعته"[٢].

عن مجاهد:" {أمرنا مترفيها}، قال: بعثنا"[٣].

عن ابن عباس، قوله :"{أمرنا مترفيها}، يقول: سلطنا أشرارها فعصوا فيها، فإذا فعلوا ذلك أهلكتهم بالعذاب، وهو قوله {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا}[٤]"[٥].
فِيهَا}[٤]"[٥].

وفي قوله تعالى:{أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا} [الإسراء : ١٦]، وجوه من القراءات:

القراءة: الأولى: «أمرنا» مخففة، على وزن «فعلنا»، قرأ بها الأعمش[٦]، ورواه الفراء عن حميد الأعرج عن مجاهد[٧]، وهي قراءة الاكثرين[٨].

وفيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه من الأمر، وفي الكلام إضمار، تقديره: أمرنا مترفيها بالطاعة، ففسقوا، هذا مذهب ابن عباس[٩]، وسعيد بن جبير[١٠].

قال الفراء:" أي: إن المترف إذا أمر بالطاعة خالف إلى الفسوق"[١١].

قال الزجاج:" فأما من قرأ بالتخفيف فهو من الأمر، المعنى: أمرناهم بالطاعة ففسقوا"[١٢].

عن ابن عباس :"{أمرنا مترفيها}، قال: بطاعة الله، فعصوا"[١٣].

قال سعيد بن جبير:" أمرنا بالطاعة فعصوا"[١٤].

قال الزجاج: "ومثل قوله: {أمرنا مترفيها ففسقوا فيها} من الكلام: أمرتك فعصيتني، فقد علم أن المعصية مخالفة الأمر، وكذلك الفسق مخالفة أمر الله جل ثناؤه"[١٥].

والثاني: كثرنا، يقال: أمرت الشيء وآمرته، أي: كثرته، ومنه الحديث: «مهرة مأمورة»[١٦]، أي: كثيرة النتاج، يقال: أمر بنو فلان يأمرون أمرا: إذا كثروا، هذا قول أبي عبيدة[١]، وابن قتيبة[٢]، وذكره الزجاج[٣].

---

[١] صفوة التفاسير:١٤٢/٢.
[٢] تفسير الطبري:٤٠٦/١٧.
[٣] أخرجه الطبري:٤٠٤/١٧.
[٤][الأنعام : ١٢٣].
[٥] أخرجه الطبري:٤٠٤/١٧.
[٦] معاني القرآن:١١٩/٢.
[٧] معاني القرآن:١١٩/٢.
[٨] انظر: زاد المسير:١٦/٣.
[٩] انظر: الطبري:٤٠٣/١٧.
[١٠] انظر: تفسير الطبري:٤٠٣/١٧.
[١١] معاني القرآن:١١٩/٢.
[١٢] معاني القرآن:٢٣١/٣.
[١٣] أخرجه الطبري:٤٠٣/١٧.
[١٤] أخرجه الطبري:٤٠٣/١٧.
[١٥] معاني القرآن:٢٣٢/٣.
[١٦]روي عن سويد بن هبيرة عن النبي ﷺ قال:
«خير مال امرئ له مهرة مأمورة أو سكة مأبورة» .

عن الحسن، في قوله :"{أمرنا مترفيها} قال: أكثرناهم"[٤]. وروي عن قتادة مثله[٥].
وروي عن ابن عباس، قوله :"{وإذا أردنا أن نهلك قرية آمرنا مترفيها ففسقوا فيها}، يقول: أكثرنا عددهم"[٦].
روي عن عكرمة قوله :"{آمرنا مترفيها}، قال: أكثرناهم"[٧].
وقال الضحاك:" أكثرنا مترفيها: أى كبراءها"[٨].
وعن قتادة، قال:" يقول: أكثرنا مترفيها: أى جبابرتها، ففسقوا فيها وعملوا بمعصية الله {فدمرناها تدميرا}، وكان يقال: إذا أراد الله بقوم صلاحا، بعث عليهم مصلحا، وإذا أراد بهم فسادا بعث عليهم مفسدا، وإذا أراد أن يهلكها أكثر مترفيها"[٩].
قال ابن زيد:" ذكر بعض أهل العلم أن «أمرنا»: أكثرنا. قال: والعرب تقول للشيء الكثير أمر لكثرته"[١٠].
قال الطبري:" فأما إذا وصف القوم بأنهم كثروا، فإنه يقال: أمر بنو فلان، وأمر القوم يأمرون أمرا، وذلك إذا كثروا وعظم أمرهم، كما قال لبيد[١١]:
إن يغبطوا يهبطوا وإن أمروا ... يوما يصيروا للقل والنقد
و«الأمر»: المصدر، والاسم «الإمر»، كما قال الله جل ثناؤه {لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا} [الكهف : ٧١]، قال: عظيما، وحكي في مثل شر إمر: أي: كثير"[١٢].
والثالث: أن معنى «أمرنا» : أمرنا، يقال: أمرت الرجل، بمعنى: أمرته، والمعنى: سلطنا مترفيها بالإمارة، ذكره ابن الأنباري[١٣].
القراءة الثانية: «آمرنا» ممدودة، مثل «آمنا»، وروى خارجة عن نافع[١٤]، وكذلك روى حماد بن سلمة عن ابن كثير[١٥]، وهي قراءة ابن عباس[١٦]، وأبي الدرداء[١٧]، وأبي رزين[١٨]، والحسن[١٩]، والضحاك[١]، ويعقوب[٢].

رواه أحمد (٣/ ٤٦٨) والبيهقي (١٠/ ٦٤) والطبراني (٧/ ١٠٧) واللئالئ (٢/ ١٧) وشرح السنة (١٠/ ٣٨٧) وكشاف (٩٨) والكنز (٩٣٤٤) والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٤٣٨) وابن كثير (٢/ ١٧، ٥/ ٥٨) .
قوله: «المأمورة: كثيرة النسل. و «السكة» : الطريقة المصطفة من النخل. و «المأبورة: من التأبير.
[١] انظر: مجاز القرآن:٣٧٢/١.
[٢] انظر: غريب القرآن:٢٥٣.
[٣] انظر: معاني القرآن:٢٣٢/٣.
[٤] أخرجه الطبري:٤٠٥/١٧.
[٥] انظر: تفسير الطبري:٤٠٥/١٧.
[٦] أخرجه الطبري:٤٠٤/١٧.
[٧] أخرجه الطبري:٤٠٤/١٧.
[٨] أخرجه الطبري:٤٠٥/١٧.
[٩] أخرجه الطبري:٤٠٥/١٧.
[١٠] أخرجه الطبري:٤٠٦/١٧.
[١١]البيت في ديوان لبيد طبع فينا سنة ١٨٨٠ رواية الطوسي ص ١٩ وفي روايته آخر البيت: "للهلك والنكد" في موضع: للقل والنقد في رواية المؤلف: وقال شارحه: يقول: إن غبطوا يوما فإنهم يموتون، ويهبطوا هاهنا يموتون. قال أبو الحسن: وهو قول أبي عمرو. ويروى: "إن يغبطوا: يموتون غبطة، كأنهم يموتون من غير مرض. ويقال للناقة إذا ذبحت من غير علة: اعتبطت، أخذه من العبيط، والعبيط: الطري من كل شيء" أهـ. قلت: والقد النفد بمعنى القلة والغناء.
[١٢] تفسير الطبري:٤٠٥/١٧-٤٠٦، وانظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة:٣٧٣/١.
[١٣] انظر: زاد المسير:١٦/٣.
[١٤] انظر: السبعة في القراءات: ٣٧٩، وزاد المسير:١٦/٣.
[١٥] انظر: السبعة في القراءات: ٣٧٩، وزاد المسير:١٦/٣.
[١٦] انظر: زاد المسير:١٦/٣.
[١٧] انظر: زاد المسير:١٦/٣.
[١٨] انظر: زاد المسير:١٦/٣.
[١٩] انظر: تفسير الطبري:٤٠٤/١٧، ومعاني القرآن للفراء:١١٩/٢.

عن الحسن البصري:" أنه قرأ ذلك «آمرنا»، بمد الألف من أمرنا، بمعنى: أكثرنا فسقتها"[٣].

قال الفراء:" معنى :«آمرنا»، بالمد: أكثرنا "[٤].

قال ابن قتيبة: " وقرأ أقوام :«آمرنا» بالمد، وهي اللغة العالية المشهورة. أي كثرنا"[٥].

قال الطبري:" وجه تأويل هذا الحرف إلى هذا التأويل جماعة من أهل التأويل، إلا أن الذين حدثونا لم يميزوا لنا اختلاف القراءات في ذلك، وكيف قرأ ذلك المتأولون، إلا القليل منهم"[٦].

القراءة الثالثة: «أمرنا» مشددة الميم، رواه ابن مجاهد وابو العباس ختن ليث عن أبي عمرو[٧]، وهي رواية أبان عن عاصم[٨]، وهي قراءة أبي العالية[٩]، والنخعي[١٠]، والجحدري[١١]، وأبي عثمان النهدي[١٢].

عن أبي العالية، قال: "«أمرنا» مثقلة: جعلنا عليها مترفيها: مستكبريها"[١٣].

قال ابن قتيبة: " ومن قرأ :«أمرنا»، فهو من «الإمارة»، أي: جعلناهم أمراء"[١٤].

قال الزجاج:" ومن قرأ :«أمّرنا» بالتشديد، فمعناه: سلطنا مترفيها ،أي: جعلنا لهم إمرة وسلطانا"[١٥].

قال الفراء:" وقرأ أبو العالية الرياحي «أمرنا مترفيها» وهو موافق لتفسير ابن عباس، وذلك أنه قال: سلطنا رؤساءها ففسقوا فيها"[١٦].

وروي عن الربيع بن أنس:" أنه قرأها :«أمرنا» وقال: سلطنا"[١٧].

القراءة الرابعة: «أمرنا» بفتح الهمزة مكسورة الميم مخففة، قرأ بها أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وابن يعمر [١٨].

القراءة الخامسة: : «بعثنا فيها أكابر مجرميها»، وهي قراءة ابي بن كعب[١٩].

قوله تعالى:{فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ} [الإسراء : ١٦]، أي:" فوجب عليهم العذاب بالفسق والطغيان"[٢٠].

قال الطبري:" يقول: فوجب عليهم بمعصيتهم الله وفسوقهم فيها، وعيد الله الذي أوعد من كفر به، وخالف رسله، من الهلاك بعد الإعذار والإنذار بالرسل والحجج"[٢١].

---

[١] انظر: زاد المسير:١٦/٣.
[٢] انظر: زاد المسير:١٦/٣.
[٣] أخرجه الطبري:٤٠٤/١٧.
[٤] معاني القرآن:١١٩/٢.
[٥] غريب القرآن:٢٥٣.
[٦] تفسير الطبري:٤٠٤/١٧.
[٧] انظر: السبعة في القراءات:٣٧٩، و زاد المسير:١٦/٣.
[٨] انظر: زاد المسير:١٦/٣.
[٩] أخرجه الطبري:٤٠٤/١٧.
[١٠] انظر: زاد المسير:١٦/٣.
[١١] انظر: زاد المسير:١٦/٣.
[١٢] انظر: الطبري:٤٠٤/١٧.
[١٣] أخرجه الطبري:٤٠٤/١٧.
[١٤] غريب القرآن:٢٥٣.
[١٥] معاني القرآن:٢٣٢/٣.
[١٦] معاني القرآن:١١٩/٢.
[١٧] أخرجه الطبري:٤٠٤/١٧.
[١٨] انظر: زاد المسير:١٦/٣.
[١٩] معاني القرآن:١١٩/٢.
[٢٠] صفوة التفاسير:١٤٢/٢.
[٢١] تفسير الطبري:٤٠٦/١٧.

قوله تعالى:{فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا} [الإسراء : ١٦]، أي:" فأهلكناهم إهلاكاً مُريعاً"[١].

قال الطبري:" يقول: فخربناها عند ذلك تخريبا، وأهلكنا من كان فيها من أهلها إهلاكا، كما قال الفرزدق[٢]:

وكان لهم كبكر ثمود لما ... رغا ظهرا فدمرهم دمارا

والبيت من قصيدة ناقض بها الفرزدق قصيدة جرير التي مطلعها[٣]:

ألا حي الديار بسعد إني ... أحب لحب فاطمة الذيارا

والضمير في قوله :"وكان لهم كبكر ثمود" راجع إلى جرير المذكور في البيت قبله وهو:

جر المخزيات على كليب ... جرير ثم ما منع الدمارا

وبكر ثمود: ولد ناقة صالح. ورغا: صوت. والرغاء: صوت ذوات الخف"[٤].

عن الزهري، قال: دخل رسول الله ﷺ يوما على زينب وهو يقول: "لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا، وحلق بين إبهامه والتي تليها، قالت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث"[٥].

القرآن

{وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (١٧)} [الإسراء : ١٧]

التفسير:

وكثيرا أهلكنا من الأمم المكذبة رسلها مِن بعد نبي الله نوح. وكفى بربك -أيها الرسول- أنه عالم بجميع أعمال عباده، لا تخفى عليه خافية.

قوله تعالى:{وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ} [الإسراء : ١٧]، أي:" وكثيرا أهلكنا من الأمم المكذبة رسلها مِن بعد نبي الله نوح"[٦].

قال الطبري:" وهذا وعيد من الله تعالى ذكره مكذبي رسوله محمد ﷺ من مشركي قريش، وتهديدهم لهم بالعقاب، وإعلام منه لهم، أنهم إن لم ينتهوا عما هم عليه مقيمون من تكذيبهم رسوله ﷺ أنه محل بهم سخطه، ومنزل بهم من عقابه ما أنزل بمن قبلهم من الأمم الذين سلكوا في الكفر بالله، وتكذيب رسله سبيلهم، يقول الله تعالى ذكره: وقد أهلكنا أيها القوم من قبلكم من بعد نوح إلى زمانكم قرونا كثيرة كانوا من جحود آيات الله والكفر به، وتكذيب رسله، على مثل الذي أنتم عليه، ولستم بأكرم على الله تعالى منهم، لأنه لا مناسبة بين أحد وبين الله جل ثناؤه، فيعذب قوما بما لا يعذب به آخرين، أو يعفو عن ذنوب ناس فيعاقب عليها آخرين؛ يقول جل ثناؤه: فأنيبوا إلى طاعة الله ربكم، فقد بعثنا إليكم رسولا ينبهكم على حججنا عليكم، ويوقظكم من غفلتكم، ولم نكن لنعذب قوما حتى نبعث إليهم رسولا منبها لهم على حجج الله، وأنتم على فسوقكم مقيمون"[٧].

واختلف في مدة«القرن»، على أقوال:

أحدها: أن القرن: عشرون ومئة سنة. قاله أبو محمد بن عبد الله بن أبي أوفى[٨].

وقال أبو محمد:" بعث رسول الله ﷺ في أول قرن كان، وآخرهم يزيد بن معاوية"[١].

---

[١] صفوة التفاسير:١٤٢/٢.

[٢] البيت للفرزدق (ديوانه ٤٤٣) استشهد به الطبري على أن قوله تعالى: "فدمرناها تدميرا" معناه: خربناها تخريبا.

[٣] انظر: شرح نقائض جرير وفرزدق:٤٢٧/٢.

[٤] تفسير الطبري:٤٠٦/١٧.

[٥] أخرجه الطبري:٤٠٥/١٧.

[٦] التفسير الميسر:٢٨٣/١.

[٧] تفسير الطبري:٤٠٧/١٧.

[٨] انظر: تفسير الطبري:٤٠٧/١٧.

الثاني: أن القرن: مئة سنة.

عن محمد بن القاسم، عن عبد الله بن بسر المازني، قال: "وضع النبي ﷺ يده على رأسه وقال: «سيعيش هذا الغلام قرنا» قلت: كم القرن؟ قال: «مئة سنة»"[٢].

قال محمد بن القاسم:" ما زلنا نعد له حتى تمت مئة سنة ثم مات، قال أبو الصلت: أخبرني سلامة أن محمد بن القاسم هذا كان ختن عبد الله بن بسر"[٣].

الثالث: ما رواه ابن سيرين،عن رسول الله ﷺ، قال: "القرن أربعون سنة"[٤].

قوله تعالى:{وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا} [الإسراء : ١٧]، أي:" وكفى بربك -أيها الرسول- أنه عالم بجميع أعمال عباده، لا تخفى عليه خافية"[٥].

قال ابن كثير:" أي : هو عالم بجميع أعمالهم ، خيرها وشرها ، لا يخفى عليه منها خافية سبحانه وتعالى"[٦].

قال الطبري:" وكفى بربك يا محمد بذنوب عباده خبيرا: يقول: وحسبك يا محمد بالله خابرا بذنوب خلقه عالما، فإنه لا يخفى عليه شيء من أفعال مشركي قومك هؤلاء، ولا أفعال غيرهم من خلقه، وهو بجميع ذلك عالم خابر بصير، يقول: يبصر ذلك كله فلا يغيب عنه منه شيء، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر"[٧].

فوائد الآيتين:[١٦-١٧]:

١- التحذير من كثرة التنعم والترف فإنه يؤدي إلى الفسق بترك الطاعة ثم يؤدي الفسق إلى الهلاك والدمار.

٢- إثبات اسمين من أسماء الله. وهما «الخبير»، و«البصير»:

- فـ«الخبير»: أي:"العالم العارف بما كان وما يكون"[٨].

قال الخطابي:"هو العالم بكنه الشيء، المطلع على حقيقته، كقوله تعالى: { فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيْرَاً } [الفرقان:٥٩]. يقال فلان بهذا الأمر خبير؛ وله به خبر، وهو أخبر به من فلان؛ أي: أعلم. إلا أن الخبر في صفة المخلوقين إنما يستعمل في نوع العلم الذي يدخلة الاختبار، ويتوصل إليه بالامتحان، والاجتهاد، دون النوع المعلوم ببدائه العقول.

وعلم الله -سبحانه- سواء فيما غمض من الأشياء و فيما لطف، وفيما تجلى به منه وظهر. وإنما تختلف مدارك علوم الآدميين الذين يتوصلون إليها بمقدمات من حس، وبمعاناة من نظر، وفكر؛ ولذلك قيل لهم: ليس الخبر كالمعاينة، وتعالى الله عن هذه الصفات علوا كبيرا"[٩].

- و«البصير»" يعني: المدرك لجميع المبصرات"[١٠].

القرآن

{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (١٨)} [الإسراء : ١٨]

---

[١] أخرجه الطبري:١٧:٤٠٧.
[٢] أخرجه الطبري:١٧:٤٠٧.
[٣] أخرجه الطبري:٤٠٧/١٧-٤٠٨.
[٤] أخرجه الطبري:٤٠٨/١٧.
[٥] التفسير الميسر:٢٨٣/١.
[٦] تفسير ابن كثير:٦٢/٥.
[٧] تفسير الطبري:٤٠٧/١٧.
[٨] جامع الأصول:١٧٣/٤.
[٩] شأن الدعاء:٦٣.
[١٠] انظر: شرح العقيدة الواسطية، ابن عثيمين:٢٠٨/١.

التفسير:
من كان طلبه الدنيا العاجلة، وسعى لها وحدها، ولم يصدِّق بالآخرة، ولم يعمل لها، عجَّل الله له فيها ما يشاؤه الله ويريده مما كتبه له في اللوح المحفوظ، ثم يجعل الله له في الآخرة جهنم، يدخلها ملومًا مطرودًا من رحمته عز وجل؛ وذلك بسبب إرادته الدنيا وسعيه لها دون الآخرة.

قوله تعالى:{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ} [الإسراء : ١٨]، أي:" من كان طلبه الدنيا العاجلة، وسعى لها وحدها، ولم يصدِّق بالآخرة، ولم يعمل لها"[١].

قال قتادة:" يقول: من كانت الدنيا همه وسدمه وطلبته ونيته"[٢].

قال ابن زيد:" العاجلة: الدنيا"[٣].

قوله تعالى:{عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ} [الإسراء : ١٨]، أي:" عجَّل الله له فيها ما يشاؤه الله ويريده مما كتبه له في اللوح المحفوظ،"[٤].

قال قتادة:" عجل الله له فيها ما يشاء"[٥].

روي عن أبي إسحاق الفزاري ، يقول :"{عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد}، قال: لمن نريد هلكته"[٦].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى أنه ما كل من طلب الدنيا وما فيها من النعيم يحصل له ، بل إنما يحصل لمن أراد الله ما يشاء. وهذه مقيدة لإطلاق ما سواها من الآيات "[٧].

قال السعدي:" يعجل له من حطامها ومتاعها ما يشاؤه ويريده مما كتب الله له في اللوح المحفوظ ولكنه متاع غير نافع ولا دائم له"[٨].

قال الصابوني:أي:" عجلنا له فيها ما نشاء تعجيله من نعيمها لا كلَّ ما يريد"[٩].

عن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : قال رسول الله ﷺ : "الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له"[١٠].

قوله تعالى:{ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ} [الإسراء : ١٨]، أي:" ثم يجعل الله له في الآخرة جهنم"[١١].

قال قتادة:" ثم اضطره إلى جهنم"[١٢].

قوله تعالى:{يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا} [الإسراء : ١٨]، أي:" يدخلها ملومًا مطرودًا من رحمته عز وجل"[١٣].

قال قتادة:" مذموما في نعمة الله مدحورا في نقمة ال"[١٤].

عن ابن عباس:" قوله ":{مذموما}، يقول: ملوما"[١٥].

قال السعدي:" أي: يباشر عذابها في حالة الخزي والفضيحة والذم من الله ومن خلقه، والبعد عن رحمة الله فيجمع له بين العذاب والفضيحة"[١].

---

[١] التفسير الميسر:١٨٤.
[٢] اخرجه الطبري:٤٠٩/١٧.
[٣] اخرجه الطبري:٤٠٩/١٧.
[٤] التفسير الميسر:١٨٤.
[٥] اخرجه الطبري:٤٠٩/١٧.
[٦] اخرجه الطبري:٤٠٩/١٧.
[٧] تفسير ابن كثير:٦٢/٥-٦٣.
[٨] تفسير السعدي:٤٥٥.
[٩] صفوة التفاسير:١٤٢/٢.
[١٠]المسند (٧١/٦) وقال الهيثمي في المجمع (٢٨٨/١٠) : "رجاله رجال الصحيح غير دويد وهو ثقة".
[١١] التفسير الميسر:١٨٤.
[١٢] اخرجه الطبري:٤٠٩/١٧.
[١٣] التفسير الميسر:١٨٤.
[١٤] اخرجه الطبري:٤٠٩/١٧.
[١٥] اخرجه الطبري:٤٠٩/١٧.

القرآن

{وَمَنْ أَرَادَ الْآَخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (١٩)} [الإسراء : ١٩]

التفسير:

ومَن قصد بعمله الصالح ثواب الدار الآخرة الباقية، وسعى لها بطاعة الله تعالى، وهو مؤمن بالله وثوابه وعظيم جزائه، فأولئك كان عملهم مقبولا مُدَّخرًا لهم عند ربهم، وسيثابون عليه.

قوله تعالى:{وَمَنْ أَرَادَ الْآَخِرَةَ} [الإسراء : ١٩]، أي:" ومَن قصد بعمله الصالح ثواب الدار الآخرة الباقية"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: من أراد الآخرة وإياها طلب"[٣].

قال ابن كثير:" أي : أراد الدار الآخرة وما فيها من النعيم والسرور "[٤].

قوله تعالى:{وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ} [الإسراء : ١٩]، أي:" وسعى لها بطاعة الله تعالى، وهو مؤمن بالله وثوابه وعظيم جزائه"[٥].

قال الطبري:" ولها عمل عملها، الذي هو طاعة الله وما يرضيه عنه.. [وهو]مصدق بثواب الله، وعظم جزائه على سعيه لها، غير مكذب به تكذيب من أراد العاجلة"[٦].

قال ابن كثير:" أي : طلب ذلك من طريقه وهو متابعة الرسول { وَهُوَ مُؤْمِنٌ } أي : وقلبه مؤمن ، أي : مصدق بالثواب والجزاء "[٧].

قوله تعالى:{فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا} [الإسراء : ١٩]، أي:" فأولئك كان عملهم مقبولا مُدَّخرًا لهم عند ربهم، وسيثابون عليه"[٨].

قال الطبري:" يعني: فمن فعل ذلك {كان سعيهم} يعني عملهم بطاعة الله {مشكورا} وشكر الله إياهم على سعيهم ذلك حسن جزائه لهم على أعمالهم الصالحة، وتجاوزه لهم عن سيئها برحمته"[٩].

قال الصابوني:" أي: فأولئك الجامعون للخصال الحميدة من الإخلاص، والعمل الصالح، والإيمان، كان عملهم مقبولاً عند الله أحسن القبول، مثاباً عليه"[١٠].

قال قتادة:" شكر الله لهم حسناتهم، وتجاوز عن سيئاتهم"[١١].

الفوائد:

القرآن

{كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (٢٠)} [الإسراء : ٢٠]

التفسير:

كل فريق من العاملين للدنيا الفانية، والعاملين للآخرة الباقية نزيده مِن رزقنا، فنرزق المؤمنين والكافرين في الدنيا؛ فإن الرزق مِن عطاء ربك تفضلا منه، وما كان عطاء ربك ممنوعا من أحد مؤمنًا كان أم كافرًا.

---

[١] تفسير السعدي:٤٥٥.
[٢] التفسير الميسر:١٨٤.
[٣] تفسير الطبري:٤١٠/١٧.
[٤] تفسير ابن كثير:٦٣/٥.
[٥] التفسير الميسر:١٨٤.
[٦] تفسير الطبري:٤١٠/١٧-٤١١.
[٧] تفسير ابن كثير:٦٣/٥.
[٨] التفسير الميسر:١٨٤.
[٩] تفسير الطبري:٤١٠/١٧.
[١٠] صفوة التفاسير:١٤٢/٢.
[١١] أخرجه الطبري:٤١٠/١٧.

قوله تعالى:{كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ} [الإسراء : ٢٠]، أي:" كل فريق من العاملين للدنيا الفانية، والعاملين للآخرة الباقية نزيده مِن رزقنا، فنرزق المؤمنين والكافرين في الدنيا"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: يمد ربك يا محمد كلا الفريقين من مريدي العاجلة، ومريدي الآخرة، الساعي لها سعيها وهو مؤمن في هذه الدنيا من عطائه، فيرزقهما جميعا من رزقه إلى بلوغهما الأمد، واستيفائهما الأجل ما كتب لهما، ثم تختلف بهما الأحوال بعد الممات، وتفترق بهما بعد الورود المصادر، ففريق مريدي العاجلة إلى جهنم مصدرهم، وفريق مريدي الآخرة إلى الجنة مآبهم"[٢].

قال ابن كثير:" أي: كل واحد من الفريقين الذين أرادوا الدنيا والذين أرادوا الآخرة ، نمدهم فيما هم فيه { مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ } أي : هو المتصرف الحاكم الذي لا يجور ، فيعطي كلا ما يستحقه من الشقاوة والسعادة ولا راد لحكمه ولا مانع لما أعطى ، ولا مغير لما أراد"[٣].

قال الحسن:" كلّا نعطي من الدنيا، البر والفاجر"[٤].

قال ابن عباس:" فيرزق من أراد الدنيا، ويرزق من أراد الآخرة"[٥].

قال قتادة:"إن الله عز وجل قسم الدنيا بين البر والفاجر، والآخرة خصوصا عند ربك للمتقين"[٦].

عن ابن زيد:" {كلا نمد هؤلاء وهؤلاء}، أهل الدنيا وأهل الآخرة"[٧].

قوله تعالى:{وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا} [الإسراء : ٢٠]، أي:" وما كان عطاء ربك ممنوعا من أحد مؤمنًا كان أم كافرًا"[٨].

قال الحسن وابن جريج و ابن زيد:" ممنوعا"[٩].

قال قتادة:" أي: منقوصا"[١٠].

قال ابن زيد:" من بر ولا فاجر، قال: والمحظور: الممنوع"[١١].

قال الطبري:" يقول: وما كان عطاء ربك الذي يؤتيه من يشاء من خلقه في الدنيا ممنوعا عمن بسطه عليه لا يقدر أحد من خلقه منعه من ذلك، وقد آتاه الله إياه"[١٢].

قال ابن كثير:" أي : ممنوعا ، أي : لا يمنعه أحد ولا يرده راد "[١٣].

فوائد الآيات:[١٨-٢٠]:

الفوائد:

١- كلا الدارين السعادة فيها أو الشقاء متوقف على الكسب والعمل هذه سنة الله تعالى في العباد.
٢- سعى الدنيا التجارة والفلاحة والصناعة.
٣- سعى الآخرة الإيمان وصالح الأعمال والتخلية عن الشرك والمعاصي.

---

[١] التفسير الميسر:٢٨٣.
[٢] تفسير الطبري:٤١٠/١٧.
[٣] تفسير ابن كثير:٦٣/٥.
[٤] أخرجه الطبري:٤١١/١٧.
[٥] أخرجه الطبري:٤١١/١٧.
[٦] أخرجه الطبري:٤١١/١٧.
[٧] أخرجه الطبري:٤١١/١٧.
[٨] التفسير الميسر:٢٨٣.
[٩] أخرجه الطبري:٤١١/١٧. عن ابن جريج وابن زيد، وحكاه ابن كثير في تفسيره:٦٣/٥ عن الحسن.
[١٠] أخرجه الطبري:٤١١/١٧.
[١١] أخرجه الطبري:٤١١/١٧.
[١٢] تفسير الطبري:٤١٠/١٧.
[١٣] تفسير ابن كثير:٦٣/٥.

٤- يعطي الله تعالى الدنيا من يحب ومن لا يحب وعطاؤه قائم على سنن له في الحياة يجب معرفتها والعمل بمقتضاها لمن أراد الدنيا والآخرة.
٥- ما أعطاه الله لا يمنعه أحد فوجب التوكل على الله والإعراض عما سواه.

القرآن

{انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (٢١)} [الإسراء : ٢١]

التفسير:

تأمل -أيها الرسول- في كيفية تفضيل الله بعض الناس على بعض في الدنيا في الرزق والعمل، ولَلآخرة أكبرُ درجات للمؤمنين وأكبر تفضيلا.

قوله تعالى:{انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ} [الإسراء : ٢١]، أي:" تأمل -أيها الرسول- في كيفية تفضيل الله بعض الناس على بعض في الدنيا في الرزق والعمل"[١].

قال قتادة:" أي: في الدنيا"[٢].

قال السعدي:أي:" في الدنيا بسعة الأرزاق وقلتها، واليسر والعسر والعلم والجهل والعقل والسفه وغير ذلك من الأمور التي فضل الله العباد بعضهم على بعض بها"[٣].

قوله تعالى:{وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا} [الإسراء : ٢١]، أي:" ولَلآخرة أكبرُ درجات للمؤمنين وأكبر تفضيلا"[٤].

قال البيضاوي:" أي: التفاوت في الآخرة أكبر، لأن التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها"[٥].

قال السعدي:" فلا نسبة لنعيم الدنيا ولذاتها إلى الآخرة بوجه من الوجوه، فكم بين من هو في الغرف العاليات واللذات المتنوعات والسرور والخيرات والأفراح ممن هو يتقلب في الجحيم ويعذب بالعذاب الأليم، وقد حل عليه سخط الرب الرحيم وكل من الدارين بين أهلها من التفاوت ما لا يمكن أحدا عده"[٦].

قال قتادة:" وإن للمؤمنين في الجنة منازل وإن لهم فضائل بأعمالهم"[٧].

أخرج يحيى بن سلام بسنده عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «يحتبس أهل الجنة كلهم دون الجنة حتى يؤخذ لبعضهم من بعض، ويفاضل ما بينهم، مثل كوكب بالمشرق وكوكب بالمغرب»[٨].

وعن أبي المتوكل الناجي، قال: قال رسول الله ﷺ: " الدرجة في الجنة فوق الدرجة كما بين السماء والأرض، وإن العبد ليرفع بصره فيلمع له برق يكاد أن يختلف بصره، فيفزع لذلك، فيقول: ما هذا؟ فيقال له: هذا نور أخيك فلان، فيقول: أخي فلان، كنا في الدنيا نعمل جميعا وقد فضل علي هكذا، فيقال له: إنه كان أحسن منك عملا». قال: ثم يجعل في قلبه الرضا حتى يرضى"[٩].

---

[١] التفسير الميسر:٢٨٤.
[٢] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٢٥):ص٢٣٢٣/٧.
[٣] تفسير السعدي:٤٥٥.
[٤] التفسير الميسر:٢٨٤.
[٥] تفسير البيضاوي:٢٥٢/٣.
[٦] تفسير السعدي:٤٥٥.
[٧] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٢٥):ص٢٣٢٣/٧.
[٨] تفسير يحيى بن سلام:١٢٥/١.
[٩] أخرجه يحيى بن سلام في تفسيره:١٢٥/١.

عن ابن عمر، قال: "إن أدنى أهل الجنة درجة الذي ينظر إلى ملكه مسيرة ألف سنة، وإن أرفع أهل الجنة درجة للذي ينظر إلى ربه بكرة وعشيا"[1].

الفوائد:

١- يعطي الله تعالى الدنيا من يحب ومن لا يحب وعطاؤه قائم على سنن له في الحياة يجب معرفتها والعمل بمقتضاها لمن أراد الدنيا والآخرة.

٢- ما أعطاه الله لا يمنعه أحد فوجب التوكل على الله والإعراض عما سواه.

القرآن

{لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا (٢٢)} [الإسراء : ٢٢]

التفسير:

لا تجعل -أيها الإنسان- مع الله شريكًا له في عبادته، فتبوء بالمذمة والخِذْلان.

قوله تعالى:{لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} [الإسراء : ٢٢]، أي:" لا تجعل -أيها الإنسان- مع الله شريكًا له في عبادته"[2].

قال ابن كثير:" يقول تعالى : والمراد المكلفون من الأمة ، لا تجعل أيها المكلف في عبادتك ربك له شريكًا "[3].

قال القرطبي:" الخطاب للنبي ﷺ والمراد أمته. وقيل: الخطاب للإنسان"[4].

قال البيضاوي:" الخطاب للرسول ﷺ والمراد به أمته أو لكل أحد"[5].

عن أبي مجلز قال: "كنت جالسا، عند عبد الله بن عمر، فسأله رجل، عن الشرك؟ قال: أن تجعل مع الله إلها آخر"[6].

قوله تعالى:{فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا} [الإسراء : ٢٢]، أي:" ، فتبوء بالمذمة والخِذْلان"[7].

قال قتادة:" في نقمة الله مخذولا في عذاب الله"[8].

عن ابن عباس قوله: "{مذموما}، يقول: ملوما"[9].

قال القرطبي:" أي: تبقى {مذموما مخذولا} لا ناصر لك ولا وليا"[10].

قال البيضاوي:" فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة، أو فتعجز من قولهم قعد عن الشيء إذا عجز عنه. مذموما مخذولا جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى، ومفهومه أن الموحد يكون ممدوحا منصورا"[11].

قال ابن كثير:" {مَذْمُومًا } على إشراكك، { مَخْذُولا}، لأن الرب تعالى لا ينصرك ، بل يكلك إلى الذي عبدت معه ، وهو لا يملك لك ضرًا ولا نفعًا ؛ لأن مالك الضر والنفع هو الله وحده لا شريك له "[12].

قال السعدي في هذه الآية:" أي: لا تعتقد أن أحدا من المخلوقين يستحق شيئا من العبادة ولا تشرك بالله أحدا منهم فإن ذلك داع للذم والخذلان، فالله وملائكته ورسله قد نهوا عن الشرك

---

[1] أخرجه يحيى بن سلام في تفسيره:١٢٥/١.

[2] التفسير الميسر:٢٨٤.

[3] تفسير ابن كثير:٦٤/٥.

[4] تفسير القرطبي:٢٣٦/١٠.

[5] تفسير البيضاوي:٢٥٢/٣.

[6] أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٠١٠):ص٢٨٢٥/٩.

[7] التفسير الميسر:٢٨٤.

[8] اخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٢٨):ص٢٣٢٣/٧.

[9] اخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٢٧):ص٢٣٢٣/٧.

[10] تفسير القرطبي:٢٣٦/١٠.

[11] تفسير البيضاوي:٢٥٢/٣.

[12] تفسير ابن كثير:٦٤/٥.

وذموا من عمله أشد الذم ورتبوا عليه من الأسماء المذمومة، والأوصاف المقبوحة ما كان به متعاطيه، أشنع الخلق وصفا وأقبحهم نعتا، وله من الخذلان في أمر دينه ودنياه بحسب ما تركه من التعلق بربه، فمن تعلق بغيره فهو مخذول قد وكل إلى من تعلق به ولا أحد من الخلق ينفع أحدا إلا بإذن الله، كما أن من جعل مع الله إلها آخر له الذم والخذلان، فمن وحده وأخلص دينه لله وتعلق به دون غيره فإنه محمود معان في جميع أحواله"[١].

عن ابن مسعود - قال : قال رسول الله ﷺ : "من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ، ومن أنزلها بالله أوشك الله له بالغنى، إما أجَلٌ عاجل وإما غنى عاجل"[٢].

الفوائد:

١- توحيد الألوهية، ومعناه: جعل العبادة لله وحده.
٢- إن أعظم ما نهى الله عنه الشرك، والشرك أعظم أسباب الخذلان.
٣- الوعيد على الشرك بالخلود في نار جهنم.
٤-

القرآن

{وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣)} [الإسراء : ٢٣]

التفسير:

وأَمَر ربك -أيها الإنسان- وألزم وأوجب أن يفرد سبحانه وتعالى وحده بالعبادة، وأمر بالإحسان إلى الأب والأم، وبخاصة حالةُ الشيخوخة، فلا تضجر ولا تستثقل شيئًا تراه من أحدهما أو منهما، ولا تسمعهما قولا سيئًا، حتى ولا التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيئ، ولا يصدر منك إليهما فعل قبيح، ولكن ارفق بهما، وقل لهما -دائما- قولا لينًا لطيفًا.

سبب النزول:

قال ابن عباس : "نزلت هذه الآية والآية التي بعدها في سعد بن أبي وقاص "[٣].

قوله تعالى:{وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ} [الإسراء : ٢٣]، أي:" وأَمَر ربك -أيها الإنسان- وألزم وأوجب أن يفرد سبحانه وتعالى وحده بالعبادة"[٤].

وقال ابن عباس:" أنزل الله هذا الحرف على لسان نبيكم ﷺ، «ووصى ربك إن لا تعبدوا إلا إياه»، فالتصقت إحدى الواوين بالصاد، فقرأ الناس: {وقضى ربك}، ولو نزلت علي القضاء، ما أشرك به أحد"[٥].

قوله تعالى:{وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} [الإسراء : ٢٣]، أي:" وأمر بالإحسان إلى الأب والأم"[٦].

قال الحسن:" يقول: برا"[٧].

قوله تعالى:{إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا} [الإسراء : ٢٣]، أي:" قد أوصيناك بهما وبخاصة إذا كبرا أو كبر أحدهما"[٨].

قال الصابوني:" وإنما خصَّ حالة الكِبَر لأنهما حينئذٍ أحوج إلى البر والقيام بحقوقهما لضعفهما ومعنى {عِندَكَ} أي في كنفك وكفالتك"[١].

---

[١] تفسير السعدي:٤٥٥.
[٢]سنن أبي داود برقم (١٦٤٥) وسنن الترمذي برقم (٢٣٢٦). قال الترمذي : "حسن صحيح غريب".
[٣] النكت والعيون:٢٣٨/٣.
[٤] التفسير الميسر:٢٨٤.
[٥] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٢٩):ص٢٣٢٣/٧.
[٦] التفسير الميسر:٢٨٤.
[٧] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٣٠):ص٢٣٢٣/٧.
[٨] صفوة التفاسير:١٤٥/٢.

قوله تعالى:{فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ} [الإسراء : ٢٣]، أي:" لا تقل للوالدين أقل كلمة تظهر الضجر ككلمة أفٍ ولا تسمعهما قولاً سيئاً حتى ولو بكلمة التأفف"[٢].

قال السدي:" أف فما سواه"[٣].

وفي تفسير: {أُفٍّ} [الإسراء : ٢٣]، ثلاثة وجوه:

أحدها : أنه كل ما غلظ من الكلام وقبح ، قاله مقاتل[٤]، وأبو عبيدة[٥].

قل مقاتل:" يعني: الكلام الرديء أن تقول: اللهم أرحني منهما، أو تغلظ عليهما في القول عند كبرهما ومعالجتك إياهما وعند ميط القذر عنهما"[٦].

عن مجاهد:" {إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف}، فيما تميط عنها من الأذى الخلاء والبول، كما كانا لا يقولانه، فيما كان يميطان عنك من الخلاء والبول"[٧].

قا أبو عبيدة:" معناه: ما غلظ وقبح من الكلام"[٨].

الثاني : أنه استقذار الشيء وتغير الرائحة ، قاله الكلبي[٩].

الثالث : أنها كلمة تدل على التبرم والضجر ، خرجت مخرج الأصوات المحكية . والعرب أف وتف ، فالـ«أف» وسخ الأظفار ، والتُّف ما رفعته من الأرض بيدك من شيء حقير. قاله ابن قتيبة[١٠].

قال ابن قتيبة:" والناس يقولون لما يكرهون ويستثقلون: «أف له». وأصل هذا: نفخك للشيء يسقط عليك من تراب أو رماد وغير ذلك، وللمكان تريد إماطة الشيء عنه لتقعد فيه. فقيل لكل مستثقل: «أف لك»"[١١].

وقال السجستاني:" الأف: وسخ الأذن. والتف: وسخ الأظفار، ثم يقال لما يستثقل ويضجر منه: أف له وتف. وقوله جل وعز: {أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُون} [الأنبياء : ٦٧]، أي: نتنا لكم. ويقال: تبا. و«الأف»: النار أيضا. ومنه قوله: {أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُون} [الأنبياء : ٦٧]، أي: النار لكم، وتبا لكم"[١٢].

قوله تعالى:{وَلَا تَنْهَرْهُمَا} [الإسراء : ٢٣]، أي:" ولا تزجرهما بإغلاظٍ فيما لا يعجبك منهما"[١٣].

قل مقاتل:" عند المعالجة، يعني: تغلظ لهما القول"[١٤].

قال ابن قتيبة:" أي: لا تستثقل شيئا من أمرهما، وتضق به صدرا، ولا تغلظ لهما"[١٥].

قوله تعالى:{وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا} [الإسراء : ٢٣]، أي:" قل لهما قولاً حسناً ليناً طيباً بأدب ووقار وتعظيم"[١٦].

---

(١) صفوة التفاسير:١٤٥/٢.
(٢) صفوة التفاسير:١٤٥/٢.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٣٢):ص٢٣٢٤/٧.
(٤) انظر: مقاتل بن سليمان:٥٢٧/٢.
(٥) انظر: مجاز القرآن:٣٧٤/١.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٢٧/٢.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٣١):ص٢٣٢٣/٧.
(٨) مجاز القرآن:٣٧٤/١.
(٩) انظر: النكت والعيون:٢٣٨/٣.
(١٠) انظر: تأويل مشكل القرآن:٩٦.
(١١)تأويل مشكل القرآن:٩٦.
(١٢) غريب القرآن:٩٣.
(١٣) صفوة التفاسير:١٤٥/٢.
(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٢٧/٢.
(١٥) تأويل مشكل القرآن:٩٥-٩٦.
(١٦) صفوة التفاسير:١٤٥/٢.

قال قتادة:" قولا لينا سهلا"[1].
وقال عروة:" إذا دعواك، فقل: لبيكما وسعديكما"[2].
عن أبي المداج التجيبي قال: "قلت لسعيد بن المسيب رضي الله عنه: كل ما ذكر في القرآن من بر الوالدين فقد عرفته إلا قوله: {وقل لهما قولا كريما}، ما هذا القول الكريم؟ قال ابن المسيب: قول العبد المذنب للسيد الفظ"[3].

القرآن

{وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤)} [الإسراء : ٢٤]

التفسير:
وكُنْ لأمك وأبيك ذليلا متواضعًا رحمة بهما، واطلب من ربك أن يرحمهما برحمته الواسعة أحياءً وأمواتًا، كما صبرا على تربيتك طفلا ضعيف الحول والقوة.
قوله تعالى:{وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ} [الإسراء : ٢٤]، أي:" ألنْ جانبك وتواضعْ لهما بتذلّل وخضوع من فرط رحمتك وعطفك عليهما"[4].
قال عروة:" تلين لهما حتى لا يمتنعا من شيء أحباه"[5].
وقال عروة:" إن أغضباك، فلا تنظر إليهما شزرا، فإنه أول ما يعرف غضب المرء بشده نظره إلى من غضب عليه"[6].
قال سعيد بن جبير:" يقول: اخضع لوالديك كما يخضع العبد للسيد الفظ الغليظ"[7].
قال عطاء بن رباح:" لا ترفع يديك عليهما إذا كلمتهما"[8].
قوله تعالى:{وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} [الإسراء : ٢٤]، أي:" واطلب من ربك أن يرحمهما برحمته الواسعة أحياءً وأمواتًا، كما صبرا على تربيتك طفلا ضعيف الحول والقوة"[9].
وفي نسخ قوله تعالى:{وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} [الإسراء : ٢٤]، قولان:
أحدهما: أن هذا الدعاء المطلق نسخ منه الدعاء للوالدين المشركين، وروي نحو هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما[10]، والحسن [11]، وعكرمة[12]، وقتادة[13]، والضحاك[14]، ومقاتل[15].
عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: "{إما يبلغن عندك الكبر} إلى قوله: {كما ربياني صغيرا} نسختها {ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين}"[1].

---

[1] أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٣٤):ص٢٣٢٤/٧.
[2] أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٣٣):ص٢٣٢٤/٧.
[3] أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٣٥):ص٢٣٢٤/٧.
[4] صفوة التفاسير:١٤٥/٢.
[5] أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٣٦):ص٢٣٢٤/٧.
[6] أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٣٩):ص٢٣٢٤/٧.
[7] أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٣٧):ص٢٣٢٤/٧.
[8] أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٣٨):ص٢٣٢٤/٧.
[9] التفسير الميسر:٢٨٤.
[10] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٢٤٠):ص٢٣٢٤/٧، ونواسخ القرآن لابن الجوزي:٥٠٠/٢، وزاد المسير:٢٦/٥.
[11] انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي:٥٠٠/٢، وزاد المسير:٢٦/٥.
[12] انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي:٥٠٠/٢، وزاد المسير:٢٦/٥.
[13]أخرجه النحاس عن قتادة في ناسخه (١٨١) وقد أورد النحاس هذا القول عن قتادة بأسلوب يوحي بإحكام الآية، حيث قال: "والآية مستثنى منها الكفار" فذكر قول قتادة. كما أخرج ابن الجوزي في نواسخ القرآن:٥٠٠/٢ عن قتادة نحوه.
[14] .
[15] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٢٨/٢.

وقال ابن عباس:" ثم أنزل الله بعد هذا: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى}[2]"[3].

قال مقاتل:" واعصهما في الشرك فإنه ليس معصيتك إياهما في الشرك قطيعة لهما، ثم نسخت {رب ارحمهما كما ربياني صغيرا}، {ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى}"[4].

قال قتادة: ثم نسخ منها حرف واحد لا ينبغي لأحد أن يستغفر لوالديه وهما مشركان ولا يقول رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ولكن يخفض لهما جناح الذل من الرحمة ويصاحبهما في الدنيا معروفا وقال عز وجل: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى}، هذه الآية نسخت ذلك الحرف"[5].

الثاني: أن الآية نسخ بعض حكمها وبقي البعض على ظاهره فهو في أهل التوحيد محكم وبعض حكمها في أهل الشرك منسوخ بقوله تعالى: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ} [التوبة : ١١٣] . قاله ابن حزم[6]، ومكي بن ابي طالب[7]، وابن الجوزي[8]، والطبري[9].

قال ابن الجوزي:" وهذا ليس بنسخ عند الفقهاء إنما هو عام دخله التخصيص وإلى نحو ما قلته ذهب ابن جرير والطبري"[10].

قال المقري:" جميع الآيتين محكم إلا بعض معانيهما في أهل الشرك وهو إذا مات الأبوان على الشرك فليس للولد أن يترحم عليهما ولا يدعو لهما"[11].

قال الطبري:" وقد تحتمل هذه الآية أن تكون وإن كان ظاهرها عاما في كل الآباء بغير معنى النسخ، بأن يكون تأويلها على الخصوص، فيكون معنى الكلام: وقل رب ارحمهما إذا كانا مؤمنين، كما ربياني صغيرا، فتكون مرادا بها الخصوص على ما قلنا غير منسوخ منها شيء"[12].

القرآن

{رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا (٢٥)} [الإسراء : ٢٥]

التفسير:

ربكم -أيها الناس- أعلم بما في ضمائركم من خير وشر. إن تكن إرادتكم ومقاصدكم مرضاة الله وما يقربكم إليه، فإنه كان -سبحانه- للراجعين إليه في جميع الأوقات غفورًا، فمَن عَلِمَ الله أنه ليس في قلبه إلا الإنابة إليه ومحبته، فإنه يعفو عنه، ويغفر له ما يعرض من صغائر الذنوب، مما هو من مقتضى الطبائع البشرية.

---

[1] أخرجه ابن الجوزي في نواسخ القرآن:٤٩٩/٢، وهذا الأثر، رواه البخاري في الأدب المفرد عن ابن عباس رضي الله عنهما في باب: لا يستغفر لأبيه المشرك، كما رواه الطبري أيضا عن عكرمة من طريق علي بن الحسن بن واقد، انظر: الأدب المفرد١/ ٨٠؛ رقم (٨٠)؛ وجامع البيان ١٧/ ٤٢١.

[2] [التوبة : ١١٣].

[3] أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٤٠):ص٢٣٢٤/٧.

[4] تفسير مقاتل بن سليمان:٥٢٨/٢.

[5] الناسخ والمنسوخ لقتادة:٤٤.

[6] انظر: الناسخ والمنسوخ:٤٤.

[7] انظر: الإيضاح:٢٩٣.

[8] نواسخ القرآن:٥٠١/٢.

[9] تفسير الطبري:٤٢١/١٧.

[10] نواسخ القرآن:٥٠١/٢.

[11] الناسخ والمنسوخ:١١٥.

[12] تفسير الطبري:٤٢١/١٧.

قوله تعالى:{رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ} [الإسراء : ٢٥]، أي: إن" ربكم أيها الناس أعلم بما في نفوسكم من إرادة البر أو العقوق"[١].

قال يحيى بن سلام:" يعني: بما في قلوبكم"[٢].

قال سهل:" أي: بما في قلوبكم، لأن القلب يجمع العقل والنفس والهوى"[٣].

قال مقاتل:" يقول: هو أعلم بما في نفوسكم منكم من البر للوالدين عند كبرهما"[٤].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره {ربكم} أيها الناس {أعلم} منكم {بما في نفوسكم} من تعظيمكم أمر آبائكم وأمهاتكم وتكرمتهم، والبر بهم، وما فيها من اعتقاد الاستخفاف بحقوقهم، والعقوق لهم، وغير ذلك من ضمائر صدوركم، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وهو مجازيكم على حسن ذلك وسيئه، فاحذروا أن تضمروا لهم سوءا، وتعقدوا لهم عقوقا"[٥].

عن سعيد بن جبير :"{ربكم أعلم بما في نفوسكم}، قال: البادرة تكون من الرجل إلى أبويه لا يريد بذلك إلا الخير، فقال :{ربكم أعلم بما في نفوسكم}"[٦] .

قوله تعالى:{إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا} [الإسراء : ٢٥]، أي:" إن تكونوا قاصدين للبِرّ والصلاح دون العقوق والفساد فإِنه جلَّ وعلا يتجاوز عن سيئاتكم ويغفر للأوابين وهم الذين كلما أخطأوا عادوا إلى ربهم مستغفرين"[٧].

قال الطبري:" يقول: إن أنتم أصلحتم نياتكم فيهم، وأطعتم الله فيما أمركم به من البر بهم، والقيام بحقوقهم عليكم، بعد هفوة كانت منكم، أو زلة في واجب لهم عليكم مع القيام بما ألزمكم في غير ذلك من فرائضه، فإنه كان للأوابين بعد الزلة، والتائبين بعد الهفوة غفورا لهم"[٨].

قا أبو عبيدة:" أي: للتّوابين من الذنوب"[٩].

عن حبيب بن أبي ثابت، في قوله :"{فإنه كان للأوابين غفورا}، قال: هو الرجل تكون منه البادرة إلى أبويه وفي نيته وقلبه أنه لا يؤاخذ به"[١٠] .

عن سعيد بن جبير رضي الله عنه في قوله: "{ربكم أعلم بما في نفوسكم}، قال: تكون البادر من الولد إلى الوالد، فقال الله: {إن تكونوا صالحين}، أي: تكون النية صادقة ببرهما {فإنه كان للأوابين غفورا}، للبادرة التي بدرت منه"[١١].

قال الرازي:" المقصود من هذه الآية أن الآية الأولى لما دلت على وجوب تعظيم الوالدين من كل الوجوه ثم إن الولد قد يظهر منه نادرة مخلة بتعظيمهما، فقال: {ربكم أعلم بما في نفوسكم}، يعني: أنه تعالى عالم بأحوال قلوبكم فإن كانت تلك الهفوة ليست لأجل العقوق بل ظهرت بمقتضى الجبلة البشرية كانت في محل الغفران. والله أعلم"[١٢].

واختلف أهل التفسير في معنى: «الأوابين»، على أقوال:

أحدها : أنهم المطيعون المحسنون. قاله ابن عباس[١٣].

الثاني: أنهم المطيعون، وأهل الصلاة. قاله قتادة[١].

---

(١) صفوة التفاسير:١٤٥/٢.
(٢) تفسير يحيى بن سلام:١٢٨/١.
(٣) تفسير التستري:٩٥.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٢٨/٢.
(٥) تفسير الطبري:٤٢١/١٧.
(٦) أخرجه الطبري:٤٢٢/١٧.
(٧) صفوة التفاسير:١٤٥/٢.
(٨) تفسير الطبري:٤٢١/١٧-٤٢٢.
(٩) مجاز القرآن:٣٧٤/١.
(١٠) أخرجه الطبري:٤٢٢/١٧.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٤١):ص٢٣٢٥/٧.
(١٢) مفاتيح الغيب:٣٢٨/٢٠.
(١٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٢٤٣):ص٢٣٢٥/٧.

الثالث: انهم التوابون. قاله ابن عباس أيضا[٢].
الرابع: أنهم المحسنون. قاله سعيد بن جبير[٣]، وقتادة[٤].
وقال عمرو بن شرحبيل: "الأواب: المسبح"[٥].
الخامس : أنهم الذين يصلّون بين المغرب والعشاء ، وهذا قول ابن المنكدر يرفعه[٦].
السادس: هم الذين يصلون الضحى ، وهذا قول عون العقيلي[٧].
السابع : أنه الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر الله منها. وهذا قول مجاهد[٨]، وعبيد بن عمير[٩].

وقال سعيد بن جبير:" الراجعين إلى الخير"[١٠].

وقال عبيد بن عمير في رواية:" كنا نعد «الأواب»: الحفيظ، أن يقول: اللهم اغفر لي ما أصبت في مجلسي هذا"[١١].

الثامن : أنه الذي يتوب مرة بعد مرة، وكلما أذنب بادر بالتوبة. وهذا قول سعيد بن المسيب[١٢].
قال سعيد بن المسيب:" الذي يصيب الذنب ثم يتوب ثم يصيب الذنب ثم يتوب"[١٣].

وقال سعيد بن مسيب في رواية أخرى:" الأواب: الذي يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب"[١٤].

وقال الضحاك:" الرجاعين من الذنب إلى التوبة، ومن السيئات إلى الحسنات"[١٥].

وقال عطاء بن يسار:" يذنب العبد ثم يتوب، فيتوب الله عليه؛ ثم يذنب فيتوب، فيتوب الله عليه؛ ثم يذنب الثالثة، فإن تاب، تاب الله عليه توبة لا تمحى"[١٦].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: «الأواب»: هو التائب من الذنب، الراجع من معصية الله إلى طاعته، ومما يكرهه إلى ما يرضاه، لأن «الأواب» إنما هو فعال، من قول القائل: آب فلان من كذا إما من سفره إلى منزله، أو من حال إلى حال، كما قال عبيد بن الأبرص[١٧]:

وكل ذي غيبة يئوب ... وغائب الموت لا يئوب

---

[١] انظر: تفسير الطبري:١٧/٤٢٢.
[٢] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٢٤٤):ص٧/٢٣٢٥.
[٣] انظر: تفسير الطبري:١٧/٤٢٢.
[٤] انظر: النكت والعيون:٣/٢٣٨.
[٥] أخرجه الطبري:١٧/٤٢٢.
[٦] انظر: تفسير الطبري:١٧/٤٢٣.
[٧] انظر: تفسير الطبري:١٧/٤٢٣.
[٨] انظر: تفسير الطبري:١٧/٤٢٤.
[٩] انظر: تفسير الطبري:١٧/٤٢٤.
[١٠] أخرجه الطبري:١٧/٤٢٤.
[١١] أخرجه الطبري:١٧/٤٢٥.
[١٢] أخرجه الطبري:١٧/٤٢٣-٤٢٤.
[١٣] أخرجه الطبري:١٧/٤٢٣.
[١٤] أخرجه الطبري:١٧/٤٢٤.
[١٥] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٤٢):ص٧/٢٣٢٥.
[١٦] أخرجه الطبري:١٧/٤٢٥.
[١٧]البيت لعبيد بن الأبرص الشاعر الجاهلي (ديوانه ص ٧ طبعة ليدن سنة ١٩١٣) من قصيدته التي مطلعها: "أقفر من أهله ملحوب". يقول: كل غائب تنتظر أوبته، إلا من مات فلا أوبة له إلى الدنيا. والبيت شاهد على أن الأواب الرجاع، الذي يرجع إلى التوبة والطاعة، من آب يئوب إذا رجع (انظر اللسان: أوب) . وفيه أيضا: قال أبو بكر في قولهم: رجل أواب، سبعة أقوال: الراحم، والتائب، والمسبح، والذي يرجع إلى التوبة ثم يذنب ثم يتوب، والمطيع، والذي يذكر ذنبه في الخلاء، فيستغفر الله منه. أهـ. وكل هذه المعاني راجعة إلى المعنى اللغوي، وهو الرجوع عن الشيء إلى غيره.

فهو يئوب أوبا، وهو رجل آئب من سفره، وأواب من ذنوبه"[1].

قال سهل بن عبدالله:" حكي عن ضمرة بن حبيب عن النبي ﷺ أنه قال: «من فتح له باب خير فلينتهزه فإنه لا يدري متى يغلق عنه»[2]، يعني: فليعتبر وقته ولا يؤخر"[3].

فوائد الآيات:[٢٣-٢٥]:

١- وجوب عبادة الله تعالى وحده ووجوب بر الوالدين، وهو الإحسان بهما، وكف الأذى عنهما، وطاعتهما في المعروف.

٢- وجوب الدعاء للوالدين بالمغفرة والرحمة.

٣- وجوب مراقبة الله تعالى وعدم إضمار أي سوء في النفس.

٤- من كان صالحا وبدرت منه البادرة وتاب منها فإن الله يغفر له ذلك.

٥- ومن أسمائه تعالى: «الغفور»: وهو: "الذي لم يزل يغفر الذنوب ويتوب عل كل من يتوب[4].

قال الخطابي:"«الغفور»:هو الذي تكثر منه المغفرة. وبناء فعول: بناء المبالغة في الكثرة[5].

القرآن

{وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦)} [الإسراء : ٢٦]

التفسير:

وأحسِنْ إلى كل مَن له صلة قرابة بك، وأعطه حقه من الإحسان والبر، وأعط المسكين الذي لا يملك ما يكفيه ويسد حاجته، والمسافر المنقطع عن أهله وماله، ولا تنفق مالك في غير طاعة الله، أو على وجه الإسراف والتبذير.

قوله تعالى:{وَآتِ ذَا الْقُرْبَى} [الإسراء : ٢٦]، أي:" وأحسِنْ إلى كل مَن له صلة قرابة بك، وأعطه حقه من الإحسان والبر"[6].

قال الطبري:" يقول تعالى: وصل قرابتك، فأعطه حقه من صلتك إياه"[7].

قال ابن عباس:" هو أن تصل ذا القرابة "[8].

وفي قوله تعالى:{وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ} [الإسراء : ٢٦]، وجوه:

احدها: أنه قرابة الميت من قبل أبيه وأمه. أمر الله جل ثناؤه عباده بصلتها. وهذا قول ابن عباس[9]، والحسن[10]، وعكرمة[11].

قال عكرمة:" صلته التي تريد أن تصله بها ما كنت تريد أن تفعله إليه"[12].

عن حبيب المعلم، قال: "سأل رجل الحسن، قال: أعطي قرابتي زكاة مالي؟ فقال: إن لهم في ذلك لحقا سوى الزكاة، ثم تلا هذه الآية :{وآت ذا القربى حقه}"[13].

الثاني: أنه عنى به قرابة رسول الله ﷺ. وهذا قول علي بن الحسين-رضي الله عنه-.

---

(١) تفسير الطبري:٤٢٥/١٧-٤٢٦.

(٢)مسند الشهاب ١/ ٢٦٨.

(٣) تفسير التستري:٩٥.

(٤)الحق الواضح المبين، السعدي:٧٣، ٧٤، وانظر: أسماء الله الحسنى:٢١٩.

(٥) انظر: شأن الدعاء:٦٥/١.

(٦) التفسير الميسر:٢٨٤.

(٧) تفسير الطبري:٤٢٧/١٧.

(٨) أخرجه الطبري:٤٢٦/١٧.

(٩) انظر: الطبري:٤٢٦/١٧.

(١٠) انظر: تفسير الطبري:٤٢٦/١٧.

(١١) انظر: تفسير الطبري:٤٢٦/١٧.

(١٢) أخرجه الطبري:٤٢٦/١٧.

(١٣) أخرجه الطبري:٤٢٦/١٧.

عن أبي الديلم، قال: "قال علي بن الحسين عليهما السلام لرجل من أهل الشام: أقرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: أفما قرأت في بني إسرائيل {وآت ذا القربى حقه}، قال: وإنكم للقرابة التي أمر الله جل ثناؤه أن يؤتى حقه، قال: نعم"[١].

قال الطبري:" وأولى التأويلين عندي بالصواب، تأويل من تأول ذلك أنها بمعنى وصية الله عباده بصلة قرابات أنفسهم وأرحامهم من قبل آبائهم وأمهاتهم، وذلك أن الله عز وجل عقب ذلك عقيب حضه عباده على بر الآباء والأمهات، فالواجب أن يكون ذلك حضا على صلة أنسابهم دون أنساب غيرهم التي لم يجر لها ذكر، وإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: وأعط يا محمد ذا قرابتك حقه من صلتك إياه، وبرك به، والعطف عليه، وخرج ذلك مخرج الخطاب لنبي الله ﷺ، والمراد بحكمه جميع من لزمته فرائض الله، يدل على ذلك ابتداؤه الوصية بقوله جل ثناؤه (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما) فوجه الخطاب بقوله {وقضى ربك} إلى نبي الله ﷺ، ثم قال {ألا تعبدوا إلا إياه} فرجع بالخطاب به إلى الجميع، ثم صرف الخطاب بقوله {إما يبلغن عندك} إلى إفراده به. والمعني بكل ذلك جميع من لزمته فرائض الله عز وجل، أفرد بالخطاب رسول الله ﷺ وحده، أو عم به هو وجميع أمته"[٢].

قوله تعالى:{وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ} [الإسراء : ٢٦]، أي:" وأعط المسكين الذي لا يملك ما يكفيه ويسد حاجته، والمسافر المنقطع عن أهله وماله"[٣].

قال ابن عباس:" وتطعم المسكين وتحسن إلى ابن السبيل"[٤].

قال الطبري:" والمسكين ذا الحاجة، والمجتاز بك المنقطع به، فأعنه، وقوه على قطع سفره. وقد قيل: إنما عنى بالأمر بإتيان ابن السبيل حقه أن يضاف ثلاثة أيام والقول الأول عندي أولى بالصواب، لأن الله تعالى لم يخصص من حقوقه شيئا دون شيء في كتابه، ولا على لسان رسوله، فذلك عام في كل حق له أن يعطاه من ضيافة أو حمولة أو معونة على سفره"[٥].

قال الإمام الشافعي في هذه الآية:" ففرض على كل من صار إليه حق لمسلم، أو حق له، أن يكون مؤديه، وأداؤه دفعه، لا ترك الحول دونه، وسواء دعاه إلى قبضه، أولم يدعه ما لم يبرئه منه، فيبرأ منه بالبراءة، أو بقبضه منه في مقامه، أو غير مقامه، ثم يودعه إياه، وإذا قبضه ثم أودعه إياه فضمانه من مالكه. قال الربيع رحمه الله: يريد القابض له، وهو: المشتري"[٦].

قوله تعالى:{وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا} [الإسراء : ٢٦]، أي:" ولا تنفق مالك في غير طاعة الله، أو على وجه الإسراف والتبذير"[٧].

قال السدي:" يقول: لا تعط مالك كله"[٨].

قال وهب بن منبه:" من السرف إن يكتسي الإنسان ويأكل ويشرب مما ليس عنده، وما جاوز الكفاف فهو التبذير"[٩].

قال ابن عباس:" المبذر: المنفق في غير حقه"[١٠].

وقال ابن عباس:" لا تنفق في الباطل، فإن المبذر: هو المسرف في غير حق"[١١].

قال عبدالله:" التبذير في غير الحق، وهو الإسراف"[١].

---

[١] أخرجه الطبري:٤٢٦/١٧.
[٢] تفسير الطبري:٤٢٧/١٧.
[٣] التفسير الميسر:٢٨٤.
[٤] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٤٦):ص٢٣٢٥/٧.
[٥] تفسير الطبري:٤٢٧/١٧.
[٦] تفسير الإمام الشافعي:١٠٢٦/٢.
[٧] التفسير الميسر:٢٨٤.
[٨] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٤٩):ص٢٣٢٦/٧.
[٩] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٥٠):ص٢٣٢٦/٧.
[١٠] أخرجه الطبري:٤٢٩/١٧.
[١١] أخرجه الطبري:٤٢٩/١٧.

وروي أن "أبا العبيدين كان ضرير البصر، سأل ابن مسعود فقال: ما التبذير؟ فقال: إنفاق المال في غير حقه"[2].

وقال مجاهد: "لو أنفق إنسان ماله كله في الحق ما كان تبذيرا، ولو انفق مدا في باطل كان تبذيرا"[3].

قال قتادة:" التبذير: النفقة في معصية الله، وفي غير الحق وفي الفساد"[4].

قال ابن زيد:" لا تعط في معاصي الله"[5].

قال أبو عبيدة:" المبذّر هو المسرف المفسد العائث"[6].

قال الطبري:" يقول: ولا تفرق يا محمد ما أعطاك الله من مال في معصيته تفريقا. وأصل التبذير: التفريق في السرف؛ ومنه قول الشاعر[7]:

أناس أجارونا فكان جوارهم ... أعاصير من فسق العراق المبذر"[8].

القرآن

{إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧)} [الإسراء : ٢٧]

التفسير:

إن المسرفين والمنفقين أموالهم في معاصي الله هم أشباه الشياطين في الشر والفساد والمعصية، وكان الشيطان كثير الكفران شديدَ الجحود لنعمة ربه.

قوله تعالى:{إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ} [الإسراء : ٢٧]، أي:" إن المسرفين والمنفقين أموالهم في معاصي الله هم أشباه الشياطين في الشر والفساد والمعصية"[9].

قال ابن كثير:" أي : في التبذير والسفه وترك طاعة الله وارتكاب معصيته "[10].

قال الطبري:" يعني: إن المفرقين أموالهم في معاصي الله المنفقيها في غير طاعته أولياء الشياطين، وكذلك تقول العرب لكل ملازم سنة قوم وتابع أثرهم: هو أخوهم"[11].

عن ابن زيد: "{إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ}، إن المنفقين في معاصي الله"[12].

قوله تعالى:{وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا} [الإسراء : ٢٧]، أي:" وكان الشيطان كثير الكفران شديدَ الجحود لنعمة ربه"[13].

قال ابن كثير:" أي : جحودًا ؛ لأنه أنكر نعمة الله عليه ولم يعمل بطاعته ؛ بل أقبل على معصيته ومخالفته"[14].

قال الطبري:" يقول: وكان الشيطان لنعمة ربه التي أنعمها عليه جحودا لا يشكره عليه، ولكنه يكفرها بترك طاعة الله، وركوبه معصيته، فكذلك إخوانه من بني آدم المبذرون أموالهم في معاصي الله، لا يشكرون الله على نعمه عليهم، ولكنهم يخالفون أمره ويعصونه، ويستنون

---

[1] أخرجه الطبري:٤٢٨/١٧.

[2] أخرجه الطبري:٤٢٨/١٧.

[3] أخرجه الطبري:٤٢٩/١٧.

[4] أخرجه الطبري:٤٢٩/١٧.

[5] أخرجه الطبري:٤٢٩/١٧.

[6] مجاز القرآن:٣٧٤/١.

[7] البيت غير منسوب في تفسير الطبري:٤٢٧/١٧، والشاعر هو معاوية بن سبرة السوائي، أبو العبيدين: مصغر عبدين، الأعمى الكوفى. مات سنة ٩٨ هـ. (عن خلاصة الخزرجي).

[8] تفسير الطبري:٤٢٧/١٧.

[9] التفسير الميسر:٢٨٤.

[10] تفسير ابن كثير:٦٩/٥.

[11] تفسير الطبري:٤٣٠/١٧.

[12] أخرجه الطبري:٤٣٠/١٧.

[13] التفسير الميسر:٢٨٤.

[14] تفسير ابن كثير:٦٩/٥.

فيما أنعم الله عليهم به من الأموال التي خولهموها عز وجل سنته من ترك الشكر عليها، وتلقيها بالكفران"[1].

فوائد الآيتين:[٢٦-٢٧]:

١- وجوب إعطاء ذوي القربى حقوقهم من البر والصلة، وكذا المساكين وابن السبيل.

٢- حرمة التبذير وحقيقته إنفاق المال في المعاصي والمحرمات.

القرآن

{وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا (٢٨)} [الإسراء : ٢٨]

التفسير:

وإن أعرضت عن إعطاء هؤلاء الذين أُمِرْت بإعطائهم؛ لعدم وجود ما تعطيهم منه طلبًا لرزق تنتظره من عند ربك، فقل لهم قولا ليِّنًا لطيفًا، كالدعاء لهم بالغنى وسعة الرزق، وعِدْهم بأن الله إذا أيسر من فضله رزقًا أنك تعطيهم منه.

قوله تعالى:{وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا} [الإسراء : ٢٨]، أي:" وإن أعرضت عن إعطاء هؤلاء الذين أُمِرْت بإعطائهم؛ لعدم وجود ما تعطيهم منه طلبًا لرزق تنتظره من عند ربك"[2].

قال مجاهد:" انتظار رزق الله"[3].

قال ابن كثير:" أي : وإذا سألك أقاربك ومن أمرنا بإعطائهم وليس عندك شيء ، وأعرضت عنهم لفقد النفقة "[4].

قال ابن عباس:" إذا سألوك وليس عندك شيء انتظرت رزقا من الله"[5].

قوله تعالى:{فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا} [الإسراء : ٢٨]، أي:" فقل لهم قولا ليِّنًا لطيفًا، كالدعاء لهم بالغنى وسعة الرزق، وعِدْهم بأن الله إذا أيسر من فضله رزقًا أنك تعطيهم منه"[6].

قال ابن كثير:" أي : عدهم وعدًا بسهولة ، ولين إذا جاء رزق الله فسنصلكم إن شاء الله"[7].

قال الحسن:" لينا سهلا، سيكون إن شاء الله تعالى فافعل، سنصيب إن شاء الله فافعل"[8].

فافعل"[8].

قال السدي:" يقول: قل لهم: نعم وكرامة، وليس عندنا اليوم وأن يأتينا شيء نعرف حقه"[9].

قال ابن زيد:" قولا جميلا، رزقنا الله وإياك بارك الله فيك"[10].

قال ابن عباس:" يقول: إن شاء الله يكون شبه العدة"[11].

وقال ابن عباس:" عدة حسنة كأنه قد كان ولعه إن يكون إن شاء الله"[12].

قال: سفيان رحمه الله:" والعدة من النبي ﷺ دين "[1].

---

[1] تفسير الطبري:١٧/٤٣٠.

[2] التفسير الميسر:١٨٥.

[3] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٥١):ص٧/٢٣٢٦.

[4] تفسير ابن كثير:٥/٦٩.

[5] أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٤٥):ص٧/٢٣٢٥.

[6] التفسير الميسر:١٨٥.

[7] تفسير ابن كثير:٥/٦٩.

[8] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٥٢):ص٧/٢٣٢٦.

[9] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٥٣):ص٧/٢٣٢٦.

[10] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٥٤):ص٧/٢٣٢٦.

[11] أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٤٥):ص٧/٢٣٢٥.

[12] أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٤٨):ص٧/٢٣٢٦.

قال السعدي:" أي: لطيفا برفق ووعد بالجميل عند سنوح الفرصة واعتذار بعدم الإمكان في الوقت الحاضر لينقلبوا عنك مطمئنة خواطرهم"[٢].

قال السدي في هذه الآية:" كان ناس من بني عبد المطلب يأتون النبي صلى الله عليه وسلم يسألونه فإذا صادفوا عنده شيئا أعطاهم، وإن لم يصادفوا عنده شيئا سكت، لم يقل لهم: نعم، ولا، ولا. والقربى، قربى بن عبد المطلب"[٣].

الفوائد:

١- العدة الحسنة تقوم مقام الصدقة لمن لم يجد ما يتصدق به على من سأله.

٢- أنه من لطف الله تعالى بالعباد أمرهم بانتظار الرحمة والرزق منه، لأن انتظار ذلك عبادة، وكذلك وعدهم بالصدقة والمعروف عند التيسر عبادة حاضرة لأن الهم بفعل الحسنة حسنة، ولهذا ينبغي للإنسان أن يفعل ما يقدر عليه من الخير وينوي فعل ما لم يقدر عليه ليثاب على ذلك ولعل الله ييسر له بسبب رجائه. أفاده الشيخ السعدي[٤].

القرآن

{وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا (٢٩)} [الإسراء : ٢٩]

التفسير:

ولا تمسك يدك عن الإنفاق في سبيل الخير، مضيِّقًا على نفسك وأهلك والمحتاجين، ولا تسرف في الإنفاق، فتعطي فوق طاقتك، فتقعد ملومًا يلومك الناس ويذمونك، نادمًا على تبذيرك وضياع مالك.

سبب النزول:

عن المنهال بن عمر قال: "بعثت امرأة إلى النبي ﷺ بابنها فقالت: قل له: اكسني ثوبا فقال: ما عندي شيء فقالت: ارجع إليه فقل له: اكسني قميصك، فرجع إليه فنزع قميصه فأعطاه إياه. فنزلت : {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً}، الآية"[٥].

قوله تعالى:{وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ} [الإسراء : ٢٩]، أي:" ولا تمسك يدك عن الإنفاق في سبيل الخير، مضيِّقًا على نفسك وأهلك والمحتاجين"[٦].

قال ابن عباس:" يعني: بذلك البخل"[٧].

وقال ابن عباس:" هذا في النفقة يقول: لا تجعلها مغلولة، لا تبسطها بخير"[٨].

قال ابن كثير:" يقول تعالى آمرًا بالاقتصاد في العيش ذامّا للبخل ناهيًا عن السَّرَف : { وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ}، أي : لا تكن بخيلا منوعًا ، لا تعطي أحدًا شيئًا ، كما قالت اليهود عليهم لعائن الله : { يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ } [المائدة : ٦٤] أي نسبوه إلى البخل ، تعالى وتقدس الكريم الوهاب"[٩].

عن أبي هريرة ؛ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : "مثل البخيل والمنفق ، كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثدييهما إلى تراقيهما. فأما المنفق فلا ينفق إلا سَبَغَت - أو : وفرت -

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٤٥):ص٢٣٢٥/٧.

(٢) تفسير السعدي:٤٥٦.

(٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٤٧):ص٢٣٢٥/٧.

(٤) انظر: تفسير السعدي:٤٥٦.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٥٦):ص٢٣٢٧/٧.

(٦) التفسير الميسر:١٨٥.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٥٧):ص٢٣٢٧/٧.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٥٨):ص٢٣٢٧/٧.

(٩) تفسير ابن كثير:٧٠/٥.

على جلده ، حتى تُخفي بنانه وتعفو أثره. وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئًا إلا لزقت كل حلقة مكانها ، فهو يوسعها فلا تتسع"[1].

أسماء بنت أبي بكر قالت : قال رسول الله ﷺ : "أنفقي هكذا وهكذا وهكذا ، ولا تُوعِي فَيُوعي الله عليك ، ولا توكي فيوكي الله عليك" وفي لفظ : "ولا تُحصي فيحصي الله عليك"[2].

عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : "إن الله قال لي : أنفق أنفق عليك"[3].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان من السماء يقول أحدهما : اللهم أعط منفقًا خلفًا ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكًا تلفًا"[4].

عن أبي هريرة مرفوعًا : "ما نقص مال من صدقة ، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا ومن تواضع لله رفعه الله"[5].

عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا : "إياكم والشُّح ، فإنه أهلك من كان قبلكم ، أمرهم بالبخل فبخلوا ، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا ، وأمرهم بالفجور ففجروا"[6].

عن ابن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : "ما يخرج رجل صدقة ، حتى يفك لَحْيَى سبعين شيطانا"[7].

قوله تعالى:{وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ} [الإسراء : ٢٩]، أي:" ولا تسرف في الإنفاق، فتعطي فوق طاقتك"[8].

قال ابن عباس:" يعني: التبذير"[9].

قال ابن كثير:" أي : ولا تسرف في الإنفاق فتعطي فوق طاقتك ، وتخرج أكثر من دخلك ، فتقعد ملومًا محسورًا. وهذا من باب اللف والنشر أي : فتقعد إن بخلت ملومًا ، يلومك الناس ويذمونك ويستغنون عنك كما قال زهير بن أبي سُلمى في المعلقة [10]:

ومن كان ذا مال ويبخل بماله ... على قومه يستغن عنه ويذمم

ومتى بسطت يدك فوق طاقتك ، قعدت بلا شيء تنفقه ، فتكون كالحسير ، وهو : الدابة التي قد عجزت عن السير ، فوقفت ضعفًا وعجزًا فإنها تسمى الحسير ، وهو مأخوذ من الكلال ، كما قال تعالى : { فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ } [الملك : ٣ ، ٤] أي : كليل عن أن يرى عيبًا"[11].

قوله تعالى:{فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا} [الإسراء : ٢٩]، أي:" فتقعد ملومًا يلومك الناس ويذمونك، نادمًا على تبذيرك وضياع مالك"[12].

---

[1] البخاري برقم (١٤٤٣) وليس في صحيح مسلم من طريق أبي الزناد ، وإنما هو فيه من طريق الحسن بن مسلم وعبد الله بن طاوس ، عن طاوس ، عن أبي هريرة برقم (١٠٢١).

[2] صحيح البخاري برقم (١٤٣٣) وصحيح مسلم برقم (١٠٢٩).

[3] صحيح مسلم برقم (٩٩٣).

[4] صحيح البخاري برقم (١٤٤٢) وصحيح مسلم برقم (١٠١٠).

[5] صحيح مسلم برقم (٢٥٨٨).

[6] رواه أحمد في المسند (١٥٩/٢) وأبو داود في السنن برقم (١٦٩٨) وابن حبان في صحيحه برقم (١٥٨٠) "موارد" من طرق عن شعبة عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن الحارث ، عن أبي كثير الزبيدي به.

[7] السنن الكبرى (١٨٧/٤) ورواه ابن خزيمة في صحيحه برقم (٢٤٥٧) من طريق محمد المخزومي ، عن أبي معاوية ، به ، وقال : "إن صح الخبر ، فإني لا أقف هل سمع الأعمش من ابن بريدة أم لا".

[8] التفسير الميسر:١٨٥.

[9] أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٥٨):ص٢٣٢٧/٧.

[10] ديوانه:٣٠.

[11] تفسير ابن كثير:٧٠/٥.

[12] التفسير الميسر:١٨٥.

قال ابن عباس:" { ملوما}: يلوم نفسه علي ما فاته من ماله. {محسورا} ذهب ماله كله"[١].

قال الحسن في هذه الآية:" نهاه عن السرف والبخل"[٢].

عن عبد الله بن مسعوده قال : قال رسول الله ﷺ : "ما عال من اقتصد"[٣].

القرآن

{إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٣٠)} [الإسراء : ٣٠]

التفسير:

إن ربك يوسِّع الرزق على بعض الناس، ويضيِّقه على بعضهم، وَفْق علمه وحكمته سبحانه وتعالى. إنه هو المطَّلِع على خفايا عباده، لا يغيب عن علمه شيء من أحوالهم.

قوله تعالى:{إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ} [الإسراء : ٣٠]، أي:" إن ربك يوسِّع الرزق على بعض الناس، ويضيِّقه على بعضهم، وَفْق علمه وحكمته سبحانه وتعالى"[٤].

قال ابن كثير:" إخبار أنه تعالى هو الرزاق ، القابض الباسط ، المتصرف في خلقه بما يشاء ، فيغني من يشاء ، ويفقر من يشاء ، بما له في ذلك من الحكمة"[٥].

قال ابن زيد:"ثم أخبرنا كيف يصنع بنا، فقال: {إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر}"[٦].

قال الحسن:" ينظر له، فإن كان الغنى خيرا له أغناه وان كان الفقر خير له أفقره"[٧].

وقال الحسن:" يبسط لهذا مكرا به ويقدر لهذا نظرا له"[٨].

قوله تعالى:{إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا} [الإسراء : ٣٠]، أي:" إنه هو المطَّلِع على خفايا عباده، لا يغيب عن علمه شيء من أحوالهم"[٩].

قال ابن كثير:" أي : خبير بصير بمن يستحق الغنى ومن يستحق الفقر ، كما جاء في الحديث : «إن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر، ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه، وإن من عبادي لمن لا يصلحه إلا الغنى، ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه»[١٠].وقد يكون الغنى في حق بعض الناس استدراجًا، والفقر عقوبة عياذًا بالله من هذا وهذا"[١١].

---

[١] أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٥٨):ص٢٣٢٧/٧.

[٢] أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٥٩):ص٢٣٢٧/٧.

[٣]المسند (٤٤٧/١) وقال الهيثمي في المجمع (٢٥٢/١٠) : "فيه إبراهيم بن مسلم الهجري وهو ضعيف".

[٤] التفسير الميسر:١٨٥.

[٥] تفسير ابن كثير:٧١/٥.

[٦] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٦٠):ص٢٣٢٧/٧.

[٧] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٦١):ص٢٣٢٧/٧.

[٨] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٦٢):ص٢٣٢٨/٧.

[٩] التفسير الميسر:١٨٥.

[١٠] .قطعة من الحديث« يقول الله من أهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة وإنى لأسرع شيئا إلى نصرة أوليائى إنى لأغضب لهم كما يغضب الليث الحرب وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن قبض روح عبدى المؤمن وهو يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه وما تعبد لى عبدى المؤمن بمثل الزهد فى الدنيا ولا تقرب إلى عبدى المؤمن بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا إن سألنى أعطيته وإن دعانى استجبت له وإن من عبادى المؤمنين لمن يسألنى الباب من العبادة فأكفه عنه ولو أعطيته إياه لدخله العجب وأفسده ذلك وإن من عبادى المؤمنين لمن لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك وإن من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح له إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك وإن من عبادى المؤمنين لمن لا يصلحه إلا الصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك وإن من عبادى المؤمنين من لا يصلحه إلا السقم ولو أصححته لأفسده ذلك إنى أدبر عبادى بعلمى بقلوبهم إنى عليم خبير».

أخرجه ابن أبى الدنيا فى الأولياء (ص ٩، رقم ١) ، والحكيم (٢٣٢/٢) ، وأبو نعيم فى الحلية (٣١٨/٨) ، وابن عساكر (٩٥/٧) .

ومن غريب الحديث: "الليث الحرب": أى الأسد الغضبان.

[١١] تفسير ابن كثير:٧١/٥.

فوائد الآيتين:[٢٩-٣٠]:
١- حرمة البخل، والإسراف معا وفضيلة الاعتدال والقصد.
٢- حرمة قتل الأولاد بعد الولادة أو إجهاضا قبلها خوفا من الفقر أو العار.
٣- إثبات اسمين من اسمائه تعالى، وهما:«الخبير»، و«والبصير»:
- فـ«الخبير»: أي:"العالم العارف بما كان وما يكون"[١].
- و«الْبَصِيرُ» : "يعني: المدرك لجميع المبصرات" [٢].

القرآن
{وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (٣١)} [الإسراء : ٣١]
التفسير:
وإذا علمتم أن الرزق بيد الله سبحانه فلا تقتلوا -أيها الناس- أولادكم خوفًا من الفقر؛ فإنه -سبحانه- هو الرزاق لعباده، يرزق الأبناء كما يرزق الآباء، إنَّ قَتْلَ الأولاد ذنب عظيم.
قوله تعالى:{وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ} [الإسراء : ٣١]، أي:" فلا تقتلوا -أيها الناس- أولادكم خوفًا من الفقر"[٣].
قال قتادة:" أي: خشية الفاقة، وقد كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الفاقة"[٤].
قال قتادة:" كانوا يقتلون البنات"[٥].
عن مجاهد:"{خشية إملاق}، قال: الفاقة والفقر"[٦].
عن ابن عباس:"{ خشية إملاق}، يقول: الفقر"[٧].
قال الطبري:يقول:"ولا تئدوا أولادكم فتقتلوهم من خشية الفقر على أنفسكم بنفقاتهم"[٨].
قال الزجاج:" أي: لا تقتلوا أولادكم من فقر، أي: من خوف فقر"[٩].
قال الثعلبي:أي:" ولا تئدوا بناتكم خشية العيش"[١٠].
قال ابن كثير:" أي : خوف أن تفتقروا في ثاني الحال ؛ ولهذا قدم الاهتمام برزقهم"[١١].
قال القرطبي:" أي: لا تئدوا- من الموءودة- بناتكم خشية العيلة، فإني رازقكم وإياهم. وقد كان منهم من يفعل ذلك بالإناث والذكور خشية الفقر، كما هو ظاهر الآية"[١٢].
قال السعدي:أي:" من ذكور وإناث ، بسبب الفقر وضيقكم من رزقهم، كما كان ذلك موجودا في الجاهلية القاسية الظالمة، وإذا كانوا منهيين عن قتلهم في هذه الحال، وهم أولادهم، فنهيهم عن قتلهم لغير موجب، أو قتل أولاد غيرهم، من باب أولى وأحرى"[١٣].
قال ابن الجّوزي: يريد: دفن البنات أحياء من خوف الفقر"[١٤].
قال أبو عبيدة:{ مِنْ إِمْلَاقٍ}، أي:" من ذهاب ما فى أيديكم"[١].

---

[١] جامع الأصول:١٧٣/٤.
[٢] انظر: شرح العقيدة الواسطية، ابن عثيمين:٢٠٨/١.
[٣] التفسير الميسر:٢٨٥.
[٤] أخرجه الطبري:٤٣٦/١٧.
[٥] أخرجه الطبري:٤٣٦/١٧.
[٦] أخرجه الطبري:٤٣٦/١٧.
[٧] أخرجه الطبري:٤٣٦/١٧.
[٨] تفسير الطبري:٢١٧/١٢.
[٩] معاني القرآن:٣٠٤/٢.
[١٠] تفسير الثعلبي:٢٠٣/٤.
[١١] تفسير ابن كثير:٧٢/٣.
[١٢] تفسير القرطبي:١٣٢/٧.
[١٣] تفسير السعدي:٢٧٩.
[١٤] زاد المسير:٩١/٢.

قال الشافعي: كان بعض العرب تقتل الإناث من ولدها صغارا خوف العيلة عليهم، والعار بهم، فلما نهى الله عز ذكره عن ذلك من أولاد المشركين، دل على تثبيت النهي عن قتل أطفال المشركين في دار الحرب، وكذلك دلت عليه السنة، مع ما دل عليه الكتاب من تحريم القتل بغير حق"[٢].

وفي معنى«الإملاق» في اللغة،أقوال:

أحدها : أنه الإفلاس، ومنه :الملق، لأنه اجتهاد المفلس في التقريب إلى الغنى طمعاً في تأجيله. وهذا قول الطبري[٣]، وهو معنى قول أبي عبيدة[٤].

قال أبو عبيدة:" أملق فلان، أي: ذهب ماله، واحتاج، وأقفر مثلها"[٥].

والثاني : أن الإملاق: الفقر، قتلوا أولادهم خشية الفقر. وهذا قول ابن عباس[٦]، وقتادة[٧]، والسدي[٨]، والضحاك[٩]، وابن جريج[١٠]، واختيار الزجاج[١١].

والثالث: أن الإملاق: الجوع بلغة لخم. حكاه النقاش عن مؤرج[١٢].

والرابع: أنه الإنفاق، يقال: أملق ماله بمعنى أنفقه، ورجل ملق يعطي بلسانه ما ليس في قلبه. حكاه القرطبي عن منذر بن سعيد[١٣].

وذكر أن عليا رضي الله عنه قال لامرأته: "أملقي من مالك ما شئت"[١٤].

والخامس: أنه السرف في الإنفاق. ذكره النقاش عن محمد بن نعيم الترمذي[١٥].

قال الثعلبي:" الإملاق: الفقر ونفاد الزاد"[١٦].

قوله تعالى:{نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ} [الإسراء : ٣١]، أي:" نحن نرزقهم ونرزقكم فلا تخافوا الفقر بسببهم"[١٧].

قال الطبري:أي:" فإن الله هو رازقكم وإياهم ، ليس عليكم رزقهم ، فتخافوا بحياتهم على أنفسكم العجزَ عن أرزاقهم وأقواتهم"[١٨].

قال السعدي:" أي: قد تكفلنا برزق الجميع، فلستم الذين ترزقون أولادكم، بل ولا أنفسكم، فليس عليكم منهم ضيق"[١٩].

---

[١] مجاز القرآن:٢٠٨/١.

[٢] تفسير الغمام الشافعي:٨٤١/٢.

[٣] انظر: تفسير الطبري:٢١٧/١٢، والنكت والعيون:١٨٦/٢.

[٤] انظر: مجاز القرآن:٢٠٨/١.

[٥] مجاز القرآن:٢٠٨/١.

[٦] تفسير الطبري(١٤١٣٥):ص٢١٧/١٢.

[٧] تفسير الطبري(١٤١٣٦):ص٢١٧/١٢.

[٨] تفسير الطبري(١٤١٣٧):ص٢١٧/١٢.

[٩] تفسير الطبري(١٤١٣٩):ص٢١٨/١٢.

[١٠] تفسير الطبري(١٤١٣٨):ص٢١٧/١٢-٢١٨.

[١١] انظر: ممعني القرآن:٣٠٤/٢.

[١٢] تفسير القرطبي:١٣٢/٧. والمؤرج: هو ابن عمرو أبو فيد السدوسي. انظر: السير:٣٠٩/٩.

[١٣]حكاه عنه القرطبي في تفسيره:١٣٢/٧. وهو: القاضي البلوطي الأندلسي. انظر: السير:١٧٣/١٦.

[١٤] أورده الأزهري في تهذيب اللغة:١٨٢/٩، والزمخشري في الفائق:٣٨٦/٣، والقرطبي في تفسيره: ١٣٢/٧، هو منسوب لابن عباس كما في النهاية لابن الأثير:٣٥٨/٤، واللسان"ملق":ص٣٤٨/١٠، عن ابن عباس أن امرأة سألته: أأنفق من مالي ما شئت، فقال: نعم أملقي من مالك ما شئت قال الله تعالى: {خَشْيَةَ إِمْلاقٍ} ، معناه خشية الفقر والحاجة".

[١٥] انظر: المحرر الوجيز:٣٦٢/٢.

[١٦] تفسير الثعلبي:٢٠٣/٤.

[١٧] صفوة التفاسير:١٤٦/٢.

[١٨] تفسير الطبري:٢١٧/١٢.

[١٩] تفسير السعدي:٢٧٩.

قال قتادة:" فوعظهم الله في ذلك، وأخبرهم أن رزقهم ورزق أولادهم على الله، فقال {نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا}"[1].

قوله تعالى:{إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا} [الإسراء : ٣١]، أي:" إنَّ قَتْلَ الأولاد ذنب عظيم"[2].

قال ابن كثير:" أي : ذنبًا عظيمًا "[3].

وفي الفرق بين « الخِطْءِ» و«الخطأ»، ثلاثة وجوه[4]:

احدها: أن «الخِطء»: العدول عن الصواب بعمد، و«الخطأ»: العدول عنه بسهو، قاله الأخفش[5].

قال الأخفش:" لأن ما أخطأت فيه: ما صنعته خطأ، و ما «خطئت» فيه: ما صنعته عمدا وهو الذنب"[6].

الثاني : أن «الخطء» ما كان إثماً ، و«الخطأ» ما لا إثم فيه.

الثالث: أنهما بمعنى واحد. حكاه الأخفش[7]، والطبري[8]، وأبو هلال العسكري[9]، ومنه قول الشاعر[10]:

يا لَهْفَ نَفْسي إِذْ خَطِئْنَ كَاهِلا ... القاتِلِينَ المَلِكَ الحُلاحِلا

وقول الآخر[11]:

والناس يلحون الأمير إذا هم ... خطئوا الصّواب ولا يلام المرشد

قال أبو هلال العسكري:" عند كثير من أهل اللغة أن «الخطأ» و«الخطء» سواء، الخطأ أفشى في كلام الناس، ولم يجئ الخطء في شيء من الشعر، إلا في بيت واحد وهو قول الشاعر[12]:

الخِطأ فَاحشة وَالبِر نَافلَةْ ... كعَجوة غرِست في الأرض تُؤتبر"[13].

قال الطبري:" وكان عامة أهل العلم بكلام العرب من أهل الكوفة وبعض البصريين منهم يرون أن الخطء والخطأ بمعنى واحد"[14].

وقرأ ابن كثير:«خطآء»، مكسورة الخاء ممدودة مهموزة، وقرأ ابن عامر: {خطأ} بنصب الخاء والطاء وبالهمز من غير مد[1].

---

[1] أخرجه الطبري:٤٣٦/١٧.

[2] التفسير الميسر:٢٨٥.

[3] تفسير ابن كثير:٧٢/٣.

[4] انظر: النكت والعيون:٢٤٠/٣.

[5] انظر: معاني القرآن:٤٢٢/٢.

[6] انظر: معاني القرآن:٤٢٢/٢.

[7] انظر: معاني القرآن:٤٢٢/٢.

[8] تفسير الطبري:٤٣٧/١٧.

[9] انظر: الوجوه والنظائر:٢٠٨.

[10] من أرجوزة لامرئ القيس في ديوانه ص/ ١٣٤ يقولها عند ما بلغه أن بني أسد قتلت أباه، وفي اللسان. والتاج/ خطأ/ برواية: يا لهف هند بدل:
يا لهف نفسي. ويريد بقوله: إذ خطئن: الخيل. وكاهل: هي من بني أسد. اللهف واللهف: الأسى والحزن والغيظ، وقيل: الأسى على شيء يفوتك بعد ما تشرف عليه. وانظر شرح أبيات المغني ٣/ ١٠٥.

[11] . هو عبيد بن الأبرص، اللسان"أمر"، المحتسب ٢/ ٢٠، وقد ورد البيت في ديوان عبيد ص/ ٤٢/ برواية أخرى: لا شاهد فيها:
والناس يلحون الأمير إذا غوى ... خطب الصواب ولا يلام المرشد
يلحون: يلومون، غوى: ضل. الخطب: الأمر والشأن. ويريد بخطب الصواب: الصواب نفسه.

[12] البيت غير منسوب في تفسير الطبري:٤٣٧/١٧، والوجوه والنظائر:٢٠٨/١، والنكت والعيون:٢٤٠/٣، والمحرر الوجيز:٤٥١/٣.

[13] الوجوه والنظائر:٢٠٨.

[14] تفسير الطبري:٤٣٧/١٧.

قال ابن كثير:" هذه الآية الكريمة دالة على أن الله تعالى أرحم بعباده من الوالد بولده ؛ لأنه ينهى تعالى عن قتل الأولاد ، كما أوصى بالأولاد في الميراث ، وكان أهل الجاهلية لا يورثون البنات ، بل كان أحدهم ربما قتل ابنته لئلا تكثر عيلته ، فنهى الله تعالى عن ذلك"[٢].

الفوائد:

١- حرمة قتل الأولاد بعد الولادة أو إجهاضا قبلها خوفا من الفقر أو العار.

٢- بيان قبح عقيدة الجاهلية، وذلك بسوء ظنهم بالله- تعالى- كأن الرزق من عندهم، فقال تعالى: {نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ}، أي: إذا كنتم أنتم لا ترزقون أنفسكم فكيف ترزقون غيركم.

قال الشيخ ابن عثيمين:" ومن الناس اليوم من ورث هذه الخصلة الذميمة فصاروا يسعون لتحديد النسل خشية الفقر، يقولون: يحصل في الأرض انفجار سكاني من كثرة النسل، والموارد قليلة فيحصل مجاعات؛ فيطلبون تحديد النسل؛ فالآن قضية المطالبة بتحديد النسل قائمة على قدم وساق، والدافع لهذا هو خشيتهم الفقر، وهذا لأنهم لا يؤمنون بالله سبحانه وتعالى، ولا يؤمنون أن الأرزاق من الله سبحانه وتعالى.

وانخدع بهذه الدعاية بعض المسلمين، فصاروا يكرهون كثرة الأولاد، وبعضهم يحاول تنظيم النسل، وبعضهم يحاول تحديد النسل، وهناك كلام فارغ يردد، وكل هذا باطل.

وطلب الذرية، وكثرة الذرية، وكثرة الإنجاب أمر مطلوب في الإسلام، لأن هذا فيه تقوية للمسلمين، وتكثير لعدد المسلمين، وأما الرزق فهو على الله سبحانه وتعالى: {نحن نرزقهم وإياكم}"[٣].

القرآن

{وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٢)} [الإسراء : ٣٢]

التفسير:

ولا تقربوا الزنى ودواعيه؛ كي لا تقعوا فيه، إنه كان فعلا بالغ القبح، وبئس الطريق طريقه.

قوله تعالى:{وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا} [الإسراء : ٣٢]، أي:" ولا تقربوا الزنى ودواعيه؛ كي لا تقعوا فيه"[٤].

قال ابن كثير:" يقول تعالى ناهيًا عباده عن الزنا وعن مقاربته، وهو مخالطة أسبابه ودواعيه { وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَا}"[٥].

قوله تعالى:{إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً} [الإسراء : ٣٢]، أي:" إن الزنى كان فعلا بالغ القبح"[٦].

قال الطبري:" يقول: إن الزنا كان فاحشة"[٧].

قال ابن كثير:" أي : ذنبًا عظيمًا"[٨].

قوله تعالى:{وَسَاءَ سَبِيلًا} [الإسراء : ٣٢]، أي:" وبئس الطريق طريقه"[٩].

قال الطبري:" يقول: وساء طريق الزنا طريقا، لأن طريق أهل معصية الله، والمخالفين أمره، فأسوئ به طريقا يورد صاحبه نار جهنم"[١].

---

[١] انظر: السبعة في القراءات:٣٧٩.

[٢] تفسير ابن كثير:٥/٧١-٧٢.

[٣] إعانة المستفيد: ١/٣٣-٣٤.

[٤] التفسير الميسر:٢٨٥.

[٥] تفسير ابن كثير:٥/٧٢.

[٦] التفسير الميسر:٢٨٥.

[٧] تفسير الطبري:١٧/٤٣٨.

[٨] تفسير ابن كثير:٥/٧٢.

[٩] التفسير الميسر:٢٨٥.

قال ابن كثير:" أي : وبئس طريقًا ومسلكًا "[٢].

قال الشافعي رحمه الله: "وحرم الزنا فقال: {ولا تقربوا الزنا} مع ما ذكره في كتابه - سبحانه وتعالى - فكان معقولا في كتاب الله: أن ولد الزنا لا يكون منسوبا إلى أبيه، الزاني بأمه. لما وصفنا: من أن نعمته إنما تكون من جهة طاعته؛ لا من جهة معصيته"[٣].

عن الهيثم بن مالك الطائي ، عن النبي ﷺ قال : "ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل في رحم لا يحل له"[٤].

عن أبي أمامة قال : «إن فتى شابًا أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، ائذن لي بالزنا. فأقبل القوم عليه فزجروه ، وقالوا : مَهْ مَهْ. فقال : "ادنه". فدنا منه قريبًا، فقال اجلس". فجلس ، قال : "أتحبه لأمك ؟" قال : لا والله ، جعلني الله فداك. قال : "ولا الناس يحبونه لأمهاتهم". قال : "أفتحبه لابنتك" ؟ قال : لا والله يا رسول الله ، جعلني الله فداك. قال : "ولا الناس يحبونه لبناتهم" ، قال : "أتحبه لأختك" ؟ قال : لا والله ، جعلني الله فداك. قال : "ولا الناس يحبونه لأخواتهم" ، قال : "أفتحبه لعمتك" ؟ قال : لا والله جعلني الله فداك. قال : "ولا الناس يحبونه لعماتهم" قال : "أفتحبه لخالتك" ؟ قال : لا والله ، جعلني الله فداك. قال : "ولا الناس يحبونه لخالاتهم" قال : فوضع يده عليه وقال : "اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه" قال : فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء"»[٥].

الفوائد:

١- حرمة مقدمات الزنا كالنظر بشهوة والكلام مع الأجنبية ومسها وحرمة الزنا وهو أشد.
٢- أن فعل الفاحشة في قبل أو دبر، وقد نهى الله عنه وبين أنه فاحشة؛ فقال: {ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا}[٦].
٣- في الآية علل النهي عنه بما اشتمل عليه أنه فاحشة، وأنه ساء سبيلاً، فلو كان إنما صار فاحشة وساء سبيلا بالنهي لما صح ذلك، لأن العلة تسبق المعلول لا تتبعه[٧].

ومذهب أهل السنة: أن الحسن والقبيح، منه ما يعرف بالعقل[٨]، وهذا أمر ظاهر والأدلة عليه من القرآن كثيرة، منها قوله تعالى: {وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ} [الأعراف : ١٥٧]، فبين القرآن هنا أن النبي - صلى الله عليه وسلم- يحل لنا الطيبات ويحرم علينا الخبائث، فالشارع أبان عن الحل والحرمة أما وصف كونها طيبة أو قبيحة فإنه ثابت في العقل ومنها قوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [الأعراف : ٣٣].

قال ابن القيم - رحمه الله - عند هذه الآية: "وهذا دليل على أنها فواحش في نفسها لا تستحسنها العقول، فتعلق التحريم بها لفحشها فإن ترتيب الحكم على الوصف المناسب المشتق يدل على أنه هو العلة المقتضية له، فدل على أنه حرمها لكونها فواحش وحرم الخبيث لكونه خبيثاً وأمر بالمعروف لكونه معروفاً، والعلة يجب أن تغاير المعلول فلو كان كونه فاحشة هو معنى كونه منهياً عنه وكونه خبيثاً هو معنى

---

[١] تفسير الطبري:٤٣٨/١٧.
[٢] تفسير ابن كثير:٧٢/٥.
[٣] تفسير الإمام الشافعي:١٠٢٧/٢.
[٤]الورع لابن أبي الدنيا برقم (١٣٧) وفيه ثلاث علل : الأولى : تدليس بقية. الثانية : ابن أبي مريم ضعيف. الثالثة : الإرسال. أ. هـ مستفادا من حاشية الأستاذ محمد الحمود ، وسيأتي الحديث عند تفسير الآية : ٦٨ من سورة الفرقان.
[٥]المسند (٣٥٦/٥).
[٦] انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد:٤٦٠/٢.
[٧] انظر: آثار حجج التوحيد في مؤاخذة العبيد:١٢٥.
[٨] وقول الأشاعرة ومن وافقهم من أهل السنة: أن الحسن والقبيح لا يعرف إلا بالشرع.

كونه محرما كانت العلة عين المعلول وهذا محال. ومن هذا قوله تعالى: {وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً}، فعلل النهي بكون المنهي عنه فاحشة ولو كان جهة كونه فاحشة هو النهي لكان تعليلاً للشيء بنفسه ولكان بمنزلة أن يقال لا تقربوا الزنا، لأنه يقول لكم لاتقربوه فإنه منهي عنه"[1].

قال شيخ الإسلام: "للناس في الشرك والظلم والكذب والفواحش ونحو ذلك ثلاثة أقوال:

- الأول: أن قبحها معلوم بالعقل وأنهم يستحقون العذاب على ذلك في الآخرة وإن لم يأتهم رسولا، وهو قول المعتزلة وكثير من أصحاب أبي حنيفة وحكوه عن أبي حنيفة نفسه وهو قول أبي الخطاب وغيره.
- الثاني: لا قبح ولا حسن ولا شر فيها قبل الخطاب، وإنما القبيح ما قيل فيه لا تفعل والحسن ما قيل افعل أو ما أذن في فعله، وهو قول الأشعرية ومن تابعهم من أصحاب مالك والشافعي وأحمد كالقاضي أبي يعلى وأبي الوليد الباجي والجويني وغيرهم.
- الثالث: أن ذلك شر وقبيح قبل مجئ الرسول ولكن العقوبة تستحق بمجئ الرسول وعلى هذا عامة السلف وأكثر المسلمين، وعليه يدل الكتاب والسنة"[2]. ثم ذكر - رحمه الله - الأدلة على ذلك من القرآن والسنة وانتصر له.

القرآن

{وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (٣٣)} [الإسراء : ٣٣]

التفسير:

ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قَتْلها إلا بالحق الشرعي كالقصاص أو رجم الزاني المحصن أو قتل المرتد. ومن قُتِل بغير حق شرعي فقد جعلنا لولي أمره مِن وارث أو حاكم حجة في طلب قَتْل قاتله أو الدية، ولا يصح لولي أمر المقتول أن يجاوز حدَّ الله في القصاص كأن يقتل بالواحد اثنين أو جماعة، أو يُمَثِّل بالقاتل، إن الله معين وليَّ المقتول على القاتل حتى يتمكن مِن قَتْله قصاصًا.

قوله تعالى:{وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ} [الإسراء : ٣٣]، أي:" ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قَتْلها إلا بالحق الشرعي"[3].

في الصحيحين ؛ أن رسول الله ﷺ قال : "لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والزاني المحصن ، والتارك لدينه المفارق للجماعة"[4].

وفي السنن : "لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق"[5].

وفي رواية:« لزوال الدنيا جميعا أهون على الله من دم يسفك بغير حق»[6].

وفي رواية:« لزوال الدنيا وما فيها أهون على الله من قتل مسلم بغير حق»[1].

---

[1] مفتاح دار السعادة: ٢/٧.

[2] مجموع الفتاوى ٦٧٦/١-٦٨٢، وانظر: أيضاً مجموع الفتاوى ٤٢٨/٨-٤٣٦، اللمع ص ٧١، المعتمد في أصول الدين ص ١٠٦، الإرشاد إلى قواطع الأدلة ص ٢٢٨، المواقف في علم الكلام ص ٣٢٢، لوامع الأنوار البهية ٢٨٦/١-٢٨٨.

[3] التفسير الميسر:٢٨٥.

[4] صحيح البخاري برقم (٦٨٧٨) وصحيح مسلم برقم (١٦٧٦) من حديث ابن مسعود ، رضي الله عنه.

[5] أخرجه ابن ماجه (٨٧٤/٢، رقم ٢٦١٩) ، قال البوصيرى (١٢٢/٣) : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. والبيهقى فى شعب الإيمان (٣٤٥/٤، رقم ٥٣٤٣).

[6] أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (٣٤٥/٤، رقم ٥٣٤٣).

وفي رواية:« لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم»[٢].

قال قتادة:" وإنا والله ما نعلم بحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث، إلا رجلا قتل متعمدا، فعليه القود، أو زنى بعد إحصانه فعليه الرجم؛ أو كفر بعد إسلامه فعليه القتل"[٣].

عن عروة أو غيره، قال: "قيل لأبي بكر: أتقتل من يرى أن لا يؤدي الزكاة، قال: لو منعوني شيئا مما أقروا به لرسول الله ﷺ لقاتلتهم فقيل لأبي بكر: أليس قال رسول الله ﷺ: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله" فقال أبو بكر: هذا من حقها"[٤].

قوله تعالى:{وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا} [الإسراء : ٣٣]، أي:" ومن قُتِل بغير حق شرعي فقد جعلنا لولي أمره مِن وارث أو حاكم حجة في طلب قَتْل قاتله أو الدية"[٥].

قال الطبري:" يقول: ومن قتل بغير المعاني التي ذكرنا أنه إذا قتل بها كان قتلا بحق، فقد جعلنا لولي المقتول ظلما سلطانا على قاتل وليه، فإن شاء استقاد منه فقتله بوليه، وإن شاء عفا عنه، وإن شاء أخذ الدية"[٦].

وفي قوله تعالى:{وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا} [الإسراء : ٣٣]، وجوه:

أحدها : أنه القود[٧] الذي جعله الله تعالى، قاله قتادة[٨].

الثاني : أنه الخيار بين القود أو الدية أو العفو ، وهذا قول ابن عباس[٩]، والضحاك[١٠].

الثالث : فقد جعلنا لوليه سلطاناً ينصره وينصفه في حقه. حكاه الماوردي[١١].

قال الطبري: والصواب"أن السلطان الذي ذكر الله تعالى في هذا الموضع ما قاله ابن عباس، من أن لولي القتيل القتل إن شاء وإن شاء أخذ الدية، وإن شاء العفو، لصحة الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال يوم فتح مكة: "ألا ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين بين أن يقتل أو يأخذ الدية". قد بينت الحكم في ذلك في كتابنا: كتاب الجراح"[١٢].

قال ابن كثير :" قوله:{ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا }، أي : سلطة على القاتل ، فإنه بالخيار فيه إن شاء قتله قَوَدًا ، وإن شاء عفا عنه على الدية ، وإن شاء عفا عنه مجانًا ، كما ثبتت السنة بذلك. وقد أخذ الإمام الحبر ابن عباس من عموم هذه الآية الكريمة ولاية معاوية السلطنة ، وأنه سيملك ؛ لأنه كان ولي عثمان ، وقد قتل عثمان مظلومًا ، رضي الله عنه ، وكان معاوية يطالب عليًا ، رضي الله عنه ، أن يسلمه قتلته حتى يقتص منهم ؛ لأنه أموي ، وكان علي ، رضي الله عنه ، يستمهله في الأمر حتى يتمكن ويفعل ذلك ، ويطلب علي من معاوية أن يسلمه الشام فيأبى معاوية ذلك حتى يسلمه القتلة ، وأبى أن يبايع عليًا هو وأهل الشام ، ثم مع المطاولة تمكن معاوية وصار الأمر إليه كما تفاءل ابن عباس واستنبط من هذه الآية الكريمة. وهذا من الأمر العجب وقد روى ذلك الطبراني في معجمه حيث قال : حدثنا يحيى بن

---

[١]أخرجه ابن عساكر (١٩٣/٦٥).

[٢]أخرجه الترمذى (١٦/٤، رقم ١٣٩٥) ، وقال: روى سفيان الثورى عن يعلى بن عطاء موقوفا وهذا أصح من الحديث المرفوع. والنسائى (٨٢/٧، رقم ٣٩٨٧) ، والبيهقى (٢٢/٨، رقم ١٥٦٤٨) وقال: ورواه غندر وغيره عن شعبة موقوفا والموقوف أصح.

[٣] أخرجه الطبري:٤٣٩/١٧.

[٤] أخرجه الطبري:٤٣٩/١٧.

[٥] التفسير الميسر:٢٨٥.

[٦] تفسير الطبري:٤٣٩/١٧-٤٤٠.

[٧] أي: القتل.

[٨] انظر: تفسير الطبري:٤٤٠/١٧.

[٩] انظر: تفسير الطبري:٤٤٠/١٧.

[١٠] انظر: تفسير الطبري:٤٤٠/١٧.

[١١] انظر: النكت والعيون:٢٤٠/٣.

[١٢] تفسير الطبري:٤٤٠/١٧.

عبد الباقي ، حدثنا أبو عمير بن النحاس ، حدثنا ضَمْرَةُ بن ربيعة ، عن ابن شوذب ، عن مطر الوراق ، عن زَهْدَم الجَرْمي، قال : كنا في سمر ابن عباس فقال : إني محدثكم حديثا ليس بسر ولا علانية ؛ إنه لما كان من أمر هذا الرجل ما كان - يعني عثمان - قلت لعلي : اعتزل فلو كنت في جحر طلبت حتى تستخرج ، فعصاني ، وايم الله ليتأمرن عليكم معاوية ، وذلك أن الله تعالى يقول:{وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ}، الآية وليحملنكم قريش على سنة فارس والروم وليقيمن عليكم النصارى واليهود والمجوس ، فمن أخذ منكم يومئذ بما يُعْرَف نجا ، ومن ترك وأنتم تاركون ، كنتم كقرن من القرون ، هلك فيمن هلك»[١]"[٢].

قال ابن حزم: "لم ينكر معاويةُ قط فضلَ عليٍّ واستحقاقه بالخلافة لكن اجتهاده أدّاه إلى أنْ رأى تقديم أخذ القود من قتلة عثمان - رضي الله عنه - على البيعة ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان"[٣].

قال الأشعري: "وكذلك ما جرى بين علي ومعاوية - رضي الله عنهما - كان على تأويل واجتهاد وكل الصحابة مأمونون غير متهمين في الدين، وقد أثنى الله ورسوله على جميعهم، وتعبَّدَنا بتوقيرهم وتعظيمهم وموالاتهم والتَّبَرِّي من كل من ينقص أحدًا منهم رضي الله عن جميعهم"[٤].

قوله تعالى:{فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ} [الإسراء : ٣٣]، أي:" فلا يتجاوز الحدَّ المشروع"[٥]. المشروع"[٥].

قال طليث بن حبيب:" لا يقتل غير قاتله، ولا يمثل به"[٦].

قال سعيد بن جبير:" لا يقتل اثنين بواحد"[٧].

قال مجاهد:" لا يقتل غير قاتله"[٨].

قال قتادة:" من قتل بحديدة قتل بحديدة، ومن قتل بخشبة، قتل بخشبه ومن قتل بحجر قتل بحجر، ولا يقتل غير قاتله"[٩].

قال الشافعي:" فقوله: {يسرف في القتل} دلالة على أن من قتل مظلوما، فلوليه أن يقتل قاتله"[١٠].

قال ابن كثير:" قالوا: معناه : فلا يسرف الولي في قتل القاتل بأن يمثل به أو يقتص من غير القاتل"[١١].

قوله تعالى:{إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا} [الإسراء : ٣٣]، أي:" إن الله معين وليَّ المقتول على القاتل حتى يتمكن مِن قَتْله قصاصًا"[١٢].

قال ابن كثير:" أي: أن الولي منصور على القاتل شرعًا ، وغالبًا قدرًا"[١٣].

قال ابن عباس:" يقول: ينصره السلطان حتى ينصفه من ظالمه. ومن انتصر لنفسه دون السلطان، فهو عاص مسرف قد عمل بحمية أهل الجاهلية، ولم يرضى بحكم الله"[١].

---

[١] المعجم الكبير (٣٢٠/١٠) وقال الهيثمي في المجمع (٢٣٥/٧) : "وفيه من لم أعرفهم".

[٢] تفسير ابن كثير:٧٣/٥.

[٣] الفصل :٣/ ٧٥.

[٤] الإبانة :٧٨.

[٥] صفوة التفاسير:١٤٦/٢.

[٦] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٧٠):ص٢٣٢٩/٧.

[٧] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٧١):ص٢٣٢٩/٧.

[٨] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٧٢):ص٢٣٢٩/٧.

[٩] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٧٣):ص٢٣٢٩/٧.

[١٠] تفسير الإمام الشافعي:٧٥٠/٢.

[١١] تفسير ابن كثير:٧٣/٥.

[١٢] التفسير الميسر:٢٨٥.

[١٣] تفسير ابن كثير:٧٤/٥.

عن مجاهد:" {إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا}، قال: إن المقتول كان منصورا"[٢].

الفوائد:

١- حرمة قتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق والحق قتل عمد عدوانا، وزنا بعد إحصان، وكفر بعد إيمان.

٢- سمى تعالى القتل ظلما، والظلم قبيح حرام، ويمثل ما دل الكتاب عليه من غلظ شأن القتل بغير حق، جاءت الأخبار عن النبي ﷺ. فروى عنه أنه قال: « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»[٣].

٣- النهي عن الإسراف في القتل، أي: الولي لا يقتل غير القاتل كفعل الجاهلية، ولا يمثل بالقاتل فيقطع أنفه وأذنيه ويبقر بطنه.

القرآن

{وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (٣٤)} [الإسراء : ٣٤]

التفسير:

---

[١] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٧٤):ص٢٣٢٩/٧.

[٢] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٧٥):ص٢٣٢٩/٧.

[٣]حديث أبى هريرة: أخرجه أحمد (٥٠٢/٢، رقم ١٠٥٢٥) ، والبخارى (٥٠٧/٢، رقم ١٣٣٥) ، ومسلم (٥٢/١، رقم ٢١) ، وأبو داود (٤٤/٣، رقم ٢٦٤٠) ، والترمذى (٣/٥، رقم ٢٦٠٦) وقال: حسن صحيح. والنسائى (٧٧/٧، رقم ٣٩٧١) ، وابن ماجه (١٢٩٥/٢، رقم ٣٩٢٧) .

حديث أنس: أخرجه تمام (٢٢٥/١، رقم ٥٣٩).

حديث أوس بن أوس: أخرجه الطيالسى (ص ١٥١، رقم ١١١٠) ، والنسائى (٨٠/٧، رقم ٣٩٨٢) ، وابن ماجه (١٢٩٥/٢، رقم ٣٩٢٩) ، وأبو يعلى (٢٧٢/١٢، رقم ٦٨٦٢) ، والطبرانى (٢١٧/١، رقم ٥٩٢) ، وأبو نعيم فى الحلية (٣٤٨/١) . وأخرجه أيضا: أحمد (٨/٤، رقم ١٦٢٠٥) ، والدارمى (٢٨٧/٢، رقم ٢٤٤٦) .

حديث عمرو بن أوس: أخرجه أحمد (٨/٤، رقم ١٦٢٠٨) ، والنسائى (٨١/٧، رقم ٣٩٨٣) ، وابن ماجه (١٢٩٥/٢، رقم ٣٩٢٩) ، والطحاوى (٢١٣/٣) ، وابن قانع (٢٩/١) . والدارمى (٢٨٧/٢، رقم ٢٤٤٦) .

حديث جرير: أخرجه الطبرانى (٣٠٧/٢، رقم ٢٢٧٦) . قال الهيثمى (٢٤/١) : فى إسناده إبراهيم بن عيينة، وقد ضعفه الأكثرون، وقال ابن معين: كان مسلما.

حديث أبى بكر: أخرجه النسائى (٧٧/٧، رقم ٣٩٧٠) ، والبزار (٩٨/١، رقم ٣٨) ، والدارقطنى فى الأفراد كما فى أطراف ابن طاهر (٦٣/١، رقم ١٢) . قال الهيثمى (٢٥/١) : رواه البزار، وقال: وهذا الحديث لا أعلمه يروى عن أنس عن أبى بكر إلا من هذا الوجه وأحسب أن عمران أخطأ فى إسناده.

حديث النعمان بن بشير: أخرجه النسائى (٧٩/٧، رقم ٣٩٧٩) ، والبزار (١٩٢/٨، رقم ٣٢٢٧) . قال الهيثمى (٢٦/١) : رجاله رجال الصحيح.

حديث سهل بن سعد: أخرجه الطبرانى (١٣٢/٦، رقم ٥٧٤٦) . قال الهيثمى (٢٥/١) : فى إسناده مصعب بن ثابت، وثقه ابن حبان، والأكثر على تضعيفه.

حديث ابن عباس: أخرجه الطبرانى (٢٠٠/١١، رقم ١١٤٨٧) . قال الهيثمى (٢٥/١) : رجاله موثقون إلا أن فيه إسحاق بن يزيد الخطابى، ولم أعرفه.

حديث جابر: أخرجه أحمد (٣٣٢/٣، رقم ١٤٦٠٠) ، ومسلم (٥٢/١، رقم ٢١) ، والترمذى (٤٣٩/٥، رقم ٣٣٤١) وقال: حسن صحيح. والنسائى (٧٩/٧، رقم ٣٩٧٧) ، وابن ماجه (١٢٩٥/٢، رقم ٣٩٢٨) .

حديث عمر: أخرجه أحمد (٣٥/١ رقم ٢٣٩) ، والبخارى (٥٠٧/٢ رقم ١٣٣٥) ، ومسلم (٥١/١، رقم ٢٠) ، والترمذى (٣/٥، رقم ٢٦٠٧) وقال: حسن. والنسائى (٦/٦، رقم ٣٠٩٣) .

حديث أبى مالك الأشجعى عن أبيه: أخرجه الطبرانى (٣١٨/٨ رقم ٨١٩١) . قال الهيثمى (٢٥/١) : رجاله موثقون.

حديث أبى بكرة: أخرجه الطبرانى فى الكبير كما فى مجمع الزوائد (٢٥/١) . وأخرجه أيضا: فى الأوسط (٦٦/٤، رقم ٣٦٢٥) . قال الهيثمى (٢٥/١) : فيه عبد الله بن عيسى الخزاز، وهو ضعيف لا يحتج به.

حديث سمرة: أخرجه الطبرانى فى الأوسط (٢٩٩/٦، رقم ٦٤٦٥) . قال الهيثمى (٢٥/١) : فيه مبارك بن فضالة، واختلف فى الاحتجاج به.

ولا تتصرَّفوا في أموال الأطفال الذين مات آباؤهم وهم دون سن البلوغ، وصاروا في كفالتكم، إلا بالطريقة التي هي أحسن لهم، وهي التثمير والتنمية، حتى يبلغ الطفل اليتيم سنَّ البلوغ، وحسن التصرف في المال، وأتموا الوفاء بكل عهد التزمتم به. إن العهد يسأل الله عنه صاحبه يوم القيامة، فيثيبه إذا أتمه ووفَّاه، ويعاقبه إذا خان فيه.

قوله تعالى:{وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [الإسراء : ٣٤]، أي:" ولا تتصرَّفوا في أموال الأطفال الذين مات آباؤهم وهم دون سن البلوغ، وصاروا في كفالتكم، إلا بالطريقة التي هي أحسن لهم، وهي التثمير والتنمية"[١].

قال الطبري:" وقضى أيضا أن لا تقربوا مال اليتيم بأكل، إسرافا وبدارا أن يكبروا، ولكن اقربوه بالفعلة التي هي أحسن، والخلة التي هي أجمل، وذلك أن تتصرفوا فيه له بالتثمير والإصلاح والحيطة"[٢].

قال القرطبي: قوله:{إلا بالتي هي أحسن}:" أي: بما فيه صلاحه وتثميره، وذلك بحفظ أصول وتثمير فروعه. وهذا أحسن الأقوال في هذا، فإنه جامع"[٣].

وفي قوله تعالى:{إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [الإسراء : ٣٤]، وجوه[٤]:

أحدها : حفظ أصوله وتثمير فروعه، وهو محتمل .

الثاني : أن التي هي أحسن التجارة له بماله.

الثالث: معناه: الأكل بالمعروف، أن تأكل معه إذا احتجت إليه. رواه ابن زيد عن ابيه[٥].

قال ابن كثير:" أي: لا تتصرفوا له إلا بالغبطة، { وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا } [النساء : ٢] و { لا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ } [النساء : ٦].

وقد جاء في صحيح مسلم ؛ أن رسول الله ﷺ قال لأبي ذر : "يا أبا ذر ، إني أراك ضعيفًا ، وإني أحب لك ما أحب لنفسي : لا تَأَمَّرَن على اثنين ، ولا تولين مال يتيم »[٦] "[٧].

قال قتادة:" كانوا لا يخالطونهم في مال ولا مأكل ولا مركب، حتى نزلت : {وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُم}[٨]"[٩].

وقال قتادة:" لما نزلت هذه الآية، اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فكانوا لا يخالطونهم في طعام أو أكل ولا غيره، فأنزل الله تبارك وتعالى: {وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ}[١٠]، فكانت هذه لهم فيها رخصة "[١١].

قوله تعالى:{حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ} [الإسراء : ٣٤]، أي:" حتى يبلغ الطفل اليتيم سنَّ البلوغ وحسن التصرف في المال"[١٢].

قال الطبري:" يقول: حتى يبلغ وقت اشتداده في العقل، وتدبير ماله، وصلاح حاله في دينه"[١٣].

وفي قوله تعالى:{حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ} [الإسراء : ٣٤]، وجوه:

---

[١] التفسير الميسر:٢٨٥.

[٢] تفسير الطبري:٤٤٤/١٧.

[٣] تفسير القرطبي:١٣٤/٧.

[٤] انظر: النكت والعيون:٢٤١/٣.

[٥] انظر: تفسير الطبري:٤٤٤/١٧.

[٦]صحيح مسلم برقم (١٨٢٦).

[٧] تفسير ابن كثير:٧٤/٥.

[٨][البقرة : ٢٢٠].

[٩] أخرجه الطبري:٤٤٤/١٧.

[١٠][البقرة : ٢٢٠].

[١١] أخرجه الطبري:٤٤٤/١٧.

[١٢] التفسير الميسر:٢٨٥.

[١٣] تفسير الطبري:٤٤٤/١٧.

أحدها : أنه الحلم حين تكتب له الحسنات وعليه السيئات ، قاله ربيعة[١]، وزيد بن أسلم[٢]، ومالك[٣]، وعامر[٤].
والثاني :أنه خمس عشرة سنة. وهذا قول محمد بن قيس[٥].
والثالث:أنه ثماني عشرة سنة ، وهذا قول سعيد بن جبير[٦]، وحكاه الماوردي عن علي بن عيسى[٧].
والرابع: أنه خمس وعشرون سنة. قاله عكرمة[٨]، وهو اختيار أبي حنيفة[٩].
قال ابن العربي: "وعجبا من أبي حنيفة، فإنه يرى أن المقدرات لا تثبت قياسا ولا نظرا وإنما تثبت نقلا، وهو يثبتها بالأحاديث الضعيفة، ولكنه سكن دار الضرب فكثر عنده المدلس، ولو سكن المعدن كما قيض الله لمالك لما صدر عنه إلا إبريز الدين"[١٠].
والخامس: أن الأَشُد: ثلاثون سنة ، قاله السدي[١١].
والسادس:أن الأشد: ثلاث وثلاثون سنة. وهذا مروي عن ابن عباس[١٢]، ومجاهد[١٣]، وقتادة[١٤].
والسابع: أنه أربعون سنة. وهذا قول الحسن[١٥].
وإذا كان استناد الإمام الحسن-رحمه الله- على قوله تعالى:{ حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً} [الأحقاف : ١٥]، فإن " أشد اليتيم غير أشد الرجل في قول الله عز وجل: {حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة}، وإن كان اللفظان واحدا؛ لأن أشد الرجل: الاكتهال والحنكة وأن يشتد رأيه وعقله. وذلك ثلاثون سنة، ويقال: ثمان وثلاثون سنة. وأشد الغلام: أن يشتد خلقه، ويتناهى ثباته"[١٦].
والثامن: أنه ما بين الثمانية عشر سنة إلى ثلاثين سنة. قاله ابن عباس[١٧]، والكلبي[١٨].
والتاسع: أنه حتى يعقل وتجتمع قوته. قاله أبو العالية[١٩].
والعاشر: أنه حتى: يتناهى في الثبات إلى حد الرجال[٢٠].
والحادي عشر: أن بلوغ أشده: أن يؤنس منه الرشد مع أن يكون بالغا. قاله الزجاج [٢١].
والثاني أن انتهاء الكهولة فيها مجتمع الأشد[٢٢]، كما قال سحيم بن وثيل[١]:

---

[١] انظر: تفسير الطبري(١٤١٥١):ص٢٢٣/١٢.
[٢] انظر: تفسير الطبري(١٤١٥٢):ص٢٢٣/١٢.
[٣] انظر: تفسير الطبري(١٤١٥٢):ص٢٢٣/١٢.
[٤] انظر: تفسير الطبري(١٤١٥٣):ص٢٢٣/١٢.
[٥] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٠٩٢):ص١٤٢٠/٥.
[٦] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٠٨٩):ص١٤١٩/٥-١٤٢٠.
[٧] انظر: النكت والعيون:١٨٨/٢.
[٨] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٠٩١):ص١٤٢٠/٥.
[٩] انظر: تفسير القرطبي:١٣٥/٧.
[١٠] أحكام القرآن:٧٦١/٢.
[١١] انظر: تفسير الطبري(١٤١٥٤):ص٢٢٣/١٢-٢٢٣.
[١٢] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٠٨٦):ص١٤١٩/٥.
[١٣] انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٤١٩/٥. حكاه دون ذكر الإسناد.
[١٤] انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٤١٩/٥. حكاه دون ذكر الإسناد.
[١٥] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٠٨٧):ص١٤١٩/٥.
[١٦] غريب القرآن لانب قتيبة:٢٥٤.
[١٧] أخرجه الفراء في معاني القرآن:١٢٣/٢، في رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.
[١٨] تفسير البغوي:٢٠٤/٣.
[١٩] تفسير البغوي:٢٠٤/٣.
[٢٠] انظر: غريب القرآن:٢٥٤.
[٢١] معاني القرآن:٣٠٥/٢.
[٢٢] انظر: تفسير القرطبي:١٣٥/٧.

أَخُو خَمْسِينَ مُجْتَمِعٍ أَشُدِّي   وَنَجَّذَنِي مُدَاوَرَةُ الشُّؤُونِ

قال القرطبي: قوله:{ حتى يبلغ أشده}، يعني: قوته، وقد تكون في البدن، وقد تكون في المعرفة بالتجربة، ولا بد من حصول الوجهين، فإن الأشد وقعت هنا مطلقة، وقد جاء بيان حال اليتيم في سورة" النساء" مقيدة، فقال:{وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا } [النساء : ٦]، فجمع بين قوة البدن وهو بلوغ النكاح، وبين قوة المعرفة وهو إيناس الرشد، فلو مكن اليتيم من ماله قبل حصول المعرفة وبعد حصول القوة لأذهبه في شهوته وبقي صعلوكا لا مال له. وخص اليتيم بهذا الشرط لغفلة الناس عنه وافتقاد الآباء لأبنائهم فكان الاهتبال[٢] بفقيد الأب أولى. وليس بلوغ الأشد مما يبيح قرب ماله بغير الأحسن، لأن الحرمة في حق البالغ ثابتة. وخص اليتيم بالذكر لأن خصمه الله. والمعنى: ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن على الأبد حتى يبلغ أشده. وفي الكلام حذف، فإذا بلغ أشده وأونس منه الرشد فادفعوا إليه ماله"[٣].

و«الأَشُدّ»: جمع «شَدٍّ»: أي: القوة ، وهو استحكام قوة شبابه وسنه ، كما :شَدُّ النهار، ارتفاعه وامتداده. يقال : أتيته شدَّ النهار ومدَّ النهار، وذلك حين امتداده وارتفاعه؛ وكان المفضل ينشد بيت عنترة[٤] :

عَهْدِي بِهِ شَدَّ النَّهَارِ كَأَنَّمَا   خُضِبَ اللَّبَانُ وَرَأْسُهُ بِالْعِظْلِمِ

ومنه قول الآخر [٥]:

تُطِيفُ بِهِ شَدَّ النَّهَارِ ظَعِينَةٌ   طَوِيلَةُ أَنْقَاءِ اليَدَيْنِ سَحُوقُ [٦]

قوله تعالى:{وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ} [الإسراء : ٣٤]، أي:" وأتموا الوفاء بكل عهد التزمتم به"[٧].

قال يحيى بن سلام:" يعني: ما عاهدتم عليه فيما وافق الحق"[٨].

قال الطبري:" يقول: وأوفوا بالعقد الذي تعاقدون الناس في الصلح بين أهل الحرب والإسلام، وفيما بينكم أيضا، والبيوع والأشربة والإجارات، وغير ذلك من العقود"[٩].

وفي قوله تعالى:{وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ} [الإسراء : ٣٤]، ثلاثة أقوال:

أحدها : أنها العقود التي تنعقد بين متعاقدين يلزمهم الوفاء بها ، وهذا قول ابن جرير الطبري[١٠].

الثاني : أنه العهد في الوصية بمال اليتيم يلزم الوفاء به[١١].

الثالث : أنه كل ما أمر الله تعالى به أو نهى فهو من العهد الذي يلزم الوفاء به[١].

---

[١] انظر: الأصمعيات:١٩، والحماسة البصرية:١٠٢/١، والكامل:٦٣٤/٢، والخزانة:١٦٢/١، وفي الحماسة: معاودة، بدل: مداورة.

رجل منجد (بالدال والذال): جرب الأمور وعرفها وأحكمها. ومداورة الشئون: مداورة الأمور ومعالجتها.

[٢] الاهتبال: اغتنام الفرصة وابتغاءها وتكسبها: أي الاشتغال بشأن اليتيم أولى.

[٣] تفسير القرطبي:١٣٤/٧-١٣٥.

[٤] من معلقته المشهورة ، وهذا البيت من أبيات وصف فيها بطلا مثله ، يقول قبله :

لَمَّا رَآنِي قَدْ قَصَدْتُ أُرِيدُهُ ... أَبْدَى نَوَاجِذَهُ لِغَيْرِ تَبَسُّمِ

فَطَعَنْتُهُ بِالرُّمْحِ ثُمَّ عَلَوْتُهُ ... بِمُهَنَّدٍ صَافِي الحَدِيدَةِ مِخْذَمِ

و"اللبان" الصدر . و"العظلم" ، صبغ أحمر . يصفه قتيلا سال دمه ، فخصب رأسه وأطرافه ، لا حراك به ..

[٥] لم أتعرف على قائله، والبيت بلا نسبة في تفسير الطبري:٢٢٢/١٢.

-الظعينة-، يعني زوجته . "الأنقاء" جمع "نقو" -بكسر فسكون-، وهو كل عظم فيه مخ ، كعظام اليدين والساقين ، وامرأة "سحوق": طويلة كأنها نخلة مستوية قد انجرد عنها كربها .

[٦] انظر: تفسير الطبري:٢٢٢/١٢-٢٢٣.

[٧] التفسير الميسر:٢٨٥.

[٨] تفسير يحيى بن سلام:١٣٥/١.

[٩] تفسير الطبري:٤٤٤/١٧.

[١٠] انظر: تفسير الطبري:٤٤٤/١٧.

[١١] انظر: النكت والعيون:٢٤٢/٣.

قوله تعالى:{إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا} [الإسراء : ٣٤]، أي:" إن العهد يسأل الله عنه صاحبه يوم القيامة، فيثيبه إذا أتمه ووفَّاه، ويعاقبه إذا خان فيه"[٢].

قال يحيى بن سلام:أي:" مطلوبا، يسأل عنه أهله الذين أعطوه"[٣].

قال الطبري:" يقول: إن الله جل ثناؤه سائل ناقض العهد عن نقضه إياه، يقول: فلا تنقضوا العهود الجائزة بينكم، وبين من عاهدتموه أيها الناس فتخفروه، وتغدروا بمن أعطيتموه ذلك. وإنما عنى بذلك أن العهد كان مطلوبا، يقال في الكلام: ليسئلن فلان عهد فلان"[٤].

قال سعيد بن جبير:" يسأل الله ناقض العهد عن نقضه"[٥].

قال ميمون بن مهران:" ثلاث تؤدي إلى البر والفاجر، العهد يوفى إلى البر والفاجر، وقرأ :{وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤلا}"[٦].

قال كعب الأحبار:" من نكث بيعه، كانت سترا بينه وبين الجنة قال: وإنما تهلك هذه الأمة بنكثها عهودها"[٧].

قال السدي:" يوم أنزلت هذه كان إنما يسأل عنه ثم يدخل الجنة، فنزلت: {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ}[٨]"[٩].

الفوائد:

١- حرمة مال اليتيم أكلا أو إفسادا أو تضييعا وإهمالا.

٢- وجوب الوفاء بالعهود وسائر العقود.

القرآن

{وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٣٥)} [الإسراء : ٣٥]

التفسير:

وأتموا الكيل، ولا تنقصوه إذا كِلْتم لغيركم، وزِنوا بالميزان السوي، إن العدل في الكيل والوزن خير لكم في الدنيا، وأحسن عاقبة عند الله في الآخرة.

قوله تعالى:{وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ} [الإسراء : ٣٥]، أي:" وأتموا الكيل، ولا تنقصوه إذا كِلْتم لغيركم"[١٠].

قال سعيد بن جبير:" يعني: لغيركم"[١١].

قوله تعالى:{وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ} [الإسراء : ٣٥]، أي:" وزِنوا بالميزان السوي"[١٢].

قال سعيد بن جبير:" يعني: الميزان، وبلغة الروم الميزان القسطاسي"[١٣].

عن مجاهد، قال: "{بالقسطاس}، العدل بالرومية"[١٤].

---

[١] انظر: النكت والعيون:٢٤٢/٣.

[٢] التفسير الميسر:٢٨٥.

[٣] تفسير يحيى بن سلام:١٣٥/١.

[٤] تفسير الطبري:٤٤٤/١٧.

[٥] أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٧٧):ص٢٣٣٠/٧.

[٦] أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٧٨):ص٢٣٣٠/٧.

[٧] أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٧٩):ص٢٣٣٠/٧.

[٨][آل عمران : ٧٧].

[٩] أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٧٦):ص٢٣٣٠/٧.

[١٠] التفسير الميسر:٢٨٥.

[١١] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٨٠):ص٢٣٣٠/٧.

[١٢] التفسير الميسر:٢٨٥.

[١٣] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٨٠):ص٢٣٣٠/٧.

[١٤] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٨٢):ص٢٣٣١/٧.

عن قتادة :"{ وزنوا بالقسطاس}، قال: القبان"[1].
عن الحسن :{وزنوا بالقسطاس}، قال: بالحديد"[2].
قوله تعالى:{ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [الإسراء : ٣٥]، أي:" إن العدل في الكيل والوزن خير لكم في الدنيا، وأحسن عاقبة عند الله في الآخرة"[3].
قال سعيد بن جبير:" يعني" وفاء الكيل والميزان خير من النقصان وأحسن تأويلا عاقبة"[4].
قال قتادة:" أي: خير ثوابا وعاقبة، وأخبرنا إن ابن العباس رضي الله عنهما كان يقول: يا معشر الموالي إنكم وليتم أمرين: بهما هلك الناس قبلكم، هذا المكيال، وهذا الميزان قال: وذكر لنا أن النبي ﷺ كان يقول: «لا يقدر رجل على حرام ثم يدعه ليس به إلا مخافة الله، إلا أبدله الله في عاجل الدنيا قبل الآخرة ما هو خير له من ذلك»"[5].
وفي قوله تعالى:{ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [الإسراء : ٣٥]، وجهان:
أحدهما : أحسن باطناً فيكون الخير ما ظهر ، وحسن التأويل ما بطن. ذكره الماوردي[6].
الثاني : أحسن عقابة ، تأويل الشيء عاقبته . وهذا قول سعيد بن جبير[7]، وقتادة[8].
قال ابن كثير: " أي : خير ثوابًا وعاقبة. وأما ابن عباس كان يقول : يا معشر الموالي ، إنكم وليتم أمرين بهما هلك الناس قبلكم : هذا المكيال ، وهذا الميزان. قال وذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول : "لا يقدر رجل على حرام ثم يدعه ، ليس به إلا مخافة الله ، إلا أبدله الله في عاجل الدنيا قبل الآخرة ما هو خير له من ذلك"[9].
عن أبي قتادة وأبي الدهماء عن رجل من أهل البادية ، أن النبي ﷺ أخذ بيده وقال : "إنك لا تدع شيئا اتقاء الله ، عز وجل ، إلا أعطاك الله خيرا منه"[10].
الفوائد:

١- وجوب توفية الكيل والوزن وحرمة بخس الكيل والوزن.
٢- حصول البركة لمن يمتثل أمر الله في كيله ووزنه.

القرآن
{وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (٣٦)} [الإسراء : ٣٦]
التفسير:
ولا تتبع -أيها الإنسان- ما لا تعلم، بل تأكَّد وتثبَّت. إن الإنسان مسؤول عما استعمَل فيه سمعه وبصره وفؤاده، فإذا استعمَلها في الخير نال الثواب، وإذا استعملها في الشر نال العقاب.
قوله تعالى:{وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} [الإسراء : ٣٦]، أي:" لا تتَّبعْ ما لا تعلم ولا يَعْنيك بل تثبَّتْ من كل خبر"[11].
وفي قوله تعالى:{وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} [الإسراء : ٣٦]، وجوه:

---
[1] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٨٣):ص٧/٢٣٣١.
[2] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٨٤):ص٧/٢٣٣١.
[3] التفسير الميسر:٢٨٥.
[4] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٨٠):ص٧/٢٣٣٠.
[5] أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٨١):ص٧/٢٣٣٠.
[6] انظر: النكت والعيون:٢٤٢/٣.
[7] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٢٨٠):ص٧/٢٣٣٠.
[8] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٢٨١):ص٧/٢٣٣٠.
[9] تفسير ابن كثير:٧٤/٥.
[10]مسند أحمد (٧٨/٥).
[11] صفوة التفاسير:١٤٧/٢.

أحدها : معناه: لا تقل سمعت، ولم تسمع، ولا تقل: رأيت، ولم تر، فإن الله سائلك عن ذلك كله. وهذا قول قتادة[١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: "{ولا تقف}، قال: لا تقل"[٢].

وروي عن ابن حنيفية:" {ولا تقف ما ليس لك به علم}، قال: شهادة الزور"[٣].

قال السدي:" هذا في الفرية يوم نزلت الآية لم يكن فيها حد، إنما كان يسأل عنه يوم القيامة، ثم يغفر له حتى نزلت هذه آية الفرية جلد ثمانين"[٤].

الثاني : معناه: ولا ترم أحد بما ليس لك به علم ، وهذا قول ابن عباس[٥]، ومجاهد[٦].

قال الطبري:" وهذان التأويلان متقاربا المعنى، لأن القول بما لا يعلمه القائل يدخل فيه شهادة الزور، ورمي الناس بالباطل، وادعاء سماع ما لم يسمعه، ورؤية ما لم يره"[٧].

الثالث : أنه من القيافة وهو اتباع الأثر ، وكأنه يتبع قفا المتقدم، والمعنى: ولا تتبع ما لا تعلمه ولا يعنيك. قاله أبو عبيدة،[٨]، واستشهد بقول النبي ﷺ: «نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو أمنا ولا ننتفي من أبينا»[٩]"[١٠]، وأنشد: قول النّابغة الجعديّ[١١]:

ومِثْلُ الدُّمى شُمُّ العَرَنِينِ سَاكِنٌ ... بِهِنَّ الْحَيَاءُ لا يُشِعْنَ التَّقَافِيَا

يعنى: التقاذف[١٢].

قوله تعالى:{إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} [الإسراء : ٣٦]، أي:" إن الإنسان يُسأل يوم القيامة عن حواسه: عن سمعه، وبصره، وقلبه وعما اكتسبته جوارحه"[١٣].

قال عكرمة:" يقول: سمعه وبصره يشهد عليه"[١٤].

قال عمرو بن قبيس:" يقال للأذن يوم القيامة هل سمعت؟ ويقال للعين: هل رأيت؟ ويقال للفؤاد: مثل ذلك"[١٥].

الفوائد:

١- حرمة القول أو العمل بدون علم لما يقضي إليه ذلك من المفاسد ولأن الله تعالى سائل كل الجوارح ومستشهدها على صاحبها يوم القيامة.

٢- تحريم الإفتاء في دين الله بما يخالف النصوص.

---

[١] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٢٨٨):ص٢٣٣١/٧.

[٢] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٨٥):ص٢٣٣١/٧.

[٣] اخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٨٦):ص٢٣٣١/٧.

[٤] اخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٨٧):ص٢٣٣١/٧.

[٥] انظر: تفسير الطبري:٤٤٧/١٧.

[٦] انظر: تفسير الطبري:٤٤٧/١٧.

[٧] تفسير الطبري:٤٤٧/١٧.

[٨]مجاز القرآن:٣٧٩/١.

[٩]حديث الأشعث بن قيس: أخرجه الطيالسى (ص ١٤١، رقم ١٠٤٩) ، وأحمد (٢١١/٥، رقم ٢١٨٨٨) ، وابن ماجه (٨٧١/٢، رقم ٢٦١٢) قال البوصيرى (١١٨/٣) : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. وابن سعد (٢٣/١) ، وابن قانع
(٦٠/١) ، والطبرانى (٢٣٥/١، رقم ٦٤٥) ، والضياء (٣٠٣/٤، رقم ١٤٨٧) .
حديث الجفشيش: أخرجه الطبرانى (٢٨٦/٢، رقم ٢١٩١) قال الهيثمى (١٩٥/١) : فيه إسماعيل بن عمرو البجلى ضعفه أبو حاتم والدارقطنى ووثقه ابن حبان وبقية رجاله ثقات.

[١٠] تفسير الطبري:٤٤٨/١٧.

[١١] مجاز القرآن:٣٧٩/١، واللسان: "قفو"، وتفسير الطبري:٤٤٨/١٧.

[١٢] انظر: مجاز القرآن:٣٧٩/١.

[١٣] صفوة التفاسير:١٤٧/٢.

[١٤] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٨٩):ص٢٣٣١/٧.

[١٥] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٩٠):ص٢٣٣١/٧.

٣- الواجب الإعراض عما لم يخبر الله به ولا رسوله ﷺ من أمور الغيب، وعدم الخوض فيه، فالواجب على المسلم أن يتمسك بما جاء عن الله تعالى ورسوله ﷺ ويسكت عما سكت الله ورسوله عنه ولا يتكلف ما لا علم له به فإن ذلك مما نهى الله عنه.
٤- وفي الآية الرد على الحملات التي تعرضت لها السنة ورجالها بدءاً من صحابة رسول الله - ﷺ - والتشكيك في عدالتهم وديانتهم ، والطعن فيمن عرف بكثرة الرواية منهم ، ومروراً بكبار أئمة التابعين الذين كان لهم دور مشهود في تدوين الحديث ونشر السنة كالإمام الزهري وغيره.

وما أن فرغ خصوم السنة من ذلك حتى بدؤوا جولة جديدة ، كان الهدف فيها هذه المرة أعظم أصول الإسلام بعد القرآن ، فصوبوا سهامهم نحو الصحيحين ومؤلفيهما ، واتخذوهما غرضاً لحملاتهم وشبهاتهم ، لأن في النيل منهما نيلاً من الإسلام ، ولأن إسقاط الثقة بهما هو في الحقيقة إسقاط للثقة بجملة كبيرة من أحكام الشريعة التي إنما ثبتت بتصحيح هذين الإمامين الجليلين وتلقي الأمة لها بالقبول ، فإذا نجحوا في العصف بهما ، فقد أصابوا الإسلام في مقتل يصعب بعده استمرار الحياة ، ولذلك جعلوا من أهم أهدافهم وأولى أولياتهم إسقاط الثقة بأحاديث الصحيحين ورواتهما بشتى الوسائل ، لتنهار بعد ذلك صروح السنة في غيرهما من الكتب والمصنفات الأخرى.

قال ابن الوزير:" القول بأنّ ثقات الرّواة قد تعمّدوا الكذب على رسول الله - ﷺ - /مما ليس لأحد به علم، ومن قطع بذلك؛ فقد قطع بغير تقدير، ولا هدى، ولا كتاب منير، وقد نهى رسول الله - ﷺ - عن تكذيب أهل الكتاب في حديثهم خوفاً من تكذيب الصّدق وردّ الحقّ، فإنّ الكافر قد يصدق، فهذا في حقّ اليهود القوم البهت، فكيف بثقات المسلمين وأئمة الدّين؟!"[١].

القرآن

{وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (٣٧)} [الإسراء : ٣٧]

التفسير:

ولا تمش في الأرض مختالا متكبرا؛ فإنك لن تَخْرِق الأرض بمشيك عليها بهذه الصفة، ولن تبلغ الجبال طولا بخيلائك وفخرك وكبرك.

قوله تعالى:{وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا} [الإسراء : ٣٧]، أي:" ولا تمش في الأرض مختالا متكبرا"[٢].

قال قتادة:" لا تمش في الأرض فخرا وكبرا"[٣].

قال ابن جريج:" لا تفخر"[٤].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ولا تمش في الأرض مختالا مستكبرا"[٥].

قوله تعالى:{إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ} [الإسراء : ٣٧]، أي:" فإنك لن تَخْرِق الأرض بمشيك عليها بهذه الصفة"[٦].

قال قتادة:" ولا تخرق الأرض بكبرك وفخرك"[٧].

---

[١] الرَّوضُ البَاسِمْ في الذِّبِّ عَنْ سُنَّةِ أبي القَاسِمِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:٤٢٥/٢.
[٢] التفسير الميسر:٢٨٥.
[٣] أخرجه الطبري:٤٥٠/١٧.
[٤] أخرجه الطبري:٤٥٠/١٧.
[٥] تفسير الطبري:٤٤٩/١٧.
[٦] التفسير الميسر:٢٨٥.
[٧] أخرجه الطبري:٤٥٠/١٧.

قال الطبري:" يقول: إنك لن تقطع الأرض باختيالك"[١].

قال أبو عبيدة:معناه: " لن تقطع الأرض، وقال رؤبة[٢]:

وقاتم الأعماق خاوى المخترق

أي: المقطّع.

وقال آخرون: إنك لن تنقب الأرض، وليس بشيء"[٣].

قوله تعالى:{وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا} [الإسراء : ٣٧]، أي:" ولن تبلغ الجبال طولا بخيلائك وفخرك وكبرك"[٤].

قال قتادة: يعني" بكبرك ومرحك"[٥]. وفي رواية:" بكبرك وفخرك"[٦].

قال ابن كثير:" أي : بتمايلك وفخرك وإعجابك بنفسك ، بل قد يجازى فاعل ذلك بنقيض قصده. كما ثبت في الصحيح : «بينما رجل يمشي فيمن كان قبلكم ، وعليه بُرْدَان يتبختر فيهما ، إذ خُسِف به الأرض ، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة»[٧].

قال ابن كثير:وكذلك أخبر الله تعالى عن قارون أنه خرج على قومه في زينته ، وأن الله تعالى خسف به وبداره الأرض ، وفي الحديث : "من تواضع لله رفعه الله ، فهو في نفسه حقير وعند الناس كبير ، ومن استكبر وضعه الله ، فهو في نفسه كبير وعند الناس حقير ، حتى لهو أبغض إليهم من الكلب أو الخنزير»[٨]" [٩].

وفي قوله تعالى:{إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا} [الإسراء : ٣٧]، وجهان[١٠]:

أحدهما : إنك لن تخرق الأرض من تحت قدمك ولن تبلغ الجبال طولاً بتطاولك زجراً له عن تجاوزه الذي لا يدرك به غرضاً .

الثاني : أنه مثل ضربه الله تعالى له ، ومعناه كما أنك لن تخرق الأرض في مشيك ، ولن تبلغ الجبال طولاً فإنك لا تبلغ ما أردت بكبرك وعجبك ، إياساً له من بلوغ إرادته .

قال الصابوني في الآية:" هذا تعليل للنهي عن التكبر والمعنى أنك أيها الإنسان ضئيل هزيل لا يليق بك التكبر؟ كيف تتكبر على الأرض ولن تجعل فيها خرقاً أو شقاً؟ وكيف تتطاول وتتعظَّمْ على الجبال ولن تبلغها طولاً؟ فأنت أحقر وأضعف من كل واحدٍ من الجماديْن فكيف تتكبر وتتعالى وتختال وأنت أضعف من الأرض والجبال؟ وفي هذا تهكم وتقريع للمتكبرين"[١١].

عن حجاج بن محمد ، بن أبي بكر الهذلي قال : بينما نحن مع الحسن ، إذ مَر عليه ابن الأهتم - يريد المنصور - وعليه جبَابُ خَزّ قد نُضّد بعضها فوق بعض على ساقه ، وانفرج عنها قباؤه ، وهو يمشي ويتبختر ، إذ نظر إليه الحسن نظرة فقال : أف أف ، شامخ بأنفه ، ثان عطفه ، مصعر خده ، ينظر في عطفيه ، أيّ حُمَيْق ينظر في عطفه في نِعَم غير مشكورة ولا مذكورة ، غير المأخوذ بأمر الله فيها ، ولا المؤدّى حقّ الله منها! والله إن يمشي أحدهم طبيعته

---

[١] تفسير الطبري:٤٤٩/١٧.

[٢]الشطر من أرجوزة في ديوانه ١٠٤- ١٠٨، وهو فى الطبري ١٧/ ٤٤٩، واللسان والتاج "قتم".

[٣] مجاز القرآن:٣٨٠/١.

[٤] التفسير الميسر:٢٨٥.

[٥] أخرجه الطبري:٤٥٠/١٧.

[٦] أخرجه الطبري:٤٥٠/١٧.

[٧]صحيح البخاري برقم (٥٧٨٩) وصحيح مسلم برقم (٢٠٨٨) من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه.

[٨]رواه أبو نعيم في الحلية (١٢٩/٧) والخطيب في تاريخ بغداد (١١٠/٢) من طريق سعيد بن سلام ، عن الثوري عن الأعمش ، عن إبراهيم بن عابس ، عن ربيعة ، عن عمر بن الخطاب بنحوه وقال : "غريب من حديث الثوري ، تفرد به سعيد بن سلام ، وهو كذاب".

[٩] تفسير ابن كثير:٧٥/٥-٧٦.

[١٠] انظر: النكت والعيون:٢٤٤/٣.

[١١] صفوة التفاسير:١٤٧/٢.

يتلجلج تلجلج المجنون ، في كل عضو منه نعمة ، وللشيطان به لعنة ، فسمعه ابن الأهتم فرجع يعتذر إليه ، فقال : لا تعتذر إلي ، وتب إلى ربك ، أما سمعت قول الله تعالى : { وَلا تَمْشِ فِي الأرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولا }"[1].

وروي أنه :"رأى البختريّ العابدُ رجلا من آل علي يمشي وهو يخطِر في مشيته ، فقال له : يا هذا ، إن الذي أكرمك به لم تكن هذه مشيته! قال : فتركها الرجل بعد"[2].

وروي أنه "رأى ابن عمر رجلا يخطر في مشيته ، فقال : إن للشياطين إخوانًا"[3].

وقال : خالد بن مَعْدان : "إياكم والخَطْر ، فإن الرّجل يَدُه من سائر جسده"[4].

عن سعيد ، عن يُحَنَّس قال : قال : رسول الله ﷺ : "إذا مشت أمتي المطيطاء ، وخدمتهم فارس والروم سلط بعضهم على بعض"[5].

الفوائد:

١- حرمة الكبر ومقت المتكبرين.

٢- استدل بعض أهل العلم بقوله تعالى: {وَلاَ تَمْشِ فِى الأَرْضِ مَرَحًا} (الإسراء/ ٣٧)، [لقمان : ١٨]، على منع الرقص وتعاطيه؛ لأن فاعله ممن يمشي مرحاً. ذكره الشنقيطي[6].

قال القرطبي في :"قال الإمام أبو بكر الطرطوشي وسئل عن مذهب الصوفية فقال: وأما الرقص، والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري، لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار، قاموا يرقصون حواليه، ويتواجدون، فهو دين الكفار، وعباد العجل"[7].

العجل"[7].

القرآن

{كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (٣٨)} [الإسراء : ٣٨]

التفسير:

جميع ما تقدَّم ذِكْرُه من أوامر ونواهٍ، يكره الله سيِّئَه، ولا يرضاه لعباده.

قال الطبري: يقول:" كل هذا الذي ذكرنا لك من الأمور التي عددناها عليك[من {وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه... كان سيئه}] كان سيئة مكروها عند ربك يا محمد، يكرهه وينهى عنه ولا يرضاه، فاتق مواقعته والعمل به"[8].

قال الرازي:" أي: كل ما نهى الله عنه فيما تقدم"[9].

قال أبو القاسم النيسابوري الغرنوي:" أراد بالسيئة الذنب، فحمل على المعنى"[10].

قال النسفي:" ذكر «مكروها»، لأن «السيئة» في حكم الأسماء بمنزلة الذنب والإثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيثه، ألا تراك تقول: الزنا سيئة كما تقول السرقة سيئة فإن قلت الخصال المذكورة بعضها سيء وبعضها حسن ولذلك قرأ من قرأ سيئة بالإضافة أي ما كان من

---

[1] أخرجه ابن أبي دنيا في الخمول والتواضع برقم (٢٣٧).

[2] ذكره ابن كثير في تفسيره:٧٦/٥، وعزاه إلى ابن أبي الدنيا في "الخمول والتواضع".

[3] ذكره ابن كثير في تفسيره:٧٦/٥، وعزاه إلى ابن أبي الدنيا في "الخمول والتواضع".

[4] ذكره ابن كثير في تفسيره:٧٦/٥، وعزاه إلى ابن أبي الدنيا في "الخمول والتواضع".

[5]الخمول والتواضع برقم (٢٤٩) وهو مرسل ، وجاء من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، رواه الترمذي في في السنن برقم (٢٢٦١) من طريق زيد بن الحباب عن موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عنه ، ولفظ آخره "سلط الله شرارها على خيارها" وقال الترمذي : "هذا حديث غريب".

[6] أضواء البيان: ٣/ ٥٣٨.

[7]تفسير القرطبي: ١٠/ ٣١٨.

[8] تفسير الطبري:٤٥١/١٧.

[9] مفاتيح الغيب:٣٤٢/٢٠.

[10]باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن:٨٢٧/٢.

المذكور سيئا كان عند الله مكروها فما وجه قراءة من قرأ سيئة قلت كل ذلك إحاطة بما نهى عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة"[1].

قرأ الكوفيون وابن عامر {كان سيئه} بضم الهمزة والهاء على التذكير، والباقون بفتحهما مع التنوين على التأنيث[2].

عن عبد الله بن كثير رضي الله عنه أنه كان يقرأ «كل سيئة عند ربك مكروها» على واحد يقول: هذه الأشياء التي نهيت عنها، كل سيئه"[3].

قال السمعاني:" قوله: " سيئة " بالتنوين أي: كل ما نهيت عنه في هذه الآيات فهي سيئة مكروهة عند ربك، ومن قرأ " سيئه " بالرفع فمعناه على التبعيض؛ لأنه قد تقدم بعض ما ليس بسيئة مثل قوله: {وآت ذا القربى حقه} ، وكذلك قوله: {واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما} وغير ذلك. فمعناه أن ما تقدم في هذه الآيات من السيئة مكروهة عند ربك"[4].

القرآن

{ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا (٣٩)} [الإسراء : ٣٩]

التفسير:

ذلك الذي بيَّناه ووضَّحناه من هذه الأحكام الجليلة، من الأمر بمحاسن الأعمال، والنهي عن أراذل الأخلاق مما أوحيناه إليك أيها النبي. ولا تجعل -أيها الإنسان- مع الله تعالى شريكًا له في عبادته، فتُقْذف في نار جهنم تلومك نفسك والناس، وتكون مطرودًا مبعدًا من كل خير.[5].

قوله تعالى:{ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ} [الإسراء : ٣٩]، أي:" ذلك الذي تقدم من الآداب والقصص والأحكام بعضُ الذي أوحاه إليك ربك يا محمد من المواعظ البليغة، والحِكَم الفريدة"[6].

قال ابن زيد:" القرآن"[7].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: هذا الذي بينا لك يا محمد من الأخلاق الجميلة التي أمرناك بجميلها، ونهيناك عن قبيحها، من الحكمة التي أوحيناها إليك في كتابنا هذا"[8].

قوله تعالى:{وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا} [الإسراء : ٣٩]، أي:" لا تشرك مع الله غيره من وثنٍ أو بشر فتلقى في جهنم ملوماً تلوم نفسك ويلومك اللهُ والخلق مطروداً مبعداً من كل خير"[9].

قال الطبري:" يقول: ولا تجعل مع الله شريكا في عبادتك، فتلقى في جهنم ملوما تلومك نفسك وعارفوك من الناس، {مدحورا} يقول: مبعدا مقصيا في النار، ولكن أخلص العبادة لله الواحد القهار، فتنجو من عذابه"[10].

قال قتادة:" ملوما في عبادة الله، مدحورا في النار"[11].

عن ابن عباس:"{مدحورا}، يقول: مطرودا"[12].

---

[1] تفسير النسفي:٢/٢٥٧-٢٥٨.

[2] انظر: السبعة في القراءات:٣٨٠، والتيسير في القراءات السبع:١٤٠

[3] أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٩٢):ص٢٣٣٢/٧.

[4] تفسير السمعاني:٢٤٢/٣.

[5] التفسير الميسر:٢٨٦.

[6] صفوة التفاسير:٢/!٤٧.

[7] أخرجه الطبري:٤٥٢/١٧.

[8] تفسير الطبري:٤٥٢/١٧.

[9] صفوة التفاسير:٢/!٤٧.

[10] تفسير الطبري:٤٥٢/١٧.

[11] أخرجه الطبري:٤٥٢/١٧.

[12] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٢٩٢):ص٢٣٣٢/٧، والطبري:٤٥٢/١٧.

قال ابن كثير:"{ مَلُومًا } أي : تلومك نفسك ويلومك الله والخلق، { مَدْحُورًا }. قال ابن عباس وقتادة : مطرودًا، والمراد من هذا الخطاب الأمة بواسطة الرسول ﷺ ؛ فإنه صلوات الله وسلامه عليه معصوم "[1].

فوائد الآيتين:[٣٩-٤٠]:

١- النهي عن الشرك.

قال حافظ الحكمي في هذه الآية:" فابتدأ تلك الأوامر والنواهي بالأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك وختمها بذلك"[2].

إذ ختم تلك الوصايا بقوله: {ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً} [الإسراء:٣٩]، فبدأها بالتحذير من الشرك، وبيان عاقبته في الدنيا، وأنها الذم والخذلان.

٢- انتظام هذا السياق لخمس وعشرين حكمة الأخذ بها خير من الدنيا وما فيها، والتفريط فيها هو سبب خسران الدنيا والآخرة.

القرآن

{أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا (٤٠)} [الإسراء : ٤٠]

التفسير:

أفخصَّكم ربكم -أيها المشركون- بإعطائكم البنين، واتخذ لنفسه الملائكة بنات؟ إن قولكم هذا بالغ القبح والبشاعة، لا يليق بالله سبحانه وتعالى.

قوله تعالى:{أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا} [الإسراء : ٤٠]، أي:" أفخصَّكم ربكم -أيها المشركون- بإعطائكم البنين، واتخذ لنفسه الملائكة بنات؟"[3].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره للذين قالوا من مشركي العرب: الملائكة بنات الله {أفأصفاكم} أيها الناس {ربكم بالبنين} يقول: أفخصكم ربكم بالذكور من الأولاد {واتخذ من الملائكة إناثا}، وأنتم لا ترضونهن لأنفسكم، بل تئدونهن، وتقتلونهن، فجعلتم لله ما لا ترضونه لأنفسكم"[4].

قال أبو عبيدة:{َفَأَصْفَاكُمْ}" أي: اختصكم"[5].

عن قتادة :"{واتخذ من الملائكة إناثا}، قال: قالت اليهود: الملائكة بنات الله"[6].

قوله تعالى:{إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا} [الإسراء : ٤٠]، أي:" إن قولكم هذا بالغ القبح والبشاعة، لا يليق بالله سبحانه وتعالى"[7].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين الذين قالوا من الفرية على الله ما ذكرنا: إنكم أيها الناس لتقولون بقيلكم: الملائكة بنات الله، قولا عظيما، وتفترون على الله فرية منكم"[8].

الفوائد:

١- حرمة القول على الله تعالى بالباطل ونسبة النقص إليه تعالى كاتخاذه ولدا أو شريكا.

٢- أنه سبحانه تعالى منزه عن كل عيب، ونقص - تبارك وتعالى-.

---

[1] تفسير ابن كثير:٧٨/٥.
[2]معارج القبول:٤٨٢/٢ .
[3] التفسير الميسر:٢٨٥.
[4] تفسير الطبري:٤٥٢/١٧-٤٥٣.
[5] مجاز القرآن:٣٨٠/١.
[6] أخرجه الطبري:٤٥٣/١٧.
[7] التفسير الميسر:٢٨٥.
[8] .تفسير الطبري:٤٥٣/١٧

٣- أن العرب نسبوا إلى الله الولد فاعتقدوا أن الملائكة بنات الله، واستغربوا الدعوة لعبادة الله الواحد الأحد فقالوا: {أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} [ص:٥]، وقال تعالى عنهم: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ، لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ} [الأنبياء:٢٦-٢٧]، وقال تعالى: {أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِنَاثاً إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً} [الإسراء:٤٠]، وقال تعالى: {أَلا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ، وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ، أَاصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ، مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ}[الصافات:١٥١-١٥٤] ، والقرآن ينبه على عقائد العرب في معظم سوره.

القرآن

{وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤١)} [الإسراء : ٤١]

التفسير:

ولقد وضَّحْنا ونوَّعْنا في هذا القرآن الأحكام والأمثال والمواعظ؛ ليتعظ الناس ويتدبروا ما ينفعهم فيأخذوه، وما يضرهم فيدَعوه، وما يزيد البيان والتوضيح الظالمين إلا تباعدًا عن الحق، وغفلة عن النظر والاعتبار.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ} [الإسراء : ٤١]، أي:" ولقد وضَّحْنا ونوَّعْنا في هذا القرآن الأحكام والأمثال والمواعظ"[١].

وفي قوله تعالى:{وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ} [الإسراء : ٤١]، وجهان[٢]:

أحدهما: تكرير الأمر والنهي والمواعظ والقصص.

الثاني: تبيين القول بجميع جهاته.

قال القرطبي:" «التصريف»: صرف الشيء من جهة إلى جهة. والمراد بهذا التصريف البيان والتكرير. وقيل: المغايرة، أي: غايرنا بين المواعظ"[٣].

قوله تعالى:{لِيَذَّكَّرُوا} [الإسراء : ٤١]، أي:" ليتعظ الناس ويتدبروا ما ينفعهم فيأخذوه، وما يضرهم فيدَعوه"[٤].

قال السمعاني:" معناه: ليتعظوا"[٥].

قال البغوي:" أي: ليتذكروا ويتعظوا"[٦].

قال القرطبي:" ليذكروا ويعتبروا ويتعظوا"[٧].

وقرأ حمزة والكسائي :«ليذْكُروا»، بإسكان الذال وضم الكاف[٨].

قوله تعالى:{وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا} [الإسراء : ٤١]، أي:" وما يزيد البيان والتوضيح الظالمين إلا تباعدًا عن الحق، وغفلة عن النظر والاعتبار"[٩].

قال السمعاني:" أي: ما يزيدهم التبيين إلا نفورا. وقيل: تصريف القول في الأمر والنهي"[١٠].

قال البغوي:أي:" تصريفنا وتذكيرنا، [إلا] ذهابا وتباعدا عن الحق"[١١].

الفوائد:

-١

---

[١] التفسير الميسر:٢٨٦.

[٢] انظر: تفسيرالسمعاني:٣٤٣/٣، وتفسير القرطبي:٣٦٤/١٠.

[٣] تفسير القرطبي:٣٦٤/١٠.

[٤] التفسير الميسر:٢٨٦.

[٥] تفسير السمعاني:٢٤٣/٣.

[٦] تفسير البغوي:٩٥/٥.

[٧] تفسير القرطبي:٣٦٤/١٠.

[٨] انظر: تفسير البغوي:٩٥/٥.

[٩] التفسير الميسر:٢٨٦.

[١٠] تفسير السمعاني:٢٤٣/٣.

[١١] تفسير البغوي:٩٥/٥.

القرآن

{قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا (٤٢)} [الإسراء : ٤٢]

التفسير:

قل -أيها الرسول- للمشركين: لو أن مع الله آلهة أخرى، إذًا لطلبَتْ تلك الآلهة طريقًا إلى مغالبة الله ذي العرش العظيم.

قوله تعالى:{قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ} [الإسراء : ٤٢]، أي:" قل -أيها الرسول- للمشركين: لو أن مع الله آلهة أخرى كما يزعم هؤلاء المشركون"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين جعلوا مع الله إلها آخر: لو كان الأمر كما تقولون: من أن معه آلهة، وليس ذلك كما تقولون"[٢].

قوله تعالى:{إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا} [الإسراء : ٤٢]، أي:" إذًا لطلبَتْ تلك الآلهة طريقًا إلى مغالبة الله ذي العرش العظيم"[٣].

قال الطبري:" إذن لابتغت تلك الآلهة القربة من الله ذي العرش العظيم، والتمست الزلفة إليه، والمرتبة منه"[٤].

قال قتادة:" لابتغوا القرب إليه، مع أنه ليس كما يقولون"[٥].

وفي قوله تعالى:{إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا} [الإسراء : ٤٢]، وجهان:

أحدهما : لطلبوا إليه طريقاً يتصلون به لأنهم شركاء؛ قاله سعيد بن جبير .

الثاني : ليتقربوا إليه لأنهم دونه، قاله قتادة[٦].

قال قتادة:" يقول: لو كان معه آلهة إذن لعرفوا فضله ومرتبته ومنزلته عليهم، فابتغوا ما يقربهم إليه"[٧].

قال ابن قتيبة:" يقول: لو كان الأمر كما تقولون لابتغى من تدعونه إلها، التقرب إلى الله؛ لأنه رب كل مدعو"[٨].

الفوائد:

١- مشروعية الاستدلال بالعقليات، على إحقاق الحق وإبطال الباطل.

٢-

القرآن

{سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤٣)} [الإسراء : ٤٣]

التفسير:

تنزَّه الله وتقدَّس عَمَّا يقوله المشركون وتعالى علوًا كبيرًا.

قال قتادة:" يسبح نفسه إذ قيل عليه البهتان"[٩].

قال القرطبي:" نزه سبحانه نفسه وقدسه ومجده عما لا يليق به. والتسبيح: التنزيه"[١٠].

---

[١] التفسير الميسر:٢٨٦، وصفوة التفاسير:١٤٧/٢.

[٢] تفسير الطبري:٤٥٣/١٧-٤٥٤.

[٣] التفسير الميسر:٢٨٦.

[٤] تفسير الطبري:٤٥٤/١٧.

[٥] أخرجه الطبري:٤٥٤/١٧.

[٦] انظر: تفسير الطبري:٤٥٤/١٧.

[٧] أخرجه الطبري:٤٥٤/١٧.

[٨] غريب القرآن:٢٥٥.

[٩] غريب القرآن:٢٥٥.

[١٠] تفسير القرطبي:٢٦٦/١٠.

قال الطبري:" وهذا تنزيه من الله تعالى ذكره نفسه عما وصفه به المشركون، الجاعلون معه آلهة غيره، المضيفون إليه البنات، فقال: تنزيها لله وعلوا له عما تقولون أيها القوم، من الفرية والكذب، فإن ما تضيفون إليه من هذه الأمور ليس من صفته، ولا ينبغي أن يكون له صفة"[١].

قال السعدي:" أي: تقدس وتنزه وعلت أوصافه {عما يقولون} من الشرك به واتخاذ الأنداد معه {علوا كبيرا} فعلا قدره وعظم وجلت كبرياؤه التي لا تقادر أن يكون معه آلهة فقد ضل من قال ذلك ضلالا مبينا وظلم ظلما كبيرا"[٢].

قال النسفي:" وصف العلو بالكبر مبالغة في معنى البراءة والبعد مما وصفوه به"[٣].

القرآن

{تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤)} [الإسراء : ٤٤]

التفسير:

تُسَبِّح له -سبحانه- السموات السبع والأرضون، ومَن فيهن مِن جميع المخلوقات، وكل شيء في هذا الوجود ينزه الله تعالى تنزيهًا مقرونًا بالثناء والحمد له سبحانه، ولكن لا تدركون -أيها الناس- ذلك. إنه سبحانه كان حليمًا بعباده لا يعاجل مَن عصاه بالعقوبة، غفورًا لهم.

قوله تعالى:{تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ} [الإسراء : ٤٤]، أي:" تُسَبِّح له -سبحانه- السموات السبع والأرضون، ومَن فيهن مِن جميع المخلوقات"[٤].

قال الطبري:" تنزه الله أيها المشركون عما وصفتموه به إعظاما له وإجلالا السماوات السبع والأرض، ومن فيهن من المؤمنين به من الملائكة والإنس والجن، وأنتم مع إنعامه عليكم، وجميل أياديه عندكم، تفترون عليه بما تفترون"[٥].

قال ابن كثير:" يقول تعالى : تقدسه السموات السبع والأرض ومن فيهن ، أي : من المخلوقات ، وتنزهه وتعظمه وتجِّلّه وتكبره عما يقول هؤلاء المشركون ، وتشهد له بالوحدانية في ربوبيته وإلهيته"[٦].

عن عبد الرحمن بن قرط ؛ أن رسول الله ﷺ ليلة أسري إلى المسجد الأقصى ، كان بين المقام وزمزم ، جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره ، فطار به حتى بلغ السماوات السبع ، فلما رجع قال : سمعت تسبيحًا في السماوات العلى مع تسبيح كثير : سبحت السماوات العلى من ذي المهابة مشفقات لذي العلو بما علا سبحان العليّ الأعلى ، سبحانه وتعالى"[٧].

قوله تعالى:{وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ} [الإسراء : ٤٤]، أي:" وكل شيء في هذا الوجود ينزه الله تعالى تنزيهًا مقرونًا بالثناء والحمد له سبحانه"[٨].

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه: وما من شيء من خلقه إلا يسبح بحمده"[٩].

قال ابن كثير:" أي : وما من شيء من المخلوقات إلا يسبح بحمد الله"[١٠].

قال عكرمة:" لا يعيبن أحدكم دابته ولا ثوبه، فإن كل شيء يسبح بحمده"[١].

---

[١] تفسير الطبري:١٧/٤٥٤.

[٢] تفسير السعدي:٤٥٨.

[٣] تفسير النسفي:٢/٢٥٩.

[٤] التفسير الميسر:٢٨٦.

[٥] تفسير الطبري:١٧/٤٥٥.

[٦] تفسير ابن كثير:٥/٧٨.

[٧] المعجم الأوسط برقم (٥٨) "مجمع البحرين" وقال " لا يروى عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد ، تفرد به سعيد". وذكر الذهبي هذا الحديث في الميزان (٤/١٠١) في ترجمة مسكين بن أبي ميمون وقال : "منكر".

[٨] التفسير الميسر:٢٨٦.

[٩] تفسير الطبري:١٧/٤٥٥.

[١٠] تفسير ابن كثير:٥/٧٩.

وفي قوله تعالى:{وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ} [الإسراء : ٤٤]، وجوه من التفسير:
أحدها : وإن من شيء فيه الروح من الحيوان والنبات الا يسبح بحمده، فأما ما ليس بحي فلا ، قاله الحسن[٢]، وقتادة[٣]، والضحاك[٤].

قال قتادة:" كل شيء فيه الروح يسبح، من شجر أو شيء فيه الروح"[٥].

عن الضحاك والحسن :"أنهما قالا في قوله :{وإن من شيء إلا يسبح بحمده}، قالا كل شيء فيه الروح"[٦].

الثاني : إن جميع المخلوقات تسبح له من حي وغير حي حتى صرير الباب ، قاله إبراهيم النخعي[٧].

قال إبراهيم:" الطعام يسبح"[٨]. قال ابن كثير:" ويشهد لهذا القول آية السجدة أول سورة الحج"[٩].

قال ابن كثير:" وقال بعض السلف : إن صرير الباب تسبيحه ، وخرير الماء تسبيحه ، قال الله تعالى : { وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ }"[١٠].

الثالث : أنه كل ذي روح، وكل نام من شجر أو نبات. وهذا قول عكرمة[١١].

قال عكرمة:" الشجرة تسبح، والأسطوانة تسبح"[١٢].

الرابع: أنه كل شيء لم يغير عن حاله، فإذا تغير انقطع تسبيحه. حكاه ابن الجوزي عن المقدام بن معديكرب[١٣].

روى خالد بن معدان عن المقدام بن معديكرب قال: "إن التراب ليسبح ما لم يبتل، فاذا ابتل ترك التسبيح، وإن الورقة تسبح ما دامت على الشجرة، فاذا سقطت تركت التسبيح، وإن الثوب ليسبح ما دام جديدا، فاذا توسخ ترك التسبيح"[١٤].

وقال جرير أبو الخطاب: "كنا مع يزيد الرقاشي ومعه الحسن في طعام، فقدموا الخوان، فقال يزيد الرقاشي: يا أبا سعيد يسبح هذا الخوان: فقال: كان يسبح مرة"[١٥].

قال ابن كثير:" «الخِوَان» هو المائدة من الخشب. فكأن الحسن ، رحمه الله ، ذهب إلى أنه لما كان حيا فيه خضرة، كان يسبح ، فلما قطع وصار خشبة يابسة انقطع تسبيحه. وقد يستأنس لهذا القول بحديث ابن عباس ، رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ مر بقبرين فقال : "إنهما ليعذبان ، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يَسْتَتِر من البول ، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة". ثم أخذ جريدة رطبة ، فشقها نصفين ، ثم غرز في كل قبر واحدة ، ثم قال : "لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا". أخرجاه في الصحيحين[١٦].

---

[١] أخرجه الطبري:٤٥٥/١٧.
[٢] انظر: تفسير الطبري:٤٥٦/١٧، وحكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٢٦/٣.
[٣] انظر: تفسير الطبري:٤٥٦/١٧، وحكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٢٦/٣.
[٤] انظر: تفسير الطبري:٤٥٦/١٧، وحكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٢٦/٣.
[٥] أخرجه الطبري:٤٥٦/١٧.
[٦] أخرجه الطبري:٤٥٦/١٧.
[٧] انظر: النكت والعيون:٢٤٥/٣، وزاد المسير:٢٦/٣.
[٨] أخرجه الطبري:٤٥٦/١٧.
[٩] وهو قوله: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (١٨)} [الحج : ١٨].
[١٠] تفسير ابن كثير:٨٠/٥.
[١١] أخرجه الطبري:٤٥٥/١٧.
[١٢] أخرجه الطبري:٤٥٥/١٧. والأسطوانة : السارية
[١٣] انظر: زاد المسير:٢٧/٣.
[١٤] زاد المسير:٢٧/٣.
[١٥] أخرجه الطبري:٤٥٥/١٧-٤٥٦.
[١٦] صحيح البخاري برقم (٢١٨) وصحيح مسلم برقم (٢٩٢).

قال بعض من تكلم على هذا الحديث من العلماء : إنما قال : "ما لم ييبسا" لأنهما يسبحان ما دام فيهما خضرة ، فإذا يبسا انقطع تسبيحهما ، والله أعلم"[١].
الخامس: أن تسبيح ذلك ما يظهر فيه من لطيف صنعته وبديع قدرته الذي يعجز الخلق عن مثله فيوجب ذلك على من رآه تسبيح الله وتقديسه، حكاه الماوردي[٢]، كما قال الشاعر :

تُلْقِي بِتَسْبِيحَةٍ مِنْ حَيْثُما انْصَرَفَتْ ... وتَسْتَقِرُّ حَشَا الرَّائِي بإرْعَادِ
كَأَنَّمَا خُلِقَتْ مِن قِشْرِ لُؤْلُؤَةٍ ... فَكُلُّ أَكْنَافِها وَجْهٌ لِمِرْصَادِ

قال ابن الجوزي:" فأما تسبيح الحيوان الناطق، فمعلوم، وتسبيح الحيوان غير الناطق، فجائز أن يكون بصوته، وجائز أن يكون بدلالته على صانعه"[٣].
قال ابن كثير:" هذا عام في الحيوانات والنبات والجماد ، وهذا أشهر القولين ، كما ثبت في صحيح البخاري ، عن ابن مسعود أنه قال : كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يُؤكل»[٤]"[٥].
وعن أنس قال: "تناول النبى - ﷺ - من الأرض سبع حصيات فسبحن فى يده، ثم ناولهن أبا بكر فسبحن كما سبحن فى يد النبى - ﷺ -، ثم ناولهن النبى - ﷺ - عمر فسبحن فى يده كما سبحن فى يد أبى بكر، ثم ناولهن عثمان فسبحن فى يده كما سبحن فى يد أبى بكر وعمر"[٦]. وفي رواية:" ثم صيرهن فى أيدينا رجلا رجلا فما سبحت حصاة منهن"[٧].
عن سهل بن معاذ بن أنس ، عن أبيه رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ "أنه مَرّ على قوم وهم وقوف على دوابّ لهم ورواحل ، فقال لهم : "اركبوها سالمة ، ودعوها سالمة ، ولا تتخذوها كراسي لأحاديثكم في الطرق والأسواق ، فرب مركوبة خير من راكبها ، وأكثر ذكرا لله منه"[٨].
عن عبد الله بن عمرو قال : نهى رسول الله ﷺ عن قتل الضفدع ، وقال : "نقيقها تسبيح"[٩].
وفي تسبيح الجمادات ثلاثة أقوال[١٠]:
أحدها: أنه تسبيح لا يعلمه إلا الله.
والثاني: أنه خضوعه وخشوعه لله.
والثالث: دلالته على صانعه، فيوجب ذلك تسبيح مبصره.
قال ابن الجوزي:" فإن قلنا: إنه تسبيح حقيقة، كان قوله تعالى: {ولكن لا تفقهون تسبيحهم} لجميع الخلق وإن قلنا: إنه دلالته على صانعه، كان الخطاب للكفار، لأنهم لا يستدلون، ولا يعتبرون"[١١].
عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: "ألا أخبركم بشيء أمر به نوح ابنه؟ إن نوحا قال لابنه يا بني آمرك أن تقول سبحان الله وبحمده فإنها صلاة الخلق، وتسبيح الخلق، وبها ترزق الخلق، قال الله: {وإن من شيء إلا يسبح بحمده}"[١٢].

---

[١] تفسير ابن كثير:٨١/٥.
[٢] انظر: النكت والعيون:٢٤٥/٣.
[٣] زاد المسير:٢٧/٣.
[٤] تفسير ابن كثير:٧٩/٥.
[٥] تفسير ابن كثير:٧٩/٥.
[٦] أخرجه ابن عساكر (١٢١/٣٩).
[٧] أخرجه ابن عساكر (١٢٠/٩) .
[٨] المسند (٤٣٩/٣).
[٩] سنن النسائي (٢١٠/٧) من حديث عبد الرحمن بن عثمان ، رضي الله عنه.
[١٠] انظر: زاد المسير:٢٧/٣.
[١١] زاد المسير:٢٧/٣.
[١٢] أخرجه الطبري:٤٥٥/١٧.

عن عبد الله بن عمرو:" أن الرجل إذا قال: لا إله إلا الله فهي كلمة الإخلاص التي لا يقبل الله من أحد عملا حتى يقولها، فإذا قال الحمد لله، فهي كلمة الشكر التي لم يشكر الله عبد قط حتى يقولها، فإذا قال الله أكبر، فهي تملأ ما بين السماء والأرض، فإذا قال سبحان الله، فهي صلاة الخلائق التي لم يدع الله أحد من خلقه إلا نوره بالصلاة والتسبيح، فإذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله، قال: أسلم عبدي واستسلم"[(١)].

عن عبد الله بن عمرو قال : أتى النبي ﷺ أعرابيّ عليه جبة من طيالسة مكفوفة بديباج - أو : مزورة بديباج - فقال : إن صاحبكم هذا يريد أن يرفع كل راع ابن راع ، ويضع كل رأس ابن رأس. فقام إليه النبي ﷺ مغضبًا ، فأخذ بمجامع جبته فاجتذبه ، فقال : "لا أرى عليك ثياب من لا يعقل". ثم رجع رسول الله ﷺ فجلس فقال : "إن نوحًا ، عليه السلام ، لما حضرته الوفاة ، دعا ابنيه، فقال : إني قاص عليكما الوصية : آمركما باثنتين وأنهاكما عن اثنتين : أنهاكما عن الشرك بالله والكبر ، وآمركما بلا إله إلا الله ، فإن السماوات والأرض وما بينهما لو وضعت في كفة الميزان ، ووضعت "لا إله إلا الله" في الكفة الأخرى ، كانت أرجح ، ولو أن السماوات والأرضِ كانتا حلقة ، فوضعت "لا إله إلا الله" عليهما لفصمتهما أو لقصمتهما. وآمركما بسبحان الله وبحمده ، فإنها صلاة كل شيء ، وبها يرزق كل شيء"[(٢)].

قوله تعالى:{وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ} [الإسراء : ٤٤]، أي:" ولكنْ لا تفهمون تسبيح هذه الأشياء لأنها ليست بلغاتكم"[(٣)].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ولكن لا تفقهون تسبيح ما عدا تسبيح من كان يسبح بمثل ألسنتكم"[(٤)].

قال ابن كثير:" أي : لا تفقهون تسبيحهم أيها الناس ؛ لأنها بخلاف لغتكم"[(٥)].

قوله تعالى:{إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} [الإسراء : ٤٤]، أي:" إنه سبحانه كان حليمًا بعباده لا يعاجل مَن عصاه بالعقوبة، غفورًا لهم"[(٦)].

قال الطبري:" يقول: إن الله كان حليما لا يعجل على خلقه، الذين يخالفون أمره، ويكفرون به، ولولا ذلك لعاجل هؤلاء المشركين الذين يدعون معه الآلهة والأنداد بالعقوبة {غفورا} يقول: ساترا عليهم ذنوبهم، إذا هم تابوا منها بالعفو منه لهم"[(٧)].

عن قتادة :"{إنه كان حليما} عن خلقه، فلا يعجل كعجلة بعضهم على بعض، {غفورا} لهم إذا تابوا"[(٨)].

فوائد الآيتين:[٤٣-٤٤]:

١- فضيلة التسبيح وهو قول: سبحان الله وبحمده حتى إن من قالها مائة مرة غفرت ذنوبه ولو كانت في الكثرة مثل زبد البحر.

٢- كل المخلوقات في العوالم كلها تسبح الله تعالى أي تنزهه كن الشريك والولد والنقص والعجز ومشابهة الحوادث إذ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

٣- حلم الله يتجلى في عدم تعجيل عقوبة من عصاه ولولا حلمه لعجل عقوبة مشركي مكة وأكابر مجرميها. ولكن الله أمهلهم حتى تاب أكثرهم.

٤- ومن الفوائد: إثبات هذين الاسمين الكريمين: «الحليم»، و«الغفور»؛ وما تضمناه من صفة، وفعل.

---

(١) أخرجه الطبري:٤٥٦/١٧.

(٢) المسند (٢٢٥/٢).

(٣) صفوة التفاسير:١٤٨/٢.

(٤) تفسير الطبري:٤٥٦/١٧.

(٥) تفسير ابن كثير:٧٩/٥.

(٦) التفسير الميسر:٢٨٦.

(٧) تفسير الطبري:٤٥٦/١٧.

(٨) أخرجه الطبري:٤٥٦/١٧.

- فـ«الحليم»؛ هو ذو الصفح، والأناة، الذي لا يستفزه غضب ولا يستخفه جهل جاهل، ولا عصيان عاص، ولا يستحق الصافح مع العجز اسم الحلم؛ إنما الحليم هو الصفوح مع القدرة، والمتأني الذي لا يعجل بالعقوبة"[١].
- و«الغفور»: "هو الذي تكثر منه المغفرة"[٢].

القرآن

{وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا (٤٥)} [الإسراء : ٤٥]

التفسير:

وإذا قرأت القرآن فسمعه هؤلاء المشركون، جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابًا ساترًا يحجب عقولهم عن فَهْمِ القرآن؛ عقابًا لهم على كفرهم وإنكارهم.

سبب النزول:

قال مقاتل:" نزلت في أبي لهب وامرأته، وأبى البختري، وزمعة اسمه عمرو بن الأسود، وسهيل، وحويطب، كلهم من قريش"[٣].

قال ابن كثير:" يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ : وإذا قرأت - يا محمد - على هؤلاء المشركين القرآن ، جعلنا بينك وبينهم حجابا مستورًا"[٤].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وإذا قرأت يا محمد القرآن على هؤلاء المشركين الذين لا يصدقون بالبعث، ولا يقرون بالثواب والعقاب، جعلنا بينك وبينهم حجابا، يحجب قلوبهم عن أن يفهموا ما تقرؤه عليهم، فينتفعوا به، عقوبة منا لهم على كفرهم. والحجاب ههنا: هو الساتر"[٥].

قال الزجاج:" قال أهل اللغة معنى {مستورا} ههنا في موضع ساتر، تأويل «الحجاب»- والله أعلم - الطبع الذي على قلوبهم. ويدل على ذلك قوله: {وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه}، و«الأكنة» جمع «كنان»، وهو ما ستر، ومعنى {أن يفقهوه} كراهة {أن يفقهوه} وقيل: معناه ألا يفقهوه والمعنيان واحد، غير أن كراهة أجود في العربية"[٦].

وفي تفسير هذه الآية، قولان[٧]:

أحدهما : أي: جعلنا القرآن حجاباً ليسترك عنهم إذا قرأته.

قال زهير بن محمد:" ذاك رسول الله ﷺ إذا قرأ القرآن علي المشركين بمكة سمعوا صوته ولا يرونه"[٨].

عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، قالت : لما نزلت :"{ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبٍ} [سورة المسد] جاءت العوراء أم جميل ولها ولوَلة ، وفي يدها فِهْر وهي تقول : مُذَمَّما أتينا - أو : أبينا ، قال أبو موسى : الشك مني - ودينه قَلَيْنَا ، وأمره عصينا. ورسول الله جالس ، وأبو بكر إلى جنبه - أو قال : معه - قال : فقال أبو بكر : لقد أقبلت هذه وأنا أخاف أن تراك ، فقال : "إنها لن تراني" ، وقرأ قرآنا اعتصم به منها : { وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا }. قال : فجاءت حتى قامت على أبي بكر ، فلم تر

---

[١] انظر: شأن الدعاء:٦٣.
[٢] انظر: شأن الدعاء:٦٥/١.
[٣] تفسير مقاتل بن سليمان:٥٣٣/٢.
[٤] تفسير ابن كثير:٨٢/٥.
[٥] تفسير الطبري:٤٥٧/١٧.
[٦] معاني القرآن:٢٤٢/٣.
[٧] انظر: النكت والعيون:٢٤٦/٣.
[٨] أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٩٧):ص٢٣٣٢/٧.

النبيّ ﷺ ، فقالت : يا أبا بكر ، بلغني أن صاحبك هجاني. فقال أبو بكر : لا ورب هذا البيت ما هجاك. قال : فانصرفت وهي تقول : لقد علمت قريش أني بنت سيدها"[1].

الثاني : أي: جعلنا القرآن حجاباً يسترهم عن سماعه إذا جهرت به . فعلى هذا فيه ثلاثة أوجه:

أحدها : أنهم لإعراضهم عن قراءتك كمن بينك وبينهم حجاباً في عدم رؤيتك . قاله الحسن[2].

والثاني : أن الحجاب المستور أن طبع الله على قلوبهم حتى لا يفقهوه ، قاله قتادة[3]، ورواه ابن زيد عن ابيه[4].

قال قتادة:" الحجاب المستور أكنة على قلوبهم أن يفقهوه وأن ينتفعوا به، أطاعوا الشيطان فاستحوذ عليهم"[5].

قال ابن زيد:" قال أبي: لا يفقهونه، وقرأ {قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر}، لا يخلص ذلك إليهم"[6].

الثالث : أنها نزلت في قوم كانوا يؤذونه في الليل إذا قرأ ، فحال الله بينه وبينهم من الأذى، قاله الزجاج[7].

الفوائد:

١- تقرير قاعدة حبك الشيء يعمى ويصم: فإن الحجاب المذكور في الآية وكذا الأكنة والثقل في الآذان هذه كلها حالت دون سماع القرآن من أجل بغضهم للرسول صلى الله عليه وسلم وللقرآن وما جاء به عن الدعوة إلى التوحيد.

القرآن

{وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا (٤٦)} [الإسراء : ٤٦]

التفسير:

وجعلنا على قلوب المشركين أغطية؛ لئلا يفهموا القرآن، وجعلنا في آذانهم صممًا؛ لئلا يسمعوه، وإذا ذَكَرْتَ ربك في القرآن داعيًا لتوحيده ناهيًا عن الشرك به رجعوا على أعقابهم نافرين من قولك؛ استكبارًا واستعظامًا من أن يوحِّدوا الله تعالى في عبادته.

قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ} [الإسراء : ٤٦]، أي:" وجعلنا على قلوب المشركين أغطية؛ لئلا يفهموا القرآن"[8].

قال ابن كثير:" جمع «كنان»، الذي يغشى القلب { أَنْ يَفْقَهُوهُ } أي : لئلا يفهموا القرآن"[9].

قوله تعالى:{وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا} [الإسراء : ٤٦]، أي:" وجعلنا في آذانهم صممًا؛ لئلا يسمعوه"[10].

قال الطبري:" يقول: وجعلنا في آذانهم وقرا عن سماعه، وصمما، والوقر بالفتح في الأذن: الثقل"[11].

---

[1] مسند أبي يعلى (٥٣/١) وحسنه الحافظ ابن حجر في الفتح (١٦٩/٧).

[2] انظر: النكت والعيون:٢٤٦/٣.

[3] انظر: تفسير الطبري:٤٥٧/١٧.

[4] انظر: تفسير الطبري:٤٥٧/١٧.

[5] أخرجه الطبري:٤٥٧/١٧.

[6] أخرجه الطبري:٤٥٧/١٧.

[7] حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون:٢٤٦/٣. وقال الزجاج:" وقيل: {جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا} الحجاب منع الله إياهم من النبي - عليه السلام –". معاني القرآن:٢٤٣/٣.

[8] التفسير الميسر:٢٨٦.

[9] تفسير ابن كثير:٨٢/٥.

[10] التفسير الميسر:٢٨٦.

[11] تفسير الطبري:٤٥٨/١٧.

قال ابن كثير:{ وَقْرًا}" وهو الثِّقْل الذي يمنعهم من سماع القرآن سماعًا ينفعهم ويهتدون به"[١].

قوله تعالى:{وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ} [الإسراء : ٤٦]، أي:" وإذا ذَكَرْتَ ربك في القرآن داعيًا لتوحيده ناهيًا عن الشرك به"[٢].

قال ابن كثير:" أي : إذا وحَّدت الله في تلاوتك ، وقلت : «لا إله إلا الله»"[٣].

قال الطبري:" يقول: وإذا قلت: لا إله إلا الله في القرآن وأنت تتلوه"[٤].

قوله تعالى:{وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا} [الإسراء : ٤٦]، أي:" رجعوا على أعقابهم نافرين من قولك؛ استكبارًا واستعظامًا من أن يوحِّدوا الله تعالى في عبادته"[٥].

قال الزمخشري:" أى: يحبون أن تذكر معه آلهتهم لأنهم مشركون، فإذا سمعوا بالتوحيد نفروا"[٦].

قال الطبري:" يقول: انفضوا، فذهبوا عنك نفورا من قولك استكبارا له واستعظاما من أن يوحد الله تعالى"[٧].

قال ابن كثير:" أي : أدبروا راجعين "[٨].

قال ابن زيد:" بغضا لما تتكلم به، لئلا يسمعوه كما كان قوم نوح يجعلون أصابعهم في آذانهم، لئلا يسمعوا ما يأمرهم به من الاستغفار والتوبة"[٩].

قال مقاتل:" يعنى: أعرضوا عن التوحيد ونفروا عنه كراهية التوحيد، وذلك حين قال لهم النبي- ﷺ- يوم دخلوا على أبي طالب وهم الملأ فقال: قولوا لا إله إلا الله تملكون بها العرب وتدين لكم العجم"[١٠].

قال مقاتل: وإن المسلمين لما قالوا: لا إله إلا الله، أنكر ذلك المشركون وكبرت عليهم، فصافها [١١] إبليس وجنوده، فأبى الله إلا أن يمضيها وينصرها ويفلجها ويظهرها على من ناوأها، إنها كلمة من خاصم بها فلج، ومن قاتل بها نصر، إنما يعرفها أهل هذه الجزيرة من المسلمين، التي يقطعها الراكب في ليال قلائل ويسير الدهر في فئام من الناس لا يعرفونها ولا يقرون بها"[١٢].

وروي عن ابن عباس في قوله:{وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا}، قال:" هم الشياطين"[١٣].

الفوائد:

١- بيان مدى كراهية المشركين للتوحيد وكلمة الإخلاص لا إله إلا الله.
٢- أن الله تعالى يصرف بالطبع والختم عن سبيل الرشاد من أراد صرفه من العباد، قال تعالى: {وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه}.

---

[١] تفسير ابن كثير:٨٢/٥.
[٢] التفسير الميسر:٢٨٦.
[٣] تفسير ابن كثير:٨٢/٥.
[٤] تفسير الطبري:٤٥٨/١٧.
[٥] التفسير الميسر:٢٨٦.
[٦] الكشاف:٦٧١/٢.
[٧] تفسير الطبري:٤٥٨/١٧.
[٨] تفسير ابن كثير:٨٢/٥.
[٩] أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٩٨):ص٢٣٣٣/٧.
[١٠] تفسير مقاتل بن سليمان:٥٣٤/٢.
[١١]يقال: صافه، بتشديد الفاء، فهو مضاف: إذا رتب صفوفه في مقابله صفوف العدو، وتصافوا عليه: اجتمعوا صفا.
[١٢] أخرجه الطبري:٤٥٨/١٧.
[١٣] أخرجه الطبري:٤٥٩/١٧، وابن أبي حاتم(١٣٢٩٩):ص٢٣٣٣/٧.

٣- أنه لا يشترط في قيام الحجة أن يفهم عن الله ورسوله ما يفهمه أهل الإيمان والقبول والإنقياد لما جاء به الرسول، قال تعالى: {وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ} [الإسراء: ٤٦]، وقال: {أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً} [الفرقان:٤٤] ، وقال: {خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ} [البقرة:٧]، إلى غير ذلك من الآيات في هذا المعنى.

فإن العلماء الذين نَصُّوا على أنَّ فهم الحجة ليس بشرط في صحة قيام الحُجَّةْ بَنَوا على الدليل وهو قول الله - عز وجل - {وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ}، فالله - عز وجل - جَعَلَ على القلوب أَكِنَّةْ لِأَلَا يفهموه، فدلَّ على أنَّ الفهم والفقه -فقه الحجة- ليس بشرط؛ لأنَّ إقامة الحجة بالقرآن، تلاوة القرآن عليهم وهم أهل اللّسان كافٍ في قيامها.

٤- ومن الفوائد: أن قراءة القرآن تعصم من الشياطين.

القرآن

{نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا (٤٧)} [الإسراء : ٤٧]

التفسير:

نحن أعلم بالذي يستمعه رؤساء قريش، إذ يستمعون إليك، ومقاصدهم سيئة، فليس استماعهم لأجل الاسترشاد وقَبول الحق، ونعلم تَناجيهم حين يقولون: ما تتبعون إلا رجلا أصابه السحر فاختلط عقله.

قوله تعالى:{نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ} [الإسراء : ٤٧]، أي:" نحن أعلم بالغاية التي يستمعون من أجلها للقرآن وهي الاستهزاء والسخرية"[١].

قال الزمخشري:أي:" من الهزؤ بك وبالقرآن، ومن اللغو: كان يقوم عن يمينه إذا قرأ رجلان من عبد الدار، ورجلان منهم عن يساره، فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالأشعار"[٢].

قوله تعالى:{إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى} [الإسراء : ٤٧]، أي:" حين يستمعون إلى قراءتك يا محمد ثم يتناجون ويتحدثون بينهم سرا"[٣].

قال مجاهد:" هي في مثل قول الوليد بن المغيرة ومن معه في دار الندوة"[٤].

قال قتادة:" نجواهم أن زعموا أنه مجنون، وأنه ساحر، وقالوا {أَساطِيرُ الأَوَّلِينَ}"[٥].

قوله تعالى:{إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا} [الإسراء : ٤٧]، أي:" حين يقول أولئك الفجرة ما تتبعون إلا رجلاً سُحر فجُنَّ فاختلط كلامه"[٦].

قال مقاتل:" يعني بـ«المسحور»: المغلوب على عقله "[٧].

القرآن

{انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (٤٨)} [الإسراء : ٤٨]

التفسير:

---

[١] صفوة التفاسير:١٤٨/٢.
[٢] الكشاف:٦٧١/٢.
[٣] صفوة التفاسير:١٤٨/٢.
[٤] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٣٠٠):ص٢٣٣٣/٧.
[٥] أخرجه الطبري:٤٦٠/١٧.
[٦] صفوة التفاسير:١٤٨/٢.
[٧] تفسير مقاتل بن سليمان:٥٣٤/٢.

تفكر -أيها الرسول- متعجبًا من قولهم: إن محمدًا ساحر شاعر مجنون!! فجاروا وانحرفوا، ولم يهتدوا إلى طريق الحق والصواب.

قوله تعالى:{انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا} [الإسراء : ٤٨]، أي:" تفكر -أيها الرسول- متعجبًا من قولهم: إن محمدًا ساحر شاعر مجنون!! فجاروا وانحرفوا"[١].

قال مقاتل:" يعني: كيف وصفوا لك الأنبياء حين قالوا أنك ساحر فضلوا عن الهدى"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: انظر يا محمد بعين قلبك فاعتبر كيف مثَّلوا لك الأمثال، وشبهوا لك الأشباه، بقولهم: هو مسحور، وهو شاعر، وهو مجنون، فجاروا عن قصد السبيل بقيلهم ما قالوا"[٣].

قال الزمخشري:" مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون فضلوا في جميع ذلك"[٤].

قوله تعالى:{فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا} [الإسراء : ٤٨]، أي:" ولا يجدون طريقاً إلى الهدى والحق المبين"[٥].

قال الطبري:" يقول: فلا يهتدون لطريق الحقّ لضلالهم عنه وبُعدهم منه، وأن الله قد خذلهم عن إصابته، فهم لا يقدرون على المَخْرَج مما هم فيه من كفرهم بتوفُّقهم إلى الإيمان به"[٦].

قال مقاتل:" يعنى: فلا يجدون سبيلا، يعنى: لا يقدرون على مخرج مما قالوا لك بأنك ساحر"[٧].

قال الزمخشري:" ضلال من يطلب في التيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه، فهو متحير في أمره لا يدرى ما يصنع"[٨].

قال مجاهد:" مخرجا يخرجهم من الأمثال التي ضربوا لك، الوليد بن المغيرة، وأصحابه"[٩].

فوائد الآيتين:[٤٧-٤٨]:

١- بيان مدى ما كان عليه المشركون من السخرية والاستهزاء بالرسول والقرآن.
٢- بيان اتهامات المشركين للرسول ﷺ بالسحر مرة والكهانة ثانية والجنون ثالثة بحثا عن الخلاص من دعوة التوحيد فلم يعثروا على شيء كما قال تعالى: {فضلوا فلا يستطيعون سبيلا} .

القرآن

{وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٤٩)} [الإسراء : ٤٩]

التفسير:

وقال المشركون منكرين أن يُخْلَقوا خَلْقًا جديدًا بعد أن تبلى عظامهم، وتصير فُتاتًا: أئِنا لمبعوثون يوم القيامة بعثًا جديدًا؟

قوله تعالى:{وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا} [الإسراء : ٤٩]، أي:" وقال المشركون منكرين أن يُخْلَقوا خَلْقًا جديدًا بعد أن تبلى عظامهم، وتصير فُتاتًا"[١٠].

---

[١] التفسير الميسر:٢٨٦.
[٢] تفسير مقاتل بن سليمان:٥٣٤/٢.
[٣] تفسير الطبري:٤٦٢/١٧.
[٤] الكشاف:٦٧١/٢.
[٥] صفوة التفاسير:١٤٩/٢.
[٦] تفسير الطبري:٤٦٢/١٧.
[٧] تفسير مقاتل بن سليمان:٥٣٤/٢.
[٨] الكشاف:٦٧١/٢.
[٩] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٣٠٠):ص٢٣٣٣/٧.
[١٠] التفسير الميسر:٢٨٦.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة من مشركي قريش، وقالوا بعنتهم: {أئِذَا كُنَّا عِظاما} لم نتحطم ولم نتكسَّر بعد مماتنا وبلانا {وَرُفاتا} يعني ترابا في قبورنا"[١].

عن ابن عباس:"{ورفاتا}، قال: غبارا"[٢].

عن مجاهد: "{ورفاتا}، قال: ترابا"[٣].

قال أبو عبيدة:" {ورفاتا}، أي: حطاما"[٤].

قوله تعالى:{أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا} [الإسراء : ٤٩]، أي:" أئِنا لمبعوثون يوم القيامة بعثًا جديدًا؟"[٥].

قال الطبري:" قالوا، إنكارا منهم للبعث بعد الموت: إنا لمبعوثون بعد مصيرنا في القبور عظاما غير منحطمة، ورفاتا منحطمة، وقد بَلِينا فصرنا فيها ترابا، خلقا مُنْشَأً كما كنا قبل الممات جديدا، نعاد كما بدئنا"[٦].

قال السمعاني:" قالوا ذلك على طريق الإنكار"[٧].

القرآن

{قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠)} [الإسراء : ٥٠]

التفسير:

قل لهم -أيها الرسول- على جهة التعجيز: كونوا حجارة أو حديدًا في الشدة والقوة، إن قَدَرْتم على ذلك.

قال الطبري:" قل يا محمد للمكذّبين بالبعث بعد الممات من قومك القائلين {أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا} كونوا إن عجبتم من إنشاء الله إياكم، وإعادته أجسامكم، خلقا جديدا بعد بِلاكم في التراب، ومصيركم رُفاتا، وأنكرتم ذلك من قُدرته حجارة أو حديدا"[٨].

قال السمعاني:" فإن قيل: كيف يأمرهم بأن يكونوا حجارة أو حديدا، وهم لا يقدرون عليه قطعا؟ والجواب: أن هذا أمر تعجيز، وليس بأمر إلزام، ومعنى الآية أي: استشعروا في قلوبكم أنكم حجارة أو {حديد}، فلو كنتم كذلك لم تفوتوني"[٩].

قال البغوي:أي:" في الشدة والقوة وليس هذا بأمر إلزام بل هو أمر تعجيز أي: استشعروا في قلوبكم أنكم حجارة أو حديد في القوة"[١٠].

قال الزمخشري:" المعنى: أنكم تستبعدون أن يجدد الله خلقكم، ويرده إلى حال الحياة وإلى رطوبة الحى وغضاضته بعد ما كنتم عظاما يابسة، مع أن العظام بعض أجزاء الحي، بل هي عمود خلقه الذي يبنى عليه سائره، فليس ببدع أن يردها الله بقدرته إلى حالتها الأولى، ولكن لو كنتم أبعد شيء من الحياة ورطوبة الحى ومن جنس ما ركب منه البشر- وهو أن تكونوا حجارة يابسة أو حديدا مع أن طباعها الجسارة والصلابة- لكان قادرا على أن يردكم إلى حال الحياة"[١١].

---

[١] تفسير الطبري:٤٦٢/١٧.

[٢] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٣٠١):ص٢٢٣٣/٧.

[٣] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٣٠٢):ص٢٢٣٣/٧.

[٤] مجاز القرآن:٣٨٢/١.

[٥] التفسير الميسر:٢٨٦.

[٦] تفسير الطبري:٤٦٣/١٧.

[٧] تفسير السمعاني:٢٤٧/٣.

[٨] تفسير الطبري:٤٦٣/١٧.

[٩] تفسير السمعاني:٢٤٧/٣.

[١٠] تفسير البغوي:٩٨/٥.

[١١] الكشاف:٦٧١/٢.

قال ابن كثير:" وهما [الحجارة والحديد] أشد امتناعا من العظام والرفات"[١].
قال مجاهد:" ما شئتم فكونوا، فسيعيدكم الله كما كنتم"[٢].

القرآن

{أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا (٥١)} [الإسراء : ٥١]

التفسير:

أو كونوا خلقًا يَعْظُم ويُسْتَبْعَد في عقولكم قبوله فسيقولون -منكرين-: مَن يردُّنا إلى الحياة بعد الموت؟ قل لهم: يعيدكم ويرجعكم الله الذي أنشأكم من العدم أول مرة، وعند سماعهم هذا الرد فسيَهُزُّون رؤوسهم ساخرين متعجبين ويقولون -مستبعدين-: متى يقع هذا البعث؟ قل: وما يدريكم أن هذا البعث الذي تنكرونه وتستبعدونه ربما كان قريب الوقوع.

قوله تعالى:{أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ} [الإسراء : ٥١]، أي:" أو كونوا خلقًا يَعْظُم ويُسْتَبْعَد في عقولكم قبوله"[٣].

قال الطبري:" أو خلقا مما يكبر في صدوركم إن قدرتم على ذلك، فإني أحييكم وأبعثكم خلقا جديدا بعد مصيركم كذلك كما بدأتكم أوّل مرّة"[٤].

قال أبو عبيدة:" {يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ}، أي: يعظم"[٥].

قال الزمخشري:" يعني: أو خلقا مما يكبر عندكم عن قبول الحياة ويعظم في زعمكم على الخالق إحياؤه فإنه يحييه"[٦].

قال السعدي:أي:" فإنكم غير معجزي الله في أي حالة تكونون وعلى أي وصف تتحولون، وليس لكم في أنفسكم تدبير في حالة الحياة وبعد الممات، فدعوا التدبير والتصريف لمن هو على كل شيء قدير وبكل شيء محيط"[٧].

وفي قوله تعالى:{أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ} [الإسراء : ٥١]، وجوه:

أحدها : أنه عنى بذلك السموات والأرض والجبال لعظمها في النفوس ، قاله مجاهد-في إحدى الروايات-[٨]، وقتادة-في أحدى الروايات-[٩].

الثاني : أنه أراد الموت، لأنه ليس شيء أكبر في نفس ابن آدم منه. وقد قال أمية ابن أبي الصلت[١٠]:

نادوا إلههمُ ليسرع خلقهم ... وللموت خلق للنفوس فظيعُ

وهذا قول ابن عمر[١١]، وابن عباس[١٢]، والحسن[١٣]، وعبد الله بن عمرو بن العاص[١٤]، وسعيد بن جبير[١٥]، والضحاك[١]، وأبي صالح[٢].

---

[١] تفسير ابن كثير:٨٥/٥.
[٢] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٣٠٢):ص٢٢٣٣/٧.
[٣] التفسير الميسر:٢٨٧.
[٤] تفسير الطبري:٤٦٣/١٧.
[٥] مجاز القرآن:٣٨٢/١.
[٦] الكشاف:٦٧١/٢.
[٧] تفسير السعدي:٤٦٠.
[٨] انظر: النكت والعيون:٢٤٨/٣.
[٩] انظر: تفسير الطبري:٤٦٥/١٧.
[١٠] انظر: النكت والعيون:٢٤٨/٣.
[١١] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٣٠٤):ص٢٣٣٣/٧، وتفسير الطبري:٤٦٤/١٧.
[١٢] انظر: تفسير الطبري:٤٦٤/١٧.
[١٣] انظر: تفسير الطبري:٤٦٤/١٧.
[١٤] انظر: تفسير الطبري:٤٦٥/١٧.
[١٥] انظر: تفسير الطبري:٤٦٤/١٧.

قال سعيد بن جبير:" كونوا الموت إن استطعتم، فإن الموت سيموت؛ قال: وليس شيء أكبر في نفس ابن آدم من الموت"[٣].

قال ابن عمر:" الموت. قال: لو كنتم موتى لأحييتكم"[٤].

قال الضحاك:" يعني الموت، يقول: لو كنتم الموت لأمتكم"[٥].

قال ابن عباس:" يعني الموت، يقول: إن كنتم الموت أحييتكم"[٦].

عن عبدالله بن عمر:" "يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح حتى يُجعل بين الجنة والنار، فينادي مناد يُسمع أهلَ الجنة وأهل النار، فيقول: هذا الموت قد جئنا به ونحن مهلكوه، فايقنوا يا أهل الجنة وأهل النار أن الموت قد هلك"[٧].

الثالث : أنه أراد البعث، لأنه كان أكبر شيء في صدروهم قاله الكلبي[٨].

الرابع: أراد: كونوا ماشئتم، فسيعيدكم الله كما كنتم. قاله مجاهد[٩].

وقال قتادة:" من خلق الله، فإن الله يميتكم ثم يبعثكم يوم القيامة خلقا جديدا"[١٠].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره قال {أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ} ، وجائز أن يكون عنى به الموت، لأنه عظيم في صدور بني آدم؛ وجائز أن يكون أراد به السماء والأرض؛ وجائز أن يكون أراد به غير ذلك، ولا بيان في ذلك أبين مما بين جلّ ثناؤه، وهو كلّ ما كبر في صدور بني آدم من خلقه، لأنه لم يخصص منه شيئا دون شيء"[١١].

قوله تعالى:{فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا} [الإسراء : ٥١]، أي:" فسيقولون -منكرين-: مَن يردُّنا إلى الحياة بعد الموت؟"[١٢].

قال الطبري:" يقول: فسيقول لك يا محمد هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة {مَنْ يُعِيدُنا} خلقا جديدا، إن كنا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدورنا"[١٣].

قوله تعالى:{قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} [الإسراء : ٥١]، أي:" قل لهم: يعيدكم ويرجعكم الله الذي أنشأكم من العدم أول مرة"[١٤].

قال الطبري:" يقول: يعيدكم كما كنتم قبل أن تصيروا حجارة أو حديدا إنسا أحياء، الذي خلقكم إنسا من غير شيء أوّل مرّة"[١٥].

قال السعدي:" فكما فطركم ولم تكونوا شيئا مذكورا فإنه سيعيدكم خلقا جديدا"[١٦].

عن قتادة وأبي عبيدة:"{ فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ}:" أي: خلقكم"[١٧].

---

[١] انظر: تفسير الطبري:٤٦٤/١٧.
[٢] انظر: تفسير الطبري:٤٦٤/١٧.
[٣] أخرجه الطبري:٤٦٤/١٧.
[٤] اخرجه ابن أبي حاتم(١٣٣٠٤):ص٢٣٣٣/٧.
[٥] أخرجه الطبري:٤٦٤/١٧.
[٦] أخرجه الطبري:٤٦٤/١٧.
[٧] أخرجه الطبري:٤٦٤/١٧.
[٨] انظر: النكت والعيون:٢٤٨/٣.
[٩] انظر: تفسير الطبري:٤٦٥/١٧.
[١٠] أخرجه الطبري:٤٦٥/١٧.
[١١] تفسير الطبري:٤٦٥/١٧.
[١٢] التفسير الميسر:٢٨٧.
[١٣] تفسير الطبري:٤٦٥/١٧.
[١٤] التفسير الميسر:٢٨٧.
[١٥] تفسير الطبري:٤٦٥/١٧-٤٦٦.
[١٦] تفسير السعدي:٤٦٠.
[١٧] قول قتادة أخرجه الطبري:٤٦٦/١٧، وانظر: قول أبي عبيدة في مجاز القرآن:٣٨٢/١

قوله تعالى:{فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ } [الإسراء : ٥١]، أي:" فسيَهُزُّون رؤوسهم ساخرين متعجبين"[١].

قال الطبري:" يقول: فإنك إذا قلت لهم ذلك، فسيهزُّون إليك رءوسهم برفع وخفض"[٢].

قال السعدي:" أي: يهزونها إنكارا وتعجبا مما قلت"[٣].

قال أبو عبيدة:" فسيرفعون ويحركون استهزاء منهم، ويقال: قد نغضت سنّ فلان إذا تحركت وارتفعت من أصلها، قال[٤]:

ونَغَضَتْ مِنْ هَرِمٍ أسْنانُها

وقال[٥]:

لمَّا رأتْنِي أنْغَضَتْ ليَ الرأسا

قال ذو الرّمة[٦]:

ظعائن لم يسكن أكناف قرية ... بسيف ولم تنغض بهن القناطر"[٧].

قال ابن عباس:" يحركون رؤوسهم استهزاء برسول الله ﷺ"[٨].

قوله تعالى:{وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ} [الإسراء : ٥١]، أي:" ويقولون -مستبعدين-: متى يقع هذا البعث؟"[٩].

قال الطبري:" ويقولون متى البعث، وفي أيّ حال ووقت يعيدنا خلقا جديدا، كما كنا أوّل مرّة"[١٠].

قال السعدي:" أي: متى وقت البعث الذي تزعمه على قولك؟ لا إقرار منهم لأصل البعث بل ذلك سفه منهم وتعجيز"[١١].

قوله تعالى:{قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا} [الإسراء : ٥١]، أي: قل: "لعله يكون قريباً"[١٢].

قال الطبري:" قال الله عزّ وجلّ لنبيه: قل لهم يا محمد إذ قالوا لك: متى هو، متى هذا البعث الذي تعدنا، عسى أن يكون قريبا؟ وإنما معناه: هو قريب، لأن عسى من الله واجب، ولذلك قال النبيّ ﷺ: «بُعِثْتُ أنا والسَّاعَةُ كَهاتَيْن، وأشار بالسَّبابة والوُسطَى»[١٣]، لأن الله تعالى كان قد أعلمه أنه قريب مجيب"[١].

---

[١] التفسير الميسر:٢٨٧.

[٢] تفسير الطبري:٤٦٦/١٧.

[٣] تفسير السعدي:٤٦٠.

[٤]البيت من مشطور الرجز، وهو من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن ١: ٣٨٢) وعنه أخذه الطبري:٤٦٦/١٧.

[٥]وهذا البيت أيضا شاهد بمعنى الذي قبله، وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (١: ٣٨٢)، والطبري في تفسيره:٤٦٦/١٧، جاء بعد الأول على أن أنغض الرأس بمعنى حركه ورفعه استهزاء بمن هو أمامه.

[٦]ديوانه ٢٤٤.

[٧] مجاز القرآن:٣٨٢/١-٢٨٣.

[٨] اخرجه ابن أبي حاتم(١٣٣٠٥):ص٢٣٣٣/٧.

[٩] التفسير الميسر:٢٨٧.

[١٠] تفسير الطبري:٤٦٧/١٧.

[١١] تفسير السعدي:٤٦٠.

[١٢] صفوة التفاسير:١٥١/٢.

[١٣] الحديث:« بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالوسطى والسبابة».

حديث أنس: أخرجه أحمد (١٢٣/٣، رقم ١٢٢٦٧) ، والبخارى (٢٣٨٥/٥، رقم ٦١٣٩) ، ومسلم (٢٢٦٨/٤، رقم ٢٩٥١) ، والترمذى (٤٩٦/٤، رقم ٢٢١٤) وقال: حسن صحيح. وعبد بن حميد (ص ٣٥٣، رقم ١١٦٦) ، وابن حبان (١١/١٥، رقم ٦٦٤٠) .

حديث جابر بن سمرة: أخرجه أحمد (١٠٨/٥، رقم ٢١٠٨١) ، والطبرانى (٢٣٩/٢، رقم ١٩٩٨) قال الهيثمى (٣١١/١٠) : رجال أحمد رجال الصحيح غير أبى خالد الوالبى وهو ثقة.

حديث سهل بن سعد: أخرجه أحمد (٣٣٠/٥، رقم ٢٢٨٤٨) ، والبخارى (٢٠٣١/٥، رقم ٤٩٩٥) ، ومسلم (٢٢٦٨/٤، رقم ٢٩٥٠) ، وابن حبان (١٤/١٥، رقم ٦٦٤٢) .

قال السعدي:" فليس في تعيين وقته فائدة، وإنما الفائدة والمدار على تقريره والإقرار به وإثباته وإلا فكل ما هو آت فإنه قريب"[2].

القرآن

{يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا (٥٢)} [الإسراء : ٥٢]

التفسير:

يوم يناديكم خالقكم للخروج من قبوركم، فتستجيبون لأمر الله، وتنقادون له، وله الحمد على كل حال، وتظنون -لهول يوم القيامة- أنكم ما أقمتم في الدنيا إلا زمنًا قليلا؛ لطول لبثكم في الآخرة.

قوله تعالى:{يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ} [الإسراء : ٥٢]، أي:" سيكون بعثكم يوم الحشر الأكبر يوم يدعوكم الرب جل وعلا للاجتماع في المحشر فتجيبون لأمره"[3].

قال السعدي:" {يوم يدعوكم} للبعث والنشور وينفخ في الصور {فتستجيبون بحمده} أي: تنقادون لأمره ولا تستعصون عليه. وقوله: {بحمده} أي: هو المحمود تعالى على فعله ويجزي به العباد إذا جمعهم ليوم التناد"[4].

عن ابن عباس:"{ فتستجيبون بحمده}، قال: بأمره"[5].

قال قتادة:" أي: بمعرفته وطاعته"[6].

قال سعيد بن جبير:" يخرجون من قبورهم وهم يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك"[7].

قوله تعالى:{وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء : ٥٢]، أي:" وتظنون لهوْل ما ترون أنكم ما أقمتم في الدنيا إلا زمناً قليل"[8].

قال السعدي:" من سرعة وقوعه وأن الذي مر عليكم من النعيم كأنه ما كان، فهذا الذي يقول عنه المنكرون: {متى هو} ؟ يندمون غاية الندم عند وروده ويقال لهم: {هذا الذي كنتم به تكذبون}"[9].

قال قتادة:" أي: في الدنيا تحاقرت الأعمار في أنفسهم وقلّتْ، حين عاينوا يوم القيامة"[10].

وقال الكلبي: "إن الله تعالى يرفع العذاب عن الكفار بين النفختين، وهو أربعون سنة، فإذا حشروا وقد استراحوا تلك المدة قالوا: ما لبثنا إلا قليلا"[11].

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "قال رسول الله ﷺ :«ليس علي أهل لا الله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في منشرهم، وكأني بأهل لا الله إلا الله ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن»"[12].

فوائد الآيات:[٤٩-٥٢]:

حديث المستورد: أخرجه الطبرانى (٣٠٤/٢٠، رقم ٧٢٤) .

حديث أبى هريرة: أخرجه البخارى (٢٣٨٥/٥، رقم ٦١٤٠) ، وابن ماجه (١٣٤١/٢، رقم ٤٠٤٠) .

حديث جابر بن عبد الله: أخرجه ابن ماجه (١٧/١، رقم ٤٥) ، وابن سعد (٣٧٦/١).

[1] تفسير الطبري:٤٦٧/١٧.

[2] تفسير السعدي:٤٦٠.

[3] صفوة التفاسير:١٥١/٢.

[4] تفسير السعدي:٤٦٠.

[5] أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٣٠٦):ص٢٣٣٣/٧.

[6] أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٣٠٨):ص٢٣٣٤/٧.

[7] أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٣٠٧):ص٢٣٣٣/٧.

[8] صفوة التفاسير:١٥١/٢.

[9] تفسير السعدي:٤٦٠.

[10] أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٣٠٨):ص٢٣٣٤/٧.

[11] حكاه عنه السمعاني في تفسيره:٢٤٩/٣.

[12] أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٣٠٩):ص٢٣٣٤/٧.

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء وبيان حتميتها.
٢- بيان ما كان عليه المشركون من شدة إنكارهم للبعث الآخر.
٣- تعليم الله تعالى لرسوله كيف يجيب المنكرين المستهزئين بالتي هي أحسن.
٤- بيان الأسلوب الحواري الهادي الخالي من الغلظة والشدة.
٥- استقصار مدة اللبث في القبور مع طولها لما يشاهد من أهوال البعث.

القرآن

{وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا (٥٣)} [الإسراء : ٥٣]

التفسير:

وقل لعبادي المؤمنين يقولوا في تخاطبهم وتحاورهم الكلام الحسن الطيب؛ فإنهم إن لم يفعلوا ذلك ألقى الشيطان بينهم العداوة والفساد والخصام. إن الشيطان كان للإنسان عدوًا ظاهر العداوة.

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: قال الواحدي:" نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك أن رجلا من العرب شتمه، فأمره الله تعالى بالعفو"[١].[بدون إسناد]

الثاني: قال الكلبي: "كان المشركون يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ بالقول والفعل، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية"[٢].[ضعيف]

قوله تعالى:{وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [الإسراء : ٥٣]، أي:" وقل لعبادي المؤمنين يقولوا في تخاطبهم وتحاورهم الكلام الحسن الطيب"[٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد ﷺ: وقل يا محمد لعبادي يقل بعضهم لبعض التي هي أحسن من المحاورة والمخاطبة"[٤].

وفي قوله تعالى:{وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [الإسراء : ٥٣]، وجوه:

أحدها : أنه تصديق النبي -ﷺ- فيما جاء به. {إنّ الشيطان ينزغ بينهم} في تكذيبه[٥].

الثاني : أنه امتثال أوامر الله تعالى ونواهيه ، قاله الحسن[٦].

الثالث : أنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٧].

الرابع : أن يرد خيراً على من شتمه. قاله مقاتل[٨].

قال مقاتل:" يعني: عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- {يقولوا التي هي أحسن} ليرد خيرا على من شتمه، وذلك أن رجلا من كفار مكة شتمه فهم به عمر- رضي الله عنه- فأمره الله- عز وجل- بالصفح والمغفرة"[٩].

الخامس: أن «التي هي أحسن»:أن لا يقول له مثل قوله، يقول له: يرحمك الله يغفر الله لك. قاله الحسن[١٠].

---

[١] أسباب النزول:٢٩٥.
[٢] أسباب النزول للواحدي:٢٩٥.
[٣] التفسير الميسر:٢٨٧.
[٤] تفسير الطبري:٤٦٩/١٧.
[٥] انظر: النكت والعيون:٢٤٩/٣.
[٦] انظر: النكت والعيون:٢٤٩/٣.
[٧] انظر: النكت والعيون:٢٤٩/٣.
[٨] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٣٥/٢.
[٩]تفسير مقاتل بن سليمان:٥٣٥/٢.
[١٠] انظر: الطبري:٤٦٩/١٧.

قال القشيري"" يقال أحسن قول من المذنبين الإقرار بالجرم، وأحسن قول من العارفين الإقرار بالعجز عن المعرفة، قال ﷺ: سبحانك لا أحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»[1]"[2].

قوله تعالى:{إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ} [الإسراء : ٥٣]، أي:" إن الشيطان يُفسد ويُهيج بين الناس الشرَّ ويُشعل نار الفتنة بالكلمة الخشنة يُفلت بها اللسان"[3].

قال مقاتل:" يعني: يغرى بينهم"[4].

قال يحيى بن سلام: "يفسد بينهم"[5].

قال أبو عبيدة:" أي: يفسد ويهيج"[6].

قال السمعاني:" أي: يفسد بإيقاع العداوة"[7].

قال الطبري:" يقول: إن الشيطان يسوء محاورة بعضهم بعضا ينزغ بينهم، يقول: يفسد بينهم، يهيج بينهم الشر"[8].

قوله تعالى:{إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا} [الإسراء : ٥٣]، أي:" الشيطان كان للإنسان عدوًا ظاهر العداوة"[9].

قال يحيى بن سلام: " بيّن العداوة"[10].

قال الطبري:" يقول: إن الشيطان كان لآدم وذرّيته عدوّا، قد أبان لهم عداوته بما أظهر لآدم من الحسد، وغروره إياه حتى أخرجه من الجنة"[11].

قال قتادة:" عادوه فإنه يحق على كل مسلم عداوته، وعداوته أن تعاديه بطاعة الله"[12].

الفوائد:

١- النهي عن الكلمة الخشنة المسيئة إلى المدعو إلى الإسلام.

٢- بيان أن الشيطان يسعى للإفساد دائما فلا يمكن من ذلك بالكلمات المثيرة للغضب والحاملة على اللجج والخصومة الشديدة.

القرآن

{رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (٥٤)} [الإسراء : ٥٤]

التفسير:

---

[1] الحديث« اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك».
أخرجه أحمد (٢٠١/٦ رقم ٢٥٦٩٦) ، ومسلم (٣٥٢/١، رقم ٤٨٦) ، وأبو داود (٢٣٢/١، رقم ٨٧٩) ، والترمذى (٥٢٤/٥، رقم ٣٤٩٣) وقال: حسن. والنسائى (٢٢٢/٢، رقم ١١٣٠) ، وابن ماجه (١٢٦٢/٢، رقم ٣٨٤١) وأخرجه أيضا: إسحاق بن راهويه (٧٥/٢، رقم ٥٤٤) ، وابن خزيمة (٣٣٥/١، رقم ٦٧١) ، وابن حبان (٢٥٨/٥، رقم ١٩٣٢) ، والبيهقى (١٢٧/١، رقم ٦٠٨).

[2] لطائف الإشارات:٣٥٢/٢.

[3] صفوة التفاسير:١٥١/٢.

[4] تفسير مقاتل بن سليمان:٥٣٥/٢.

[5] تفسير يحيى بن سلام:١٤٢/١.

[6] مجاز القرآن:٣٨٣/١.

[7] تفسير السمعاني:٢٤٩/٣.

[8] تفسير الطبري:٤٦٩/١٧.

[9] التفسير الميسر:٢٨٧.

[10] تفسير يحيى بن سلام:١٤٢/١.

[11] تفسير الطبري:٤٦٩/١٧.

[12] أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٣١٢):ص٢٣٣٤/٧.

ربكم أعلم بكم -أيها الناس- إن يشأ يرحمكم، فيوفقكم للإيمان، أو إن يشأ يمتكم على الكفر، فيعذبكم، وما أرسلناك -أيها الرسول- عليهم وكيلا تدبِّر أمرهم وتجازيهم على أفعالهم، وإنما مهمتك تبليغ ما أُرْسلتَ به، وبيان الصراط المستقيم.

قوله تعالى:{رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ} [الإسراء : ٥٤]، أي:" ربكم أعلم بكم -أيها الناس-"[١].

قال أبو الليث السمرقنيد:" أي: أعلم بأحوالكم وما أنتم فيه من أذى المشركين"[٢].

قال الطبري:"يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من قريش الذين قالوا {أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا} – {رَبُّكُمْ} أيها القوم {أَعْلَمُ بِكُمْ }"[٣].

وفي قوله تعالى:{رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ} [الإسراء : ٥٤]، وجهان[٤]:

أحدهما: {أعلم بكم}: بمصالحكم، وما لا يصلح لكم في الدنيا والآخرة.

والثاني: لآربكم أعلم بكم}: بما تسرون وما تعلنون، وما تعلمون وتفعلون، وإلا: لا شك أنه أعلم بنا منا.

قوله تعالى:{إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ} [الإسراء : ٥٤]، أي:" إن يشأ يرحمكم، فيوفقكم للإيمان، أو إن يشأ يمتكم على الكفر، فيعذبكم"[٥].

قال الطبري:" {إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ} فيتوب عليكم برحمته، حتى تنيبوا عما أنتم عليه من الكفر به وباليوم الآخر {إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ} بأن يخذلكم عن الإيمان، فتموتوا على شرككم، فيعذّبكم يوم القيامة بكفركم به"[٦].

وفي قوله تعالى:{إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ} [الإسراء : ٥٤]، ثلاثة وجوه:

أحدها : إن يشأ يرحمكم بالهداية والتوبة فتؤمنوا، أو يعذبكم بالإضلال فتموتوا على الشرك[٧]، قاله ابن جريج[٨]، ومقاتل[٩]، وابن أبي زمنين[١٠].

الثاني : إن يشاء يرحمكم فينجيكم من أعدائكم أو يعذبكم بتسلطهم عليكم ، قاله الكلبي[١١].

قال أبو الليث السمرقنيد:أي:" إن يشأ يرحمكم، فينجيكم من أهل مكة إذا صبرتم على ذلك. أو إن يشأ يعذبكم، فيسلطهم عليكم إذا جزعتم ولم تصبروا"[١٢].

الثالث : إن يشأ يرحمكم بالتوبة أو يعذبكم بالإقامة ، قاله الحسن[١٣].

قال الماتريدي:" قوله: {إن يشأ يرحمكم}: يحتمل الرحمة في الدنيا والآخرة: أما في الدنيا: هو أن يوفقهم على الطاعة، ويعينهم على ذلك وفي الآخرة: ينجيهم ويدخلهم الجنة. وأما التعذيب في الدنيا: أن يخذلهم ويتركهم على ما يختارون، وفي الآخرة يعذبهم في النار بالذي اختاروا في الدنيا"[١٤].

---

[١] التفسير الميسر:٢٨٧.
[٢] بحر العلوم:٣١٦/٢.
[٣] تفسير الطبري:٤٦٩/١٧.
[٤] انظر: تأويلات أهل السنة:٦٣/٧.
[٥] التفسير الميسر:٢٨٧.
[٦] تفسير الطبري:٤٦٩/١٧.
[٧] انظر: النكت والعيون:٢٥٠/٣.
[٨] انظر: تفسير الطبري:٤٦٩/١٧-٤٧٠.
[٩] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٣٦/٢.
[١٠] انظر: تفسير ابن أبي زمنين:٢٦/٣.
[١١] انظر: النكت والعيون:٢٥٠/٣.
[١٢] بحر العلوم:٣١٦/٢.
[١٣] انظر: النكت والعيون:٢٥٠/٣.
[١٤] تأويلات أهل السمة:٦٣/٧.

قوله تعالى:{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا} [الإسراء : ٥٤]، أي:" وما أرسلناك -أيها الرسول- عليهم وكيلا تدبِّر أمرهم وتجازيهم على أفعالهم، وإنما مهمتك تبليغ ما أُرْسلتَ به، وبيان الصراط المستقيم"[١].

قال الطبري:" يقول لنبيه محمد ﷺ: وما أرسلناك يا محمد على من أرسلناك إليه لتدعوه إلى طاعتنا ربا ولا رقيبا، إنما أرسلناك إليهم لتبلغهم رسالاتنا، وبأيدينا صرفهم وتدبيرهم، فإن شئنا رحمناهم، وإن شئنا عذّبناهم"[٢].

وفي قوله تعالى:{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا} [الإسراء : ٥٤]، وجوه:

أحدها : ما وكلناك أن تمنعهم من الكفر بالله سبحانه، وتجبرهم على الإيمان به. حكاه الماوردي[٣].

وقال مقاتل:" يعني: مسيطرا عليهم"[٤].

الثاني: «وكيلا»، أي: حافظا وربا. قاله الفراء[٥].

وقال يحيى بن سلام:" حفيظا لأعمالهم حتى نجازيهم بها"[٦].

وقال ابن ابي زمنين:" أي: حفيظا لأعمالهم حتى يجازيهم بها"[٧].

الثالث : ما جعلناك كفيلاً لهم تؤخذ بهم ، قاله الكلبي[٨]، قاله الشاعر[٩]:

ذَكَرْتُ أبا أرْوَى فَبِتُّ كَأنَنِي ... بِرَدِّ الأُمورِ الماضيات وَكِيلُ

وكيل : أي كفيل .

قال ابن الأنباري:" والعرب تتكلم بالوكيل، بمعنى: الكَفِيل. فتقول: هو وكيلٌ بكذا وكذا؛ يريدون: كفالته به"[١٠].

الفوائد:

١- بيان نوع الكلمة التي هي أحسن مثل {ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم وإن يشأ يعذبكم}.

٢- إثبات المشيئة لله تعالى، فالله تعالى: "يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلا، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلا"[١١].

القرآن

{وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (٥٥)} [الإسراء : ٥٥]

التفسير:

وربك -أيها الرسول- أعلم بمَن في السموات والأرض. ولقد فَضَّلْنا بعض النبيين على بعض بالفضائل وكثرة الأتباع وإنزال الكتب، وأعطينا داود عليه السلام الزبور.

قوله تعالى:{وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الإسراء : ٥٥]، أي:" وربك -أيها الرسول- أعلم بمَن في السموات والأرض"[١٢].

---

[١] التفسير الميسر:٢٨٧.

[٢] تفسير الطبري:٤٧٠/١٧.

[٣] انظر: النكت والعيون:٥٣٦/٢.

[٤] تفسير مقاتل بن سليمان:٥٣٦/٢.

[٥] معاني القرآن:١٢٥/٢.

[٦] تفسير يحيى بن سلام:١٤٢/١.

[٧] تفسير ابن أبي زمنين:٢٦/٣.

[٨] انظر: النكت والعيون:٢٥٠/٣.

[٩]البيت، ورد منسوبًا لشقران السلامي، في "بهجة المجالس" ٣/ ١١٢. وورد غير منسوب في: "البيان والتبيين" ٣/ ١٦٤، و"الزاهر" ١/ ١٠٠.

[١٠] انظر: الزاهر:١٠٠/١. [بتصرف]

[١١] شرح العقيدة الطحاوية للبراك:٣٢٠.

[١٢] التفسير الميسر:٢٨٧.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: وربك يا محمد أعلم بمن في السماوات والأرض وما يصلحهم فإنه هو خالقهم ورازقهم ومدبرهم، وهو أعلم بمن هو أهل للتوبة والرحمة، ومن هو أهل للعذاب، أهدى للحقّ من سبق له مني الرحمة والسعادة، وأُضلّ من سبق له مني الشقاء والخذلان"[1].

قوله تعالى:{وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا} [الإسراء : ٥٥]، أي:" ولقد فَضَّلْنا بعض النبيين على بعض بالفضائل وكثرة الأتباع وإنزال الكتب، وأعطينا داود عليه السلام الزبور "[2].

عن ابن جريج:{ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ}، قال:"كلم الله موسى، وأرسل محمدا إلى الناس كافَّة"[3].

قال قتادة:" اتخذ الله إبراهيم خليلا وكلَّم موسى تكليما، وجعل الله عيسى كمثل آدم خلقه من تراب، ثم قال له كن فيكون، وهو عبد الله ورسوله، من كلمة الله وروحه، وآتى سليمان مُلكا لا ينبغي لأحد من بعده، وآتى داود زبورا، كنا نحدّث دعاء عُلِّمه داود، تحميد وتمجيد، ليس فيه حلال ولا حرام، ولا فرائض ولا حدود، وغفر لمحمد ما تقدّم من ذنبه وما تأخَّر "[4].

قال ابن كثير:" الزبور : اسم الكتاب الذي أوحاه الله إلى داود ، عليه السلام"[5].

قال الربيع بن انس:" «الزبور»: ثناء على الله ودعاء وتسبيح"[6].

قال مقاتل:" ليس فيه حد ولا حكم ولا فريضة ولا حلال ولا حرام، خمسين ومائة سورة، فأخبره الله بهن ليعلموا أنه نبي"[7].

قال الزجاج:" معنى ذكر داود ههنا أن الله - جل ثناؤه - أعلم أنه قد فضل بعض النبيين على بعض، أي فلا ينكروا تفضيل محمد - ﷺ - وإعطاءه القرآن، فقد أعطى الله داود الزبور"[8].

عن أبي أمامة قال: "قلت: يا نبي الله، كم الأنبياء؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا"[9].

وعن أنس قال : "قال رسول الله ﷺ : «بعث الله ثمانية آلاف نبي ، أربعة آلاف إلى بني إسرائيل ، وأربعة آلاف إلى سائر الناس»"[10].

وعن عن أنس أيضا قال : "قال رسول الله ﷺ : «بعثت على إثر من ثلاثة آلاف نبي من بني إسرائيل»"[11].

الفوائد:

١- تقرير مبدأ الوحي الإلهي.

٢- أول الرسل نوح عليه السلام، وآخرهم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣- بيان أن الله تعالى أعلم بخلقه فهو يهب كل عبد ما أهله له حتى إنه فاضل بين أنبيائه ورسله عليهم السلام في الكمالات الروحية والدرجات العالية.

---

[1] تفسير الطبري:٤٧٠/١٧.

[2] التفسير الميسر:٢٨٧.

[3] أخرجه الطبري:٤٧٠/١٧.

[4] أخرجه الطبري:٤٧٠/١٧.

[5] تفسير ابن كثير:٤٦٩/٢.

[6] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٣١٦):ص٢٣٣٥/٧.

[7] التفسير الميسر:١٠٤.

[8] معاني القرآن:٢٤٥/٣.

[9] أخرجه ابن ابي حاتم(٦٢٨٣):ص١١١٨/٤.

[10] مسند أبي يعلى: ١٦٠/٧، ورواه أبو نعيم في الحلية:٥٣/٣. قال الهيثمي في المجمع (٢١٠/٨) : "فيه موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف جدًا".

[11] رواه ابن كثير في تفسيره:٤٧١/٢، وقال:" وهذا غريب من هذا الوجه وإسناده لا بأس به ، رجاله كلهم معروفون إلا أحمد بن طارق هذا ، فإني لا أعرفه بعدالة ولا جرح".
ورواه أبو نعيم في الحلية: ١٦٢/٣، وقال : "غريب".

القرآن

{قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (٥٦)} [الإسراء : ٥٦]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لمشركي قومك: إن هذه المعبودات التي تنادونها لكشف الضرِّ عنكم لا تملك ذلك، ولا تقدر على تحويله عنكم إلى غيركم، ولا تقدر على تحويله من حال إلى حال، فالقادر على ذلك هو الله وحده.

قوله تعالى:{قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ} [الإسراء : ٥٦]، أي:" قل –أيها الرسول- لهؤلاء المشركين أدعوا الذين زعمتم أنهم آلهة من دونه تعالى"[١].

قال الزجاج:" أي: ادعوا الذين زعمتم أنهم آلهتكم"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لمشركي قومك الذين يعبدون من دون الله من خلقه، ادعوا أيها القوم الذين زعمتم أنهم أرباب وآلهة من دونه عند ضرّ ينزل بكم، فانظروا هل يقدرون على دفع ذلك عنكم، أو تحويله عنكم إلى غيركم، فتدعوهم آلهة "[٣].

قال ابن كثير:{ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ }، أي:" من الأصنام والأنداد"[٤].

قال القشيري: أي:" استعينوا فيما يستقبلكم بالأصنام التي عبدتموها من دون الله حتى تتحققوا أنه لا تنفعكم عبادة شيء من دون الله، ولا يضركم ترك ذلك"[٥].

قوله تعالى:{فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا} [الإسراء : ٥٦]، أي:" فلا يستطيعون رفع البلاء عنكم ولا تحويله إلى غيركم"[٦].

قال ابن عباس: "يريد من السقم والفقر إلى الصحة والغنى"[٧].

قال الواحدي: {كشف الضر عنكم}، "يعني: البؤس والشدة، {ولا تحويلا}: التحويل النقل من حال إلى حال، ومن مكان إلى مكان"[٨].

قال الطبري:"فإنهم لا يقدرون على ذلك، ولا يملكونه، وإنما يملكه ويقدر عليه خالقكم وخالقهم"[٩].

قال ابن كثير:" المعنى : أن الذي يقدر على ذلك هو الله وحده لا شريك له الذي له الخلق والأمر"[١٠].

قال ابن ابي زمنين:أي:" أن يحول ذلك الضر إلى غيره أهون منه"[١١].

قال الثعلبي:" قيل: هو ما أصابهم من القحط سبع سنين"[١٢].

الفوائد:

١- تقرير التوحيد بالحكم على عدم استجابة الآلهة المدعاة لعابديها، وقطع شبهة من أشرك به سبحانه وتعالى.

٢- أن الآية عامة في كل ما يُدْعى من دون الله، فلا معبود بحق إلا الله.

---

[١] صفوة التفاسير:١٥٢/٢.
[٢] معاني القرآن:٢٤٥/٣.
[٣] تفسير الطبري:٤٧١/١٧.
[٤] تفسير ابن كثير:٨٨/٥.
[٥] لطائف الإشارات:٣٥٣/٢.
[٦] صفوة التفاسير:١٥٢/٢.
[٧] احكاه عنه الوادي في لتفسير الوسيط:١١٣/٣.
[٨] التفسير الوسيط:١١٣/٣.
[٩] تفسير الطبري:٤٧١/١٧.
[١٠] تفسير ابن كثير:٨٨/٥.
[١١] تفسير ابن أبي زمنين:٢٦/٣.
[١٢] الكشف والبيان:١٠٧/٦.

القرآن

{أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (٥٧)} [الإسراء : ٥٧]

التفسير:

أولئك الذين يدعوهم المشركون من الأنبياء والصالحين والملائكة مع الله، يتنافسون في القرب من ربهم بما يقدرون عليه من الأعمال الصالحة، ويأمُلون رحمته ويخافون عذابه، إن عذاب ربك هو ما ينبغي أن يحذره العباد، ويخافوا منه.

قوله تعالى:{أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ} [الإسراء : ٥٧]، أي:" أولئك الآلهة الذين يدعونهم من دون الله هم أنفسهم يبتغون القرب إلى الله، ويتوسلون إليه بالطاعة والعبادة، فكيف تعبدونهم معه؟"[١].

قال الطبري:يقول:" يبتغي المدعوّون أربابا إلى ربهم القُربة والزُّلفة، لأنهم أهل إيمان به، والمشركون بالله يعبدونهم من دون الله أيهم بصالح عمله واجتهاده في عبادته أقرب عنده زلفة"[٢].

قال يحيى بن سلام:"«الوسيلة»: القربة"[٣].

قال ابن عباس وقتادة: «الوسيلة»: القربة"[٤].

عن ابن زيد في قوله:" {وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ}[٥]، قال: المحبّة، تحبّبوا إلى الله. وقرأ: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ}"[٦].

وفي قوله تعالى:{أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ} [الإسراء : ٥٧]، وجوه من التفسير:

أحدها : أنها نزلت في ناس من الإنس يعبدون قوما من الجنّ، فأسلم الجنّ وبقي الإنس على كفرهم، فأنزل الله تعالى :{أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ}، يعني: الجنّ؛ قاله عبد الله بن مسعود[٧]، وقتادة[٨].

قال قتادة:" كان أناس من أهل الجاهلية يعبدون نفرا من الجنّ؛ فلما بعث النبيّ ﷺ أسلموا جميعا، فكانوا يبتغون أيهم أقرب"[٩].

قال عبدالله بن مسعود:" نزلت في نفر من العرب كانو يعبدون نفرا من الجنّ، فأسلم الجنيون، والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم، فأنزلت :{الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ}"[١٠].

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: "أي: استمر الإنس الذين كانوا يعبدون الجن على عبادة الجن، والجن لا يرضون بذلك، لكونهم أسلموا، وهم الذين صاروا يبتغون إلى ربهم الوسيلة، وهذا هو المعتمد في تفسير الآية"[١١].

قال الفراء:" يعني: الجن الذين كانت خزاعة تعبدهم"[١٢].

---

[١] صفوة التفاسير:١٥٢/٢.
[٢] تفسير الطبري:٤٧١/١٧.
[٣] تفسير يحيى بن سلام:١٤٣/١.
[٤] أخرجه عنهما الطبري:٤٧٤/١٧-٤٧٥.
[٥][المائدة : ٣٥].
[٦] أخرجه الطبري(١١٩٠٥):ص٢٩١/١٠.
[٧] انظر: تفسير الطبري:٤٧٢/١٧.
[٨] انظر: تفسير الطبري:٤٧٢/١٧.
[٩] أخرجه الطبري:٤٧٣/١٧.
[١٠] أخرجه الطبري:٤٧٢/١٧.
[١١]فتح الباري: ١٠/ ١٢ - ١٣.
[١٢] معاني القرآن:١٢٥/٢.

الثاني : أنهم الملائكة كانت تعبدهم قبائل من العرب، وهذا مروي عن ابن مسعود أيضاً[1]، وابن وابن زيد[2]

قال ابن زيد:" هؤلاء الذين عبدوا الملائكة من المشركين"[3].

قال عبد الله بن مسعود: "كان قبائل من العرب يعبدون صنفا من الملائكة يقال لهم الجنّ، ويقولون: هم بنات الله، فأنزل الله عزّ وجلّ {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ} معشر العرب {يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ}"[4].

الثالث : أنهم: عيسى وعزير والملائكة . قاله ابن عباس[5]، ومجاهد[6].

قال مجاهد:"يقول: إن هؤلاء يبتغون إلى ربهم الوسيلة"[7].

الرابع: أنهم: عيسى وأمه وعزيز. رواه أبو صالح عن ابن عباس[8].

الخامس: عُزير والمسيح والشمس والقمر. وهذا القول رواه إبراهيم عن ابن عباس[9].

قال ابن جرير الطبري:" وأولى الأقوال بتأويل هذه الآية قول عبد الله بن مسعود الذي رويناه. عن أبي معمر عنه، وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن الذين يدعوهم المشركون آلهة أنهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة في عهد النبيّ ﷺ؛ ومعلوم أن عُزيرا لم يكن موجودا على عهد نبينا عليه الصلاة والسلام، فيبتغي إلى ربه الوسيلة وأن عيسى قد كان رُفع، وإنما يبتغي إلى ربه الوسيلة من كان موجودا حيا يعمل بطاعة الله، ويتقرّب إليه بالصالح من الأعمال. فأما من كان لا سبيل له إلى العمل، فبم يبتغي إلى ربه الوسيلة. فإذ كان لا معنى لهذا القول، فلا قول في ذلك إلا قول من قال ما اخترنا فيه من التأويل، أو قول من قال: هم الملائكة، وهما قولان يحتملهما ظاهر التنزيل"[10].

قوله تعالى:{وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ} [الإسراء : ٥٧]، أي:" ويأمُلون رحمته ويخافون عذابه"[11].

قال الطبري: "{وَيَرْجُونَ} بأفعالهم تلك {رَحْمَتَه}، ويَخافُونَ أمره"[12].

قوله تعالى:{إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا} [الإسراء : ٥٧]، أي:" إن عذاب ربك هو ما ينبغي أن يحذره العباد، ويخافوا منه"[13].

قال يحيى بن سلام:" يحذره المؤمنون "[14].

قال الطبري:"{مَحْذورًا}: متقي"[15].

قال سهل بن عبدالله:" إن الخوف والرجاء زمان للإنسان فإذا استوى قامت له أحواله، وإذا رجح أحدهما بطل الآخر، ألا ترى أن النبي ﷺ يقول: «لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا»[16]"[1].

---

[1] انظر: تفسير الطبري:٤٧٢/١٧.
[2] انظر: تفسير الطبري:٤٧٢/١٧.
[3] أخرجه الطبري:٤٧٣/١٧.
[4] أخرجه الطبري:٤٧٣/١٧.
[5] انظر: تفسير الطبري:٤٧١/١٧.
[6] انظر: تفسير مجاهد:٤٣٧، وتفسير الطبري:٤٧٤/١٧.
[7] تفسير مجاهد:٤٣٧.
[8] انظر: تفسير الطبري:٤٧٣/١٧.
[9] انظر: تفسير الطبري:٤٧٣/١٧.
[10] تفسير الطبري:٤٧٤/١٧.
[11] التفسير الميسر:٢٨٧.
[12] تفسير الطبري:٤٧١/١٧.
[13] التفسير الميسر:٢٨٧.
[14] تفسير يحيى بن سلام:١٤٣/١.
[15] تفسير الطبري:٤٧١/١٧.
[16]مصنف ابن أبي شيبة ٧/ ١٧٨ وشعب الإيمان ٢/ ١٢.

الفوائد:

١- بيان حقيقة عقليه وهي أن دعاء الأولياء والاستغاثة بهم والتوسل إليهم بالذبح والنذر هو أمر باطل، إذ الأولياء كانوا قبل موتهم يطلبون الوسيلة إلى ربهم بأنواع الطاعات والقربات ومن كان يعبد لا يعبد. ومن كان يتقرب لا يتقرب إليه، ومن كان يتوسل لا يتوسل إليه بل يعبد الذي كان يعبد ويتوسل إلى الذي كان يتوسل إليه ويتقرب إلى الذي كان يتقرب إليه، وهو الله سبحانه وتعالى.

فمن المعلوم يقينًا أن ما كان يعبده المشركون من دون الله: الأنبياء، أو الصالحين، أو الملائكة، أو الجن الذين أسلموا، أنهم في شغلٍ شاغل عنهم باهتمامهم بالافتقار إلى الله بالعمل الصالح، والتنافس في القُرْبِ من ربهم يرجون رحمته، ويخافون عذابه، فكيف يُعبَدُ من هذا حاله؟ قال تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا}

٢- أنه سبحانه لم يؤمِّن أهل الفضائل لما في الخوف من مصلحة العباد، وقد قال تعالى فيمن عَبَدَه المشركون لفضله كعيسى والملائكة: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (٥٦) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا} [الإسراء: ٥٦ - ٥٧]، وقال تعالى: {وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا} [الأعراف: ٥٦]، وقال: {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ} [الزمر: ٩]، بل قال: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} [فاطر: ٢٨]، وقال تعالى فيمن أثنى عليه في كتابه: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا} [الأنبياء: ٩٠]، وقال خليل الله عليه السلام: {وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ} [الشعراء: ٨٢]، ولم يقل: والذي يغفرُ لي، كما قال: {وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ} [الشعراء: ٧٩ - ٨١]، بل جَزَمَ في جميع هذه الأفعال، وجعل هذه المغفرة مرجُوَّةً لا مقطوعةً مع رفيع منزلته عند الله، ومع عظيم رجائه، حيث قال: {وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [إبراهيم: ٣٦]، فكذلك فليكن العلماء.

وقال تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ} [المعارج: ٢٧ - ٢٨]، فخَوَّفَهم سبحانه لصلاحهم، كما أنه لم يُقَنِّطِ المسرفين من رحمته لما في القنوط من الفساد أيضاً، فإن الخوف والرجاء جَنَاحَا العمل، ولا يقوم الطائر إلاَّ بجناحيه مع الأكثرين، ومتى عُدِمَ أحدُهما كان القنوط أشدَّ فساداً، ولذلك لم ينتقص رسول الله - ﷺ - من عمله ولا مناقبه بعد غفران ما تقدم من ذنبه وما تأخر من ذنبه.

القرآن

{وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٥٨)} [الإسراء : ٥٨]

التفسير:

ويتوعَّد الله الكفار بأنه ما من قريةٍ كافرة مكذبة للرسل إلا وسينزل بها عقابه بالهلاك في الدنيا قبل يوم القيامة أو بالعذاب الشديد لأهلها، كتاب كتبه الله وقضاء أبرمه لا بد مِن وقوعه، وهو مسطور في اللوح المحفوظ.

---

(١) تفسير التستري:٩٥.

قوله تعالى:{وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا} [الإسراء : ٥٨]، أي:" ما من قريةٍ من القرى الكافرة التي عصتْ أمر الله وكذَّبتْ رسله إلا وسيهلكها الله إما بالاستئصال الكلي أو بالعذاب الشديد لأهلها"[١].

قال يحيى بن سلام:" قوله: {وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة}: بموت بغير عذاب، {أو معذبوها عذابا شديدا}: يكون موتهم بالعذاب"[٢].

قال الفراء:" بالموت، {أو معذبوها عذابا شديدا}، بالسيف"[٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وما من قرية من القرى إلا نحن مهلكو أهلها بالفناء، فمبيدوهم استئصالا قبل يوم القيامة، أو معذّبوها، إما ببلاء من قتل بالسيف، أو غير ذلك من صنوف العذاب عذابا شديدا"[٤].

عن مجاهد:قوله" {وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ}: فمبيدوها، {أَوْ مُعَذِّبُوهَا}: بالقتل والبلاء، قال: كل قرية في الأرض سيصيبها بعض هذا"[٥]. وفي رواية:" سيصيبها هذا أو بعضه"[٦].

قال قتادة:" قضاء من الله كما تسمعون ليس منه بدّ، إما أن يهلكها بموت وإما أن يهلكها بعذاب مستأصل إذا تركوا أمره، وكذّبوا رسله"[٧].

قال عبد الرحمن بن عبد الله: "إذا ظهر الزنا والربا في أهل قرية أذن الله في هلاكها"[٨].

قوله تعالى:{كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا} [الإسراء : ٥٨]، أي:" كان ذلك حكماً مسطراً في اللوح المحفوظ لا يتغيَّر"[٩].

قال يحيى بن سلام:"مكتوبا"[١٠].

قال ابن زيد:" في أمّ الكتاب، وقرأ {لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ}"[١١].

قال الطبري:" يعني: في الكتاب الذي كتب فيه كلّ ما هو كائن، وذلك اللوح المحفوظ..ويعني بقوله (مَسْطُورًا) مكتوبا مبينا، ومنه قول العجاج[١٢]:

واعْلَمْ بأنَّ ذَا الجَلالِ قَدْ قَدَرْ ... في الكُتُبِ الأولى التي كان سَطَرْ

أمْرَكَ هذَا فاحْتَفِظْ فِيهِ النَّهَرْ "[١٣].

الفوائد:

١- تقرير عقيدة القضاء والقدر.

---

[١] صفوة التفاسير:١٥٢/٢.

[٢] تفسير يحيى بن سلام:١٤٣/١.

[٣] معاني القرآن:١٢٦/٢.

[٤] تفسير الطبري:٤٧٥/١٧.

[٥] أخرجه الطبري:٤٧٥/١٧.

[٦] أخرجه الطبري:٤٧٥/١٧.

[٧] أخرجه الطبري:٤٧٥/١٧.

[٨] أخرجه الطبري:٤٧٥/١٧.

[٩] صفوة التفاسير:١٥٢/٢.

[١٠] تفسير يحيى بن سلام:١٤٣/١.

[١١] أخرجه الطبري:٤٧٦/١٧.

[١٢]أبيات ثلاثة من مشطور الرجز للعجاج بن رؤبة من أرجوزة مطولة عدة أبياتها ٢٢٩ بيتا يمدح بها عمر بن عبيد الله ابن معمر، (انظر ديوان العجاج صبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ١٥-٢١) . وفيه "الصحف" في موضع: "الكتب". و (فاعلم) في موضع واعلم. وانظر مجاز القرآن لأبي عبيدة (١: ٣٨٣) وقال: مسطورا أي مبينا مكتوبا وفي روايته النتر بفتح النون والتاء. وقال: النتر: الخديعة. وفي (اللسان: نتر) : والنتر بالتحريك: الفساد والضياع، قال العجاج: "واعلم ... إلخ" الأبيات.

[١٣] تفسير الطبري:٤٧٦/١٧.

٢- ومن الفوائد: أن لفظ «القرية» يراد به «القوم» تارة، و«مساكن القوم» تارة أخرى، فمن الأول قوله تعالى {وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا} [الإسراء:٥٨]، ومن الثاني قوله تعالى عن الملائكة ضيف إبراهيم {إنا مهلكو أهل هذه القرية} [العنكبوت:٣٦].

القرآن

{وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (٥٩)} [الإسراء : ٥٩]

التفسير:

وما منعَنا من إنزال المعجزات التي سألها المشركون إلا تكذيب مَن سبقهم من الأمم، فقد أجابهم الله إلى ما طلبوا فكذَّبوا وهلكوا. وأعطينا ثمود -وهم قوم صالح- معجزة واضحة وهي الناقة، فكفروا بها فأهلكناهم. وما إرسالنا الرسل بالآيات والعبر والمعجزات التي جعلناها على أيديهم إلا تخويف للعباد؛ ليعتبروا ويتذكروا.

سبب النزول:

قال ابن عباس:" سأل أهل مكة النبي ﷺ: أن يجعل لهم الصفا ذهبا، وأن ينجي عنهم الجبال فيزرعون. فقيل له: إن شئت أن تستأني بهم لعلنا نجتبي منهم، وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوا فإن كفروا أهلكوا كما أهلك من قبلهم، قال: لا، بل أستأني بهم. فأنزل الله عز وجل: {وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ} ... الآية"[١].

وقال الزبير بن العوام:" قالت قريش للنبي ﷺ: تزعم أنك نبي يوحى إليك، وأن سليمان سخرت له الريح [والجبال] ، وأن موسى سخر له البحر، وأن عيسى كان يحيي الموتى، فادع الله أن يسير عنا هذه الجبال، ويفجر لنا الأرض أنهارا فنتخذها محارث فنزرع ونأكل، وإلا فادع الله أن يحيي لنا موتانا فنكلمهم ويكلمونا، وإلا فادع الله أن يصير هذه الصخرة التي تحتك ذهبا فننحت منها وتغنينا عن رحلة الشتاء والصيف، فإنك تزعم أنك كهيئتهم. فبينما نحن حوله إذ نزل عليه الوحي، فلما سري عنه قال: والذي نفسي بيده لقد أعطاني ما سألتم، ولو شئت لكان، ولكنه خيرني بين أن تدخلوا في باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم، وبين أن يكلكم إلى ما اخترتم لأنفسكم فتضلوا عن باب الرحمة [ولا يؤمن مؤمنكم] ، فاخترت باب الرحمة [وأن يؤمن مؤمنكم] وأخبرني إن أعطاكم ذلك ثم كفرتم، أنه يعذبكم عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين. فنزلت: وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها [حتى قرأ ثلاث آيات] ، ونزلت: ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى الآية"[٢].[ضعيف]

قوله تعالى:{وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ} [الإسراء : ٥٩]، أي:" وما منعَنا من إنزال المعجزات التي سألها المشركون إلا تكذيب مَن سبقهم من الأمم"[٣].

---

[١] أخرجه الواحدي في اسباب النزول:٢٩٥-٢٩٦، وأخرجه النسائي في التفسير (٣١٠) وأخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢٥٨) .

وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٦٢) وصححه ووافقه الذهبي.

وأخرجه ابن جرير (١٥/ ٧٤) ، وذكره السيوطي في لباب النقول ص ١٦٧.

وزاد نسبته في الدر (٤/ ١٩٠) للبزار وابن المنذر والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل والضياء في المختار.

وهو عند البزار (٢٢٢٥- كشف) والبيهقي في الدلائل (٢/ ٢٧١، ٢٧٢).

[٢] أخرجه الواحدي في أسباب النزول:٢٧٩-٢٨٠، وإسناده ضعيف: عبد الجبار بن عمر الأيلي ضعيف: [تقريب ١/ ٤٦٦] و (مجروحين ٢/ ١٥٨) .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٨٥) وقال: رواه أبو يعلى من طريق عبد الجبار بن عمر الأيلي عن عبد الله بن عطاء بن إبراهيم وكلاهما وثق وقد ضعفهما الجمهور.

[٣] التفسير الميسر:٢٨٨.

قال ابن كثير:" أي : نبعث الآيات ونأتي بها على ما سأل قومك منك ، فإنه سهل علينا يسير لدينا ، إلا أنه قد كذب بها الأولون بعدما سألوها ، وجرت سنتنا فيهم وفي أمثالهم أنهم لا يؤخرون إذا كذبوا بها بعد نزولها ، كما قال الله تعالى في المائدة : : { قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنزلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ } [المائدة : ١١٥] وقال تعالى عن ثمود ، حين سألوا آية : ناقة تخرج من صخرة عَيَّنُوها ، فدعا صالح ربه ، فأخرج له منها ناقة على ما سألوا "فظلموا بها" أي : كفروا بمن خلقها ، وكذبوا رسوله وعقروا الناقة فقال : { تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ } [هود : ٦٥]"[١].

قوله تعالى:{وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً} [الإسراء : ٥٩]، أي:" وأعطينا ثمود -وهم قوم صالح- معجزة واضحة وهي الناقة"[٢].

قال ابن كثير:" أي : دالة على وحدانية من خلقها وصدق الرسول الذي أجيب دعاؤه فيها "[٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وقد سأل الآيات يا محمد مِن قَبْل قومك ثمود، فآتيناها ما سألت، وحملنا تلك الآية ناقة مبصرة، جعل الإبصار للناقة. كما تقول للشجة: موضحة، وهذه حجه مبينة. وإنما عنى بالمبصرة: المضيئة البينة التي من يراها كانوا أهل بصر بها، أنها لله حجة، كما قيل: {والنَهارَ مُبْصِرًا}"[٤].

عن قتادة :"{وآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً}، أي: بيّنة"[٥].

عن مجاهد:"{ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً}، قال: آية"[٦].

قوله تعالى:{فَظَلَمُوا بِهَا} [الإسراء : ٥٩]، أي:" فكفروا بها فأهلكناهم"[٧].

قال ابن كثير:" أي : كفروا بها ومنعوها شِرْبها وقتلوها ، فأبادهم الله عن آخرهم ، وانتقم منهم ، وأخذهم أخذ عزيز مقتدر "[٨].

قال الطبري:" يقول عزّ وجلّ: فكان بها ظلمهم، وذلك أنهم قتلوها وعقروها، فكان ظلمهم بعقرها وقتلها، وقد قيل: معنى ذلك: فكفروا بها، ولا وجه لذلك إلا أن يقول قائله أراد: فكفروا بالله بقتلها، فيكون ذلك وجها"[٩].

قوله تعالى:{وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا} [الإسراء : ٥٩]، أي:" وما إرسالنا الرسل بالآيات والعبر والمعجزات التي جعلناها على أيديهم إلا تخويف للعباد؛ ليعتبروا ويتذكروا"[١٠].

قال يحيى بن سلام:" نخوفهم بالآية فنخبرهم أنهم إن لم يؤمنوا عذبهم"[١١].

قال الطبري:" يقول: وما نرسل بالعبر والذكر إلا تخويفا للعباد"[١٢].

وفي قوله تعالى:{وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا} [الإسراء : ٥٩]، وجوه من التفسير:

أحدها : أن الآيات معجزات الرسل جعلها الله تعالى من دلائل الإنذار تخويفاً للمكذبين[١٣].

الثاني : أنها آيات الانتقام تخويفاً من المعاصي[١٤].

---

[١] تفسير ابن كثير:٥/٩١.
[٢] التفسير الميسر:٢٨٨.
[٣] تفسير ابن كثير:٥/٩١.
[٤] تفسير الطبري:١٧/٤٧٨.
[٥] أخرجه الطبري:١٧/٤٧٨.
[٦] أخرجه الطبري:١٧/٤٧٨.
[٧] التفسير الميسر:٢٨٨.
[٨] تفسير ابن كثير:٥/٩١.
[٩] تفسير الطبري:١٧/٤٧٨.
[١٠] التفسير الميسر:٢٨٨.
[١١] تفسير يحيى بن سلام:١/١٤٥.
[١٢] تفسير الطبري:١٧/٤٧٨.
[١٣] انظر: النكت والعيون:٣/٢٥٢.
[١٤] انظر: النكت والعيون:٣/٢٥٢.

الثالث : أنها تقلُّبُ الأحوال من صغر إلى شباب ثم إلى تكهُّل ثم إلى مشيب ، لتعتبر بتقلب أحوالك فتخاف عاقبة أمْرك ، وهذا قول أحمد بن حنبل رحمه الله[١].
الرابع: أنها: الموت الذريع. قاله الحسن[٢].

قال قتادة:" وإن الله يخوّف الناس بما شاء من آية لعلهم يعتبرون، أو يذكَّرون، أو يرجعون، ذُكر لنا أن الكوفة رجفت على عهد ابن مسعود، فقال: يأيها الناس إن ربكم يستعتبكم فأعتبوه"[٣].

قال ابن كثير:" وهكذا رُوي أن المدينة زُلزلت على عهد عمر بن الخطاب مرات ، فقال عمر:أحدثتم ، والله لئن عادت لأفعلن ولأفعلن. وكذا قال رسول الله ﷺ في الحديث المتفق عليه : «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، وإنهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، ولكن الله ، عز وجل ، يرسلهما يخوف بهماعباده ، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره». ثم قال :«يا أمة محمد ، والله ما أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته ، يا أمة محمد ، والله لو تعلمون ما أعلم ، لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرًا»[٤]"[٥].
الفوائد:

١- بيان المانع من عدم إعطاء الرسول ﷺ الآيات على قريش: إذ إن حكمة الله تعالى اقتضت الامتناع عن إجابة الكفار بإرسال الآيات التي طلبوها، لأنه ثبت بالتجربة من الأمم السابقة، أنهم كذبوا بالآيات ولم يؤمنوا بها، فأهلكهم الله ودمرهم.

وأما قوم محمد ﷺ، فإنّ حكمة الله تعالى اقتضت إمهالهم وعدم إهلاكهم؛ لأن الله تعالى علم أن منهم ومن ذريتهم من يؤمن وينفع الله به، فلم يجبهم إلى ما طلبوا، حتى لا يكون مصيرهم مصير الأقوام السابقين من الهلاك والدمار[٦].

٢- أن من شرائع الخوف فمنها أن يتهيب العبد بآيات الله التي يهب خلقه لخسوف الشمس والقمر والزلازل والرياح والعواصف والرعد والبرق والظلمة في غير وقتها، وانقطاع المطر في وقته ونحو ذلك.

فإن الله عز وجل وضع في قلوب عباده الانزعاج لهذه الحوادث، كما وضع فيها السكون والطمأنينة لما يخالفها، فلما كان ضياء الشمس والقمر، وهدوء الأرض وسكون الرياح المؤذية وخلق الحساب من الرعد والبرق وصفاء الهواء ونزول المطر في وقته نعمة. وروحا من الله تعالى ورحمة وجب أن يكون ما بخلافها تهيبا وتخويفا ومؤاخذة.

قال الله عز وجل: {وما نرسل بالآيات إلا تخويفا} فمن غفل عمن يبدو له من ذلك ولم يترك لأجله قبيحا كان فاعله ازداد جرمه وتغلظ ذنبه واستحق من العقاب ما لم يكن مستحقا قبله[٧].

---

[١] انظر: النكت والعيون:٢٥٢/٣.
[٢] أخرجه الطبري:٤٧٨/١٧ .
[٣] أخرجه الطبري:٤٧٨/١٧.
[٤] صحيح البخاري برقم (١٠٤٤) وصحيح مسلم برقم (٩٠١).
[٥] تفسير ابن كثير:٩١/٥.
[٦] انظر: منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام:٦٩١/٢ .
[٧] انظر: المنهاج في شعب الإيمان:٥١٢/١.

القرآن

{وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا (٦٠)} [الإسراء : ٦٠]

التفسير:

واذكر -أيها الرسول- حين قلنا لك: إن ربك أحاط بالناس علمًا وقدرة. وما جعلنا الرؤيا التي أريناكها عِيانًا ليلة الإسراء والمعراج من عجائب المخلوقات إلا اختبارًا للناس؛ ليتميز كافرهم من مؤمنهم، وما جعلنا شجرة الزقوم الملعونة التي ذكرت في القرآن إلا ابتلاء للناس. ونخوِّف المشركين بأنواع العذاب والآيات، ولا يزيدهم التخويف إلا تماديًا في الكفر والضلال.

سبب النزول:

قال ابن عباس:" لما ذكر الله تعالى الزقوم في القرآن خوف به هذا الحي من قريش، فقال أبو جهل: هل تدرون ما هذا الزقوم الذي يخوفكم به محمد؟ قالوا: لا، قال: الثريد بالزبد، أما والله لئن أمكننا منه لنتزقمنه تزقما! فأنزل الله تبارك وتعالى:{ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ}، يقول: المذمومة، { وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا}"[1].[ضعيف]

قوله تعالى:{وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ} [الإسراء : ٦٠]، أي:" واذكر -أيها الرسول- حين قلنا لك: إن ربك أحاط بالناس علمًا وقدرة"[2].

قال الطبري:" وهذا حضّ من الله تعالى ذكره نبيه محمدا ﷺ، على تبليغ رسالته، وإعلام منه أنه قد تقدّم منه إليه القول بأنه سيمنعه، من كلّ من بغاه سوءا وهلاكا، يقول جلّ ثناؤه: واذكر يا محمد إذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس قدرة، فهم في قبضته لا يقدرون على الخروج من مشيئته، ونحن مانعوك منهم، فلا تتهيَّب منهم أحدا، وامض لما أمرناك به من تبليغ رسالتنا"[3].

وفي قوله تعالى:{وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ} [الإسراء : ٦٠]، أربعة أقوال:

أحدها : معناه: أحاطت بالناس قدرته فهم في قبضته، قاله مجاهد[4]، وابن أبي نجيح[5].

الثاني : أحاط علمه بالناس ، قاله الكلبي[6].

الثالث : أنه عصمك من الناس أن يقتلوك حتى تبلغ رسالة ربك ، قاله الحسن[7]، وعروة بن الزبير[8]، وقتادة[9].

قال الحسن:" يقول: أحطت لك بالعرب أن لا يقتلوك، فعرف أنه لا يُقتل"[10].

قال قتادة:" أي: منعك من الناس حتى تبلّغ رسالة ربك"[11].

الرابع: يعني: حين أحاط علمه بأهل مكة أن يفتحها على النبي- ﷺ-. قاله مقاتل[12].

قال الفراء:" يعني: أهل مكة أي أنه سيفتح لك"[13].

قال يحيى بن سلام:" «الناس» يعني أهل مكة خاصة، وذلك قوله في بني إسرائيل: {وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بالناس}، يعني: أهل مكة خاصَّة. وقال: {وَمَا جَعَلْنَا الرؤيا التي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ

---

[1] أخره الواحدي في اسباب النزول:٢٩٦. في إسناده محمد بن إسحاق وهو مدلس وقد عنعنه..
وعزاه في الدر (٤/ ١٩١) لابن إسحاق وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث وذكره في لباب النقول ص ١٦٧.
[2] التفسير الميسر:٢٨٨.
[3] تفسير الطبري:٤٧٩/١٧.
[4] انظر: تفسير الطبري:٤٧٩/١٧.
[5] انظر: النكت والعيون:٢٥٣/٣.
[6] انظر: النكت والعيون:٢٥٣/٣.
[7] انظر: تفسير الطبري:٤٧٩/١٧.
[8] انظر: تفسير الطبري:٤٧٩/١٧.
[9] انظر: تفسير الطبري:٤٧٩/١٧-٤٨٠.
[10] أخرجه الطبري:٤٧٩/١٧.
[11] أخرجه الطبري:٤٨٠/١٧.
[12] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٣٨/٢.
[13] معاني القرآن:١٢٦/٢.

فِتْنَةً لِّلنَّاسِ}، يعني أهل مكَّة خاصة. وقال في سورة يونس: {ياأيها الناس} يعني أهل مكَّة خاصَّة، {إِنَّمَا بَغْيُكُمْ على أَنفُسِكُمْ} . وقال في سورة النَّمْل: {أَنَّ الناس كَانُوا بِآيَاتِنَا لاَ يُوقِنُونَ} يعني أهل مكة خاصَّة"[١].

قوله تعالى:{وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ} [الإسراء : ٦٠]، أي:" وما جعلنا الرؤيا التي أريناكها عِيانًا ليلة الإسراء والمعراج من عجائب المخلوقات إلا اختبارًا للناس؛ ليتميز كافرهم من مؤمنهم"[٢].

وفي قوله تعالى:{وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ} [الإسراء : ٦٠]، ثلاثة أقوال:

أحدها : أنها رؤيا عين ليلة الإسراء به من مكة إلى بيت المقدس ، قاله ابن عباس[٣]، والحسن[٤]، ومجاهد[٥]، وقتادة[٦]، وسعيد بن جبير[٧]، وأبو مالك[٨]، ومسروق[٩]، والضحاك[١٠]، وإبراهيم[١١]، وابن جريج[١٢]، وابن زيد[١٣]، ومقاتل[١٤].

قال ابن عباس:" هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أُسري به، وليست برؤيا منام"[١٥].

قال سعيد بن جبير:" كان ذلك ليلة أُسري به إلى بيت المقدس، فرأى ما رأى فكذّبه المشركون حين أخبرهم"[١٦].

قال الحسن:" أُسري به عشاء إلى بيت المقدس، فصلى فيه، وأراه الله ما أراه من الآيات، ثم أصبح بمكة، فأخبرهم أنه أُسري به إلى بيت المقدس، فقالوا له: يا محمد ما شأنك، أمسيت فيه، ثم أصبحت فينا تخبرنا أنك أتيت بيت المقدس، فعجبوا من ذلك حتى ارتدّ بعضهم عن الإسلام"[١٧].

وقال الحسن:" قال كفار أهل مكة: أليس من كذب ابن أبي كبشة أنه يزعم أنه سار مسيرة شهرين في ليلة"[١٨].

قال قتادة:" الله أراه من الآيات والعبر في مسيره إلى بيت المقدس. ذُكر لنا أن ناسا ارتدّوا بعد إسلامهم حين حدثهم رسول الله ﷺ بمسيره، أنكروا ذلك وكذّبوا له، وعجبوا منه، وقالوا: تحدّثنا أنك سرت مسيرة شهرين في ليلة واحدة"[١٩].

قال ابن جريج:" أراه الله من الآيات في طريق بيت المقدس حين أُسري به، نزلت فريضة الصلاة ليلة أُسري به قبل أن يهاجر بسنة وتسع سنين من العشر التي مكثها بمكة، ثم

---

[١]التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه:١٧٠.
[٢] التفسير الميسر:٢٨٨.
[٣] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٣٢٢):ص٢٢٣٥/٧.
[٤] انظر: الطبري:٤٨٠/١٧.
[٥] انظر: تفسير الطبري:٤٨٢/١٧-٤٨٣.
[٦] انظر: تفسير الطبري:٤٨١/١٧.
[٧] انظر: الطبري:٤٨٠/١٧.
[٨] انظر: تفسير الطبري:٤٨١/١٧.
[٩] انظر: تفسير الطبري:٤٨١/١٧.
[١٠] انظر: تفسير الطبري:٤٨٢/١٧.
[١١] انظر: تفسير الطبري:٤٨١/١٧.
[١٢] انظر: تفسير الطبري:٤٨١/١٧-٤٨٢.
[١٣] انظر: تفسير الطبري:٤٨٢/١٧.
[١٤] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٣٨/٢.
[١٥] أخرجه الطبري:٤٨٠/١٧، وابن ابي حاتم(١٣٣٢٢):ص٢٢٣٥/٧.
[١٦] أخرجه الطبري:٤٨٠/١٧.
[١٧] أخرجه الطبري:٤٨٠/١٧.
[١٨] أخرجه الطبري:٤٨١/١٧.
[١٩] أخرجه الطبري:٤٨١/١٧.

رجع من ليلته، فقالت قريش: تعشى فينا وأصبح فينا، ثم زعم أنه جاء الشام في ليلة ثم رجع، وايم الله إن الحدأة لتجيئها شهرين: شهرا مقبلة، وشهرا مُدبرة"[١].

قال ابن زيد:" هذا حين أُسري به إلى بيت المقدس، افتتن فيها ناس، فقالوا: يذهب إلى بيت المقدس ويرجع في ليلة: وقال: "لَمَّا أتانِي جَبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ بالبُرَاقِ لِيَحْمِلَنِي عَلَيْها صَرَّتْ بأذُنَيْها، وَانْقَبَض بَعْضُها إلى بَعْضٍ، فَنَظَرَ إلَيْها جَبْرَائِيلُ، فقالَ: وَالَّذِي بَعَثَنِي بالحَقّ مِنْ عِنْدِهِ ما رَكِبَكَ أحَدٌ مِنْ وَلَدِ آدَمَ خَيْرٌ مِنْهُ، قالَ: فَصرَّتْ بأُذُنَيْها وَارْفَضَّتْ عَرَقا حتى سالَ ما تَحْتَها، وكانَ مُنْتَهَى خَطْوُها عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفها" فلما أتاهم بذلك، قالوا: ما كان محمد لينتهي حتى يأتي بكذبة تخرج من أقطارها، فأتوا أبا بكر رضي الله عنه فقالوا: هذا صاحبك يقول كذا وكذا، فقال: وقد قال ذلك؟ قالوا: نعم، فقال: إن كان قد قال ذلك فقد صدق، فقالوا: تصدّقه إن قال ذهب إلى بيت المقدس ورجع في ليلة؟ فقال أبو بكر: إي، نزع الله عقولكم، أصدّقه بخبر السماء، والسماء أبعد من بيت المقدس، ولا أصدّقه بخبر بيت المقدس؟ قالوا للنبيّ ﷺ: إنا قد جئنا بيت المقدس فصفه لنا، فلما قالوا ذلك، رفعه الله تبارك وتعالى ومثله بين عينيه، فجعل يقول: هو كذا، وفيه كذا، فقال بعضهم: وأبيكم إن أخطأ منه حرفا، فقالوا: هذا رجل ساحر"[٢].

قال الفراء:" يريد: ما أريناك ليلة الإسراء إلا فتنة لهم، حتى قال بعضهم: ساحر، وكاهن، وأكثروا"[٣].

قال الماوردي:" وكانت الفتنة ارتداد قوم كانوا أسلموا حين أخبرهم النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه أُسريَ به"[٤].

الثاني : أنها رؤيا نوم رأى فيها أنه يدخل مكة ، فعجل النبي -ﷺ- قبل الوقت يوم الحيبية ، فرجع فقال ناس قد كان قال إنه سيدخلها فكانت رجعته فتنتهم ، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً[٥].

قال ابن عباس:" يقال: إن رسول الله ﷺ أُري أنه دخل مكة هو وأصحابه، وهو يومئذ بالمدينة، فعجَّل رسول الله ﷺ السير إلى مكة قبل الأجل، فردّه المشركون، فقالت أناس: قد ردّ رسول الله ﷺ، وقد كان حدثنا أنه سيدخلها، فكانت رجعته فتنتهم"[٦].

الثالث : أنها رؤيا منام رأى فيها قوماً يعلون على منابره ينزون نزو القردة . فساءه ، وهذا قول سهل بن سعد[٧].

قال سهل بن سعد:" رأى رسول الله ﷺ بني فلان ينزون على منبره نزو القردة، فساءه ذلك، فما استجمع ضاحكا حتى مات، قال: وأنزل الله عزّ وجلّ في ذلك :{وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إلا فِتْنَةً لِلنَّاسِ} .... الآية"[٨].

الرابع: أنه رأى رسول الله ﷺ بني أمية على المنابر فساءه ذلك، فأوحى الله إليه: «إنما هي دنيا أعطوها» فقرت عينه وهي قوله: {وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس}، يعني: بلاء للناس. وهذا قول سعيد بن المسيب[٩].[ضعيف]

---

[١] أخرجه الطبري:١٧/٤٨١-٤٨٢.

[٢] أخرجه الطبري:١٧/٤٨٢.

[٣] معاني القرآن:٢/١٢٦.

[٤] النكت والعيون:٣/٢٥٣.

[٥] انظر: تفسير الطبري:١٧/٤٨٣.

[٦] أخرجه الطبري:١٧/٤٨٣.

[٧] انظر: تفسير الطبري:١٧/٤٨٣.

[٨] أخرجه الطبري:١٧/٤٨٣.

[٩] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٣٢٤):ص٧/٢٢٣٦. وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/٣١٠ ولفظه: "قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني أمية على المنابر فساءه ذلك، فأوحى الله إليه "إنما هي دنيا أعطوها"، فقرت عينه، وهي قوله: {وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ} يعني بلاء للناس". ونسبه إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابن عساكر.

وأخرج ابن ابي حاتم عن يعلي بن مرة، قال: قال رسول الله ﷺ «أريت بني أمية على منابر الأرض وسيتملكونكم فتجدونهم أرباب سوء»، واهتم رسول الله ﷺ لذلك: فأنزل الله :{وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس}"[1]. [ضعيف]

وقد حكم ابن حجر على هاتين الروايتين وأمثالها بأن أسانيد الكل ضعيفة[2].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: عنى به رؤيا رسول الله ﷺ ما رأى من الآيات والعبر في طريقه إلى بيت المقدس، وبيت المقدس ليلة أُسري به، وقد ذكرنا بعض ذلك في أوّل هذه السورة، وإنما قُلنا ذلك أولى بالصواب، لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن هذه الآية إنما نزلت في ذلك، وإياه عنى الله عّز وجلّ بها، فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: وما جعلنا رؤياك التي أريناك ليلة أسرينا بك من مكة إلى بيت المقدس، إلا فتنة للناس: يقول: إلا بلاء للناس الذين ارتدّوا عن الإسلام، لمَّا أُخبروا بالرؤيا التي رآها، عليه الصلاة والسلام وللمشركين من أهل مكة الذين ازدادوا بسماعهم ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم تماديا في غيهم، وكفرا إلى كفرهم"[3].

قوله تعالى:{وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ} [الإسراء : ٦٠]، أي:" وما جعلنا شجرة الزقوم الملعونة التي ذكرت في القرآن إلا ابتلاء للناس"[4].

وفي قوله تعالى:{وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ} [الإسراء : ٦٠]، أربعة أقوال:

أحدها : أنها شجرة الزقوم طعام الأثيم ، قاله ابن عباس[5]، والحسن[6]، ومجاهد [7]، وقتادة[8]، والضحاك[9]، وسعيد بن جبير[10]، وعكرمة[11]، وأبو مالك[12]، وإبراهيم[13]، ومسروق[14]، وطاووس، وابن زيد[15]، ومقاتل[16]، والفراء[17].

قال الماوردي:"وكانت فتنتهم بها قول أبي جهل وأشياعه : النار تأكل الشجر فكيف تنبتها"[18].

هذا وقد أخرجه البيهقي في الدلائل ٥٠٩/٥ من طريق سفيان، عن علي بن زيد بن جدعان، عن سعيد بن المسيب - نحوه. ولفظه "على منبره".

قلت: علي بن زيد بن جدعان ضعيف، ثم إنه مرسل. قال ابن حجر: عقبه: وأسانيد الكل ضعيفة.

أخرجه البيهقي في الدلائل ٥٠٩/٥ من طريق سفيان، عن علي بن زيد بن جدعان، عن سعيد بن المسيب - نحوه. ولفظه "على منبره".

فيه علي بن زيد بن جدعان ضعيف، ثم إنه مرسل. قال ابن حجر: عقبه: وأسانيد الكل ضعيفة. [فتح الباري: ٣٩٨/٨]

[1] أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٣٢٣):ص٢٣٣٦/٧، وذكره السيوطي في الدر المنثور:٣٠٩/٥، وقال:" أخرج ابن أبي حاتم عن يعلى بن مرة عن علي رضي الله عنه.." ثم ذكر الحديث.

[2] انظر: فتح الباري ٣٩٨/٨.

[3] تفسير الطبري:٤٨٣/١٧-٤٨٤.

[4] التفسير الميسر:٢٨٨.

[5] انظر: تفسير الطبري:٤٨٤/١٧، و تفسيرابن أبي حاتم(١٣٣٢٢):ص٢٣٣٥/٧.

[6] انظر: تفسير الطبري:٤٨٤/١٧-٤٨٥.

[7] انظر: تفسير الطبري:٤٨٥/١٧.

[8] انظر: تفسير الطبري:٤٨٦/١٧.

[9] انظر: تفسير الطبري:٤٨٦/١٧.

[10] انظر: تفسير الطبري:٤٨٥/١٧.

[11] انظر: تفسير الطبري:٤٨٥/١٧.

[12] انظر: تفسير الطبري:٤٨٥/١٧.

[13] انظر: تفسير الطبري:٤٨٥/١٧.

[14] انظر: تفسير الطبري:٤٨٤/١٧.

[15] انظر: تفسير الطبري:٤٨٦/١٧.

[16] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٣٨/٢.

[17] انظر: معاني القرآن:١٢٦/٢.

[18] النكت والعيون:٢٥٣/٣.

قال ابن عباس:" هي شجرة الزقوم، قال أبو جهل: أيخوّفني ابن أبي كبشة بشجرة الزَّقوم، ثم دعا بتمر وزُبد، فجعل يقول: زقمني، فأنزل الله تعالى :{طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ) وأنزل (وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلا طُغْيَانًا كَبِيرًا}"[١].

قال ابن عباس:" وهي شجرة الزقوم، خوّف الله بها عباده، فافتتنوا بذلك، حتى قال قائلهم أبو جهل بن هشام: زعم صاحبكم هذا أن في النار شجرة، والنار تأكل الشجر، وإنا والله ما نعلم الزقوم إلا التمر والزبد، فتزقموا، فأنزل الله تبارك وتعالى حين عجبوا أن يكون في النار شجرة {إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ} ، إني خلقتها من النار، وعذّبت بها من شئت من عبادي"[٢].

قال الحسن:" فإن قريشا كانوا يأكلون التمر والزبد، ويقولون: تزقموا هذا الزقوم. قال أبو رجاء: فحدثني عبد القدّوس، عن الحسن، قال: فوصفها الله لهم في الصافات"[٣].

قال الحسن:" قال أبو جهل وكفار أهل مكة: أليس من كذب ابن أبي كَبشة أنه يوعدكم بنار تحترق فيها الحجارة، ويزعم أنه ينبت فيها شجرة {وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ} قال: هي شجرة الزَّقوم[٤].

قال ابن زيد:" الزقوم التي سألوا الله أن يملأ بيوتهم منها، وقال: هي الصَّرفَان بالزبد تتزقمه، والصرفان: صنف من التمر، قال: وقال أبو جهل: هي الصرفان بالزبد، وافتتنوا بها"[٥].

الثاني : هي «الكشوث»[٦] التي تلتوي على الشجر، قاله ابن عباس –في رواية أخرى-[٧].

عن مولى بني هاشم: "أن عبد الله بن الحارث بن نوفل، أرسله إلى ابن عباس، يسأله عن الشجرة الملعونة في القرآن؟ قال: هي هذه الشجرة التي تلوي على الشجرة، وتجعل في الماء، يعني الكشوثي"[٨].

الثالث : أنهم اليهود تظاهروا على رسول الله -ﷺ- مع الأحزاب ، حكاه الماوردي عن ابن بحر[٩].

الرابع : أن النبي رأى في منامه قوماً يصعدون المنابر ، فشق عليه ، فأنزل الله تعالى: {وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ}. قاله سعيد بن المسيب[١٠].

قال الماوردي:" والشجرة كناية عن المرأة ، والجماعة أولاد المرأة كالأغصان للشجر"[١١].

الخامس: أن الشجرة الملعونة: الحكم بن أبي العاص وولده. رواه ابن أبي حاتم من حديث عبد الله بن عمرو[١٢]. قال ابن حجر:"وإسناده ضعيف"[١٣].

---

[١] أخرجه الطبري:٤٨٤/١٧.

[٢] أخرجه الطبري:٤٨٦/١٧.

[٣] أخرجه الطبري:٤٨٤/١٧-٤٨٥.

[٤] أخرجه الطبري:٤٨٥/١٧.

[٥]أخرجه الطبري:٤٨٦/١٧ .

[٦]الكشوث، والكشوثا: نبت يتعلق بالأغصان، ولا عرق له في الأرض. وهي لفظة سوادية (انظر اللسان والتاج. والتاج.

[٧] انظر: تفسير الطبري:٤٨٧/١٧.

[٨] أخرجه الطبري:٤٨٧/١٧.

[٩] انظر: النكت والعيون:٢٥٤/٣.

[١٠] انظر: النكت والعيون:٢٥٤/٣.

[١١] النكت والعيون:٢٥٤/٣.

[١٢] عزاه إليه السيوطي في الدر المنثور:٣٠٩/٥، وفيه« وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: رأيت ولد الحكم بن أبي العاص على المنابر كأنهم القردة وأنزل الله في ذلك {وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة} يعني الحكم وولده».

[١٣]فتح الباري ٣٩٩/٨.

قال الطبري:" الصواب عندنا قول من قال: عنى بها شجرة الزقوم، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك، ونصبت الشجرة الملعونة عطفا بها على الرؤيا. فتأويل الكلام إذن: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك، والشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة للناس، فكانت فتنتهم في الرؤيا ما ذكرت من ارتداد من ارتدّ، وتماديِ أهل الشرك في شركهم، حين أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أراه الله في مسيره إلى بيت المقدس ليلة أُسري به، وكانت فتنهم في الشجرة الملعونة ما ذكرنا من قول أبي جهل والمشركين معه: يخبرنا محمد أن في النار شجرة نابتة، والنار تأكل الشجر فكيف تنبت فيها؟"[١].

قوله تعالى:{وَنُخَوِّفُهُمْ} [الإسراء : ٦٠]، أي:" ونخوّف المشركين بأنواع العذاب والآيات"[٢].

قال الطبري:" ونخوّف هؤلاء المشركين بما نتوعدهم من العقوبات والنكال"[٣].

عن مجاهد:"{ونخوفهم}، قال: أبو جهل لشجرة الزقوم"[٤].

قوله تعالى:{فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا} [الإسراء : ٦٠]، أي:" ولا يزيدهم التخويف إلا تماديًا في الكفر والضلال"[٥].

قال الطبري:" فما يزيدهم تخويفنا إلا طغيانا كبيرا، يقول: إلا تماديا وغيا كبيرا في كفرهم وذلك أنهم لما خُوّفوا بالنار التي طعامهم فيها الزقوم دعوا بالتمر والزبد، وقالوا: تزقموا من هذا"[٦].

قال: مجاهد: "ما يزيد أبا جهل إلا طغيانا كبيرا"[٧].

قال ابن جريج :"{وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ}، قال: طلعها كأنه رءوس الشياطين، والشياطين ملعونون. قال {وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ} لما ذكرها زادهم افتتانا وطغيانا، قال الله تبارك وتعالى، {وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إلا طُغْيَانًا كَبِيرًا}"[٨].

الفوائد:

١- بيان علة الإسراء والمعراج، وذكر شجرة الزقوم في القرآن الكريم.
٢- معرفة إحاطة الرب سبحانه بالعالم وعظمته؛ وأن العوالم كلها في قبضته.
٣- أن الإيمان يزيد حتى يبلغ أعلى درجاته، والكفر يزيد حتى يسفل إلى أدنى دركاته، قال تعالى: {وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إلا طُغْيَانًا كَبِيرًا}.
٤- يجب الإيمان بكل ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم وما نطق به القرآن الكريم ومن ذلك الإيمان بخبر الإسراء والمعراج.

قال الطحاوي: "والمعراج حق، وقد أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم وعرج بشخصه في اليقظة إلى السماء، ثم إلى حيث شاء الله من العلا، وأكرمه الله بما شاء، وأوحى إليه ما أوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى فصلى الله عليه في الآخرة والأولى"[٩].

القرآن

{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١)} [الإسراء : ٦١]

التفسير:

---

[١] تفسير الطبري:٤٨٧/١٧.
[٢] التفسير الميسر:٢٨٨.
[٣] تفسير الطبري:٤٨٧/١٧.
[٤] تفسير ابن أبي حاتم(١٣٣٢٦):ص٢٣٣٦/٧.
[٥] التفسير الميسر:٢٨٨.
[٦] تفسير الطبري:٤٨٧/١٧.
[٧] تفسير ابن أبي حاتم(١٣٣٢٦):ص٢٣٣٦/٧.
[٨] أخرجه الطبري:٤٨٧/١٧.
[٩] انظر :شرح الطحاوية :١٦٨.

واذكر قولنا للملائكة: اسجدوا لآدم تحية وتكريمًا، فسجدوا جميعًا إلا إبليس، استكبر وامتنع عن السجود قائلا على سبيل الإنكار والاستكبار: أأسجد لهذا الضعيف، المخلوق من الطين؟

قوله تعالى:{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ} [الإسراء : ٦١]، أي:" واذكر قولنا للملائكة: اسجدوا لآدم تحية وتكريمًا"[١].

قال قتادة: "فكانت الطاعة لله ، والسجدة لآدم ، أكرم الله آدم أن أسْجَد له ملائكته"[٢].

قوله تعالى:{فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ} [الإسراء : ٦١]، أي:" فسجدوا جميعًا إلا إبليس، استكبر وامتنع عن السجود"[٣].

قال السدي" : كان اسم إبليس «الحارث»، وإنما سمي إبليس حين أبلس متحيِّرًا"[٤].

قال ابن عباس:" إبليس، أبلسه الله من الخير كله، وجعله شيطانًا رجيمًا عقوبة لمعصيته"[٥].

قال ابن كثير:" أنه -أي إبليس- كان قد توسّم بأفعال الملائكة وتشبه بهم وتعبد وتنسك فلهذا دخل في خطابهم، وعصى بالمخالفة"[٦].

قوله تعالى:{قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا} [الإسراء : ٦١]، أي: قال" على سبيل الإنكار والاستكبار: أأسجد لهذا الضعيف، المخلوق من الطين"[٧].

قال الطبري:" يفتخر عليه الجاهل بأنه خُلِقَ من نار، وخلق آدم من طين"[٨].

قال ابن عباس:" بعث ربّ العزّة تبارك وتعالى إبليس، فأخذ من أديم الأرض، من عذبها وملحها، فخلق منه آدم، فكل شيء خُلق من عذبها فهو صائر إلى السعادة وإن كان ابن كافرين، وكلّ شيء خَلقه من مِلحها فهو صائر إلى الشقاوة وإن كان ابن نبيين؛ ومن ثم قال إبليس {أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا}: أي هذه الطينة أنا جئت بها، ومن ثم سُمّي آدم. لأنه خُلق من أديم الأرض"[٩].

الفوائد:

١- من فوائد الآية: بيان فضل آدم على الملائكة؛ وجهه أن الله أمر الملائكة أن يسجدوا له تعظيماً له.

٢- ومنها: أن السجود لغير الله إذا كان بأمر الله فهو عبادة؛ لأن لله تعالى أن يحكم بما شاء؛ ولذلك لما امتنع إبليس عن هذا كان من الكافرين؛ وقد استدل بعض العلماء بهذه الآية على كفر تارك الصلاة؛ قال: لأنه إذا كان إبليس كفر بترك سجدة واحدة أُمر بها، فكيف عن ترك الصلاة كاملة؟! وهذا الاستدلال إن استقام فهو هو؛ وإن لم يستقم فقد دلت نصوص أخرى من الكتاب، والسنة، وأقوال الصحابة على كفر تارك الصلاة كفراً أكبر مخرجاً عن الملة.

ويدل على أن المحرَّم إذا أمر الله تعالى به كان عبادة قصة إبراهيم عليه السلام، حين أمره الله أن يذبح ابنه إسماعيل فامتثل أمر الله؛ ولكن الله رحمه، ورحم ابنه برفع ذلك عنهما، حيث قال تعالى: {فلما أسلما وتلّه للجبين * وناديناه أن يا إبراهيم * قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين} [الصافات: ١٠٣ . ١٠٥] ؛ ومن المعلوم أن قتل الابن من كبائر الذنوب، لكن لما أمر الله عزّ وجلّ به كان امتثاله عبادة.

---

[١] التفسير الميسر:٢٨٨.

[٢] تفسير الطبري(٧٠٧):ص١/٥١٢.

[٣] التفسير الميسر:٢٨٨.

[٤] تفسير الطبري(٧٠٤):ص١/٩٩

[٥] تفسير الطبري(٧٠٣):ص١/٩٩

[٦] تفسير ابن كثير: ١٦٧/٥.

[٧] التفسير الميسر:٢٨٨.

[٨] تفسيرالطبري:٤٨٨/١٧.

[٩] أخرجه الطبري:٤٨٨/١٧.

٣- ومن فوائد الآية: أن إبليس ـ والعياذ بالله ـ جمع صفات الذم كلها: الإباء عن الأمر؛ والاستكبار عن الحق، وعلى الخلق؛ والكفر؛ إبليس استكبر عن الحق؛ لأنه لم يمتثل أمر الله؛ واستكبر على الخلق؛ لأنه قال: {أنا خير منه} [الأعراف: ١٢] ؛ فاستكبر في نفسه، وحقر غيره؛ و"الكبر" بطر الحق، وغمط الناس

القرآن

{قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (٦٢)} [الإسراء : ٦٢]

التفسير:

وقال إبليس جراءة على الله وكفرًا به: أرأيت هذا المخلوق الذي ميزته عليَّ؟ لئن أبقيتني حيًا إلى يوم القيامة لأستولينَّ على ذريته بالإغواء والإفساد، إلا المخلصين منهم في الإيمان، وهم قليل.

قوله تعالى:{قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ} [الإسراء : ٦٢]، أي:" وقال إبليس جراءة على الله وكفرًا به: أرأيت هذا المخلوق الذي ميزته عليَّ؟"[١].

قال يحيى بن سلام:" فأمرتني بالسجود له"[٢].

قال ابن قتيبة:" أي: فضلت"[٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: أرأيت هذا الذي كرّمته عليّ، فأمرتني بالسجود له، ويعني بذلك آدم"[٤].

قال الزجاج: تقدير الكلام: "أخبرني عن هذا الذي كرمت علي لم كرمته علي وقد خلقتني من نار وخلقته من طين"[٥].

قوله تعالى:{لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} [الإسراء : ٦٢]، أي:" لأستولينَّ على ذريته بالإغواء والإفساد، إلا المخلصين منهم في الإيمان، وهم قليل"[٦].

قال مقاتل:" يقول: لئن متعتني إلى يوم القيامة"[٧].

قوله تعالى:{لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء : ٦٢]، أي:" لأستولينَّ على ذريته بالإغواء والإفساد، إلا المخلصين منهم في الإيمان، وهم قليل"[٨].

قال الطبري:" يقول: لأستولين عليهم {إلا قليلا}، يعنى: المعصومين"[٩].

قال الطبري:" أقسم عدوّ الله، فقال لربه: لئن أخرت إهلاكي إلى يوم القيامة :لأستولين عليهم، ولأستأصلنهم، ولأستميلنهم"[١٠].

قال يحيى بن سلام:" وهذا القول منه بعد ما أمر بالسجود، وذلك ظن منه، حيث وسوس إلى آدم فلم يجد له عزما أي صبرا"[١١].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "قال إبليس: إن آدم خلق من تراب ومن طين خلق ضعيفا وإني خلقت من نار والنار تحرق كل شيء، {لأحتنكن ذريته إلا قليلا}، فصدق ظنه عليهم"[١٢].

أحدها : معناه لأستولين عليهم بالغلبة ، قاله ابن عباس[١]، والكلبي[٢]، والفراء[٣].

---

[١] التفسير الميسر:٢٨٨.
[٢] تفسير يحيى بن سلام:١٤٧/١.
[٣] غريب القرآن:٢٥٨.
[٤] تفسير الطبري:٤٨٨/١٧.
[٥] معاني القرآن: ٢٤٩/٣.
[٦] التفسير الميسر:٢٨٨.
[٧] تفسير مقاتل بن سليمان:٥٣٩/٢.
[٨] التفسير الميسر:٢٨٨.
[٩] معاني القرآن:١٢٧/٢.
[١٠] تفسير الطبري:٤٨٨/١٧.
[١١] تفسير يحيى بن سلام:١٤٧/١.
[١٢] تفسير ابن أبي حاتم(١٣٣٢٨):ص٢٣٣٦/٧.

الثاني: لأحتوينهم مثل زناق الناقة والدابة وهي حناكها. قاله مجاهد[٤].
الثالث : معناه :لأضلنهم بالإغواء. قاله ابن زيد[٥].
الرابع : لأستأصلنهم بالإغواء. قاله ابن قتيبة[٦]، والزجاج[٧].

قال ابن قتيبة:" يقال: احتنك الجراد ما على الأرض كله؛ إذا أكله كله. واحتنك فلان ما عند فلان من العلم: إذا استقصاه"[٨].

قال الزجاج:" تقول العرب: قد احتنكت السنة أموالنا إذا استأصلتها"[٩].

الخامس : لأستميلنهم، قاله الأخفش[١٠].

السادس : لأستميلنّهم ولأستأصلنهم، يقال: احتك فلان ما عند فلان أجمع من مال أو علم أو حديث أو غيره : أخذه كله واستقصاه. قاله أبو عبيدة[١١]، واستشهد بقول الشاعر[١٢]:

نَشْكُو إِلَيْكَ سَنَةً قَدْ أجْحَفَتْ ... جَهْدًا إلى جَهْدٍ بنا فأضْعَفَتْ
واحْتَنَكَتْ أمْوَالَنا وجَلَّفَتْ

السابع: لأقودنهم إلى المعاصي كما شئت، كما تقاد الدابة بحنكها إذا شد فيه حبل يجذبها، وهو افتعال من «الحنك» إشارة إلى :حنك الدابة. حكاه ابن قتيبة[١٣].

الثامن : معناه: لأقطعنهم إلى المعاصي. حكاه الماوردي[١٤].

الفوائد:

١- بيان عداوة الشيطان للانسان، والتحذير من كيد إبليس، فإذا كان فعل جمع الأبوين ما فعل فإنه سيفعل مع الذرية أشدلقوله، قال:{لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا}.
٢- أن الخير والرشد في الناس قليل والشر والضلالة كثير.

فإن كون أهل الحق والإيمان أقل من أهل الباطل والكفر عدداً معلوم من الشرع والواقع، قال الله عزوجل: {وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ} [الروم}٨}. {وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [الأنعام:١١٦]، {قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إلاَّ قَلِيلاً} [الإسراء :٦٢] .

فهذه الآيات وغيرها كثير يدل على أن أهل الباطل والكفر أكثر بكثير من أهل الحق والإيمان. وهذه الأمة لا شك أن أهل الخير والصلاح والإيمان فيها كثير، إلا أن أهل الباطل والفسق فيها أكثر ولو غلب أهل الخير والصلاح أهل الفسق عدداً لتغير

---

[١] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٣٢٩):ص٢٣٣٧/٧.
[٢] انظر: تفسير يحيى بن سلام:١٤٧/١.
[٣] انظر: معاني القرآن:١٢٧/٢.
[٤] انظر: الطبري:٤٨٩/١٧، مختصرا، وإعراب القرآن للنحاس: ٢٧٨/٢.
[٥] انظر: تفسير الطبري:٤٨٩/١٧.
[٦] انظر: غريب القرآن:٢٥٨.
[٧] انظر: معاني القرآن:٢٤٩/٣.
[٨] غريب القرآن:٢٥٨.
[٩] معاني القرآن:٢٤٩/٣.
[١٠] انظر: النكت والعيون:٢٥٤/٣.
[١١] انظر: مجاز القرآن:٣٨٤/١.
[١٢]هذه أبيات ثلاثة من مشطور الرجز، من الأرجوزة السادسة في بقية ديوان الزفيان السعدي (عطاء بن أسيد الراجز) وهي ملحقة بديوان العجاج المطبوع في ليبزج سنة ١٩٠٣ ص ٦٥، مع اختلاف في رواية بعضها. والبيتان الأولان هما: نشكو إليك سنة قد جلفت ... أموالنا من أصلها وجرفت
أما البيت الثالث فليس في الأرجوزة. ومعنى أجحفت: أضرت بنا، وذهبت أموالنا، فلقينا من شهدتها جهدا إلى جهد. واحتنكت: قال أبو عبيدة في مجاز القرآن (:٣٨٤) يقال: احتنك فلان ما عند فلان أجمع من مال أو علم أو حديث أو غيره: أخذه كله واستقصاه. قال: نشكو إليك ... إلخ الأبيات. ومعنى جلفت: قشرت أو قشر الجلد مع شيء من اللحم. والأبيات شاهد على أن الاحتناك معناه الاستئصال.
[١٣] انظر: غريب القرآن:٢٥٨.
[١٤] انظر: النكت والعيون:٢٥٤/٣.

حال الأمة، وقول الله جل وعلا: {وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} دليل على هذا فإن هذا وصف أهل الصلاح والخير ومقام الشكر من أعلى المقامات، ولا شك أن القرون المفضلة الثلاثة هي أفضل القرون ولم تفضل إلا لأن أهل الخير والصلاح والإيمان غالبون وظاهرون عدداً ثم بدأ الأمر في النقصان حتى أصبح أهل الخير والتقى قلة في الأمة في هذه الأزمان المتأخرة بالنسبة لأهل الفساد والباطل - والأمر ولله الحمد كما قال المصنف، فإن أهل السنة ظاهرون بحمد الله على أهل البدعة والانحراف بالحجة والقوة والعدد ولم يكن في وقت من الأوقات الظهور لأهل البدعة على العموم، بل قد يغلب أهل البدعة كالروافض أو الخوارج على ناحية من النواحي أو على الحكم كما هو الحال في زمامننا هذا في إيران ولكن ذلك قليل بالنسبة لمجموع الأمة والحمد لله.

أما الاستدلال بالقلة على أنهم أهل حق فهذا باطل لأن لكل طائفة قليلة أن تدعي ذلك لنفسها. أما كون الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم الأقل فهذا ظاهر بالنسبة إلى غيرهم وهم في واقعهم ليسوا قليلاً، ولكنهم إذا قيسوا بغيرهم صاروا قليلاً لأنهم النخبة الممتازة والفئة الصالحة، ومعلوم أن الدين فيه إحسان وإيمان وإسلام والناس في مقابل ذلك محسنون ومؤمنون ومسلمون.

ولا شك أن المحسنين أقل من المؤمنين، لأن شروط الإحسان أعلى من شروط الإيمان، وأن المؤمنين أقل من المسلمين لأن شروط الإيمان أعلى من شروط الإسلام، لأن وصف الإسلام يطلق على كل من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وهذا كثير في هذه الأمة والمسلمون بالنسبة لغيرهم قليل كما تقدم بيانه من قول الله عزوجل وقول رسوله - صلى الله عليه وسلم-، والله أعلم[١].

---

[١] انظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار:١٦٣/١. (الهامش)

القرآن

{قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (٦٣)} [الإسراء : ٦٣]

التفسير:

قال الله تعالى مهددًا إبليس وأتباعه: اذهب فمَن تبعك مِن ذرية آدم، فأطاعك، فإن عقابك وعقابهم وافر في نار جهنم.

قوله تعالى:{قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ} [الإسراء : ٦٣]، أي:" اذهب فقد أخرتك، فمَن تبعك مِن ذرية آدم، فأطاعك، فإن عقابك وعقابهم جهنم"[١].

قال البغوي:" أي: جزاءك وجزاء أتباعك"[٢].

قال الطبري:" يقول: ثوابك على دعائك إياهم على معصيتي، وثوابهم على اتباعهم إياك وخلافهم أمري"[٣].

قال الزمخشري:" {اذهب} ليس من «الذهاب» للذي هو نقيض «المجيء»، إنما معناه: امض لشأنك الذي اخترته خذلانا وتخلية"[٤].

قال القرطبي:" قال {اذهب} هذا أمر إهانة، أي: اجهد جهدك فقد أنظرناك"[٥].

قال قتادة:" عذاب جهنم جزاؤهم، ونقمة من الله من أعدائه فلا يعدل عنهم من عذابها شيء"[٦].

قوله تعالى:{جَزَاءً مَوْفُورًا} [الإسراء : ٦٣]، أي:"

قال الطبري:" ثوابا مكثورا مكملا"[٧].

قال السمعاني:أي:" مكملا"[٨].

عن مجاهد:"{مَوْفُورًا، قال: وافرا"[٩].

القرآن

{وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (٦٤)} [الإسراء : ٦٤]

التفسير:

واستَخْفِف كل مَن تستطيع استخفافه منهم بدعوتك إياه إلى معصيتي، واجمع عليهم كل ما تقدر عليه مِن جنودك من كل راكب وراجل، واجعل لنفسك شِرْكة في أموالهم بأن يكسبوها من الحرام، وشِرْكة في الأولاد بتزيين الزنى والمعاصي، ومخالفة أوامر الله حتى يكثر الفجور والفساد، وعِدْ أتباعك مِن ذرية آدم الوعود الكاذبة، فكل وعود الشيطان باطلة وغرور.

قوله تعالى:{وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ} [الإسراء : ٦٤]، أي:" واستَخْفِف كل مَن تستطيع استخفافه منهم بدعوتك إياه إلى معصيتي"[١٠].

وفي قوله تعالى:{وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ} [الإسراء : ٦٤]، وجوه:

أحدها : واستخف ، وهذا قول الكلبي[١١]، والفراء[١٢].

الثاني : استخفف واستجهل. قاله أبو عبيدة[١]، وبه قال الطبري[٢].

---

[١] انظر: تفسير الطبري:٤٩٠/١٧.

[٢] تفسير البغوي:١٠٤/٥.

[٣] تفسير الطبري:٤٩٠/١٧.

[٤] الكشاف:٦٧٧/٢.

[٥] تفسير القرطبي:٢٨٨/١٠.

[٦] أخرجه الطبري:٤٩٠/١٧.

[٧] تفسير الطبري:٤٩٠/١٧.

[٨] تفسير السمعاني:٢٥٨/٣.

[٩] أخرجه الطبري:٤٩٠/١٧.

[١٠] التفسير الميسر:٢٨٨.

[١١] انظر: النكت والعيون:٢٥٥/٣.

[١٢] انظر: معاني القرآن:١٢٧/٢.

الثالث : استخف. ومنه يقال: استفزني فلان. قاله ابن قتيبة[٣].
الرابع : استنزل من استطعت ، قاله مجاهد[٤].
وحكي الماوردي عن مجاهد، قال: استذل"[٥].
وقال مقاتل: "استزل من استطعت"[٦].
وفي قوله تعالى:{ بِصَوْتِكَ} [الإسراء : ٦٤]، ثلاثة وجوه من التفسير:
أحدها : أنه صوت الغناء واللعب واللهو والباطل ، قاله مجاهد[٧].
الثاني : أنه صوت المزمار ، قاله الضحاك[٨].
الثالث : بدعائك إلى معصية الله تعالى وطاعتك ، قاله ابن عباس[٩]، وقتادة[١٠]، ومقاتل[١١]،والفراء[١٢].
قال ابن عباس:" صوته: كلّ داع دعا إلى معصية الله"[١٣].
قال يحيى بن سلام: يعني: بدعائك، أي: بوسوستك"[١٤].
قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال: إن الله تبارك وتعالى قال لإبليس: واستفزز من ذرّية آدم من استطعت أن تستفزّه بصوتك، ولم يخصص من ذلك صوتا دون صوت، فكل صوت كان دعاء إليه وإلى عمله وطاعته، وخلافا للدعاء إلى طاعة الله، فهو داخل في معنى صوته الذي قال الله تبارك وتعالى اسمه له {وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِك}"[١٥].
قوله تعالى:{وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ} [الإسراء : ٦٤]، أي:" واجمع عليهم كل ما تقدر عليه مِن جنودك من كل راكب وراجل"[١٦].
قال مقاتل:" يعني: واستعن عليهم بخيلك يعني كل راكب يسير في معصيته ورجلك يعني كل راجل يمشي في معصية الله- عز وجل - من الجن والإنس من يطيعك منهم"[١٧].
قال الطبري:" يقول: وأجمع عليهم من ركبان جندك ومشاتهم من يجلب عليها بالدعاء إلى طاعتك، والصرف عن طاعتي"[١٨].
قال الفراء:" يعني: خيل المشركين ورجالهم"[١٩].
قال ابن عباس:" خيله: كل راكب في معصية الله؛ ورجله: كل راجل في معصية الله"[٢٠].

---

[١] انظر: مجاز القرآن:٣٨٤/١.
[٢] انظر: تفسير الطبري:٤٩٠/١٧.
[٣] انظر: غريب القرآن:٢٥٨.
[٤] انظر: تفسيرابن أبي حاتم(١٣٣٣٥):ص٢٣٣٧/٧.
[٥] انظر: النكت والعيون:٢٥٥/٣.
[٦] تفسير مقاتل بن سليمان:٥٤٠/٢.
[٧] انظر: تفسير الطبري:٤٩٠/١٧-٤٩١، وتفسير ابن أبي حاتم(١٣٣٣٥):ص٢٣٣٧/٧
[٨] انظر: النكت والعيون:٢٥٥/٣.
[٩] انظر: تفسير الطبري:٤٩١/١٧.
[١٠] انظر: تفسير الطبري:٤٩١/١٧.
[١١] تفسير مقاتل بن سليمان:٥٤٠/٢.
[١٢] انظر: معاني القرآن:١٢٧/٢.
[١٣] أخرجه الطبري:٤٩١/١٧.
[١٤] تفسير يحيى بن سلام:١٤٧/١.
[١٥] تفسير الطبري:٤٩١/١٧.
[١٦] التفسير الميسر:٢٨٨.
[١٧] تفسير مقاتل بن سليمان:٥٤٠/٢.
[١٨] تفسير الطبري:٤٩١/١٧.
[١٩]معاني القرآن:١٢٧/٢ .
[٢٠] أخرجه الطبري:٤٩٢/١٧.

قال مجاهد:" كلّ راكب وماش في معاصي الله تعالى"[1].

وقال مجاهد:" ما كان من راكب يقاتل في معصية الله فهو من خيل إبليس، وما كان من راجل في معصية الله فهو من رجال إبليس"[2].

قال قتادة:" إن له خيلا ورجلا من الجن والإنس، وهم الذين يطيعونه"[3].

وقال قتادة:" الرجال: المشاة"[4].

قوله تعالى:{وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ} [الإسراء : ٦٤]، أي:" واجعل لنفسك شِرْكة في أموالهم بأن يكسبوها من الحرام، وشِرْكة في الأولاد بتزيين الزنى والمعاصي، ومخالفة أوامر الله حتى يكثر الفجور والفساد"[5].

وفي قوله تعالى:{وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ} [الإسراء : ٦٤]، وجوه:

أحدها : أنها الأموال التي أصابوها من غير حلها ، قاله مجاهد[6].

قال مجاهد:" ما أكل من مال بغير طاعة الله"[7].

وقال مجاهد:" كلّ ما أنفقوا في غير حقه"[8].

وقال عطاء بن أبي رَباح: "الشرك في أموال الربا"[9].

الثاني : أنها الأموال التي أنفقوها في معاصي الله تعالى، قاله ابن عباس، والحسن[10]، وقتادة[11]، وابن قتيبة[12].

قال ابن عباس:" كل مال في معصيه الله"[13].

قال الحسن:" قد والله شاركهم في أموالهم، وأعطاهم الله أموالا فأنفقوها في طاعة الشيطان في غير حقّ الله تبارك اسمه"[14].

وقال الحسن:" مرهم أن يكسبوها من خبيث، وينفقوها في حرام"[15].

وقال ابن زيد:" مشاركته إياهم في الأموال والأولاد، ما زَيَّن لهم فيها من معاصي الله حتى ركبوها"[16].

وقال الفراء:" كل مال خالطه حرام فهو شركه"[17].

الثالث : ما كانوا يحرّمونه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، قاله ابن عباس[18]، وقتادة[19].

الرابع : ما كانوا يذبحون لآلهتهم ، قاله الضحاك[20].

---

[1] أخرجه الطبري:٤٩١/١٧.
[2] أخرجه الطبري:٤٩٢/١٧.
[3] أخرجه الطبري:٤٩١/١٧.
[4] أخرجه الطبري:٤٩٢/١٧.
[5] التفسير الميسر:٢٨٨.
[6] انظر: تفسير الطبري:٤٩٢/١٧.
[7] اخرجه الطبري:٤٩٢/١٧.
[8] أخرجه الطبري:٤٩٣/١٧.
[9] اخرجه الطبري:٤٩٢/١٧.
[10] انظر: تفسير الطبري:٤٩٢/١٧.
[11] انظر: تفسير الطبري:٤٩٢/١٧.
[12] انظر: غريب القرآن:٢٥٨.
[13] اخرجه الطبري:٤٩٣/١٧.
[14] اخرجه الطبري:٤٩٢/١٧.
[15] اخرجه الطبري:٤٩٣/١٧.
[16] اخرجه الطبري:٤٩٣/١٧.
[17] معاني القرآن:١٢٧/٢.
[18] انظر: تفسير الطبري:٤٩٣/١٧.
[19] انظر: تفسير الطبري:٤٩٣/١٧.
[20] انظر: تفسير الطبري:٤٩٣/١٧.

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عُنِي بذلك كلّ مال عصى الله فيه بإنفاق في حرام أو اكتساب من حرام، أو ذبح للآلهة، أو تسييب، أو بحر للشيطان، وغير ذلك مما كان معصيا به أو فيه، وذلك أن الله قال {وَشَارِكْهُمْ فِي الأمْوَالِ} فكلّ ما أطيع الشيطان فيه من مال وعصى الله فيه، فقد شارك فاعل ذلك فيه إبليس، فلا وجه لخصوص بعض ذلك دون بعض"[١].

وأما مشاركتهم في الأولاد، ففيها أربعة ودوه :

أحدها : أنهم أولاد الزنى ، قاله ابن عباس[٢]، ومجاهد[٣]، والضحاك[٤]، وابن قتيبة[٥].

الثاني : أنه قتل الموؤودة من أولادهم ، قاله ابن عباس أيضا[٦].

الثالث : أنه صبغة أولادهم في الكفر حتى هوّدوهم ونصّروهم ، قاله الحسن[٧]، و قتادة[٨].

قال الحسن:" قد والله شاركهم في أموالهم وأولادهم، فمجسوا وهوّدوا ونصروا وصبغوا غير صبغة الإسلام وجزءوا من أموالهم جزءا للشيطان"[٩].

الرابع : أنه تسمية أولادهم عبيد آلهتهم كعبد شمس وعبد العزَّى وعبد اللات ، رواه أبو صالح عن ابن عباس[١٠].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: كل ولد ولدته أنثى عصى الله بتسميته ما يكرهه الله، أو بإدخاله في غير الدين الذي ارتضاه الله، أو بالزنا بأمه، أو قتله ووأده، أو غير ذلك من الأمور التي يخصص بقوله {وَشَارِكْهُمْ فِي الأمْوَالِ وَالأولادِ} معنى الشركة فيه بمعنى دون معنى، فكلّ ما عصى الله فيه أو به، وأطيع به الشيطان أو فيه، فهو مشاركة من عصى الله فيه أو به إبليس فيه"[١١].

قوله تعالى:{وَعِدْهُمْ} [الإسراء : ٦٤]، أي:" وعِدْ أتباعك مِن ذرية آدم الوعود الكاذبة"[١٢].

قال مقاتل:" يعنى: ومنيهم الغرور ألاّ بعث"[١٣].

قال الفراء:" أي: قل لهم: لا جنة ولا نار"[١٤].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لإبليس: وعد أتباعك من ذرّية آدم، النصرة على من أرادهم بسوء"[١٥].

قال السعدي:أي:" الوعود المزخرفة التي لا حقيقة لها"[١٦].

قوله تعالى:{وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا} [الإسراء : ٦٤]، أي:" فكل وعود الشيطان باطلة وغرور"[١٧].

---

[١] تفسير الطبري:١٧/٤٩٤.
[٢] انظر: تفسير الطبري:١٧/٤٩٤.
[٣] انظر: تفسير الطبري:١٧/٤٩٤.
[٤] انظر: تفسير الطبري:١٧/٤٩٤.
[٥] انظر: غريب القرآن:٢٥٨.
[٦] انظر: تفسير الطبري:١٧/٤٩٤.
[٧] انظر: تفسير الطبري:١٧/٤٩٥.
[٨] انظر: تفسير الطبري:١٧/٤٩٥.
[٩] أخرجه الطبري:١٧/٤٩٥.
[١٠] انظر: تفسير الطبري:١٧/٤٩٥.
[١١] تفسير الطبري:١٧/٤٩٥.
[١٢] التفسير الميسر:٢٨٨.
[١٣] تفسير مقاتل بن سليمان:٢/٥٤٠.
[١٤] معاني القرآن:٢/١٢٧.
[١٥] تفسير الطبري:١٧/٤٩٥.
[١٦] تفسير السعدي:٤٦١.
[١٧] التفسير الميسر:٢٨٨.

قال مقاتل:" يعني: باطلا الذي ليس بشيء"[1].
قال السعدي" أي: باطلا مضمحلا كأن يزين لهم المعاصي والعقائد الفاسدة ويعدهم عليها الأجر لأنهم يظنون أنهم على الحق، وقال تعالى: {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا} [البقرة : ٢٦٨] "[2].
قال الطبري:" لأنه لا يغني عنهم من عقاب الله إذا نزل بهم شيئا، فهم من عداته في باطل وخديعة"[3].
فوائد الآيتين:[٦٣-٦٤]:
١- علم الله - سبحانه - أن في الذرية من لا يصلح لمساكنته في داره، ولا يصلح إلا لما يصلح له الشوك والروث أبقاه له، وقال له بلسان القدر: هؤلاء أصحابك وأولياؤك، فاجلس في انتظارهم، وكلما مر بك واحد منهم فشأنك به، فلو صلح لي ما ملكتك منه، فإني أتولى الصالحين، وهم الذين يصلحون لي، وأنت ولي المجرمين من الذين غنوا عن موالاتي وابتغاء مرضاتي، قال تعالى: {إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون (٩٩) إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون (١٠٠)} [النحل:٩٩ - ١٠٠].
٢- أن الشيطان له فريقان من الجنود: فريق من الجان، وفريق من بني الإنسان.
٣- أن الله يسلط الشياطين على من يشاء، ويعصم من كيدهم ومكرهم من يشاء.
٤- إن وعد الله موصوفٌ بالصدق، واجب الرُّكون إليه والإيمان به، وَوَعْدُ الشيطان على العكس من ذلك كله.
٥- أن الشيطان يعد الناس بالمواعيد الكاذبة، ويعللهم بالأماني المعسولة؛ كي يوقعهم في وهدة الضلال، قال تعالى: {وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا} [الإسراء : ٦٤]، وقال: {يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشَّيطان إلاَّ غروراً} [النساء: ١٢٠] .
يعد الكفرة في قتالهم المؤمنين بالنصر والتمكين والعزة والغلبة، ثم يتخلى عنهم، ويولي هاربا: {وإذ زيَّن لهم الشَّيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من النَّاس وَإِنِّي جارٌ لكم فلمَّا تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إِنِّي برئٌ منكم} [الأنفال: ٤٨] .
ويعد الأغنياء الكفرة بالثروة والمال في الآخرة بعد الدنيا، فيقول قائلهم: {ولئِن رُّددتُّ إلى رَبِّي لأجدنَّ خيراً منها منقلباً} [الكهف: ٣٦] ، فيدمر الله جنته في الدنيا، فيعلم أنّه كان مغروراً مخدوعاً.
ويشغل الإنسان بالأماني المعسولة، التي لا وجود لها في واقع الحياة، فيصده عن العمل الجاد المثمر، ويرضى بالتخيل والتمني، وهو لا يفعل شيئاً[4].
القرآن
{إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا (٦٥)} [الإسراء : ٦٥]
التفسير:
إن عبادي المؤمنين المخلصين الذين أطاعوني ليس لك قدرة على إغوائهم، وكفى بربك -أيها النبي- عاصمًا وحافظًا للمؤمنين مِن كيد الشيطان وغروره.
قوله تعالى:{إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ} [الإسراء : ٦٥]، أي:" إن عبادي المؤمنين المخلصين الذين أطاعوني ليس لك قدرة على إغوائهم"[5].
قال قتادة:" وعباده: المؤمنون"[1].

---
[1] تفسير مقاتل بن سليمان:٥٤٠/٢.
[2] تفسير السعدي:٤٦١.
[3] تفسير الطبري:٤٩٥/١٧.
[4] انظر: عالم الجن والشياطين:٧٣.
[5] التفسير الميسر:٢٨٨.

قال مجاهد:" عبادي الذين قضيت لهم الجنة ليس لك عليهم إن يذنبوا ذنبا إلا أغفره لهم"[٢].

قال الزجاج:" أي: من أخلص فلا حجة لك عليه ولاسلطان"[٣].

قال الزمخشري:" يريد الصالحين، لا تقدر أن تغويهم"[٤].

قال ابن رجب الحنبلي:" فمن لم يتحقق بعبودية الرحمن وطاعته فإنه يعبد الشيطان بطاعته له، ولم يخلص من عبادة الشيطان إلا من أخلص عبودية الرحمن، وهم الذين قال فيهم: {إن عبادي ليس لك عليهم سلطانْ}، فهم الذين حققوا قول: «لا إله إلا الله »"[٥].

قوله تعالى:{وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا} [الإسراء : ٦٥]، أي:" وكفى بربك -أيها النبي- عاصمًا وحافظًا للمؤمنين مِن كيد الشيطان وغروره"[٦].

قال مقاتل:" يعني: حرزا ومانعا فلا أحد أمنع من الله- عز وجل- فلا يخلص إليهم إبليس"[٧].

قال الزجاج:" أي: كفى بالله وكيلا لأوليائه، يعصمهم من القبول من إبليس"[٨].

قال الزمخشري:أي:" {وكيلا} لهم يتوكلون به في الاستعاذة منك، ونحوه قوله: {إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} [الحجر : ٤٠]، فإن قلت: كيف جاز أن يأمر الله إبليس بأن يتسلط على عباده مغويا مضلا، داعيا إلى الشر، صادا عن الخير؟ قلت: هو من الأوامر الواردة على سبيل الخذلان والتخلية، كما قال للعصاة: اعملوا ما شئتم"[٩].

قال الطبري:" يقول جلّ ثناؤه لنبيّه محمد ﷺ: وكفاك يا محمد ربك حفيظا، وقيما بأمرك، فانقد لأمره، وبلغ رسالاته هؤلاء المشركين، ولا تخف أحدا، فإنه قد توكل بحفظك ونصرتك"[١٠].

الفوائد:

١- متى اتصل القلب بالله، واتجه إليه بالعبادة. متى ارتبط بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها. متى أيقظ في روحه النفخة العلوية فأشرقت وأنارت .. فلا سلطان حينئذ للشيطان على ذلك القلب الموصول بالله، وهذا الروح المشرق بنور الإيمان.

٢- أن الشيطان لا يجرؤ على عباد الرحمن، فما له عليهم من سلطان، قال تعالى: {إن عبادي ليس لك عليهم سلطانْ}.

٣- أن دعوة الشيطان للضلال والفساد إنما تثمر مع الذين يعرضون عن ذكر الله، فكلما قوي الإيمان كلما ازداد الشيطان بعداً، كما قال الرسول ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إيها يا ابن الخطاب: والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً قط إلا سلك فجاً غير فجك"[١١] .. وقال أيضاً: "إن الشيطان ليفرق منك يا عمر"[١٢]، وقال: "إني لأنظر إلى شياطين الجن والإنس فروا من عمر"[١].

---

[١] أخرجه الطبري:٤٩٦/١٧.

[٢] أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٣٨٨):ص٢٢٦٤/٧-٢٢٦٥.

[٣] معاني القرآن:٢٥١/٣.

[٤] الكشاف:٦٧٨/٢.

[٥] تفسير ابن رجب الحنبلي:٢٥٣/٢.

[٦] التفسير الميسر:٢٨٨.

[٧] تفسير مقاتل بن سليمان:٥٤٠/٢.

[٨] معاني القرآن:٢٥١/٣.

[٩] الكشاف:٦٧٨/٢.

[١٠] تفسير الطبري:٤٩٦/١٧.

[١١]رواه البخاري (٣٦٨٣). من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

[١٢]رواه الترمذي (٣٦٩٠)، وأحمد (٥/ ٣٥٣) (٢٣٠٣٩)، وابن حبان (١٥/ ٣١٥) (٦٨٩٢)، والبيهقي (١٠/ ٧٧) (١٩٨٨٨). من حديث بريدة رضي الله عنه. قال الترمذي: حسن صحيح غريب، وصحح إسناده عبدالحق الإشبيلي في ((الأحكام الصغرى)) (٨٤٥) كما أشار إلى ذلك في المقدمة، وصححه ابن القطان في ((الوهم

القرآن
{رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٦٦)} [الإسراء : ٦٦]
التفسير:
ربكم -أيها الناس- هو الذي يُسَيِّر لكم السفن في البحر؛ لتطلبوا رزق الله في أسفاركم وتجاراتكم. إن الله سبحانه كان رحيمًا بعباده.
قوله تعالى:{رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ} [الإسراء : ٦٦]، أي:" ربكم -أيها الناس- هو الذي يُسَيِّر لكم السفن في البحر "[٢].
قال يحيى بن سلام:{ يُزْجِي}، أي:" يجريها"[٣].
قال ابن عباس:" يقول: يجري الفلك"[٤].
قال قتادة:" يسيرها في البحر"[٥].
قال الزجاج:" تفسير {يزجي}: يسير"[٦].
قال عطاء الخراساني:" «الفلك»: السفن"[٧].
قوله تعالى:{لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ} [الإسراء : ٦٦]، أي:" لتطلبوا رزق الله في أسفاركم وتجاراتكم"[٨].
قال يحيى بن سلام: "طلب التجارة في البحر"[٩].
قال ابن كثير:" يخبر تعالى عن لطفه بخلقه في تسخيره لعباده الفلك في البحر ، وتسهيلها لمصالح عباده لابتغائهم من فضله في التجارة من إقليم إلى إقليم"[١٠].
قوله تعالى:{إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا} [الإسراء : ٦٦]، أي:" تعالى رحيم بالعباد ولهذا سهَّل لهم أسباب ذلك"[١١].
قال ابن كثير:" أي : إنما فعل هذا بكم من فضله عليكم ، ورحمته بكم"[١٢].
قال يحيى بن سلام:" فبرأفته ورحمته سخر لكم ذلك. والرحمة على الكافر في هذا رحمة الدنيا "[١٣].
روي ابن ابي حاتم عن الأوزاعي في قوله: "{إنه كان بكم رحيما}، قال: نزلت في المشركين"[١٤].
الفوائد:

والإيهام)) (٥/ ٢٥٢).
[١]رواه الترمذي (٣٦٩١)، والنسائي (٥/ ٣٠٩). من حديث عائشة رضي الله عنها. قال الترمذي: حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وقال ابن عدي في ((الكامل في الضعفاء)) (٣/ ٤٩٣): (فيه) خارجة بن عبد الله بن سليمان وهو عندي لا بأس به وبرواياته، وصححه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)).
[٢] التفسير الميسر:٢٨٨.
[٣] تفسير يحيى بن سلام:١٤٩/١.
[٤] اخرجه الطبري:٤٩٧/١٧.
[٥] اخرجه الطبري:٤٩٧/١٧.
[٦] معاني القرآن:٢٥١/٣.
[٧] تفسير ابن أبي حاتم(١٣٣٣٩):ص٢٣٣٨/٧.
[٨] التفسير الميسر:٢٨٨.
[٩] تفسير يحيى بن سلام:١٤٩/١.
[١٠] تفسير ابن كثير:٩٥/٥.
[١١] صفوة التفاسير:١٥٤/٢.
[١٢] تفسير ابن كثير:٩٥/٥.
[١٣] تفسير يحيى بن سلام:١٤٩/١.
[١٤] تفسير ابن ابي حاتم(١٣٣٤٠):ص٢٣٣٨/٧.

١- دلالة على إباحة ركوب البحر غازيا وتاجرا ومبتغيا لسائر المنافع إذ لم يخص ضربا من المنافع دون غيره[١].
٢- إن تسيير الفلك في البحر نعمة كبرى فيها منافع عظيمة للعباد وفقدانها يقلل سبل الحياة ويحصل لهم ضيق في أمورهم التجارية، ولذلك يمتن الله على عباده بتسخيره البحر المتلاطم الأمواج وتذليله لعباده، لركوبه وقضاء مصالحهم بحمله السفن التي تمخره؛ لأنها تشق الرياح والماء بصدرها المسنم الذي أرشد الله عباده إلى صنعه وهداهم لذلك إرثًا عن أبيهم نوح عليه السلام الذي علمه الله صنع السفينة ثم أخذها الناس عنه قرنًا بعد قرن وجيلًا بعد جيل، يسيرون من بلد لآخر يجلبون البضائع والأرزاق.
٣- ومن اسمائه تعالى: «الرحيم»:أي: "ذو الرحمة الواسعة التي وسعت كل شيء" [٢].

القرآن

{وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا (٦٧)} [الإسراء : ٦٧]

التفسير:

وإذا أصابتكم شدة في البحر حتى أشرفتم على الغرق والهلاك، غاب عن عقولكم الذين تعبدونهم من الآلهة، وتذكَّرتم الله القدير وحده؛ ليغيثكم وينقذكم، فأخلصتم له في طلب العون والإغاثة، فأغاثكم ونجَّاكم، فلمَّا نجاكم إلى البر أعرضتم عن الإيمان والإخلاص والعمل الصالح، وهذا من جهل الإنسان وكفره. وكان الإنسان جحودًا لنعم الله عزَّ وجل.

قوله تعالى:{وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ} [الإسراء : ٦٧]، أي:" وإذا أصابتكم شدة في البحر حتى أشرفتم على الغرق والهلاك، غاب عن عقولكم الذين تعبدونهم من الآلهة، وتذكَّرتم الله القدير وحده؛ ليغيثكم وينقذكم، فأخلصتم له في طلب العون والإغاثة"[٣].
والإغاثة"[٣].

قال سهل بن عبدالله:" أي: ما تسألون كشفه إلا منه، وتتبرؤون من حولكم وقوتكم، وتعترفون بحوله وقوته، وهذه الآية رد على أهل القدر الذين يدعون الاستطاعة لأنفسهم دون الله تعالى"[٤].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى أنه إذا مس الناس ضرّ ، دعوه منيبين إليه ، مخلصين له الدين ؛ ولهذا قال : { وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إلا إِيَّاهُ }، أي : ذهب عن قلوبكم كل ما تعبدون غير الله ، كما اتفق لعكرمة بن أبي جهل لما ذهب فارًا من رسول الله ﷺ حين فتح مكة ، فذهب هاربًا ، فركب في البحر ليدخل الحبشة ، فجاءتهم ريح عاصف ، فقال القوم بعضهم لبعض : إنه لا يغني عنكم إلا أن تدعو الله وحده. فقال عكرمة في نفسه : والله لئن كان لا ينفع في البحر غيره ، فإنه لا ينفع في البر غيره ، اللهم لك عليّ عهد ، لئن أخرجتني منه لأذهبن فَأضعن يدي في يديه، فلأجدنه رءوفًا رحيمًا. فخرجوا من البحر ، فرجع إلى رسول الله ﷺ فأسلم وحسن إسلامه ، رضي الله عنه وأرضاه"[٥].

وفي قوله تعالى:{وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ} [الإسراء : ٦٧]، وجهان[٦]:

أحدهما : بطل من تدعون سواه ، كما قال تعالى :{أضلَّ أعمالهم} [محمد : ١]، أي: أبطلها .

---

[١] انظر: أحكام القرآن للجصاص:١٣١/١.
[٢] انظر:تفسير ابن عثيمين: الفاتحة والبقرة:١٨٨/١، وشرح أسماء الحسنى في ضوء الكتاب والسنة:٨٤.
[٣] التفسير الميسر:٢٨٩.
[٤] تفسير التستري:٩٥.
[٥] تفسير ابن كثير:٩٦/٥.
[٦] انظر: النكت والعيون:٢٥٦/٣.

الثاني : معناه: غاب من تدعون، كما قال تعالى:{أئِذا ضَلَلْنا في الأرض} [السجدة : ١٠]، أي: غِبْنَا .

قوله تعالى:{فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ} [الإسراء : ٦٧]، أي:" فلمَّا نجاكم إلى البر أعرضتم عن الإيمان والإخلاص والعمل الصالح"[١].

قال ابن كثير:" أي : نسيتم ما عرفتم من توحيده في البحر ، وأعرضتم عن دعائه وحده لا شريك له"[٢].

قوله تعالى:{وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا} [الإسراء : ٦٧]، أي:" وكان الإنسان جحودًا لنعم الله عزَّ وجل"[٣].

قال ابن كثير:" أي : سَجِيَّتُه هذا ، ينسى النعم ويجحدها ، إلا من عصم الله "[٤].

الفوائد:

١- أن الكفار في زمن النبي ﷺ كانوا يعلمون علما يقينا أن ما ذكر من إجابة المضطر وكشف السوء عن المكروب، من خصائص الربوبية وكانوا إذا دهمتهم الكروب، كإحاطة الأمواج بهم في البحر، في وقت العواصف يخلصون الدعاء لله وحده، لعلمهم أن كشف ذلك من خصائصه فإذا أنجاهم من الكرب رجعوا إلى الإشراك.

٢- أن كفار قريش كانوا يدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع الله في الرخاء، وأما في الشدة فكانوا يخلصون لله الدعاء. كما قال تعالى: {وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا} [الإسراء: ٦٧]، إذا تعاظم عليهم الخطب، وتفاقم الكرب استحقروا الآلهة ورغبوا عنها، فيطلبون رفع ذلك من الله ولا يطلبونه منها.

٣- أن الغوث والغياث، لا يستحقه إلا الله، فهو غياث المستغيثين، فلا يجوز لأحد الاستغاثة بغيره، لا يملك مقرب، ولا نبي مرسل،أي بعد موته أو في حياته مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، ومن زعم أن أهل الأرض يرفعون حوائجهم التي يطلبون بها كشف الضر عنهم ... إلى الغوث فهو كاذب، قد كان المشركون كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: {وَإِذَا مَسَّكُمْ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ} وقال سبحانه: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاه}.

القرآن

{أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا (٦٨)} [الإسراء : ٦٨]

التفسير:

أغَفَلْتم -أيها الناس- عن عذاب الله، فأمنتم أن تنهار بكم الأرض خسفًا، أو يُمْطركم الله بحجارة من السماء فتقتلكم، ثم لا تجدوا أحدًا يحفظكم مِن عذابه؟

قوله تعالى:{أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ} [الإسراء : ٦٨]، أي:" أغَفَلْتم -أيها الناس- عن عذاب الله، فأمنتم أن تنهار بكم الأرض خسفًا"[٥].

وفي قوله تعالى:{أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ} [الإسراء : ٦٨]، وجهان[٦]:

أحدهما : يريد بعض البر وهو موضع حلولهم منه، فسماه جانبه لأنه يصير بعد الخسف جانباً .

الثاني : أنهم كانوا على ساحل البحر، وساحله جانب البر ، وكانوا فيه آمنين من أهوال البحر فحذرهم ما أمنوه من البر كما حذرهم ما خافوه من البحر .

---

[١] التفسير الميسر:٢٨٩.

[٢] تفسير ابن كثير:٩٦/٥.

[٣] التفسير الميسر:٢٨٩.

[٤] تفسير ابن كثير:٩٦/٥.

[٥] التفسير الميسر:٢٨٩.

[٦] انظر: النكت والعيون:٢٥٧/٣.

قوله تعالى:{أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا} [الإسراء : ٦٨]، أي:" أو يُمْطركم الله بحجارة من السماء فتقتلكم"[١].

قال النحاس:" أي: رجما من فوقكم"[٢].

وفي قوله تعالى:{أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا} [الإسراء : ٦٨]، وجهان:

أحدهما : يعني حجارة من السماء ، قاله قتادة[٣].

قال ابن جريج:" مطر الحجارة إذا خرجتم من البحر"[٤].

الثاني : إن «الحاصب»: الريح العاصف، سميت بذلك لأنها تحصب أي ترمي بالحصباء ، و«القاصف» الريح التي تقصف الشجر فتكسره، قاله الفراء[٥]، وأبو عبيدة[٦]، وابن قتيبة[٧]، والسجستاني[٨]، قال الفرزدق[٩]:

مُسْتَقْبِلِينَ شَمالَ الشَّامِ تَضْرِبُنَا ... بِحاصِبٍ كنَدِيفِ القُطْنِ مَنْثُورِ

أي: بصقيع.

قوله تعالى:{ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا} [الإسراء : ٦٨]، أي:" ثم لا تجدوا أحدًا يحفظكم مِن عذابه؟"[١٠].

قال قتادة:" أي: منعة ولا ناصرا"[١١].

قال ابن كثير:" أي : ناصرًا يرد ذلك عنكم ، وينقذكم منه"[١٢].

القرآن

{أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا (٦٩)} [الإسراء : ٦٩]

التفسير:

أم أمنتم -أيها الناس- ربكم، وقد كفرتم به أن يعيدكم في البحر مرة أخرى، فيرسل عليكم ريحًا شديدة، تكسِّر كل ما أتت عليه، فيغرقكم بسبب كفركم، ثم لا تجدوا لكم علينا أي تبعة ومطالبة؛ فإن الله لم يظلمكم مثقال ذرة؟

قوله تعالى:{أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى} [الإسراء : ٦٩]، أي:" أم أمنتم -أيها الناس- ربكم، وقد كفرتم به أن يعيدكم في البحر مرة أخرى"[١٣].

قال ابن كثير:" يقول تعالى : { أَمْ أَمِنْتُمْ } أيها المعرضون عنا بعدما اعترفوا بتوحيدنا في البحر ، وخرجوا إلى البر { أَنْ يُعِيدَكُمْ } في البحر مرة ثانية"[١٤].

قال أبو عبيدة:" {تارَةً أُخْرى} : مرّة أخرى والجميع تارات وتير"[١٥].

---

[١] التفسير الميسر:٢٨٩.
[٢] إعراب القرآن:٢/٢٧٩.
[٣] انظر: تفسير الطبري:١٧/٤٩٨.
[٤] أخرجه الطبري:١٧/٤٩٨.
[٥] حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون:٣/٢٥٧.
[٦] انظر:ك مجاز القرآن:١/٣٨٥.
[٧] انظر: غريب القرآن:٢٥٩.
[٨] انظر: غريب القرآن:٣٧٦.
[٩]ديوانه ٢٦٢ والكامل ٤٦٣، ومجاز القرآن لأبي عبيدة:١/٣٨٥، والطبري ١٧/ ٤٩٨، ٢٠/ ٨٧ والقرطبي ١٠/ ٢٩٢.
[١٠] التفسير الميسر:٢٨٩.
[١١] أخرجه الطبري:١٧/٤٩٨.
[١٢] تفسير ابن كثير:٥/٩٦.
[١٣] التفسير الميسر:٢٨٩.
[١٤] تفسير ابن كثير:٥/٩٦.
[١٥] مجاز القرآن:١/٣٨٥.

قوله تعالى:{فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ} [الإسراء : ٦٩]، أي:" فيرسل عليكم ريحًا شديدة، تكسِّر كل ما أتت عليه"[١].

قال ابن كثير:" أي : يقصف الصواري ويغرق المراكب "[٢].

قال أبو عبيدة:" أي: تقصف كل شيء أي تحطم، يقال: بعث الله عليهم ريحا عاصفا قاصفا لم تبق لهم ثاغية ولا راغية"[٣].

قال يحيى بن سلام:" «القاصف»: الريح الشديدة"[٤].

قوله تعالى:{فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ} [الإسراء : ٦٩]، أي:" فيغرقكم بسبب كفركم"[٥].

قال ابن كثير:" أي : بسبب كفركم وإعراضكم عن الله تعالى"[٦].

قوله تعالى:{ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا} [الإسراء : ٦٩]، أي:" ثم لا تجدوا لكم علينا أي تبعة ومطالبة؛ فإن الله لم يظلمكم مثقال ذرة"[٧].

قال أبو عبيدة:" أي: من يتبعنا لكم تبيعة ولا طالبا لنا بها"[٨].

قال ابن قتيبة:" أي: من يتبعنا بدمائكم، أي يطالبنا"[٩].

قال يحيى بن سلام:" لا تجدوا أحدا يتبعنا بذلك لكم، فينتصر لكم، وهو كقوله: {فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها} [الشمس: ١٤]، سوى عليها بالعذاب {ولا يخاف عقباها} [الشمس: ١٥] التبعة، فينتصر لهم"[١٠].

عن ابن عباس، قوله :"{ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا}، يقول نصيرا"[١١].

قال مجاهد:" ثائرا"[١٢].

قال قتادة:" أي: لا نخاف أن نتبع بشيء من ذلك"[١٣].

فوائد الآيتين[٦٨-٦٩]:

١- تخويف المشركين بأن الله تعالى قادر على أن يخسف بهم الأرض أو يرسل عليهم حاصبا من الريح فيهلكهم أو يردهم إلى البحر مرة أخرى ويرسل عليهم قاصفا من الريح فيغرقهم بسبب كفرهم بالله، وعودتهم إلى الشرك بعد دعائه تعالى والتضرع إليه حال الشدة.

٢- بيان سفه عقول المشركين، حيث إنهم يلتجئون إلى الله الواحد عند كل كرب في البحر والبر لتيقنهم أن أصنامهم لا تملك دفع المكروه عنهم وأن الله وحده هو الكاشف للبلاء، ثم يصرفون على عبادتها وإشراكها مع الله في الألوهية.

والعقل السليم لا يرضى بالتجاء صاحبه إلى إله في الشدة وإله آخر في الرخاء؛ لأن الإله المنجي من الكربات حقيق أن يكون إلهًا معبودًا وحده في الرخاء، كما في قصة إسلام حصين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "ولهذا قال النبي ﷺ

---

[١] التفسير الميسر:٢٨٩.
[٢] تفسير ابن كثير:٥/٩٦-٩٧.
[٣] مجاز القرآن:١/٣٨٥.
[٤] تفسير يحيى بن سلام:١/١٥٠.
[٥] التفسير الميسر:٢٨٩.
[٦] تفسير ابن كثير:٥/٩٧.
[٧] التفسير الميسر:٢٨٩.
[٨] مجاز القرآن:١/٣٨٥.
[٩] غريب القرآن:٢٥٩ .
[١٠] تفسير يحيى بن سلام:١/١٥٠.
[١١] أخرجه الطبري:١٧/٥٠٠.
[١٢] أخرجه الطبري:١٧/٥٠٠.
[١٣] أخرجه الطبري:١٧/٥٠٠.

لأبي عمران بن حصين: "كم تعبد اليوم إلهًا"؟ قال: ستة في الأرض وواحد في السماء. قال: "فأيهم تعد لرغبتك ورهبتك"؟ قال: الذي في السماء"[1].

٣- بيان ضلال المشركين ونظرتهم القاصرة حين يجعلون حاجتهم إليه محصورة في زمن اشتداد العاصفة، وكأنما خلوصهم إلى البر استغناء عنه ومأمنة من عقابه.

القرآن

{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٧٠)} [الإسراء : ٧٠]

التفسير:

ولقد كرَّمنا ذرية آدم بالعقل وإرسال الرسل، وسَخَّرنا لهم جميع ما في الكون، وسَخَّرنا لهم الدواب في البر والسفن في البحر لحملهم، ورزقناهم من طيبات المطاعم والمشارب، وفضَّلناهم على كثير من المخلوقات تفضيلا عظيمًا.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ} [الإسراء : ٧٠]، أي:" لقد شرفنا ذرية آدم على جميع المخلوقات بالعقل، والعلم، والنطق، وتسخير جميع ما في الكون لهم"[2].

قال ابن أبي زمنين:" أي: فضلنا بني آدم على البهائم والسباع والهوام"[3].

قال أبو عبيدة:" أي: أكرمنا، إلا أنها أشدّ مبالغة فى الكرامة"[4].

قال الجصاص:" قوله تعالى:{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ}، أطلق ذلك على الجنس وفيهم الكافر المهان على وجهين:

أحدهما: أنه كرمهم بالإنعام عليهم وعاملهم معاملة المكرم بالنعمة على وجه المبالغة في الصفة.

والوجه الآخر: أنه لما كان فيهم من على هذا المعنى أجرى الصفة على جماعتهم كقوله: {كنتم خير أمة أخرجت للناس} [آل عمران: ١١٠] لما كان فيهم من هو كذلك أجرى الصفة على الجماعة"[5].

وفي قوله تعالى:{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ} [الإسراء : ٧٠]، وجوه[6]:

أحدها : يعني: كرمناهم بإنعامنا عليهم[7].

الثاني : كرمناهم بأن جعلنا لهم عقولاً وتمييزاً[8].

حكي الثعلبي عن ابن عباس، قال: بالعقل"[9].

الثالث : بأن جعلنا منهم خير أمة أخرجت للناس[10].

الرابع : بأن جعلناهم يأكلون بأيديهم وسائر الخلق يأكلون بأفواههم. قاله ابن عباس[11]، وابن جريج[12]، والكلبي[13]، ومقاتل[14].

---

[1] مجموع الرسائل الكبرى ص٣٢٠ وكتاب الأصنام للكلبي ص٧.
[2] صفوة التفاسير:١٥٦/٢.
[3] تفسير ابن ابي زمنين:٣٢/٣.
[4] مجاز القرآن:٣٨٦/١.
[5] أحكام القرآن:٢٦٧/٣.
[6] انظر: النكت والعيون:٢٥٧/٣.
[7] انظر: النكت والعيون:٢٥٧/٣.
[8] انظر: النكت والعيون:٢٥٧/٣.
[9] انظر: الكشف والبيان:١١٤/٦.
[10] انظر: النكت والعيون:٢٥٧/٣.
[11] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٣٤٤):ص٢٣٣٩/٧.
[12] انظر: تفسير الطبري:٥٠١/١٧.
[13] انظر: النكت والعيون:٢٥٧/٣.
[14] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٤١/٢-٥٤٢.

قال ابن جريج:" في اليدين يأكل بهما، ويعمل بهما، وما سوى الإنس يأكل بغير ذلك"[١].
الخامس : كرمناهم بالأمر والنهي[٢].
السادس : كرمناهم بالكلام والخط .[٣]
السابع : كرمناهم بالنطق وثم التمييز. قاله الضحاك[٤].
الثامن: كرمناهم بأن سخّرنا جميع الخلق لهم[٥].
التاسع: بتعديل العامة وامتدادها. قاله عطاء[٦].
العاشر:بحسن الصورة. قاله يمان[٧].
الحادي عشر: بأن جعل محمد-ﷺ- منهم. قاله محمد بن كعب[٨].
الثاني عشر: وقيل: الرجال باللحي والنساء بالذواب[٩].
قال الزجاج:" فضلهم بالتمييز، وبأن سخر لهم ما في السماوات والأرض وبحملهم في البر والبحر"[١٠].
وقال الطبري:" بتسليطنا إياهم على غيرهم من الخلق، وتسخيرنا سائر الخلق لهم"[١١].
قال ابن قتيبة:" أي: شرفناهم وفضلناهم، [و] «الكريم»: الشريف الفاضل، قال الله تعالى: إن أكرمكم عند الله أتقاكم [الحجرات: ١٣]، أي: أفضلكم"[١٢].
قال ابن كثير:" يخبر تعالى عن تشريفه لبني آدم ، وتكريمه إياهم ، في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها كما قال : { لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ } [التين : ٤] أي : يمشي قائمًا منتصبًا على رجليه ، ويأكل بيديه - وغيره من الحيوانات يمشي على أربع ويأكل بفمه - وجعل له سمعًا وبصرًا وفؤادًا ، يفقه بذلك كله وينتفع به ، ويفرق بين الأشياء ، ويعرف منافعها وخواصها ومضارها في الأمور الدنيوية والدينية"[١٣].
قال ابن زيد:" قالت الملائكة: يا ربنا إنك أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون منها، ويتنعَّمون، ولم تعطنا ذلك، فأعطناه في الآخرة، فقال: وعزّتي لا أجعل ذرّية من خلقت بيدي، كمن قلت له: كن فكان"[١٤].
وروي متصلا عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي ﷺ قال : "إن الملائكة قالت : يا ربنا ، أعطيت بني آدم الدنيا ، يأكلون فيها ويشربون ويلبسون ، ونحن نسبح بحمدك ولا نأكل ولا نشرب ولا نلهو ، فكما جعلت لهم الدنيا فاجعل لنا الآخرة. قال : لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي ، كمن قلت له : كن ، فكان"[١٥].

---

[١] أخرجه الطبري:٥٠١/١٧.
[٢] انظر: النكت والعيون:٢٥٧/٣.
[٣] انظر: النكت والعيون:٢٥٧/٣.
[٤] انظر: الكشف والبيان:١١٤/٦.
[٥] انظر: النكت والعيون:٢٥٧/٣.
[٦] حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان:١١٥/٦.
[٧] حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان:١١٥/٦.
[٨] حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان:١١٥/٦.
[٩] حكاه الثعلبي في الكشف والبيان:١١٥/٦.
[١٠] معاني القرآن:٢٥٢/٣.
[١١] تفسير الطبري:٥٠١/١٧.
[١٢] غريب القرآن:٢٦٩.
[١٣] تفسير ابن كثير:٩٧/٥.
[١٤] أخرجه الطبري:٥٠١/١٧.
[١٥]في إسناده إبراهيم بن عبد الله المصيصي وهو كذاب ، ورواه في المعجم الأوسط برقم (٨٧) "مجمع البحرين" من طريق طلحة بن زيد عن صفوان بن سليم به ، وقال : "لم يروه عن صفوان إلا طلحة ، وأبو غسان محمد بن مطرف" وفي إسناده طلحة بن زيد وهو كذاب.

قوله تعالى:{وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} [الإسراء : ٧٠]، أي:" وحملناهم على ظهور الدواب والسفن"[١].

قال ابن كثير:" أي : على الدواب من الأنعام والخيل والبغال ، وفي "البحر" أيضًا على السفن الكبار والصغار"[٢].

قوله تعالى:{وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ} [الإسراء : ٧٠]، أي:" ورزقناهم من طيبات المطاعم والمشارب"[٣].

قال ابن أبي زمنين:" يعني: طيبات الطعام والشراب؛ فجعل رزقهم أطيب من رزق الدواب والطير والجن"[٤].

قال ابن كثير:" أي : من زروع وثمار ، ولحوم وألبان ، من سائر أنواع الطعوم والألوان ، المشتهاة اللذيذة ، والمناظر الحسنة ، والملابس الرفيعة من سائر الأنواع ، على اختلاف أصنافها وألوانها وأشكالها ، مما يصنعونه لأنفسهم ، ويجلبه إليهم غيرهم من أقطار الأقاليم والنواحي "[٥].

قوله تعالى:{وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} [الإسراء : ٧٠]، أي:" وفضَّلناهم على كثير من المخلوقات تفضيلا عظيمًا"[٦].

قال ابن كثير:" أي : من سائر الحيوانات وأصناف المخلوقات"[٧].

قال مقاتل:" يعني: بالتفضيل أكلهم بأيديهم"[٨].

الفوائد:

١- بيان منن الله تعالى على الإنسان وأفضاله عليه في تكريمه وتفضيله.

٢- استُدل بهذه الآية على أفضلية جنس البشر على جنس الملائكة[٩].

عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : "ما شيء أكرم على الله يوم القيامة من ابن آدم". قيل : يا رسول الله ولا الملائكة ؟ قال : "ولا الملائكة ، الملائكة مجبورون بمنزلة الشمس والقمر"[١٠].

القرآن

{يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧١)} [الإسراء : ٧١]

التفسير:

اذكر -أيها الرسول- يوم البعث مبشرًا ومخوفًا، حين يدعو الله عز وجل كل جماعة من الناس مع إمامهم الذي كانوا يقتدون به في الدنيا، فمن كان منهم صالحًا، وأُعطي كتاب أعماله بيمينه، فهؤلاء يقرؤون كتاب حسناتهم فرحين مستبشرين، ولا يُنْقَصون من ثواب أعمالهم الصالحة شيئًا، وإن كان مقدارَ الخيط الذي يكون في شَقِّ النواة.

قوله تعالى:{يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ} [الإسراء : ٧١]، أي:" اذكر -أيها الرسول- يوم البعث مبشرًا ومخوفًا، حين يدعو الله عز وجل كل جماعة من الناس مع إمامهم الذي كانوا يقتدون به في الدنيا"[١].

---

[١] صفوة التفاسير:١٥٦/٢.

[٢] تفسير ابن كثير:٩٧/٥.

[٣] التفسير الميسر:٢٨٩.

[٤] تفسير ابن ابي زمنين:٣٢/٣.

[٥] تفسير ابن كثير:٩٧/٥.

[٦] التفسير الميسر:٢٨٩.

[٧] تفسير ابن كثير:٩٧/٥.

[٨] تفسير مقاتل بن سليمان:٥٤٢/٢.

[٩] تفسير ابن كثير:٩٧/٥.

[١٠]قال الهيثمي في المجمع (٨٢/١) : "رواه الطبراني في الكبير ، وفيه عبيد الله بن تمام وهو ضعيف" قال ابن كثير:٩٨/٥:" وهذا حديث غريب جدًا".

وفي قوله تعالى:{يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ} [الإسراء : ٧١]، أقوال:
أحدها : بنبيّهم ، قاله مجاهد[٢]، وقتادة[٣]، وأنس[٤].

قال ابن كثير:" قال بعض السلف : هذا أكبر شرف لأصحاب الحديث ؛ لأن إمامهم النبي ﷺ"[٥].

الثاني : بكتابهم الذي أنزل عليهم، فيه أوامر الله ونواهيه ، قاله مجاهد[٦]، وابن زيد[٧].

قال ابن زيد:" بكتابهم الذي أنزل عليهم فيه أمر الله ونهيه وفرائضه، والذي عليه يحاسبون، وقرأ :{لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا}، قال: الشرعة: الدين، والمنهاج: السنة، وقرأ {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا} قال: فنوح أوّلهم، وأنت آخرهم"[٨].

الثالث : بكتب أعمالهم التي عملوها في الدنيا من خير وشر ، قاله ابن عباس[٩]، والحسن[١٠]، والضحاك[١١]، وأبو العالية[١٢]، واختاره ابن كثير[١٣].

قال ابن عباس:" «الإمام»: ما عمل وأملى، فكتب عليه، فمن بعث متقيا لله جَعَل كتابه بيمينه، فقرأه واستبشر، ولم يظلم فتيلا وهو مثل قوله (وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ) والإمام: ما أملى وعمل"[١٤].

قال الحسن:" بكتابهم الذي فيه أعمالهم"[١٥].

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ في قوله:"{يوم ندعوا كل أناس بإمامهم}، قال: يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه ويمد له في جسمه ستين ذراعا ويبيض وجهه ويجعل على رأسه تاجا من نور يتلألأ فينطلق إلى أصحابه فيرونه من بعيد فيقولون: اللهم ائتنا بهذا وبارك لنا في هذا حتى يأتيهم فيقول: أبشروا، لكل رجل منكم مثل هذا. وأما الكافر فيسود وجهه ويمد له في جسمه ستين ذراعا على صورة آدم ويلبس تاجا من نار فيراه أصحابه فيقولون: نعوذ بالله من شر هذا اللهم لا تأتنا بهذا قال: فيأتيهم فيقولون: ربنا أخره فيقول: أبعدكم الله فإن لكل رجل منكم مثل هذا»"[١٦].

قال ابن كثير: ويدل عليه :"قوله تعالى: { وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ } [يس : ١٢]. وقال تعالى : { وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا } [الكهف : ٤٩]، وقال تعالى : { وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } [الجاثية : ٢٨ ، ٢٩].

---

[١] التفسير الميسر:٢٨٩.
[٢] انظر: تفسير الطبري:٥٠٢/١٧.
[٣] انظر: تفسير الطبري:٥٠٢/١٧.
[٤] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٣٤٦):ص٢٣٣٩/٧.
[٥] تفسير ابن كثير:٩٩/٥.
[٦] انظر: تفسير الطبري:٥٠٣/١٧.
[٧] انظر: تفسير الطبري:٥٠٣/١٧،و تفسير ابن كثير:٩٩/٥.
[٨] أخرجه الطبري:٥٠٣/١٧.
[٩] انظر: تفسير الطبري:٥٠٢/١٧.
[١٠] انظر: تفسير الطبري:٥٠٢/١٧.
[١١] انظر: تفسير الطبري:٥٠٣/١٧.
[١٢] انظر: تفسير الطبري:٥٠٣/١٧.
[١٣] انظر: تفسير ابن كثير:٩٩/٥.
[١٤] أخرجه الطبري:٥٠٢/١٧.
[١٥] أخرجه الطبري:٥٠٢/١٧.
[١٦] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٣٤٧):ص٢٣٣٩/٧.

وهذا لا ينافي أن يجاء بالنبي إذا حكم الله بين أمته ، فإنه لا بد أن يكون شاهدا عليها بأعمالها ، كما قال : { وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ } [الزمر : ٦٩] ، وقال { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا } [النساء : ٤١].. ولكن المراد هاهنا بالإمام هو كتاب الأعمال"[1].

الرابع : بدينهم الذي ائتموا به. قاله الزجاج[2]. وهو اشبه بالقل السابق.

الخامس : المراد به الأمهات، أي ندعو كل إنسان بأمه، فيقال: يا فلان ابن فلانة.

قال الزمخشري:" ومن بدع التفاسير: أن «الإمام» جمع «أم»، وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم، وأن الحكمة في الدعاء بالأمهات دون الاباء رعاية حق عيسى عليه السلام، وإظهار شرف الحسن والحسين، وأن لا يفتضح أولاد الزنا. وليت شعري أيهما أبدع؟ أصحة لفظه أم بهاء حكمته؟"[3].

السادس: أي: بالذي اقتدوا به وجعلوه إماما. قاله أبو عبيدة[4].

وقال ابن عباس:" "إمام هدى وإمام ضلالة"[5].

قال الطبري:" وأولى هذه الأقوال عندنا بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: يوم ندعو كلّ أناس بإمامهم الذي كانوا يقتدون به، ويأتمُّون به في الدنيا، لأن الأغلب من استعمال العرب الإمام فيما ائتمّ واقتدي به، وتوجيه معاني كلام الله إلى الأشهر أولى ما لم تثبت حجة بخلافه يجب التسليم لها"[6].

قوله تعالى:{فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ} [الإسراء : ٧١]، أي:" فمن كان منهم صالحًا، وأُعطي كتاب أعماله بيمينه، فهؤلاء يقرؤون كتاب حسناتهم فرحين مستبشرين"[7].

قال ابن كثير:" أي : من فرحته وسروره بما فيه من العمل الصالح ، يقرؤه ويحب قراءته ، كما قال تعالى : { فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ } إلى أن قال : { وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ } [الحاقة : ١٩ - ٢٦]"[8].

قال الزمخشري:" فإن قلت: لم خص أصحاب اليمين بقراءة كتابهم؟ كأن أصحاب الشمال لا يقرؤن كتابهم.

قلت: بلى، ولكن إذا اطلعوا على ما في كتابهم، أخذهم ما يأخذ المطالب بالنداء على جناياته، والاعتراف بمساويه، أما التنكيل به والانتقام منه، من الحياء والخجل والانخزال، وحبسة اللسان، والتتعتع، والعجز عن إقامة حروف الكلام، والذهاب عن تسوية القول، فكأن قراءتهم كلا قراءة. وأما أصحاب اليمين فأمرهم على عكس ذلك، لا جرم أنهم يقرؤن كتابهم أحسن قراءة وأبينها، ولا يقنعون بقراءتهم وحدهم حتى يقول القارئ لأهل المحشر: {هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ} [الحاقة : ١٩]"[9].

قوله تعالى:{وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا} [الإسراء : ٧١]، أي:" ولا يُنْقَصون من ثواب أعمالهم الصالحة شيئًا، وإن كان مقدارَ الخيط الذي يكون في شَقِّ النواة"[10].

---

[1] تفسير ابن كثير:٩٩/٥.
[2] انظر: معاني القرآن:٢٥٢/٣-٢٥٣.
[3] الكشاف:٦٨٢/٢.
[4] انظر: مجاز القرآن:٣٨٦/١.
[5] أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٣٤٥):ص٢٣٣٩/٧.
[6] تفسير الطبري:٥٠٣/١٧.
[7] التفسير الميسر:٢٨٩.
[8] تفسير ابن كثير:٩٩/٥.
[9] الكشاف:٦٨٢/٢.
[10] التفسير الميسر:٢٨٩.

قال الزجاج:" ولا يظلمون مقدار فتيل"[١].
قال الواحدي:" يريد لا ينقصون من ثواب أعمالهم مثل فتيل النواة"[٢].
قال ابن كثير:"« الفتيل» هو الخيط المستطيل في شق النواة "[٣].
قال الزمخشري:" ولا ينقصون من ثوابهم أدنى شيء، {وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا} [مريم : ٦٠]، {فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا} [طه : ١١٢]"[٤].
وفي معنى «الفتيل»، أقوال:
أحدهما : أي: الفتيل الذي شق النواة ، وهو قول عطاء[٥]، وقتادة[٦]، ومجاهد[٧]، والضحاك[٨]، والضحاك[٨]، وابن زيد[٩]، وعطية العوفي[١٠]، وخصيف[١١]، وأبو عبيدة[١٢]، والحسن[١٣]، ومقاتل[١٤]، وابن قتيبة[١٥]، والزجاج[١٦]، وأحد قولي ابن عباس[١٧]. ومنه قول نابغة الذبياني[١٨]:
يجمع الجيش ذا الألوف ويغزو ... ثمّ لا يرزأ العدوّ فتيلا
الثاني : أنه ما انفتل بين الأصابع من الوسخ ، وهذا قول السدي[١٩]، وأبي مالك[٢٠]، وأحد قولي ابن عباس[٢١].
الفوائد:
١- الترغيب في الإقتداء بالصالحين ومتابعتهم والترهيب من الإقتداء بأهل الفساد ومتابعتهم.
٢- عدالة الله تعالى في الموقف بإقامة الحجة على العبد وعدم ظلمه شيئا.

القرآن

{وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا (٧٢)} [الإسراء : ٧٢]

التفسير:
ومن كان في هذه الدنيا أعمى القلب عن دلائل قدرة الله فلم يؤمن بما جاء به الرسول محمد ﷺ فهو في يوم القيامة أشدُّ عمى عن سلوك طريق الجنة، وأضل طريقًا عن الهداية والرشاد.

---

(١)معاني القرآن:٦٠/٢
(٢) التفسير البسيط:٦٠٩/٦.
(٣) تفسير ابن كثير:٩٩/٥.
(٤) الكشاف:٦٨٣/٢.
(٥) انظر: تفسير الطبري(٩٧٥٣):ص٤٥٨/٨.
(٦) انظر: تفسير الطبري(٩٧٥٦):ص٤٥٩/٨.
(٧) انظر: تفسير الطبري(٩٧٥٥)، و(٩٧٥٦):ص٤٥٨/٨.
(٨) انظر: تفسير الطبري(٩٧٥٨):ص٤٥٩/٨.
(٩) انظر: تفسير الطبري(٩٧٥٩):ص٤٥٩/٨.
(١٠) انظر: تفسير الطبري(٩٧٦٢):ص٤٥٩/٨.
(١١) انظر: تفسير الطبري(٩٧٦٢):ص٤٥٩/٨.
(١٢) انظر: تفسير ابن المنذر(١٨٦٤):ص٧٤١/٢.
(١٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٥٤٣٦):ص٩٧٣/٣.
(١٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٣٧٨/١.
(١٥) انظر: غريب القرآن:١١٣.
(١٦) انظر: معاني القرآن:٦٠/٢.
(١٧) انظر: تفسير الطبري(٩٧٥٢):ص٤٥٨/٨.
(١٨) ديوانه:٩٩.
(١٩) انظر: تفسير الطبري(٩٧٥٠):ص٤٥٨/٨.
(٢٠) انظر: تفسير الطبري(٩٧٤٩):ص٤٥٧/٨-٤٥٨.
(٢١) انظر: تفسير الطبري(٩٧٤٥)-(٩٧٤٨):ص٤٥٦/٨-٤٥٨، و(٩٧٥١):ص٤٥٨/٨.

قوله تعالى:{وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى} [الإسراء : ٧٢]، أي:" ومن كان في هذه الدنيا أعمى القلب عن دلائل قدرة الله فلم يؤمن بما جاء به الرسول محمد ﷺ، فهو في يوم القيامة أشدُّ عمى عن سلوك طريق الجنة"[١].

قال الزجاج:" وهذا من عمى القلب، أي: هو في الآخرة أشد عمى. وتأويله: أنه إذا عمي في الدنيا، وقد عرفه - جل وعلا - وجعل له إلى التوبة وصلة، وفسح له في ذلك إلى وقت مماته، فعمي عن رشده ولم يتب ففي الآخرة لا يجد متابا ولا متخلصا مما هو فيه، فهو في الآخرة أشد عمى"[٢].

قال الزمخشري:" الأعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته، لمن لا يهتدى إلى طريق النجاة: أما في الدنيا فلفقد النظر. وأما في الآخرة، فلأنه لا ينفعه الاهتداء إليه"[٣].

قال الطبري:" فإنما عُنِي به عمى، قلوب الكفار، عن حجج الله التي قد عاينتها أبصارهم، فلذلك جاز ذلك وحسُن"[٤].

عن مجاهد :"{فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى} قال: أعمى عن حجته في الآخرة"[٥].

وفي المشار إليه في قوله تعالى:{هَذِهِ} [الإسراء : ٧٢]، قولان:

القول الأول: أنها «الدنيا»، قاله مجاهد[٦]. ثم في معنى الكلام خمسة أقوال:

أحدها: من كان في الدنيا أعمى عن معرفة قدرة الله في خلق الأشياء، فهو عما وصف له في الآخرة أعمى. وهذا قول ابن عباس[٧].

قال ابن عباس:" ومن كان في الدنيا أعمى عما يرى من قدرتي من خلق السماء والأرض والجبال والبحار والناس والدواب وأشباه هذا فهو عما وصفت له في الآخرة ولم يره أعمى وأضل سبيلا يقول: أبعد حجة"[٨].

والثاني: من كان في الدنيا أعمى بالكفر، فهو في الآخرة أعمى، لأنه في الدنيا تقبل توبته، وفي الآخرة لا تقبل، قاله الحسن[٩].

والثالث: من عمي عن آيات الله في الدنيا، فهو عن الذي غيب عنه من أمور الآخرة أشد عمى.حكاه ابن الجوزي[١٠].

والرابع: من عمي عن نعم الله التي بينها في قوله تعالى: {ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر} إلى قوله: {تفضيلا}، فمن كان أعمى عن هذا النعيم الذي قد رأى وعاين فهو في أمر الآخرة التي لم تر ولم تعاين أعمى وأضل سبيلا. قاله ابن عباس[١١].

وقال محمد بن أبي موسى:" من عمي عن شكر هذه النعم في الدنيا، فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيل"[١٢].

وقال قتادة:" من كان في هذه الدنيا أعمى عما عاين فيها من نعم الله وخلقه وعجائبه {فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلا} فيما يغيب عنه من أمر الآخرة وأعمى"[١٣].

---

[١] التفسير الميسر:٢٨٩.
[٢] معاني القرآن:٢٥٣/٣.
[٣] الكشاف:٦٨٣/٢.
[٤] تفسير الطبري:٥٠٦/١٧.
[٥] أخرجه الطبري:٥٠٦/١٧.
[٦] انظر: تفسير الطبري:٥٠٤/١٧.
[٧] انظر: تفسير الطبري:٥٠٤/١٧، وتفسير ابن أبي حاتم(١٣٣٤٩):ص٢٣٤٠/٧.
[٨] تفسير ابن أبي حاتم(١٣٣٤٩):ص٢٣٤٠/٧.
[٩] انظر: زاد المسير:٤١/٣.
[١٠] انظر: زاد المسير:٤١/٣.
[١١] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٣٤٨):ص٢٣٣٩/٧.
[١٢] أخرجه الطبري:٥٠٤/١٧.
[١٣] أخرجه الطبري:٥٠٤/١٧.

وقال ابن الانباري:" فهو في الآخرة أعمى عن رشاده وصلاحه"[١].

وقال ابن زيد، وسئل عن قول الله تعالى "{وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلا}، فقرأ {إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ} {وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ} وقرأ {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ} وقرأ حتى بلغ {وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ} قال: كلّ له مطيعون، إلا ابن آدم. قال: فمن كانت في هذه الآيات التي يعرف أنها منا، ويشهد عليها وهو يرى قدرتنا ونعمتنا أعمى، فهو في الآخرة التي لم يرها أعمى وأضلّ سبيلا"[٢].

والخامس: من كان فيها أعمى عن الحجة، فهو في الآخرة أعمى عن الجنة، قاله أبو بكر الوراق[٣].

القول الثاني: أنها «النعم». ثم في الكلام قولان:

أحدهما: من كان أعمى عن النعم التي ترى وتشاهد، فهو في الآخرة التي لم تر أعمى، رواه عكرمة عن ابن عباس.

والثاني: من كان أعمى عن معرفة حق الله في هذه النعم المذكورة في قوله تعالى: {ولقد كرمنا بني آدم} ولم يؤد شكرها، فهو فيما بينه وبين الله مما يتقرب به إليه أعمى وأضل سبيلا، قاله السدي[٤].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: ومن كان في هذه الدنيا أعمى عن حجج الله على أنه المنفرد بخلقها وتدبيرها، وتصريف ما فيها، فهو في أمر الآخرة التي لم يرها ولم يعاينها، وفيما هو كائن فيها أعمى وأضلّ سبيلا يقول: وأضلّ طريقا منه في أمر الدنيا التي قد عاينها ورآها.

وإنما قلنا: ذلك أولى تأويلاته بالصواب، لأن الله تعالى ذكره لم يخصص في قوله (وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ) الدنيا {أَعْمَى} عمى الكافر به عن بعض حججه عليه فيها دون بعض، فيوجه ذلك إلى عماه عن نعمه بما أنعم به عليه من تكريمه بني آدم، وحمله إياهم في البرّ والبحر، وما عدد في الآية التي ذكر فيها نعمه عليهم، بل عمّ بالخبر عن عماه في الدنيا، فهم كما عمّ تعالى ذكره"[٥].

قوله تعالى:{وَأَضَلُّ سَبِيلًا} [الإسراء : ٧٢]، أي:" وأضل طريقًا عن الهداية والرشاد"[٦].

قال الزجاج:" أي: وأضل طريقا، لأنه لا يجد طريقا إلى الهداية فقد حصل على عمله"[٧].

قال السمعاني:" أي: أخطأ طريقا"[٨].

الفوائد:

١- عمى الدنيا عن الحق وشواهده سبب عمى الآخرة وموجباته من السقوط في جهنم.
٢- أن ضلالة هؤلاء الموصوفين عن الهدى دائم لا يزول مع معاينتهم الحقائق التي أخبرت بها الرسل.

القرآن

---

[١] انظر: زاد المسير:٤١/٣.
[٢] أخرجه الطبري:٥٠٥/١٧.
[٣] انظر: زاد المسير:٤١/٣.
[٤] انظر: زاد المسير:٤١/٣.
[٥] تفسير الطبري:١٧/:٥٠٥.
[٦] التفسير الميسر:٢٨٩.
[٧] معاني القرآن:٢٥٣/٣.
[٨] تفسير السمعاني:٢٦٤/٣.

{وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا (٧٣)} [الإسراء : ٧٣]

التفسير:

ولقد قارب المشركون أن يصرفوك -أيها الرسول- عن القرآن الذي أنزله الله إليك؛ لتختلق علينا غير ما أوحينا إليك، ولو فعلت ما أرادوه لاتخذوك حبيبًا خالصًا.

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها: قال سعيد بن جبير:" كان رسول الله ﷺ يستلم الحجر الأسود، فمنعته قريش، وقالوا: لا ندعه حتى يلم بآلهتنا، فحدث نفسه، وقال: ما علي أن ألم بها بعد أن يدعوني أستلم الحجر، والله يعلم أني لها كاره، فأبى الله، فأنزل الله :{ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَه} الآية"[١].

الثاني: قال عطاء عن ابن عباس: "نزلت في وفد ثقيف، أتوا رسول الله ﷺ، فسألوا شططا وقالوا: متعنا باللات سنة، وحرم وادينا كما حرمت مكة: شجرها وطيرها ووحشها. وأكثروا في المسألة، فأبى ذلك رسول الله ﷺ، ولم يجبهم. فأقبلوا يكررون مسألتهم، وقالوا: إنا نحب أن تعرف العرب فضلنا عليهم، فإن كرهت ما نقول، وخشيت أن تقول العرب: أعطيتهم ما لم تعطنا- فقل: الله أمرني بذلك. فأمسك رسول الله ﷺ، عنهم، وداخلهم الطمع، فصاح عليهم عمر: أما ترون رسول الله ﷺ أمسك عن جوابكم كراهية لما تجيئون به؟ وقد هم رسول الله ﷺ، أن يعطيهم ذلك. فأنزل الله تعالى هذه الآية"[٢].

الثالث: وقال قتادة: "ذكر لنا أن قريشا خلوا برسول الله ﷺ، ذات ليلة إلى الصبح، يكلمونه ويفخمونه ويسودونه ويقاربونه، فقالوا: إنك تأتي بشيء لا يأتي به أحد من الناس، وأنت سيدنا وابن سيدنا. وما زالوا به حتى كاد يقاربهم في بعض ما يريدون، ثم عصمه الله تعالى عن ذلك. فأنزل الله تعالى هذه الآية"[٣].

الرابع: وقال جبير:" إن قريشا أتو النبي ﷺ فقالوا له: إن كنت أرسلت إلينا فاطرد الذين اتبعوك من سقاط الناس ومواليهم لنكون نحن أصحابك فركن إليهم فأوحى الله إليه وإن كادوا ليفتنونك الآية"[٤].

الخامس: وقال محمد بن كعب القرظي:" أنزل الله والنجم إذا هوى فقرأ عليهم رسول الله ﷺ هذه الآية أفرأيتم اللات والعزى فألقى عليه الشيطان كلمتين تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى، فقرأ النبي ﷺ ما بقى من السورة وسجد، فأنزل الله: {وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك}، الآية، فما زال مغموما مهموما حتى أنزل الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِي}[٥]، الآية"[٦].

قوله تعالى:{وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ} [الإسراء : ٧٣]، أي:" ولقد قارب المشركون أن يصرفوك -أيها الرسول- عن القرآن الذي أنزله الله إليك"[٧].

قال السمعاني:" معناه: ليصرفونك عن الذي أوحينا إليك"[٨].

قوله تعالى:{لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ} [الإسراء : ٧٣]، أي:" لتختلق علينا غير ما أوحينا إليك"[١].

---

[١] أخرجه الطبري:٥٠٦/١٧، وعزاه في الدر (٤/ ١٩٤) لابن جرير وابن أبي حاتم، وذكره في لباب النقول ص ١٦٨

[٢] أسباب النزول للواحدي:٢٩٥.[بدون إسناد]

[٣] أسباب النزول للواحدي:٢٩٥.[مرسل]

[٤] تفسير ابن أبي حاتم(١٣٣٥٣):ص٢٣٤٠/٧.

[٥][الحج : ٥٢].

[٦] تفسير ابن أبي حاتم(١٣٣٥٤):ص٢٣٤٠/٧.

[٧] التفسير الميسر:٢٨٩.

[٨] تفسير السمعاني:٢٦٤/٣.

قال السمعاني:" أي: تقول علينا غير ما أنزلناه عليك"[2].
قوله تعالى:{وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا} [الإسراء : ٧٣]، أي:" ولو فعلت ما أرادوه لاتخذوك حبيبًا خالصًا"[3].
قال السمعاني:" أي: صاحبا ووديدا"[4].
قال الفراء:" معناه: لو فعلت لا تخذوك"[5].

الفوائد:

١- أن الإسلام دين سلام، وعقيدة حب ووئام، ونظام يستهدف أن يعيش العالم كله بظلِّه، وأن يقيم فيه منهجه، وأن يجمع الناس تحت لوائه إخوة متحابين ومتعاونين، وإن المسلم مطالب بالسماحة مع أعدائه، ولكنه منهي عن الموالاة لهم ومناصرتهم، والتحالف معهم لأنه مهما أبدى من السماحة والمودة فلن يرضى عنه الأعداء، حتى يقضوا على دينه، وحتى ينسلخ من عقيدته[6].

٢- أن الواجب على كل مسلم هو عدم التنازل عن شيء من دينه وعقيدته تحت وطأة تلك الأغراءات المتعددة ذلك أن أصحاب السلطان قد يستدرجون أصحاب الدعوات، ويغرونهم بالأسعار المرتفعة لكلماتهم، حتى يتنازلوا عن جوانب من هذا الدين، ويصدروا لهم الفتاوى التي تحل ما حرم الله، أو تحرم ما أحل الله، عند ذلك يفقد أدعياء العلم هيبتهم، وحصانتهم عند صاحب السلطان وعند الناس عامة، ويكون صاحب السلطان قد حقق مقصده فيهم بتلويث سمعتهم وسمعة الدعوة التي يمثلونها، ثم يرميهم كما ترمى الثياب الخلقة البالية، لا يؤبه لهم في قول أو فعل[7].

القرآن

{وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤)} [الإسراء : ٧٤]

التفسير:

ولولا أن ثبَّتناك على الحق، وعصمناك عن موافقتهم، لَقاربْتَ أن تميل إليهم شيئا من الميل فيما اقترحوه عليك، لقوة خداعهم وشدة احتيالهم، ولرغبتك في هدايتهم.
قوله تعالى:{وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ} [الإسراء : ٧٤]، أي:" ولولا أن ثبَّتناك على الحق، وعصمناك عن موافقتهم"[8].
قال يحيى بن سلام:" بالنبوة، عصمناك بها"[9].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ولولا أن ثبَّتناك يا محمد بعصمتنا إياك عما دعاك إليه هؤلاء المشركون من الفتنة"[10].
قوله تعالى:{لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا} [الإسراء : ٧٤]، أي:" لَقاربْتَ أن تميل إليهم شيئًا من الميل فيما اقترحوه عليك، لقوة خداعهم وشدة احتيالهم، ولرغبتك في هدايتهم"[11].
قال الطبري:" يقول: لقد كدت تميل إليهم وتطمئنّ شيئا قليلا وذلك ما كان ﷺ همّ به من أن يفعل بعض الذي كانوا سألوه فعله، فقال رسول الله ﷺ فيما ذكر حين نزلت هذه الآية...عن

---

[1] التفسير الميسر:٢٨٩.
[2] تفسير السمعاني:٢٦٥/٣.
[3] التفسير الميسر:٢٨٩.
[4] تفسير السمعاني:٢٦٥/٣.
[5] معاني القرآن:٢٧٤/١.
[6] انظر: الموالاة والمعاداة في الشريعة الاسلامية:٧١/١.
[7] انظر: الموالاة والمعاداة في الشريعة الاسلامية:٩٨/١.
[8] التفسير الميسر:٢٨٩.
[9] تفسير يحيى بن سلام:١٥٢/١.
[10] تفسير الطبري:٥٠٨/١٧.
[11] التفسير الميسر:٢٨٩.

قتادة، في قوله {وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلا}، فقال رسول الله ﷺ: لا تكلني إلى نَفْسي طَرْفَةَ عَيْنٍ»"[١].

قال السمعاني:" فإن قيل: النبي كان معصوما من الشرك والكبائر، فكيف يجوز أن يقرب مما طلبوه منه؛ والذي طلبوه منه كفر؟

الجواب من وجهين:

أحدهما: أنا نعتقد أن الرسول معصوم من الشرك والكبائر، ونحمل على أن ما وجد منه كان هما من غير عزم، وقد قال النبي: " إن الله تعالى وضع عن أمتي ما حدثت به نفسها ما لم تتكلم به أو تعمل " وفي الجملة الله أعلم برسوله من غيره.

وقد قال قتادة: "لما وقع هذا كان رسول الله يقول بعد ذلك: «اللهم، لا تكلني إلى نفسي طرفة عين»"[٢].

والجواب الثاني: وهو أنه قال: {ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن} وقد ثبته ولم يركن، وهذا مثل قوله تعالى: {ولولا فضل الله عليكم ورحمته} إلى أن قال: {إلا قليلا} وقد تفضل الله، ورحم، ولم يتبعوا الشيطان"[٣].

القرآن

{إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (٧٥)} [الإسراء : ٧٥]

التفسير:

ولو رَكَنت -أيها الرسول- إلى هؤلاء المشركين ركونًا قليلا فيما سألوك، إذًا لأذقناك مِثْلَي عذاب الحياة في الدنيا ومثْلَي عذاب الممات في الآخرة؛ وذلك لتمام نعمة الله عليك وكمال معرفتك بربك، ثم لا تجد أحدًا ينصرك ويدفع عنك عذابنا.

قوله تعالى:{إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ} [الإسراء : ٧٥]، أي:" ولو رَكَنت -أيها الرسول- إلى هؤلاء المشركين ركونًا قليلا فيما سألوك، إذًا لأذقناك مِثْلَي عذاب الحياة في الدنيا ومثْلَي عذاب الممات في الآخرة، وذلك لتمام نعمة الله عليك وكمال معرفتك بربك"[٤].

قال الفراء:" معناه: لو ركنت لأذقناك إذا"[٥].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: لو ركنت إلى هؤلاء المشركين يا محمد شيئا قليلا فيما سألوك إذن لأذقناك ضعف عذاب الحياة، وضعف عذاب الممات"[٦].

عن ابن عباس، قوله :"{إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ}، يعني: ضعف عذاب الدنيا والآخرة"[٧].

عن مجاهد :"{ضِعْفَ الْحَيَاةِ}، قال: عذابها، {وَضِعْفَ الْمَمَاتِ}، قال: عذاب الآخرة"[٨].

قال قتادة والضحاك:" أي: عذاب الدنيا والآخرة"[٩].

قوله تعالى:{ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا} [الإسراء : ٧٥]، أي:" ثم لا تجد أحدًا ينصرك ويدفع عنك عذابنا"[١٠].

---

[١] تفسير الطبري:١٧/٥٠٨.
[٢]أخرجه الطبري:١٧/٥٠٨، وذكره الثعلبي عن قتادة مرسلا، انظر: الكشف والبيان:٦/١١٨.
[٣] تفسير السمعاني:٣/٢٦٥-٢٦٦.
[٤] التفسير الميسر:٢٨٩.
[٥] معاني القرآن:١/٢٧٤.
[٦] تفسير الطبري:١٧/٥٠٨-٥٠٩.
[٧] اخرجه الطبري:١٧/٥٠٩.
[٨] اخرجه الطبري:١٧/٥٠٩.
[٩] اخرجه الطبري:١٧/٥٠٩.
[١٠] التفسير الميسر:٢٨٩.

قال يحيى بن سلام:" ينتصر لك بعد عقوبتنا إياك"[١].

قال الطبري:" يقول: ثم لا تجد لك يا محمد إن نحن أذقناك لركونك إلى هؤلاء المشركين لو ركنت إليهم، عذاب الحياة وعذاب الممات علينا نصيرا ينصرك علينا، ويمنعك من عذابك، وينقذك مما نالك منا من عقوبة"[٢].

قال الزمخشري في هذه الآية:" وفيه دليل على أن أدنى مداهنة للغواة مضادة لله وخروج عن ولايته، وسبب موجب لغضبه ونكاله، فعلى المؤمن إذا تلا هذه الآية أن يجثو عندها ويتدبرها، فهي جديرة بالتدبر، وبأن يستشعر الناظر فيها الخشية وازدياد التصلب في دين الله. وعن النبي ﷺ أنها لما نزلت كان يقول: «اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين»[٣]"[٤].

فوائد الآيات:[٧٤-٧٥]

١- حرمة الركون أي الميل لأهل الباطل بالتنازل عن شيء من الحق الثابت إرضاء لهم.

١- الوعيد الشديد لمن يرضى أهل الباطل تملقا لهم طمعا في دنياهم فيترك الحق لأجلهم.

٢- أن الإنسان مفتقر إلى تثبيت الله؛ وإلا هلك؛ لقوله تعالى: {واجعلنا مسلمين}؛ فإنهما مسلمان بلا شك: فهما نبيَّان؛ ولكن لا يدوم هذا الإسلام إلا بتوفيق الله؛ قال الله سبحانه وتعالى للرسول -ﷺ-: {ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلًا * إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات} [الإسراء: ٧٤، ٧٥].

القرآن

{وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (٧٦)} [الإسراء : ٧٦]

التفسير:

ولقد قارب الكفار أن يخرجوك من «مكة» بإزعاجهم إيَّاك، ولو أخرجوك منها لم يمكثوا فيها بعدك إلا زمنًا قليلا حتى تحل بهم العقوبة العاجلة.

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: قال ابن عباس: "حسدت اليهود مقام النبي ﷺ بالمدينة، فقالوا: إن الأنبياء إنما بعثوا بالشام، فإن كنت نبيا فالحق بها، فإنك إن خرجت إليها صدقناك وآمنا بك. فوقع ذلك في قلبه لما يحب من إسلامهم، فرحل من المدينة على مرحلة، فأنزل الله تعالى هذه الآية"[٥].

قال ابن كثير:" وهذا القول ضعيف ؛ لأن هذه الآية مكية ، وسكنى المدينة بعد ذلك."[٦].

ذلك."[٦].

الثاني: وقيل : إنها نزلت بتبوك"[٧].. قال ابن كثير:"في صحته نظر"[٨].

عن عبد الرحمن بن غَنْم :"أن اليهود أتوا رسول الله ﷺ يوما فقالوا : يا أبا القاسم ، إن كنت صادقًا أنك نبي ، فالحق بالشام ؛ فإن الشام أرض المحشر وأرض الأنبياء. فصدق ما قالوا ، فغزا غزوة تبوك ، لا يريد إلا الشام. فلما بلغ تبوك ، أنزل الله عليه آيات من سورة بني إسرائيل بعد ما ختمت السورة : { وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا } إلى قوله : { تَحْوِيلا } فأمره الله بالرجوع إلى المدينة ، وقال : فيها محياك ومماتك ، ومنها تبعث"[٩].

---

[١] تفسير يحيى بن سلام:١/١٥٢.

[٢] تفسير الطبري:١٧/٥٠٩.

[٣] لم أجده، وذكره الثعلبي عن قتادة مرسلا، انظر: الكشف والبيان:٦/١١٨.

[٤] الكشاف:٢/٦٨٥.

[٥] أسباب النزول للواحدي:٢٩٧-٢٩٨. [بدون إسناد]

[٦] تفسير ابن كثير:٥/١٠٠.

[٧] انظر: تفسير ابن كثير:٥/١٠٠.

[٨] تفسير ابن كثير:٥/١٠٠.

[٩] أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٥/٢٥٤)، وذكره الواحدي في أسباب النزول:٢٩٨. [بدون إسناد].

الثالث: وقال مجاهد وقتادة والحسن: "هم أهل مكة بإخراج رسول الله ﷺ من مكة، فأمره الله تعالى بالخروج. وأنزل هذه الآية إخبارا عما هموا به"[1].

قال ابن كثير:"وفي هذا الإسناد نظر. والأظهر أن هذا ليس بصحيح ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يغز تبوك عن قول اليهود ، إنما غزاها امتثالا لقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ } [التوبة : ١٢٣] ، وقوله تعالى : { قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ } [التوبة : ٢٩]. وغزاها ليقتص وينتقم ممن قتل أهل مؤتة ، من أصحابه ، والله أعلم"[2].

الثالث: وقيل : نزلت في كفار قريش ، هموا بإخراج الرسول من بين أظهرهم ، فتوعدهم الله بهذه الآية ، وأنهم لو أخرجوه لما لبثوا بعده بمكة إلا يسيرًا. وكذلك وقع ؛ فإنه لم يكن بعد هجرته من بين أظهرهم ، بعد ما اشتد أذاهم له ، إلا سنة ونصف. حتى جمعهم الله وإياه ببدر على غير ميعاد ، فأمكنه منهم وسلطه عليهم وأظفره بهم ، فقتل أشرافهم وسبى سراتهم[3].

قوله تعالى:{وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا} [الإسراء : ٧٦]، أي:" ولقد قارب الكفار أن يخرجوك من «مكة» بإزعاجهم إيَّاك"[4].

قال الطبري:" يقول عزّ وجلّ: وإن كاد هؤلاء القوم ليستخفونك من الأرض التي أنت بها ليخرجوك منها"[5].

وفي قوله تعالى:{لَيَسْتَفِزُّونَكَ} [الإسراء : ٧٦]، وجوه:

أحدهما : يقتلونك، قاله الحسن[6].

الثاني : يعنى: ليستزلونك من الأرض المدينة. قاله مقاتل[7].

الثالث: ليستخفونك. قاله الفراء[8]، والطبري[9].

يزعجونك باتسخفافك ، قاله ابن عيسى[10]. قال الشاعر :

يُطِيعُ سَفِيهَ القَوْمِ إذ يَسْتَفِزُّهُ ... ويعْصِي حَكِيماً شَيَّبَتْهُ الْهَزَاهِزُ

وفي قوله تعالى:{لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا} [الإسراء : ٧٦]، أقوال:

أحدها : أنهم اليهود أرادوا أن يخرجوا رسول الله -ﷺ- من المدينة ، فقالوا : إن أرض الأنبياء هي الشام وإن هذه ليست بأرض الأنبياء ، قاله سليمان التيمي[11].

الثاني : أنهم قريش هموا بإخراج النبي -ﷺ- من مكة قبل الهجرة ، قاله مجاهد[12]، وقتادة[13]، واختاره الطبري[14].

قال قتادة:" همّ أهل مكة بإخراج النبيّ ﷺ من مكة، ولو فعلوا ذلك لما توطنوا، ولكن الله كفهم عن إخراجه حتى أمره، ولقلما مع ذلك لبثوا بعد خروج نبيّ الله ﷺ من مكة حتى بعث الله عليهم القتل يوم بدر"[1].

---

[1] أسباب النزول للواحدي: ٢٩٨. [بدون إسناد]
[2] تفسير ابن كثير:١٠١/٥.
[3] انظر: تفسير ابن كثير:١٠١/٥.
[4] التفسير الميسر:٢٩٠.
[5] تفسير الطبري:٥١٠/١٧.
[6] انظر: النكت والعيون:٢٦١/٣.
[7] انظر: تفسي مقاتل بن سليمان:٥٤٥/٢.
[8] انظر: معاني القرآن:١٢٩/٢.
[9] انظر: تفسير الطبري:٥١٠/١٧.
[10] انظر: النكت والعيون:٢٦١/٣.
[11] انظر: تفسير الطبري:٥١٠/١٧.
[12] انظر: تفسير الطبري:٥١١/١٧.
[13] انظر: تفسير الطبري:٥١٠/١٧.
[14] انظر: تفسير الطبري:٥١١/١٧.

الثالث : أنهم أرادوا إخراجه من جزيرة العرب كلها لأنهم قد أخرجوه من مكة[٢].
الرابع : أنهم أرادوا قتله ليخرجوه من الأرض كلها ، قاله الحسن[٣].
قال الطبري:" وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب، قول قتادة ومجاهد، وذلك أن قوله {وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأرْضِ} في سياق خبر الله عزّ وجلّ عن قريش وذكره إياهم، ولم يجر لليهود قبل ذلك ذكر، فيوجه قوله {وَإِنْ كَادُوا} إلى أنه خبر عنهم، فهو بأن يكون خبرا عمن جرى له ذكر أولى من غيره"[٤].
قوله تعالى:{وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء : ٧٦]، أي:" ولو أخرجوك منها لم يمكثوا فيها بعدك إلا زمنًا قليلا حتى تحل بهم العقوبة العاجلة"[٥].
قال الطبري:" يقول: ولو أخرجوك منها لم يلبثوا بعدك فيها إلا قليلا حتى أهلكهم بعذاب عاجل"[٦].
قال الفراء:" يقول: إنك لو خرجت ولم يؤمنوا لنزل بهم العذاب"[٧].
قال مقاتل:" لم ينظروا من بعدك إلا يسيرا حتى يعذبوا في الدنيا"[٨].
قال مجاهد:" لو أخرجت قريش محمدا لعذّبوا بذلك"[٩].
قال قتادة:" فأهلكهم الله يوم بدر، ولم يلبثوا بعده إلا قليلا حتى أهلكهم الله يوم بدر"[١٠].
وفي قوله تعالى:{خِلَافَكَ} [الإسراء : ٧٦]، وجهان:
أحدهما: يعني: بعدك. قاله مقاتل[١١]، ويحيى بن سلام[١٢]، والطبري[١٣]، يقال: خلْفك وخلافك، وقد قرئا جميعاً بمعنى «بعدك»[١٤]، ومنه قول الشاعر[١٥]:
عَقَبَ الرذاذ خِلافَها فكأنَّمَا ... بسَط الشَّواطِبُ بَيْنَهُنَّ حَصِيرًا
الثاني: بمعنى مخالفتك ، ذكره ابن الأنباري[١٦].
وفي قوله تعالى:{إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء : ٧٦]، وجهان[١٧]:
أحدهما : أن المدة التي لبثوها بعده ما بين إخراجهم له إلى قتلهم يوم بدر، قال ابن عباس[١٨]، والضحاك[١٩]، واختاره الطبري[٢٠]، وهو قول من ذكر أنهم قريش.
قال ابن عباس:" يعني بالقليل يوم أخذهم ببدر، فكان ذلك هو القليل الذي لبثوا بعد"[٢١].

---

[١] أخرجه الطبري:٥١٠/١٧.
[٢] انظر: النكت والعيون:٢٦١/٣.
[٣] انظر: النكت والعيون:٢٦١/٣.
[٤]تفسير الطبري:٥١١/١٧ .
[٥] التفسير الميسر:٢٩٠.
[٦] تفسير الطبري:٥١٠/١٧.
[٧] معاني القرآن:١٢٩/٢.
[٨] تفسير مقاتل بن سليمان:٥٤٥/٢.
[٩] أخرجه الطبري:٥١١/١٧.
[١٠] اخرجه الطبري:٥١٠/١٧.
[١١] انظر: تفسير مقالت بن سليمان:٥٤٥/٢.
[١٢] انظر: تفسير يحيى بن سلام:١٥٢/١.
[١٣] انظر: تفسير الطبري:٥١١/١٧.
[١٤] انظر: تفسير الطبري:٥١٢/١٧.
[١٥]البيت للحارث بن خالد المخزومي (اللسان: خلف)، وتفسير الطبري:٥١١/١٧، وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٣٨٧) : "عفت الديار خلافها فكأنما".
[١٦] انظر: النكت والعيون:٢٦١/٣.
[١٧] انظر: النكت والعيون:٢٦١/٣-٢٦٢.
[١٨] انظر: تفسير الطبري:٥١١/١٧.
[١٩] انظر: تفسير الطبري:٥١١/١٧.
[٢٠] انظر: تفسير الطبري:٥١١/١٧.
[٢١]أخرجه الطبري:٥١١/١٧ .

قال الضحاك:" كان القليل الذي لبثوا بعد خروج النبيّ من بين أظهرهم إلى بدر، فأخذهم بالعذاب يوم بدر"[١].
الثاني : ما بين ذلك وقتل بني قريظة وجلاء بني النضير ، وهذا قول من ذكر أنهم اليهود .

القرآن
{سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (٧٧)} [الإسراء : ٧٧]
التفسير:
تلك سنة الله تعالى في إهلاك الأمة التي تُخرج رسولها من بينها، ولن تجد -أيها الرسول- لسنتنا تغييرًا، فلا خلف في وعدنا.
قوله تعالى:{سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا} [الإسراء : ٧٧]، أي:" تلك سنة الله تعالى في إهلاك الأمة التي تُخرج رسولها من بينها"[٢].
قال الفراء:" أي: يعذبون كسنة من قد أرسلنا"[٣].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: لو أخرجوك لم يلبثوا خلافك إلا قليلا ولأهلكناهم بعذاب من عندنا، سنتنا فيمن قد أرسلنا قبلك من رسلنا، فإنا كذلك كنا نفعل بالأمم إذا أخرجت رسلها من بين أظهرهم"[٤].
قال الزجاج:معناه:" أنا سننا هذه السنة فيمن أرسلنا قبلك من رسلنا. أنهم إذا أخرجوا نبيهم من بين أظهرهم أو قتلوه لم يلبثهم العذاب أن ينزل بهم، وكان خروج النبي - ﷺ - من مكة مهاجرا بأمر الله"[٥].
قال ابن كثير:" أي : هكذا عادتنا في الذين كفروا برسلنا وآذوهم : يخرج الرسول من بين أظهرهم : ويأتيهم العذاب. ولولا أنه عليه الصلاة و السلام رسول الرحمة ، لجاءهم من النقم في الدنيا ما لا قبل لأحد به، ؛ ولهذا قال تعالى : { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ } [الأنفال : ٣٣]"[٦].
قال قتادة:" أي: سنة الأمم والرسل كانت قبلك كذلك إذا كذبوا رسلهم وأخرجوهم، لم يناظروا أن الله أنزل عليهم عذابه"[٧].
قوله تعالى:{وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا} [الإسراء : ٧٧]، أي:" ولن تجد -أيها الرسول- لسنتنا تغييرًا، فلا خلف في وعدنا"[٨].
قال الطبري:" ولا تجد لسنتنا تحويلا عما جرت به"[٩].
قال الواحدي:" أي: ما أجرى الله به العادة لم يتهيأ لأحد أن يقبلها"[١٠].
قال ابن عباس: "لا خلف لسنتي ولا لقضائي ولا لموعدي"[١١].
فوائد الآيتين:[٧٦-٧٧]
١- إمضاء سنن الله تعالى وعدم تخلفها بحال من الأحوال.
٢- ومن الفوائد: ان كلمة«السنة»، تأتي لعدة معان، منها:

---
[١] أخرجه الطبري:٥١١/١٧ .
[٢] التفسير الميسر:٢٩٠.
[٣] معاني القرآن:١٢٩/٢.
[٤] تفسير الطبري:٥١٢/١٧.
[٥] معاني القرآن:٢٥٥/٣.
[٦] تفسير ابن كثير:١٠١/٥.
[٧] أخرجه الطبري:٥١٢/١٧.
[٨] التفسير الميسر:٢٩٠.
[٩] تفسير الطبري:٥١٢/١٧.
[١٠] التفسير الوسيط:١٢٠/٣.
[١١] حكاه عنه الواحدي في التفسير الوسيط:١٢٠/٣. دون الإسناد

أ- الطريقة المسلوكة، سواء أكانت محمود أم مذمومة. ومنه قوله -ﷺ: "من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء. ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء" [١].

ب- السيرة، وسنة رسول الله -ﷺ: سيرته التي كان يتحراها. فما ثبت عنه من قول، أو فعل، أو وصف، أو تقرير، قيل له سنة. يقول ابن الأثير: "وقد تكرر في الحديث ذكر السنة وما تصرف منها. والأصل منها: السيرة والطريقة"[٢].

ت- العادة. ومنه قوله عز وجل: {سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا} [الإسراء: ٧٧]؛ أي: هكذا عادتنا في الذين كفروا برسلنا وآذوهم، بخروج الرسول من بين أظهرهم، يأتيهم العذاب[٣].

أما السنة عند الأصوليين: فهي ما قاله رسول الله ﷺ، أو فعله، أو قرر عليه[٤].

القرآن

{أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨)} [الإسراء : ٧٨]

التفسير:

أقم الصلاة تامة من وقت زوال الشمس عند الظهيرة إلى وقت ظلمة الليل، ويدخل في هذا صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وأقم صلاة الفجر، وأَطِلِ القراءة فيها؛ إن صلاة الفجر تحضرها ملائكة الليل وملائكة النهار.

قوله تعالى:{أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ} [الإسراء : ٧٨]، أي:" أقم الصلاة تامة من وقت زوال الشمس عند الظهيرة إلى وقت ظلمة الليل، ويدخل في هذا صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء"[٥].

وفي معنى « دلوك الشمس»، قولان:

أحدهما : أنه غروبها، وأن الصلاة المأمور بها صلاة « المغرب»، ومنه قول ذي الرمة[٦]:

مَصَابيحُ لَيْسَتْ بالَّلوَاتي تَقُودُها ... نُجُومٌ ولا بالآفلاتِ الدَّوَالكِ

قاله ابن مسعود[٧]، وابن زيد[٨]، ورواه مجاهد عن ابن عباس[٩]، وهو مذهب أبي حنيفة[١٠].

عن إبراهيم، قال: "قال عبد الله حين غربت الشمس: هذا والله الذي لا إله غيره وقت هذه الصلاة. وقال: دلوكها: غروبها"[١١].

قال ابن عباس:" دلوك الشمس. غروبها، يقول: دلكت براح"[١٢].

قال ابن قتيبة:" {لِدُلُوكِ الشَّمْسِ} غروبها، لأن العرب تقول: دَلَكَ النجم؛ إذا غاب"[١٣].

---

[١] صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة.
[٢] النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢/ ٤٠٩.
[٣] انظر: تفسير ابن كثير:١٠١/٥.
[٤] انظر مذكرة في أصول الفقه للشيخ الشنقيطي ص٩٥.
[٥] التفسير الميسر:٢٩٠.
[٦] ديوانه: ٤٢٥.
[٧] انظر: تفسير الطبري:٥١٣/١٧-٥١٤.
[٨] انظر: تفسير الطبري:٥١٤/١٧.
[٩] انظر: تفسير الطبري:٥١٣/١٧.
[١٠] انظر/ النكت والعيون:٢٦٢/٣.
[١١] أخرجه الطبري:٥١٤/١٧.
[١٢] أخرجه الطبري:٥١٣/١٧. و«براح»: اسم الشمس.
[١٣] غريب القرآن:٢٥٩.

الثاني : أن «دلوك الشمس»: زوالها، والصلاة المأمور بها صلاة «الظهر»، وهذا قول ابن عباس في رواية الشعبي عنه[١]، وهو قول ابن عمر[٢]، وأبي برزة الأسلمي[٣]، والحسن[٤]، وقتادة[٥]، ومجاهد[٦]، والضحاك[٧]، وهو مذهب الشافعي[٨]، ومالك[٩].

قال أبو عبيدة:" «دلوك الشمس»: من عند زوالها إلى أن تغيب"[١٠].

وقد روي عن أبي مسعود عقبة بن عمرو، قال: "قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبرائيل عليه السلام لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر»[١١].

وعن عمر عن النبى - ﷺ -: فى قوله تعالى {أقم الصلاة لدلوك الشمس} قال لزوال الشمس"[١٢].

قال أبو برزة: "كان رسول الله ﷺ يصلي الظهر إذا زالت الشمس، ثم تلا :{أقم الصلاة لدلوك الشمس}"[١٣].

عن جابر بن عبد الله، قال: دعوت نبي الله ﷺ ومن شاء من أصحابه، فطعموا عندي، ثم خرجوا حين زالت الشمس، فخرج النبي ﷺ فقال: "اخرج يا أبا بكر قد دلكت الشمس"[١٤].

عن ابن عمر قال: " دلوك الشمس :ميلها بعد نصف النهار "[١٥].

الثالث: عني بذلك: الظهر والعصر. حكاه مكي بن ابي طالب[١٦].

قال الطبري:" الصواب قول من قال: عنى بقوله {أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ}: صلاة الظهر، وذلك أن الدلوك في كلام العرب: الميل، يقال منه: دلك فلان إلى كذا: إذا مال إليه، ومنه الخبر الذي رُوي عن الحسن أن رجلا قال له: أيُدالك الرجل امرأته؟ يعني بذلك: أيميل بها إلى المماطلة بحقها. ومنه قول الراجز[١٧]:

هَذَا مَقامُ قَدَميْ رَباحِ ... غُدْوَةَ حتى دَلَكَتْ بِرَاحِ

ويروى: براح بفتح الباء، فمن روى ذلك: بِراح، بكسر الباء، فإنه يعني: أنه يضع الناظر كفه على حاجبه من شعاعها، لينظر ما لقي من غيارها، وهذا تفسير أهل الغريب أبي عُبيدة والأصمعي وأبي عمرو الشيبانيّ وغيرهم"[١٨].

وقيل إن أصل «الدلوك» في اللغة هو: الميل ، والشمس تميل عند زوالها وغروبها فلذلك انطلق على كل واحدٍ منهما[١٩].

---

[١] انظر: تفسير الطبري:٥١٤/١٧.

[٢] انظر: تفسير الطبري:٥١٥/١٧.

[٣] انظر: تفسير الطبري:٥١٥/١٧.

[٤] انظر: تفسير الطبري:٥١٥/١٧.

[٥] انظر: تفسير الطبري:٥١٦/١٧.

[٦] انظر: تفسير الطبري:٥١٦/١٧.

[٧] انظر: تفسير الطبري:٥١٥/١٧.

[٨] قال البيهقيفي السنن الكبرى:٥٣٦/١:" قال الله جل ثناؤه {أقم الصلاة لدلوك الشمس} [الإسراء: ٧٨] قال الشافعي رضي الله عنه: دلوك الشمس زوالها".

[٩] انظر: النكت والعيون:٢٦٢/٣.

[١٠] مجاز القرآن:٣٨٧/١.

[١١] أخرجه الطبري:٥١٧/١٧.

[١٢] أخرجه (ابن مردويه)، [كنز العمال ٣١٧٤١]، وجامع الأحاديث(٣٠٤٠٧):ص٤٣٠/٢٧.

[١٣] أخرجه الطبري:٥١٨/١٧.

[١٤] أخرجه الطبري:٥١٨/١٧.

[١٥] أخرجه البيهقي في السنن الكبرى(١٧٠٤):ص٥٣٦/١.

[١٦] انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه:٤٢٦٥/٦.

[١٧] الرجز من شواهد الفراء في معاني القرآن: وروايته فيه: "ذبب" في موضع "غدوة" وهي كرواية (اللسان: برح).

[١٨] تفسير الطبري:٥١٦/١٧-٥١٧.

[١٩] انظر: النكت والعيون:٢٦٣/٣.

وأما «غسق الليل»، ففيه وجهان من التفسير:
أحدهما: أنه ظلام الليل، قاله الضحاك[١]، وابن زيد[٢]، الفراء[٣]، وابن عيسى[٤].
وسأل نافع بن الأزرق ابن عباس: «ما «الغسق»؟ قال الغاسق: الظلمة»[٥]، وأنشد بيت بيت زهير[٦]:
ظلَّتْ تَجُوب يَدَاهَا وهي لاهِيَةٌ ... حتى إذا أصبح الإظلامُ والغَسَق
قال الفراء:" أول ظلمته للمغرب والعشاء"[٧].
الثاني: أنه دنوّ الليل وإقباله، وهوقول ابن عباس[٨]، وقتادة[٩]، وعكرمة[١٠].
قال قتادة:" بدو الليل لصلاة المغرب"[١١].
وقال مجاهد:" غسق الليل: غروب الشمس"[١٢].
وفي الصلاة المأمور بها قولان:
أحدهما: أنها صلاة المغرب، وهو قول ابن عباس[١٣]، ومجاهد[١٤]، وقتادة[١٥]، والضحاك[١٦]، وبه قال الطبري[١٧].
الثاني: انها صلاة العصر. قاله أبو جعفر[١٨].
قال الطبري:" الصواب قول من قال: الصلاة التي أمر النبي ﷺ بإقامتها عند غسق الليل، هي صلاة المغرب دون غيرها، لأن غسق الليل هو ما وصفنا من إقبال الليل وظلامه، وذلك لا يكون إلا بعد مغيب الشمس. فأما صلاة العصر، فإنها مما تقام بين ابتداء دلوك الشمس إلى غسق الليل، لا عند غسق الليل"[١٩].
قوله تعالى:{وَقُرْآنَ الْفَجْرِ} [الإسراء : ٧٨]، أي:" وأقم صلاة الفجر، وأَطِلِ القراءة فيها"[٢٠].
وفي قوله تعالى:{وَقُرْآنَ الْفَجْرِ} [الإسراء : ٧٨]، ، وجهان من التفسير:
أحدهما: أي: ما تقرأ به صلاة الفجر من القرآن، وهذا قول ابن جرير الطبري[٢١].

---

[١] انظر: تفسير الطبري:٥١٩/١٧.
[٢] انظر: تفسير الطبري:٥١٩/١٧.
[٣] انظر: معاني القرآن:١٢٩/٢.
[٤] انظر: النكت والعيون:٢٦٣/٣ .
[٥] مسائل نافع بن الازرق:٢٥٥.
[٦] لم أجده في ديوانه، وورد في: "إيضاح الوقف والابتداء" ١/ ٨٩، و"الإتقان" ٢/ ٨٦، و"الدر المنثور" ٤/ ٣٥٤، وبرواية تجود في "تفسير الماوردي" ٣/ ٢٦٣، و"القرطبي" ١٠/ ٣٠٤، و"أبي حيان" ٦/ ٦٨، و"شرح القصائد السبع الطوال" ص ٥٥٩ بلا نسبة.
[٧] معاني القرآن:١٢٩/٢.
[٨] انظر: تفسير الطبري:٥١٩/١٧.
[٩] انظر: تفسير الطبري:٥١٩/١٧.
[١٠] انظر: تفسير الطبري:٥١٩/١٧.
[١١] اخرجه الطبري:٥١٩/١٧.
[١٢] اخرجه الطبري:٥١٩/١٧.
[١٣] انظر: تفسير الطبري:٥١٩/١٧.
[١٤] انظر: تفسير الطبري:٥١٩/١٧.
[١٥] انظر: تفسير الطبري:٥١٩/١٧.
[١٦] انظر: تفسير الطبري:٥١٩/١٧.
[١٧] انظر: تفسير الطبري:٥١٩/١٧.
[١٨] انظر: تفسير الطبري:٥١٩/١٧.
[١٩] تفسير الطبري:٥٢٠/١٧.
[٢٠] التفسير الميسر:٢٩٠.
[٢١] انظر: تفسير الطبري:٥٢٠/١٧.

الثاني : معناه: صلاة الصبح ، فسماها قرآناً لتأكيد القراءة في الصلاة ، وهذا قول ابن عباس[١]، عباس[١]، ومجاهد[٢]، وقتادة[٣]، والضحاك[٤]، وابن زيد[٥]، وكعب[٦]، والفراء[٧]، وابو عبيدة[٨]، وابن قتيبة[٩].

قال قتادة:"{وقرآن الفجر}: صلاة الصبح، كنا نحدث أن عندها يجتمع الحرسان من ملائكة الله حرس الليل وحرس النهار"[١٠].

قال كعب:" والذي نفس كعب بيده، إن هذه الآية {وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا}، إنها لصلاة الفجر إنها لمشهودة"[١١].

قال الشاعر في عثمان بن عفان رضي الله عنه-[١٢]:

ضَحَّوْا بِأَشْمَطَ عُنْوَانُ السّجُّودِ بِهِ ... يُقَطِّعُ الليلَ تَسْبِيحًا وقُرْآنا

قال ابن قتيبة:" أي: تسبيحًا وقراءة"[١٣].

قوله تعالى:{إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا} [الإسراء : ٧٨]، أي:" إن صلاة الفجر تحضرها ملائكة الليل وملائكة النهار"[١٤].

قال الطبري:" يقول: آن ما تقرأ به في صلاة الفجر من القرآن كان مشهودا، يشهده فيما ذكر ملائكة الليل وملائكة النهار"[١٥].

وفي قوله تعالى:{إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا} [الإسراء : ٧٨]، قولان:

أحدهما : إن من الحكمة أن تشهده بالحضور إليه في المساجد ، حكاه الماوردي عن ابن بحر[١٦].

الثاني : ان المراد به ما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ في هذه الآية :"{وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا}، قال: «تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار»"[١٧].

قال مجاهد:" تجتمع في صلاة الفجر ملائكة الليل وملائكة النهار"[١٨].

قال أبو عبيدة،"يشهده حرس الليل وحرس النهار من الملائكة في صلاة الفجر"[١٩].

---

[١] انظر: تفسير الطبري:٥٢١/١٧.
[٢] انظر: تفسير الطبري:٥٢٢/١٧.
[٣] انظر: تفسير الطبري:٥٢١/١٧.
[٤] انظر: تفسير الطبري:٥٢٢/١٧.
[٥] انظر: تفسير الطبري:٥٢٢/١٧.
[٦] انظر: تفسير الطبري:٥٢٢/١٧.
[٧] انظر: معاني القرآن:١٢٩/٢.
[٨]انظر: مجاز القرآن:٣٨٨/١ .
[٩]انظر: غريب القرآن:٢٦٠ .
[١٠] أخرجه الطبري:٥٢١/١٧.
[١١] أخرجه الطبري:٥٢٢/١٧.
[١٢]يروى لحسان بن ثابت كما في ديوانه ٤١٠ واللسان ١٧/ ١٦٨، ١٩/ ٢١١ والاقتضاب ٩٨ والبيان والتبيين ١/ ٢٢٠، ٣/ ٢٦٢ وهو غير منسوب في تفسير الطبري ١/ ٩٧ طبع المعارف ونسب إلى أوس بن مغراء، ونقل العيني في المقاصد النحوية بهامش الخزانة ٤/ ١٧ عن ابن السيرافي أنه لكثير بن عبد الله النهشلي، المعروف بابن الغريرة. ونقل البغدادي في الخزانة ٤/ ١١٨ عن ابن يعيش أنه لكثير هذا، وقيل لحسان. ومعنى ضحوا: أي ذبحوه كالأضحية. قال ابن بري: أي جعلوه بدل الأضحية، كأنهم قتلوه في أيام لحوم الأضاحي، وذلك يوم الجمعة لثمان عشرة ليلة خلت من ذي الحجة، سنة خمس وثلاثين من الهجرة. والشمط بالتحريك بياض الشعر من الرأس يخالط سواده.
[١٣] غريب القرآن:٣٣-٣٤.
[١٤] التفسير الميسر:٢٩٠.
[١٥] تفسير الطبري:٥٢٠/١٧.
[١٦] انظر: النكت والعيون:١٦٤/٣.
[١٧] أخرجه الطبري:٥٢٠/١٧.
[١٨] أخرجه الطبري:٥٢٢/١٧.
[١٩] أخرجه الطبري:٥٢١/١٧.

قال إبراهيم:" كانوا يقولون تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر فتشهد فيها جميعا، ثم يصعد هؤلاء ويقيم هؤلاء"[١].
قال الماوردي:"وفي هذا دليل على أنها ليست من صلاة الليل ولا من صلاة النهار"[٢].
عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله يفتح الذكر في ثلاث ساعات يبقين من الليل: في الساعة الأولى منهن ينظر في الكتاب الذي لا ينظر فيه أحد غيره فيمحوا ما يشاء ويثبت، ثم ينزل في الساعة الثانية إلى جنة عدن، وهي داره التي لم ترها عين، ولا تخطر على قلب بشر، وهي مسكنه، ولا يسكن معه من بني آدم غير ثلاثة: النبيين والصديقين والشهداء ثم يقول: طوبى لمن دخلك، ثم ينزل في الساعة الثالثة إلى السماء الدنيا بروحه وملائكته فتنتفض، فيقول: قومي بعوني، ثم يطلع إلى عباده، فيقول: من يستغفرني أغفر له، من يسألني أعطه، من يدعوني فأستجيب له حتى يطلع الفجر، فذلك حين يقول :{وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا}، قال موسى في حديثه: شهده الله وملائكة الليل وملائكة النهار. وقال ابن عسكر في حديثه: فيشهده الله وملائكة الليل وملائكة النهار "[٣].

القرآن

{وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا (٧٩)} [الإسراء : ٧٩]

التفسير:

وقم -أيها النبي- من نومك بعض الليل، فاقرأ القرآن في صلاة الليل؛ لتكون صلاة الليل زيادة لك في علو القدر ورفع الدرجات، عسى أن يبعثك الله شافعًا للناس يوم القيامة؛ ليرحمهم الله مما يكونون فيه، وتقوم مقامًا يحمدك فيه الأولون والآخرون.

قوله تعالى:{وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ} [الإسراء : ٧٩]، أي:" وقم -أيها النبي- من نومك بعض الليل، فاقرأ القرآن في صلاة الليل؛ لتكون صلاة الليل زيادة لك في علو القدر ورفع الدرجات"[٤].

قال أبو عبيدة:" أي: اسهر بصلاة أو بذكر الله، وهجدت: نمت أيضا"[٥].

قال ابن قتيبة:" أي: اسهر به. يقال: تهجدت: إذا سهرت. وهجدت: إذا نمت"[٦].

قال الراغب:" أي: تيقظ بالقرآن، وذلك حث على إقامة الصلاة في الليل المذكور في قوله: قم الليل إلا قليلا نصفه [المزمل: ٢- ٣]، و«المتهجد»: المصلي ليلا، وأهجد البعير: ألقى جرانه على الأرض متحريا للهجود"[٧].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ومن الليل فاسهر بعد نومة يا محمد بالقرآن، نافلة لك خالصة دون أمتك. والتهجد: التيقظ والسهر بعد نومة من الليل. وأما الهجود نفسه: فالنوم، كما قال الشاعر[٨]:

ألا طرقتنا والرفاق هجود ... فباتت بعلات النوال تجود

وقال الحطيئة[١]:

---

[١] أخرجه الطبري:٥٢١/١٧.
[٢] النكت والعيون:١٦٤/٣.
[٣] أخرجه الطبري:٥٢٠/١٧-٥٢١.
[٤] التفسير الميسر:٢٩٠.
[٥] مجاز القرآن:٣٨٩/١.
[٦] غريب القرآن:٢٦٠.
[٧] المفردات:٨٣٢-٨٣٣.
[٨] من شواهد الطبري:٥٢٣/١٧، والبيت لم أقف على قائله. وهجود: يجوز أن يكون مصدر هجد يهجد هجودا إذا نام، ويكون المراد منه: والرفاق ذوو هجود أو والرفاق هاجدون، فيكون بمعنى المشتق. ويجوز أن يكون هجود جمعا لهاجد بلا تأويل، كعقود جمع قاعد، وجلوس جمع جالس وحضور جمع حاضر. والعلات: جمع علة اسم للمرة من العل، وهو السقي الثاني بعد الأول. والنوال: ما يعطيه الحبيب حبيبه من ثمرة الحب. أفاده المحقق.

ألا طرقت هند الهنود وصحبتي ... بحوران حوران الجنود هجود"[٢].

وفي «التهجد» وجهان:

أحدهما : السهر بالتيقظ لما ينفي النوم ، سواء كان قبل النوم أو بعده. حكاه الماوردي[٣].

الثاني : أنه السهر بعد النوم ، قاله علقمة[٤]، والأسود[٥]، والحجاج بن عمرو[٦].

وقال الحسن:" التهجد: ما كان بعد العشاء الآخرة"[٧].

عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، عن رجل من الأنصار:" أنه كان مع رسول الله ﷺ في سفر، فقال: لأنظرن كيف يصلي رسول الله ﷺ، قال: فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم استيقظ، فرفع رأسه إلى السماء، فتلا أربع آيات من آخر سورة آل عمران {إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار} حتى مر بالأربع، ثم أهوى إلى القربة، فأخذ سواكا فاستن به، ثم توضأ، ثم صلى، ثم نام، ثم استيقظ فصنع كصنعه أول مرة، ويزعمون أنه التهجد الذي أمره الله"[٨].

وفي تخصيص النبي -ﷺ- بأنها نافلة له ثلاثة وجوه:

أحدها : تخصيصاً له بالترغيب فيها والسبق إلى حيازة فضلها ، اختصاصها بكرامته ، قاله علي بن عيسى[٩].

الثاني : لأنها فضيلة له، ولغيره كفارة ، قاله مجاهد[١٠].

قال مجاهد:" النافلة للنبي ﷺ خاصة من أجل أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فما عمل من عمل سوى المكتوبة، فهو نافلة من أجل أنه لا يعمل ذلك في كفارة الذنوب، فهي نوافل وزيادة، والناس يعملون ما سوى المكتوبة لذنوبهم في كفارتها، فليست للناس نوافل"[١١].

الثالث : لأنها عليه مكتوبة ولغيره مستحبة ، قاله ابن عباس[١٢].

قال ابن عباس:" يعني بـ«النافلة» أنها للنبي ﷺ خاصة، أمر بقيام الليل وكتب عليه"[١٣].

قال أبو أمامة: "إنما كانت النافلة للنبي ﷺ"[١٤].

قال قتادة: " أي: نفلا وغنيمة لك"[١٥].

قال أبو عبيدة:" أي: اسهر بصلاة أو بذكر الله، وهجدت: نمت أيضا"[١٦].

قال الطبري:" الصواب في ذلك، القول الذي ذكرنا عن ابن عباس، وذلك أن رسول الله ﷺ كان الله تعالى قد خصه بما فرض عليه من قيام الليل، دون سائر أمته، فأما ما ذكر عن مجاهد في ذلك، فقول لا معنى له، لأن رسول الله فيما ذكر عنه أكثر ما كان استغفارا لذنوبه بعد

---

[١]البيت للحطيئة (ديوانه طبعة الحميدية ص ١٠٣) . وقال شارحه: كل كورة من كور الشام: جند. وهجود: جمع هاجد، وهو النائم، ومثله قعود: جمع قاعد. ومحل الشاهد أن الهجود في الآية معناه: النوم، كما في بيت الحطيئة. مصدر هجد يهجد هجودا إذا نام. ويكون المصدر في معنى المشتق، أو يكون على معنى: والرفاق "ذوو هجود" ثم حذف المضاف، وأقيم المصدر مقامه.

[٢] تفسير الطبري:٥٢٣/١٧.

[٣] انظر: النكت والعيون:٢٦٤/٣.

[٤] انظر: تفسير الطبري:٥٢٤/١٧.

[٥] انظر: تفسير الطبري:٥٢٤/١٧.

[٦] انظر: تفسير الطبري:٥٢٤/١٧.

[٧] اخرجه الطبري:٥٢٤/١٧.

[٨] اخرجه الطبري:٥٢٣/١٧-٥٢٤.

[٩] انظر: النكت والعيون:٢٦٤/٣.

[١٠] انظر تفسير الطبري:٥٢٥/١٧.

[١١] أخرجه الطبري:٥٢٥/١٧.

[١٢] انظر تفسير الطبري:٥٢٥/١٧.

[١٣] أخرجه الطبري:٥٢٥/١٧.

[١٤] أخرجه الطبري:٥٢٥/١٧.

[١٥] أخرجه الطبري:٥٢٥/١٧.

[١٦] مجاز القرآن:٣٨٩/١.

نزول قول الله عز وجل عليه {ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر}، وذلك أن هذه السورة أنزلت عليه بعد منصرفه من الحديبية، وأنزل عليه {إذا جاء نصر الله والفتح} عام قبض. وقيل له فيها {فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا} فكان يعد له ﷺ في المجلس الواحد استغفار مائة مرة ومعلوم أن الله لم يأمره أن يستغفر إلا لما يغفر له باستغفاره ذلك، فبين إذن وجه فساد ما قاله مجاهد"[1].

وذكر النحاس عن ابن زيد في قوله تعالى: {ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا} [الإنسان: ٢٦]، قال: " كان هذا أول شيء فريضة، ثم خففها الله تعالى فقال جل وعز: {ومن الليل فتهجد به نافلة لك} [الإسراء: ٧٩] "[2].

قوله تعالى:{عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا} [الإسراء : ٧٩]، أي:" عسى أن يبعثك الله شافعًا للناس يوم القيامة؛ ليرحمهم الله مما يكونون فيه، وتقوم مقامًا يحمدك فيه الأولون والآخرون"[3].

قال الطبري:" لعل ربك أن يبعثك يوم القيامة مقاما تقوم فيه محمودا تحمده، وتغبط فيه..و«عسى» من الله واجبة، وإنما وجه قول أهل العلم: عسى من الله واجبة، لعلم المؤمنين أن الله لا يدع أن يفعل بعباده ما أطمعهم فيه من الجزاء على أعمالهم والعوض على طاعتهم إياه ليس من صفته الغرور، ولا شك أنه قد أطمع من قال ذلك له في نفعه، إذا هو تعاهده ولزمه، فإن لزم المقول له ذلك وتعاهده ثم لم ينفعه، ولا سبب يحول بينه وبين نفعه إياه مع الأطماع الذي تقدم منه لصاحبه على تعاهده إياه ولزومه، فإنه لصاحبه غار بما كان من إخلافه إياه فيما كان أطمعه فيه بقوله الذي قال له. وإذ كان ذلك كذلك، وكان غير جائز أن يكون جل ثناؤه من صفته الغرور لعباده صح ووجب أن كل ما أطمعهم فيه من طمع على طاعته، أو على فعل من الأفعال، أو أمر أو نهى أمرهم به، أو نهاهم عنه، فإنه موف لهم به، وإنهم منه كالعدة التي لا يخلف الوفاء بها، قالوا: عسى ولعل من الله واجبة"[4].

وفي قوله تعالى:{عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا} [الإسراء : ٧٩]، وجوه:

أحدها : أن المقام المحمود مقام الشفاعة للناس يوم القيامة ، قاله حذيفة بن اليمان[5]، وابن عباس[6]، والحسن[7]، ومجاهد-في أحد قوليه-[8]، وقتادة[9]، واختاره الطبري[10].

قال حذيفة:" يجمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي، فينفذهم البصر حفاة عراة، كما خلقوا سكوتا لا تكلم نفس إلا بإذنه، قال: فينادى محمد، فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك، والشر ليس إليك، والمهدي من هديت، وعبدك بين يديك، ولك وإليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، تباركت وتعاليت، سبحانك رب البيت، قال: فذلك المقام المحمود الذي ذكر الله :{عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا}"[11].

قال سلمان:" هو الشفاعة، يشفعه الله في أمته، فهو المقام المحمود"[12].

قال قتادة:" وقد ذكر لنا أن نبي الله ﷺ خير بين أن يكون نبيا عبدا، أو ملكا نبيا، فأومأ إليه جبرائيل عليه السلام: أن تواضع، فاختار نبي الله أن يكون عبدا نبيا، فأعطي به نبي الله

---

[1] تفسير الطبري:٥٢٥/١٧.
[2] الناسخ والمنسوخ:٧٥٩.
[3] التفسير الميسر:٢٩٠.
[4] تفسير الطبري:٥٢٦/١٧.
[5] انظر: تفسير الطبري:٥٢٧/١٧.
[6] انظر: تفسير الطبري:٥٢٧/١٧.
[7] انظر: تفسير الطبري:٥٢٧/١٧.
[8] انظر: تفسير الطبري:٥٢٧/١٧.
[9] انظر: تفسير الطبري:٥٢٧/١٧.
[10] انظر: تفسير الطبري:٥٢٩/١٧.
[11] أخرجه الطبري:٥٢٨/١٧.
[12] أخرجه الطبري:٥٢٨/١٧.

ثنتين: إنه أول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع. وكان أهل العلم يرون أنه المقام المحمود الذي قال الله تبارك وتعالى {عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا}، شفاعة يوم القيامة"[١].
الثاني : أنه إجلاسه على عرشه يوم القيامة ، رواه ليث عن مجاهد[٢].
الثالث : أنه إعطاؤه لواء الحمد يوم القيامة [٣].
الرابع : أن يكون المقام المحمود شهادته على أمته بما أجابوه من تصديق أو تكذيب ، كما قال تعالى : {وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا} [النساء : ٤١]. أفاده الماوردي[٤].
والصواب-والله أعلم- هو القول الاول، وذلك لما صح من الاخبار الواردة عن رسول الله-ﷺ-:
عن أبي هريرة عن رسول الله -ﷺ- ، في قوله :{عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا}، قال: "هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي"[٥].
عن كعب بن مالك، أن النبي ﷺ قال: " يحشر الناس يوم القيامة، فأكون أنا وأمتي على تل فيكسوني ربي حلة خضراء، ثم يؤذن لي، فأقول ما شاء الله أن أقول، فذاك المقام المحمود"[٦].
عن ابن عمر ان رسول الله -ﷺ- قال:" إن الشمس لتدنو حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم عليه السلام، فيقول لست صاحب ذلك ثم بموسى عليه السلام، فيقول كذلك، ثم بمحمد فيشفع بين الخلق حتى يأخذ بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا"[٧].
عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: "إني لأقوم المقام المحمود" فقال رجل: يا رسول الله، وما ذلك المقام المحمود؟ قال رسول الله ﷺ: "ذاك إذا جيء بكم حفاة عراة غرلا فيكون أول من يكسى إبراهيم عليه السلام، فيؤتى بريطتين بيضاوين، فيلبسهما، ثم يقعد مستقبل العرش، ثم أوتى بكسوتي فألبسها، فأقوم عن يمينه مقاما لا يقومه غيري يغبطني فيه الأولون والآخرون، ثم يفتح نهر من الكوثر إلى الحوض"[٨].
عن علي بن الحسين، أن النبي ﷺ قال: "إذا كان يوم القيامة مد الله الأرض مد الأديم حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه، قال النبي ﷺ: فأكون أول من يدعى وجبرائيل عن يمين الرحمن، والله ما رآه قبلها، فأقول: أي رب إن هذا أخبرني أنك أرسلته إلي، فيقول الله عز وجل: صدق، ثم أشفع، قال: فهو المقام المحمود"[٩].
فوائد الآيتين:[٧٨-٧٩]:
١- وجوب إقامة الصلاة وبيان أوقاتها المحددة لها.
٢- الترغيب في النوافل، وخاصة التهجد، أي: نافلة الليل.
فهذا أمر من الله عز وجل لرسوله ﷺ، وهو تعليم للأمة يدلّ على أن الصلوات المفروضة من أعظم ما يتوسل به العبد إلى ربه تبارك وتعالى، ومن أعظم ما يتوسل به العبد بعد الصلوات المفروضة إنما هو قيام الليل، حيث يستيقظ العبد في جوف الليل تاركاً لذيذ منامه ليناجي ربه، ويتضرع إليه.
٣- إن من أعظم ما يتوسل به كذلك قراءة القرآن الكريم، وخاصة في صلاة الفجر، ذلك الوقت الذي تشهده الملائكة الحفظة عليهم السلام الذين يكتبون أعمال بني آدم.

---

[١] أخرجه الطبري:٥٢٨/١٧.
[٢] انظر: تفسير الطبري:٥٢٩/١٧.
[٣] انظر: النكت والعيون:٢٦٥/٣.
[٤] انظر: النكت والعيون:٢٦٦/٣.
[٥] أخرجه الطبري:٥٢٩/١٧.
[٦] أخرجه الطبري:٥٢٩/١٧.
[٧] أخرجه الطبري:٥٢٩/١٧.
[٨] أخرجه الطبري:٥٣٠/١٧.
[٩] أخرجه الطبري:٥٣٠/١٧.

روى البخاري رحمه الله تعالى بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " تفضل صلاة الجمع صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين جزءا وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار فى صلاة الفجر"[١]. يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: {وقرآن الفجر إنّ قرآن الفجر كان مشهوداً} [الإسراء: ٧٨]

٤- تقرير الشفاعة العظمى للنبي ﷺ.

القرآن

{وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا (٨٠)} [الإسراء : ٨٠]

التفسير:

وقل: ربِّ أدخلني فيما هو خير لي مدخل صدق، وأخرجني مما هو شر لي مخرج صدق، واجعل لي مِن لدنك حجة ثابتة، تنصرني بها على جميع مَن خالفني.

سبب النزول:

قال ابن عباس:" كان النبيّ ﷺ بمكة، ثم أمر بالهجرة، فأنزل الله تبارك وتعالى اسمه، {وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا}"[٢].

قوله تعالى:{وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ} [الإسراء : ٨٠]، أي:" وقل: ربِّ أدخلني فيما هو خير لي مدخل صدق، وأخرجني مما هو شر لي مخرج صدق "[٣].

قال الماوردي:" الصدق ها هنا عبارة عن الصلاح وحسن العاقبة"[٤].

وفي قوله تعالى:{وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ} [الإسراء : ٨٠]، وجوه:

أحدها : أن مدخل الصدق دخوله إلى المدينة حين هاجر إليها ، ومخرج صدق بخروجه من مكة حين هاجر منها ، قالهابن عباس[٥]، والحسن[٦]، قتادة[٧]، وابن زيد[٨].

قال الحسن:" كفار أهل مكة لما ائتمروا برسول الله ﷺ ليقتلوه، أو يطردوه، أو يُوثِقوه، وأراد الله قتال أهل مكة، فأمره أن يخرج إلى المدينة، فهو الذي قال الله :{أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ}"[٩].

الثاني : أدخلني مدخل صدق إلى الجنة وأخرجني مخرج صدق من مكة إلى المدينة ، قاله الحسن[١٠].

الثالث : أدخلني مدخل صدق فيما أرسلتني به من النبوة ، وأخرجني منه بتبليغ الرسالة مخرج صدق ، وهذا قول مجاهد[١١].

---

[١] أخرجه البخارى (٢٣٢/١، رقم ٦٢١) ، والنسائى (٢٤١/١، رقم ٤٨٦) . وأخرجه أيضا: مسلم (٤٥٠/١، رقم ٦٤٩) ، وأبو عوانة (٣١٥/١، رقم ١١١٨) ، والبيهقى (٣٥٩/١، رقم ١٥٦٦).

[٢] اخرجه البري:٥٣٣/١٧.

[٣] التفسير الميسر:٢٩٠.

[٤] النكت والعيون:٢٦٧/٣.

[٥] انظر: تفسير الطبري:٥٣٣/١٧.

[٦] انظر: تفسير الطبري:٥٣٣/١٧.

[٧] انظر: تفسير الطبري:٥٣٣/١٧-٥٣٤

[٨] انظر: تفسير الطبري:٥٣٤/١٧.

[٩] اخرجه الطبري:٥٣٣/١٧.

[١٠] انظر: تفسير الطبري:٥٣٥/١٧.

[١١] انظر: تفسير الطبري:٥٣٤/١٧.

الرابع : أدخلني في الإسلام مدخل صدق ، وأخرجني من الدنيا مخرج صدق ، قاله أبو صالح[١].
الخامس : أدخلني مكة مدخل صدق وأخرجني منها مخرج صدق آمناً ، قاله الضحاك[٢].
السادس : أدخلني في قبري مدخل صدق(أمتني إماتة صِدْق)، وأخرجني منه مخرج صدق ، قاله ابن عباس[٣].
السابع : أدخلني فيما أمرتني به من طاعتك مدخل صدق ، وأخرجني مما نهيتني عنه من معاصيك مخرج صدق ، حكاه الماوردي عن بعض المتأخرين[٤].

قال الطبري:" وأشبه هذه الأقوال بالصواب في تأويل ذلك، قول من قال: معنى ذلك: وأدخلني المدينة مُدْخل صدق، وأخرجني من مكة مُخْرج صدق، لأن ذلك عقيب قوله :{وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلا قَلِيلا}، وقد دللنا فيما مضى، على أنه عَنَى بذلك أهل مكة؛ فإذ كان ذلك عقيب خبر الله عما كان المشركون أرادوا من استفزازهم رسول الله ﷺ، ليخرجوه عن مكة، كان بيِّنا، إذ كان الله قد أخرجه منها، أن قوله {وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ} أمر منه له بالرغبة إليه في أن يخرجه من البلدة التي هم المشركون بإخراجه منها مُخْرج صدق، وأن يدخله البلدة التي نقله الله إليها مُدْخل صدق"[٥].

قوله تعالى:{وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا} [الإسراء : ٨٠]، أي:" واجعل لي مِن لدنك حجة ثابتة، تنصرني بها على جميع مَن خالفني"[٦].

وفي قوله تعالى:{وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا} [الإسراء : ٨٠]، وجوه من التفسير:
أحدها : أن يجمع له بين القلوب باللين وبين قهر الأبدان بالسيف. أفاده الماوردي[٧].
الثاني : أن السلطة على الكافرين بالسيف، وعلى المنافقين بإقامة الحدود قاله الحسن[٨].
الثالث : حجة بيّنة ، قاله مجاهد[٩].
الرابع : يعني: مُلكاً عزيزاً أقهر به العصاة ، قاله قتادة[١٠]، وبه قال ابن كثير[١١].

قال قتادة:" وإن نبيّ الله علم أن لا طاقةَ له بهذا الأمر إلا بسلطان، فسأل سلطانا نصيرا لكتاب الله عزّ وجلّ، ولحدود الله، ولفرائض الله، ولإقامة دين الله، وإن السلطان رحمة من الله جعلها بين أظهر عباده، لولا ذلك لأغار بعضهم على بعض، فأكل شديدهم ضعيفهم"[١٢].

قال ابن كثير: وهو الأرجح: لأنه لا بد من الحق من قهر ممن عاداه، وناوأه ... وفي الحديث: إن الله لَيَزَع بالسلطان ما لا يَزَعُ بالقرآن" أي : ليمنع بالسلطان عن ارتكاب الفواحش والآثام ، ما لا يمتنع كثيرٌ من الناس بالقرآن ، وما فيه من الوعيد الأكيد ، والتهديد الشديد ، وهذا هو الواقع"[١٣].

---

[١] انظر: تفسير الطبري:٥٣٤/١٧.
[٢] انظر: تفسير الطبري:٥٣٤/١٧.
[٣] انظر: تفسير الطبري:٥٣٤/١٧.
[٤] انظر: النكت والعيون:٢٦٧/٣.
[٥] تفسير الطبري:٥٣٥/١٧.
[٦] التفسير الميسر:٢٩٠.
[٧] انظر: النكت والعيون:٢٦٧/٣.
[٨] انظر: النكت والعيون:٢٦٧/٣.
[٩] انظر: تفسير الطبري:٥٣٦/١٧.
[١٠] انظر: تفسير الطبري:٥٣٦/١٧.
[١١] تفسير ابن كثير:١١١/٥.
[١٢] أخرجه الطبري:٥٣٦/١٧.
[١٣] تفسير ابن كثير:١١١/٥.

ولهذا قال الإمام الحسن بن علي البربهاري رحمه الله: "إذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا سمعت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله تعالى"(١).

وقال الفضيل بن عياض: "لو كان لي دعوة مستجابة ما جعلتها إلا للسلطان، قيل له: يا أبا علي فَسِّر لنا هذا؟ قال: إذا جعلتها في نفسي لم تعْدُني، وإذا جعلتها في السلطان صلح، فصلح بصلاحه العباد والبلاد، فأُمرنا أن ندعو لهم بالصلاح، ولم نؤمر أن ندعو عليهم، وإن جاروا وظلموا؛ لأن جورهم وظلمهم على أنفسهم، وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين"(٢).

وهكذا أيضاً تكون النصيحة والدعاء للعلماء إذا حصل منهم قصور أو نسيان؛ لأنهم بشر وغير معصومين، وهم من أعظم ولاة أمر المسلمين، فلا يجوز سبهم، ولا التشهير بهم، ولا تتبع عثراتهم ونشرها بين الناس؛ لأن في ذلك فساداً كبيراً(٣).

ولهذا قال ابن عساكر رحمه الله تعالى: "اعلم يا أخي - وفقني الله وإياك لمرضاته، وجعلني وإياك ممن يتقيه حق تقاته - أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أسرار منتقصهم معلومة، وأن من أطال لسانه في العلماء بالثلب بلاه الله قبل موته بموت القلب، {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[النور:٦٣]، والله المستعان، وعليه التكلان"(٤).

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك أمر من الله تعالى نبيّه بالرغبة إليه في أن يؤتيه سلطانا نصيرا له على من بغاه وكاده، وحاول منعه من إقامته فرائض الله في نفسه وعباده، وإنما قلت ذلك أولى بالصواب، لأن ذلك عقيب خبر الله عما كان المشركون هموا به من إخراجه من مكة، فأعلمه الله عزّ وجلّ أنهم لو فعلوا ذلك عوجلوا بالعذاب عن قريب، ثم أمره بالرغبة إليه في إخراجه من بين أظهرهم إخراج صدق يحاوله عليهم، ويدخله بلدة غيرها، بمدخل صدق يحاوله عليهم ولأهلها في دخولها إليها، وأن يجعل له سلطانا نصيرا على أهل البلدة التي أخرجه أهلها منها، وعلى كلّ من كان لهم شبيها، وإذا أوتي ذلك، فقد أوتي لا شكّ حجة بينة"(٥).

الفوائد:

1- أن القوة المادية لها أهمية عظيمة في نشر الدعوات والأفكار مع القوة المعنوية والحجج والبراهين. فإن أي دعوة إذ لم يكن لديها من القوة ما يحميها ويذود عنها سرعان ما تتكالب عليها قوى الشر والطغيان حتى تستأصل خضراءها، قال تعالى:{ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً}}، فسأل سلطاناً نصيراً لكتاب الله ولحدود الله ولفرائض الله، ولإقامة دين الله، فإن السلطان رحمة من الله جعله بين أظهر عباده، ولولا ذلك لأغار بعضهم على بعض فأكل شديدهم ضعيفهم.

2- فضيلة الصدق، والصدق :ضد الكذب. وهو مطابقة الكلام للواقع بحسب اعتقاد المتكلم. والشجاعة، والصلابة والشدة، ومحض النصيحة والإخاء وكل ما نسب إلى الخير والصلاح أضيف إلى الصدق والأمر الصالح لا شية فيه من نقص أو كذب. وفي التنزيل قوله تعالى: {وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق ... } الآية.

3- الدعاء لولاة الأمر من المسلمين بالصلاح، فإنه من حقوق السلطان على رعيته الدعاء له؛ ولهذا كان السلف الصالح: كالفضيل بن عياض، والإمام أحمد بن حنبل، وغيرهما

---

(١)كتاب شرح السنة للإمام الحسن بن علي البربهاري رحمه الله تعالى، ص٥١.

(٢)كتاب شرح السنة للإمام الحسن بن علي بن خلف البربهاري المتوفى ٣٢٩هـ بتحقيق خالد بن قاسم الردادي، ص١١٦،مكتبة الغرباء. وانظر: طبقات الحنابلة،٢/ ٣٦،وحلية الأولياء،٨/ ٩١.

(٣) انظر: عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة:٧٩٢/٢.

(٤)انظر: رسالة لحوم العلماء مسمومة:١٤.

(٥) تفسير الطبري:٥٣٦/١٧.

يقولون: "لو كان لنا دعوة مستجابة لدعونا بها للسلطان"[1]، وما ذلك إلا لأن السلطان إذا صلح صلحت الرعية، وإذا فسد فسدت.

القرآن

{وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٨١)} [الإسراء : ٨١]

التفسير:

وقل -أيها الرسول- للمشركين: جاء الإسلام وذهب الشرك، إن الباطل لا بقاء له ولا ثبات، والحق هو الثابت الباقي الذي لا يزول.

قوله تعالى:{وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ} [الإسراء : ٨١]، أي:" وقل -أيها الرسول- للمشركين: جاء الإسلام وذهب الشرك"[2].

وفي قوله تعالى:{وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ} [الإسراء : ٨١]، ثلاثة وجوه:

أحدها : أن الحق هو القرآن، والباطل هو الشيطان، قاله قتادة[3]، وبه قال يحيى بن سلام[4]، والبغوي[5].

قال يحيى بن سلام:" «الباطل»، يعني: الشِّرك الذي ليس له أصل ثابت"[6].

الثاني : أن الحق الإسلام والباطل عبادة الأصنام ، قاله مقاتل[7].

الثالث : أن الحق الجهاد ، والباطل الشرك، قاله ابن جريج[8].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: أمر الله تبارك وتعالى نبيه ﷺ أن يخبر المشركين أن الحق قد جاء، وهو كل ما كان لله فيه رضا وطاعة، وأن الباطل قد زهق: يقول: وذهب كل ما كان لا رضا لله فيه ولا طاعة مما هو له معصية وللشيطان طاعة، وذلك أن الحق هو كل ما خالف طاعة إبليس، وأن الباطل: هو كل ما وافق طاعته، ولم يخصص الله عز ذكره بالخبر عن بعض طاعاته، ولا ذهاب بعض معاصيه، بل عم الخير عن مجيء جميع الحق، وذهاب جميع الباطل، وبذلك جاء القرآن والتنزيل، وعلى ذلك قاتل رسول الله ﷺ أهل الشرك بالله، أعني على إقامة جميع الحق، وإبطال جميع الباطل"[9].

قوله تعالى:{إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا} [الإسراء : ٨١]، أي:" ، إن الباطل لا بقاء له ولا ثبات، والحق هو الثابت الباقي الذي لا يزول"[10].

عن ابن عباس :"{إن الباطل كان زهوقا}، يقول: ذاهبا"[11].

قال يحيى بن سلام: "«الزهوق»: الداحض الذاهب"[12].

قال الصابوني:" أي: إن الباطل لا بقاء له ولا ثبوت لأنه يضمحل ويتلاشى، وإن كانت له صولةٌ وجولة فسرعان ما تزول كشعلة الهشيم ترتفع عالياً ثم تخبو سريعا"[13].

عن ابن مسعود، قال: "دخل رسول الله ﷺ مكة، وحول البيت ثلاثمائة وستون صنما، فجعل يطعنها ويقول: {جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا}"[1].

---

[1] انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ٢٨/ ٣٩١، وطبقات الحنابلة، ٢/ ٣٦.
[2] التفسير الميسر:٢٩٠.
[3] انظر: تفسير الطبري:٥٣٧/١٧.
[4] انظر: تفسير يحيى بن سلام:١٥٨/١.
[5] انظر: تفسير البغوي:١٢٢/٥.
[6] التصاريف لتفسير القرآن:٢٩٥.
[7] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٤٧/٢.
[8] انظر: تفسير الطبري:٥٣٧/١٧.
[9] تفسير الطبري:٥٣٨/١٧.
[10] التفسير الميسر:٢٩٠.
[11] أخرجه الطبري:٥٣٨/١٧.
[12] تفسير يحيى بن سلام:١٥٨/١.
[13] صفوة التفاسير:١٥٨/٢.

الفوائد:
١- ضعف الباطل وسرعة تلاشيه إذا صاوله الحق ووقف في وجهه.
٢- أن دينه سبحانه وتعالى هو الحق، وعبادته تعالى وحده لا شريك له هي الحق، وكل شيء ينسب إليه فهو حق.

القرآن
{وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (٨٢)} [الإسراء : ٨٢]
التفسير:
وننزل من آيات القرآن العظيم ما يشفي القلوب مِنَ الأمراض، كالشك والنفاق والجهالة، وما يشفي الأبدان برُقْيتها به، وما يكون سببًا للفوز برحمة الله بما فيه من الإيمان، ولا يزيد هذا القرآن الكفار عند سماعه إلا كفرًا وضلالا؛ لتكذيبهم به وعدم إيمانهم.
قوله تعالى:{وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} [الإسراء : ٨٢]، أي:" وننزل من آيات القرآن العظيم ما يشفي القلوب مِنَ الأمراض، كالشك والنفاق والجهالة، وما يشفي الأبدان برُقْيتها به، وما يكون سببًا للفوز برحمة الله بما فيه من الإيمان"[٢].
قال قتادة:" إذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه، {ولا يزيد الظالمين} به {إلا خسارا}، أنه لا ينتفع به ولا يحفظه ولا يعيه، وإن الله جعل هذا القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين"[٣].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وننزل عليك يا محمد من القرآن ما هو شفاء يستشفى به من الجهل من الضلالة، ويبصر به من العمى للمؤمنين ورحمة لهم دون الكافرين به، لأن المؤمنين يعملون بما فيه من فرائض الله، ويحلون حلاله، ويحرمون حرامه فيدخلهم بذلك الجنة، وينجيهم من عذابه، فهو لهم رحمة ونعمة من الله، أنعم بها عليهم"[٤].
قال مكي بن ابي طالب:" أي: ما يستشفي به المؤمنون ورحمة لهم دون الكافرين"[٥].
قال السمعاني:" قيل: إن " من " ها هنا للتجنيس لا للتبعيض. ومعناه: وننزل القرآن الذي منه الشفاء، وقيل: وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة أي: ما كله شفاء فيكون المراد من البعض هو الكل، كما قال الشاعر[٦]:
أَوْ يَعْتَلِقْ بَعْضَ النُّفوسِ حِمامُها... "[٧].
قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرًا عن كتابه الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ - وهو القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد - إنه : { شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ } أي : يذهب ما في القلوب من أمراض ، من شك ونفاق ، وشرك وزيغ وميل ، فالقرآن يشفي من ذلك كله. وهو أيضًا رحمة يحصل فيها الإيمان والحكمة وطلب الخير والرغبة فيه ، وليس هذا إلا لمن آمن به وصدقه واتبعه ، فإنه يكون شفاء في حقه ورحمة"[٨].

---

[١] أخرجه الطبري:٥٣٨/١٧.
[٢] التفسير الميسر:٢٩٠.
[٣] أخرجه الطبري:٥٣٩/١٧.
[٤] تفسير الطبري:٥٣٨/١٧.
[٥] الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٢٧٥/٦.
[٦] الشعر للبيد بن ربيعة، وتمامه:
« تَرَّاكُ أَمْكِنَةٍ إِذَا لَمْ أَرْضَهَا ... أَوْ يَعْتَلِقْ بَعْضَ النُّفوسِ حِمامُها»
انظر: البيت في من معلقته فى شرح العشر ٨، ومجاز القرآن لأبي عبيدة:٩٤/١، وتفسير الطبري:٦٣٥/٢١، وتفسير القرطبي ٤/ ٩٦، وشواهد الكشاف ٢٢٧.

[٧] تفسير السمعاني:٢٧١/٣.
[٨] تفسير ابن كثير:١١٢/٥.

وفي قوله تعالى:{وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} [الإسراء : ٨٢]، ثلاثة وجوه[١]:

أحدها : شفاء من الضلال ، لما فيه من الهدى .

قال النحاس:" أي: شفاء في الدين لما فيه من الدلائل الظاهرة والحجج الباهرة فهو شفاء للمؤمنين أن لا يلحقهم في قلوبهم مرض ولا ريب"[٢].

وقال أبو الليث :" أي: بيان من العمى"[٣].

قال الثعلبي:" أي: بيان من الضلالة والجهالة بين للمؤمن ما يختلف فيه ويشكل عليه، فيشفي به من الشبهة ويهدي به من الحيرة وإذا فعل ذلك رحمه الله، فهو شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها كما يشفي المريض إذا زالت العلل عنه"[٤].

الثاني : شفاء من السقم ، لما فيه من البركة.

حكي الواحدي عن ابن عباس: "يريد شفاءً من كل داء"[٥].

قال أبو الليث :" يقال: شفاء للبدن، إذا قرئ على المريض يبرأ، أو يهون عليه"[٦].

روي أن النبيّ -ﷺ- قال: "من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله"[٧].

الثالث : شفاء من الفرائض والأحكام ، لما فيه من البيان. وهذا معنى قول مقاتل[٨].

وتفسير «الرحمة» -ها هنا- على الوجوه الأُوَلِ الثلاثة[٩]:

أحدها : أنها الهدى .

الثاني : أنها البركة .

الثالث : أنها البيان.

قوله تعالى:{وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا} [الإسراء : ٨٢]، أي:" ولا يزيد هذا القرآن الكفار عند سماعه إلا كفرًا وضلالا؛ لتكذيبهم به وعدم إيمانهم"[١٠].

قال النحاس:" أي: يكفرون فيزدادون خسارا. وهذا مجاز"[١١].

قال الطبري:" يقول: ولا يزيد هذا الذي ننزل عليك من القرآن الكافرين به إلا إهلاكا، لأنهم كلما نزل فيه أمر من الله بشيء أو نهى عن شيء كفروا به، فلم يأتمروا لأمره، ولم ينتهوا عما نهاهم عنه، فزادهم ذلك خسارا إلى ما كانوا فيه قبل ذلك من الخسار، ورجسا إلى رجسهم قبل"[١٢].

قال البغوي:" لأن الظالم لا ينتفع به والمؤمن من ينتفع به فيكون رحمة له، وقيل: زيادة الخسارة للظالم من حيث أن كل آية تنزل يتجدد منهم تكذيب ويزداد لهم خسارة"[١٣].

---

[١] انظر: النكت والعيون:٢٦٨/٣.

[٢] إعراب القرآن:٢٨٢/٢.

[٣] انظر: بحر العلوم:٣٢٦/٢.

[٤] الكشف والبيان:١٢٨/٦.

[٥] التفسير البسيط:٤٥٣/١٣.

[٦] انظر: بحر العلوم:٣٢٦/٢.

[٧]ورد في "تفسير الثعلبي" ٩/ ١١٧ أب نصه عن رجاء الغنوي، و"الزمخشري" ٢/ ٣٧٣، و"الفخر الرازي" ٢١/ ٣٤، و"أسد الغابة" ٢/ ٢٧١ في ترجمة رجاء، وورد في "تفسير القرطبي" ١٠/ ٣١٥، و"كنز العمال" ١٠/ ٩ وعزاه إلى الدارقطني في الأفراد، وقد أشار إلى ضعف الحديث الذهبي -فيما نقله المناوي عنه في "الفيض" ١/ ٤٩١ في تاريخ الصحابة- فقال في ترجمة رجاء: هذا له صحبة، نزل البصرة، وله حديث لا يصح في فضل القرآن. أما الشوكاني فقد ذكره في "الموضوعات" [الفوائد المجموعة] ص ٢٩٦ وقال: هو موضوع، وقال الألباني: ضعيف جدًا. "سلسلة الأحاديث الضعيفة" (١٥٢) (١/ ٢٨٣).

[٨] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٤٧/٢.

[٩] انظر: النكت والعيون:٢٦٨/٣.

[١٠] التفسير الميسر:٢٩٠.

[١١] إعراب القرآن:٢٨٢/٢.

[١٢] تفسير الطبري:٥٣٨/١٧-٥٣٩.

[١٣] تفسير البغوي:١٢٣/٥.

قال ابن كثير:" وأما الكافر الظالم نفسه بذلك ، فلا يزيده سماعه القرآن إلا بعدًا وتكذيبًا وكفرًا. والآفة من الكافر لا من القرآن ، كما قال تعالى : { قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ } [فصلت : ٤٤] وقال تعالى : { وَإِذَا مَا أُنزلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ } [التوبة : ١٢٤ ، ١٢٥]. والآيات في ذلك كثيرة"[١].

قال الحسن: "والله ما جالس القرآن أحدٌ، إلا قام من عنده بزيادة، أو نقصان. دليله قوله: {وَنُنَزِّلُ مِنَ القرآن مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظالمين إَلاَّ خَسَاراً} [الإسراء: ٨٢]"[٢].

الفوائد:

١- القرآن شفاء لأمراض القلوب عامة ورحمة بالمؤمنين خاصة، فإن القرآن مشتملٌ على الشفاء والرحمة، وليس ذلك لكل أحد، وإنما ذلك كله للمؤمنين به، المصدقين بآياته، العاملين به.

أما الظالمون بعدم التصديق به، أو عدم العمل به، فلا تزيدهم آياته إلا خساراً، إذ به تقوم عليهم الحجة.

٢- أن قراءة القرآن على الوجه المأمور به تورث القلب الإيمان العظيم، وتزيده يقينا وطمأنينة وشفاء.

٣- أن الله تعالى هو الشافي من الأمراض والعلل والشكوك، وشفاؤه شفاءان أو نوعان:

- النوع الأول: الشفاء المعنوي الروحي، وهو الشفاء من علل القلوب:

والشفاء الذي تضمنه القرآن شفاء القلوب وشفاء الأبدان من آلامها وأسقامها، فالله - عز وجل - يهدي المؤمنين: {قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ} يهديهم لطريق الرشد، والصراط المستقيم، ويعلمهم من العلوم النافعة ما به تحصل الهداية التامة.

ويشفيهم الله تبارك وتعالى بهذا القرآن من الأسقام البدنية، والأسقام القلبية؛ لأن هذا القرآن يزجر عن مساوئ الأخلاق وأقبح الأعمال، ويحث على التوبة النصوح التي تغسل الذنوب، وتشفي القلوب.

وأما الذين لا يؤمنون بالقرآن ففي آذانهم صَمَمٌ عن استماعه، وإعراض، وهو عليهم عمىً، فلا يبصرون به رشداً ولا يهتدون به، ولا يزيدهم إلا ضلالاً، وهم يُدعون إلى الإيمان فلا يستجيبون، وهم بمنزلة الذي يُنادى وهو في مكان بعيد لا يسمع داعياً، ولا يجيب منادياً، والمقصود: أن الذين لا يؤمنون بالقرآن، لا ينتفعون بهداه، ولا يبصرون بنوره، ولا يستفيدون منه خيراً؛ لأنهم سدّوا على أنفسهم أبواب الهدى بإعراضهم وكفرهم[٣].

ويجد الإنسان مصداق هذا القول في كل زمان، وفي كل بيئة، فناس يفعل هذا القرآن في نفوسهم فينشئها إنشاءً، ويحييها إحياءً، ويصنع بها ومنها العظائم في ذاتها، وفيما حولها، وناس يثقل هذا القرآن على آذانهم وعلى قلوبهم، ولا يزيدهم إلا صمماً وعمىً، وقلوبهم مطموسة لا تستفيد من هذا القرآن.

وما تَغَيَّرَ القرآنُ، ولكن تغيرت القلوب[٤].

---

[١] تفسير ابن كثير:١١٢/٥.

[٢] حكاته عنه مكي بن ابي طالب في الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه:٣٦٦٩/٥.

[٣]انظر: تفسير العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ٣/ ٣٦٣، و٤/ ٣٠٩، و٦/ ٥٨٤، وتفسير ابن كثير، ٢/ ٢/ ٤٢٢، و٣/ ٦٠، و٤/ ١٠٤، وتفسير الجزائري أبو بكر، ٢/ ٢٨٦.

[٤]في ظلال القرآن، ٥/ ٣١٢٨.

فإن في قلوب المؤمنين الحنق والغيظ عليهم، فيكون قتالهم وقتلهم شفاء لما في قلوب المؤمنين من الغمّ، والهمّ؛ إذ يرون هؤلاء الأعداء محاربين لله ولرسوله، ساعين في إطفاء نور الله، فيزيل الله ما في قلوبهم من ذلك، وهذا يدل على محبة الله للمؤمنين، واعتنائه بأحوالهم(١).

- الشفاء المادي، وهو الشفاء من علل الأبدان:

والقرآن كما أنه شفاء للأرواح والقلوب فهو شفاء لعلل الأبدان كما تقدم؛ فإن فيه شفاء الأرواح والأبدان. فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أنّ ناساً من أصحاب النبي - ﷺ - أتوا على حي من أحياء العرب، فلم يُقْرُوهم، فبينما هم كذلك إذ لُدِغ سيد أولئك، فقالوا: هل معكم من دواء أو راقٍ؟ فقالوا إنكم لم تُقْرونا ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جعلاً، فجعلوا لهم قطيعاً من الشاء فجعل يقرأ بأم القرآن، ويجمع بزاقه ويتفل، فبرأ، فأتوا بالشاء فقالوا: لا نأخذ حتى نسأل النبي - ﷺ - فسألوه، فضحك وقال: "وما أدراك أنها رقية، خذوها واضربوا لي بسهم"(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها "أن النبي - ﷺ - كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عنه بيده، رجاء بركتها"(٣).

والمعوذات هي: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ}، و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}.

قال ابن القيم رحمه الله: "ومن المعلوم أن بعض الكلام له خواص ومنافع مجربة، فما الظنُّ بكلام رب العالمين الذي فضله على كل كلام كفضل الله على خلقه الذي هو الشفاء التام والعصمة النافعة، والنور الهادي والرحمة العامة، الذي لو أُنزِلَ على جبل لتصدع من عظمته وجلالته، قال تعالى: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ}[الإسراء:٨٢]، ومن هنا لبيان الجنس لا للتبعيض، هذا هو أصحُّ القولين"(٤).

وعلى هذا فالقرآن فيه شفاءٌ لأرواح المؤمنين، وشفاء لأجسادهم، والله - عز وجل - هو الشافي من أمراض الأجساد، وعلل الأبدان(٥).

٤- أن أنفع الأغذية غذاء الإيمان، وأنفع الأدوية دواء القرآن، وكل منهما فيه الغذاء والدواء، فمن طلب الشفاء في غير الكتاب والسنة فهو من أجهل الجاهلين، فإن الله تعالى يقول: {قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد} [فصلت: ٤٤] . وقال تعالى: {وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا} [الإسراء: ٨٢] . ومن في قوله: من القرآن لبيان الجنس، لا للتبعيض. وقال تعالى: {ياأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين} [يونس: ٥٧] .

فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، وما كل أحد يؤهل للاستشفاء به. وإذا أحسن العليل التداوي به، ووضعه على دائه بصدق وإيمان وقبول تام واعتقاد جازم واستيفاء شروطه: لم يقاوم الداء أبدا. وكيف

---

(١) تفسير العلامة السعدي رحمه الله، ٣/ ٢٠٦.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب الرقى بفاتحة الكتاب، برقم ٥٧٣٦، ومسلم في السلام، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار، برقم ٢٢٠١.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب الرقى بالقرآن والمعوذات، برقم ٥٧٣٥، ومسلم في كتاب السلام، باب رقية المريض بالمعوذات والنفث، برقم ٢١٩٢.

(٤) زاد المعاد:١٧٧/٤.

(٥) انظر: عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة:١٤٣/١-٢٤٧.

تقاوم الأدواء كلام رب الأرض والسماء، الذي لو نزل على الجبال لصدعها، أو على الأرض لقطعها؟ ! فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن سبيل الدلالة على دوائه وسببه والحمية منه، لمن رزقه الله فهما في كتابه[١].

القرآن

{وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا (٨٣)} [الإسراء : ٨٣]

التفسير:

وإذا أنعمنا على الإنسان من حيث هو بمال وعافية ونحوهما، تولَّى وتباعد عن طاعة ربه، وإذا أصابته شدة مِن فقر أو مرض كان قنوطًا؛ لأنه لا يثق بفضل الله تعالى، إلا من عصم الله في حالتي سرَّائه وضرَّائه.

قوله تعالى:{وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ} [الإسراء : ٨٣]، أي:" وإذا أنعمنا على الإنسان من حيث هو بمال وعافية ونحوهما"[٢].

قال مقاتل:" يعني الكافر بالخير، يعني: الرزق"[٣].

قال يحيى بن سلام:" يعني: المشرك، أعطيناه السعة والعافية"[٤].

قوله تعالى:{أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ} [الإسراء : ٨٣]، أي:"تولَّى وتباعد عن طاعة ربه"[٥].

قال مجاهد:" يقول: «تباعد منا»[٦].

قال أبو عبيدة:" أي: تباعد عنى"[٧].

قال مقاتل:" يقول: وتباعد بجانبه"[٨].

قال يحيى بن سلام:"{أعرض}عن الله"[٩].

قال سهل بن عبدالله:" يعني: عن الدعاء والشكر على ما أنعم به عليه، واشتغل بالنعمة، وافتخر بغير مفتخر به"[١٠].

قوله تعالى:{وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا} [الإسراء : ٨٣]، أي:" وإذا أصابته الشدائد والمصائب أصبح يائساً قانطاً من رحمة الله"[١١].

قال مقاتل:" يعنى: وإذا أصابه الفقر كان آيسا من الخير"[١٢].

قال يحيى بن سلام:" {وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ} الأمراض والشدائد"[١٣].

قال الصابوني:" الآية تمثيلٌ لطغيان الإنسان فإن أصابته النعم بطر وتكبَّر، وإن أصابته الشدة أيس وقنط كقوله:{إِنَّ الإنسان خُلِقَ هَلُوعاً إِذَا مَسَّهُ الشر جَزُوعاً وَإِذَا مَسَّهُ الخير مَنُوعاً} [المعارج: ١٩ - ٢١]"[١٤].

---

[١] انظر: شرح الطحاوية، تح: الارناؤوط:٣٦٣/٢.
[٢] التفسير الميسر:٢٩٠.
[٣] تفسير مقاتل بن سليمان:٥٤٧/٢.
[٤] تفسير يحيى بن سلام:١٥٨/١.
[٥] التفسير الميسر:٢٩٠.
[٦] تفسير مجاهد:٤٤١.
[٧] مجاز القرآن:١٩٨/٢.
[٨] تفسير مقاتل بن سليمان:٥٤٧/٢.
[٩] تفسير يحيى بن سلام:١٥٨/١.
[١٠] تفسير التستري:١٣٧.
[١١] صفوة التفاسير:١٥٩/٢.
[١٢] تفسير مقاتل بن سليمان:٥٤٧/٢.
[١٣] تفسير يحيى بن سلام:١٥٨/١.
[١٤] صفوة التفاسير:١٥٩/٢.

الفوائد:
١- بيان طبع المرء الكافر وبيان حال الضعف الملازم له.
٢- أن "الإنسان " يطلق ويراد به خاص ومعين؛ كما في قوله تعالى: {وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ} [الإسراء: ٨٣] [الإسراء / ٨٣] و[فصلت / ٥١]، {فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ} [الفجر: ١٥] [الفجر / ١٥]، وقوله: {وَيَقُولُ الإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا} [مريم: ٦٦] [مريم / ٦٦] .
فهذا ونحوه عام أريد به الخصوص، وهذا معروف في اللغة والاصطلاح الشرعي، مشهور عند أهل العلم مقرر في كتب أصول الفقه.

القرآن
{قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا (٨٤)} [الإسراء : ٨٤]
التفسير:
قل -أيها الرسول- للناس: كل واحد منكم يعمل على ما يليق به من الأحوال، فربكم أعلم بمن هو أهدى طريقًا إلى الحق.
قوله تعالى:{قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ} [الإسراء : ٨٤]، أي:" قل -أيها الرسول- للناس: كل واحد منكم يعمل على ما يليق به من الأحوال"[١].
وفي قوله تعالى:{قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ} [الإسراء : ٨٤]، وجوه من التفسير:
أحدها : على طبيعته على جِدَته. قاله مجاهد[٢].
الثاني : على طبيعته، قاله ابن عباس[٣].
الثالث : على دينه، و«الشاكلة»: الدين. قاله ابن زيد[٤].
الرابع:على ناحيته. قاله ابن عباس[٥]، وسعيد بن جبير[٦]، ومجاهد[٧]، وقتادة[٨]، والضحاك[٩]، والضحاك[٩]، وبه قال الفراء[١٠]، والطبري[١١].
قال قتادة:" على ناحيته وعلى ما ينوي"[١٢].
قال الفراء:" وسمعت بعض العرب من قضاعة يقول: وعبد الملك إذا ذاك على جديلته وابن الزبير على جديلته"[١٣]. قال ابن الجوزي:" يريد: على ناحيته"[١٤].
الخامس: على ناحيته وخليقته. ومنها قولهم: هذا من شكل هذا. قاله أبو عبيدة[١٥].
السادس: على نيته. قاله الحسن[١٦].
السابع: على طريقته وعلى مذهبه. قاله الزجاج[١].

---
[١] التفسير الميسر:٢٩٠.
[٢] حكاه عنه النحاس في معاني القرآن:١٨٨/٤.
[٣] حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون:٢٦٩/٣.
[٤] انظر: تفسير الطبري:٥٤١/١٧.
[٥] انظر: تفسير الطبري:٥٤١/١٧.
[٦] حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٥٠/٣.
[٧] انظر: تفسير الطبري:٥٤١/١٧.
[٨] انظر: تفسير الطبري:٥٤١/١٧.
[٩] حكاه عنه النحاس في معاني القرآن:١٨٨/٤.
[١٠] انظر: معاني القرآن:١٣٠/٢.
[١١] انظر: تفسير الطبري:٥٤٠/١٧.
[١٢] أخرجه الطبري:٥٤١/١٧.
[١٣] معاني القرآن:١٣٠/٢.
[١٤] زاد المسير:٥٠/٣.
[١٥] انظر: مجاز القرآن:٣٨٩/١.
[١٦] حكاه عنه النحاس في معاني القرآن:١٨٨/٤.

قال الزجاج: "ويدل عليه: (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا}، أي: أهدى طريقا. ويقال: هذا طريق ذو شواكل، أي يتشعب منه طرق"[2].
جماعة
الثامن: على عادته. حكاه الماوردي [3].
التاسع: على أخلاقه. حكاه الماوردي[4].
قلت: مؤدى هذه الأقوال واحد.
قال النحاس:" حقيقة المعنى -والله أعلم- :كل يعمل على النحو الذي جرت به عادته وطبعة والمعنى وليس ينبغي أن يكون كذلك إنما ينبغي أن يتبع الحق حيث كان وقد ظهرت البراهين وتبين الحق، وهذا يرجع الى قول الحسن"[5].
قال الواحدي: معناه:" على مذهبه وطريقته فالكافر يعمل ما يشبه طريقته من الإعراض عند الإنعام واليأس عند الشدَّة والمؤمن يفعل ما يشبه طريقته من الشكر عند الرَّخاء والصَّبر والاحتساب عند البلاء ألا ترى أنَّه قال: {فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً} أَيْ: بالمؤمن الذي لا يُعرض عند النِّعمة ولا ييئس عند المحنة"[6].
قوله تعالى:{فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا} [الإسراء : ٨٤]، أي:" فربكم أعلم بمن هو أهدى طريقًا إلى الحق"[7].
قال الطبري:" يقول: ربكم أعلم بمن هو منكم أهدى طريقا إلى الحقّ من غيره"[8].
قال يحيى بن سلام:" أي: فهو يعلم أن المؤمن أهدى سبيلا من الكافر"[9].
الفوائد:
١- تعليم الرسول ﷺ والمؤمنين كيف يتخلصون من الجدال الفارغ والحوار غير المثمر.
٢- أن العمل هو أثر النية والإرادة، فكل يعمل وفق ما يعتقد ويرى، وإن كل إنسان بحسب إرادته ونيته يعمل، ولا يوجد إنسان لا يعمل أبداً، فلابد أن يعمل، فإما أن يكون الكدح والعمل عَلَى نهج، فيه خير وسنة وطاعة، فهذا مقبول، وإما أن يكون العمل عَلَى نهج وطريقة فيها فجور وضلال وشر، فيكون العمل والكدح شراً ضائعا[10].

القرآن

{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (٨٥)} [الإسراء : ٨٥]

التفسير:
ويسألك الكفار عن حقيقة الروح تعنتًا، فأجبهم بأن حقيقة الروح وأحوالها من الأمور التي استأثر الله بعلمها، وما أُعطيتم أنتم وجميع الناس من العلم إلا شيئًا قليلا.
في سبب نزول الآية قولان:
أحدهما: أن رسول الله ﷺ مر بناس من اليهود، فقالوا: سلوه عن الروح، فقال بعضهم: لا تسألوه، فيستقبلكم بما تكرهون. فأتاه نفر منهم، فقالوا: يا أبا القاسم: ما تقول في الروح؟ فسكت، ونزلت هذه الآية، قاله ابن مسعود[11].[صحيح]

---

[1] معاني القرآن:٢٥٧/٣.
[2] معاني القرآن:٢٥٧/٣.
[3] انزر النكت والعيون:٢٦٩/٣.
[4] انزر النكت والعيون:٢٦٩/٣.
[5] معاني القرآن:١٨٨/٤.
[6] الوجيز:٦٤٦.
[7] التفسير الميسر:٢٩٠.
[8] تفسير الطبري:٥٤٠/١٧.
[9] تفسير يحيى بن سلام:١٥٩/١.
[10] انظر: شرح الطحاوية، سفر الحوالي:١٤١٦.[مرقم آليا]
[11]صحيح. أخرجه البخاري ١٢٥ و ٤٧٢١ و ٧٢٩٧ و ٧٤٥٦ و ٧٤٦٢ ومسلم ٤/ ٢١٥٢ والترمذي ٣١٤١

والثاني: أن اليهود قالت لقريش: سلوا محمدا عن ثلاث، فإن أخبركم عن اثنتين وأمسك عن الثالثة فهو نبي سلوه عن فتية فقدوا، وسلوه عن ذي القرنين، وسلوه عن الروح. فسألوه عنها، ففسر لهم أمر الفتية في الكهف، وفسر لهم قصة ذي القرنين، وأمسك عن قصة الروح، فنزلت هذه الآية، رواه عطاء عن ابن عباس[1].[ضعيف]

قوله تعالى:{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ} [الإسراء : ٨٥]، أي:" ويسألك الكفار عن حقيقة الروح تعنتًا"[2].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد ﷺ: ويسألك الكفار بالله من أهل الكتاب عن الروح ما هي؟"[3].

قال مجاهد:" يهود تسأله"[4].

وفي قوله تعالى:{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ} [الإسراء : ٨٥]، وجوه من التفسير:

أحدها : أنه جبريل عليه السلام ، قاله ابن عباس[5]، والحسن[6]، وقتادة[7]. كما قال تعالى: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ} [الشعراء : ١٩٣].

وقال قتادة: «وكان ابن عباس يكتمه»[8].

الثاني : ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه ، لكل وجه سبعون ألف لسان يسبح الله تعالى بجميع ذلك ، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه[9]، وهو مروي عن ابن عباس أيضا[10].

قال علي-رضي الله عنه-:"هو ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه، لكل وجه منها سبعون ألف لسان، لكل لسان منها سبعون ألف لغة يسبح الله عزّ وجلّ بتلك اللغات كلها، يخلق الله من كلّ تسبيحة مَلكا يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة"[11].

وقال ابن عباس:" «هو ملك واحد له عشرة آلاف جناح جناحان منها ما بين المشرق والمغرب ، له ألف وجه في كل وجه ألف وجه ، ولكل وجه ألف لسان وعينان وشفتان تسبحان الله إلى يوم القيامة»[12].

وقال السدي:" الروح ملك من الملائكة في السماء السابعة، ووجهه على صورة الإنسان وجسده على صورة الملائكة، وذلك قوله في عم يتساءلون: {يوم يقوم الروح} [النبأ: ٣٨] ، يعني ذلك الملك، وهو أعظم من كل مخلوق، وتحت العرش، وهو حافظ على الملائكة يقوم على يمين العرش صفا واحدا والملائكة صف، فذلك قوله: {ويسألونك عن الروح} [الإسراء: ٨٥] ، يعني ذلك الملك"[13].

والنسائي في «التفسير» ٣١٩ وأبو يعلى ٢٥٠١ والطبري ٢٢٦٧٥ و ٢٢٦٧٦ والواحدي في «الوسيط» ٣/ ١٢٤ من حديث ابن مسعود.

[1] ضعيف. أخرجه البيهقي في «الدلائل» ٢/ ٢٦٩- ٢٧١ من طريق ابن إسحاق قال: حدثني رجل من أهل مكة، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مطولا، وفيه راو لم يسم. وذكره الواحدي في «أسباب النزول»: ٥٩٠ نقلا عن المفسرين بنحوه. وفي «الوسيط» ٣/ ١٢٥ عن ابن عباس بدون إسناد. وهو بهذا اللفظ ضعيف. أما السؤال عن الروح فقد صح من حديث ابن مسعود الحديث المتقدم.

[2] التفسير الميسر:٢٩٠.

[3] تفسير الطبري:٥٤١/١٧.

[4] أخرجه الطبري:٥٤٣/١٧.

[5] انظر: تفسير الطبري:٥٤/١٧النكت والعيون:٢٦٩٤/٣.

[6] انظر: تفسير عبدالرزاق(١٦١٥):ص٣١٣/٢.

[7] انظر: تفسير الطبري:٥٤٤/١٧.

[8] انظر: تفسير عبدالرزاق(١٦١٥):ص٣١٣/٢.

[9] انظر: تفسير الطبري:٥٤٤/١٧.

[10] انظر: تفسير الطبري:٥٤٤/١٧.

[11] أخرجه الطبري:٥٤٤/١٧.

[12] أخرجه عبدالرزاق في تفسيره(١٦١٧):ص٣١٤/٢.

[13] حكاه عنه يحيى بن سلام في تفسيره:١٦٠/١.

الثالث : أنه القرآن ، قاله الحسن[١]، كما قال تعالى : {وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا} [الشورى : ٥٢]، فيكون معناه: أن القرآن من أمر الله تعالى ووحيه الذي أنزل عليّ وليس هو مني.

الرابع : أنه عيسى ابن مريم هو من أمر الله تعالى وليس كما ادعته النصارى أنه ابن الله ، ولا كما افترته اليهود أنه لغير رشدة. حكاه الماوردي[٢].

الخامس : أنه روح الحيوان ، وهي مشتقة من«الريح» [٣].

السادس: أن الروح خلق من خلق الله لهم أيد وأرجل. حكاه يحيى بن سلام عن الأعمش عن بعض أصحابه التابعين[٤].

قال قتادة :"سأله عنها قوم من اليهود وقيل في كتابهم أنه إن أجاب عن الروح فليس بنبيّ فقال الله تعالى :{قل الروح من أمر ربي}، فلم يجبهم عنها"[٥].

قوله تعالى:{قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي} [الإسراء : ٨٥]، أي:" فأجبهم بأن حقيقة الروح وأحوالها من الأمور التي استأثر الله بعلمها"[٦].

قال الفراء:" يقول: من علم ربي، ليس من علمكم"[٧].

قال الطبري:" يعني: أنه من الأمر الذي يعلمه الله عزّ وجلّ دونكم، فلا تعلمونه ويعلم ما هو "[٨].

قوله تعالى:{وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء : ٨٥]، أي:" وما أُعطيتم أنتم وجميع الناس من العلم إلا شيئًا قليلا"[٩].

قال الطبري:" وما أوتيتم أنتم وجميع الناس من العلم إلا قليلا"[١٠].

قال عطاء بن يسار:" نزلت بمكة {وما أوتيتم من العلم إلا قليلا} فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أتاه أحبار يهود، فقالوا: يا محمد ألم يبلغنا أنك تقول {وما أوتيتم من العلم إلا قليلا} أفعنيتنا أم قومك؟ قال: كلا قد عنيت، قالوا: فإنك تتلو أنا أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شيء، فقال رسول الله ﷺ: هي في علم الله قليل، وقد آتاكم ما إن عملتم به انتفعتم، فأنزل الله {ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام} .... إلى قوله {إن الله سميع بصير}"[١١].

وفيمن أريد بقوله تعالى :{وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء : ٨٥]، ، قولان :

أحدهما : أنهم اليهود خاصة ، قاله قتادة[١٢].

الثاني : النبي -ﷺ-وسائر الخلق . قاله ابن جريج[١٣].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: خرج الكلام خطابا لمن خوطب به، والمراد به جميع الخلق، لأن علم كل أحد سوى الله، وإن كثر في علم الله قليل، وإنما معنى الكلام: وما أوتيتم أيها الناس من العلم إلا قليلا من كثير مما يعلم الله"[١٤].

---

[١] انظر: النكت والعيون:٢٦٩/٣.
[٢] انظر: النكت والعيون:٢٧٠/٣.
[٣] انظر: النكت والعيون:٢٧٠/٣.
[٤] انظر: تفسير يحيى بن سلام:١٦١/١.
[٥] انظر: النكت والعيون:٢٧٠/٣.
[٦] التفسير الميسر:٢٩٠.
[٧] معاني القرآن:١٣٠/٢.
[٨] تفسير الطبري:٥٤٤/١٧.
[٩] التفسير الميسر:٢٩٠.
[١٠] تفسير الطبري:٥٤١/١٧.
[١١] أخرجه الطبري:٥٤٥/١٧.
[١٢] انظر: تفسير الطبري:٥٤٥/١٧.
[١٣] انظر: تفسير الطبري:٥٤٥/١٧.
[١٤] تفسير الطبري:٥٤٥/١٧.

قال عبدالله بن مسعود:" كنت أمشي مع النبيّ ﷺ ذات يوم، فمررنا بأناس من اليهود، فقالوا: يا أبا القاسم ما الرُّوح؟ فأُسْكِت. فرأيت أنه يوحَى إليه، قال: فتنحيت عنه إلى سُباطة، فنزلت عليه :{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ} .... الآية، فقالت اليهود: هكذا نجده عندنا"[1].

الفوائد:

١- علم الروح مما استأثر الله تعالى به:

فإن علم الروح لم يقف أحد لها على حقيقة ماهية ومعرفة كيفية حتى قال الجنيد قدس الله سره الروح شيء استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحدا من خلقه فلا يجوز لعباده البحث عنه بأكثر من أنه موجود وقاله بعضهم وعلى هذا ابن عباس وأكثر السلف، وقد ثبت عن ابن عباس أنه كان لا يفسر الروح[2].

٢- ما علم أهل العلم إلى علم الله تعالى إلا كما يأخذ الطائر بمنقاره من ماء المحيط.

القرآن

{وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا (٨٦)} [الإسراء : ٨٦]

التفسير:

ولئن شئنا مَحْوَ القرآن من قلبك لَقدَرْنا على ذلك، ثم لا تجد لنفسك ناصرًا يمنعنا من فعل ذلك، أو يرد عليك القرآن.

قوله تعالى:{وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ} [الإسراء : ٨٦]، أي: ولئن شئنا" لمحونا هذا القرآن الذي هو مِنَّةُ الرحمن من صدرك يا محمد، فإن ذلك في قدرتنا"[3].

قال يحيى بن سلام:" يعني: القرآن حتى لا يبقى منه شيء"[4].

قال مقاتل:" وذلك حين دعى النبي- ﷺ- إلى دين آبائه"[5].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ولئن شئنا لنذهبنّ بالذي آتيناك من العلم الذي أوحينا إليك من هذا القرآن لنذهبنّ به، فلا تعلمه"[6].

قوله تعالى:{ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا} [الإسراء : ٨٦]، أي:" ثم لا تجد لنفسك ناصرًا يمنعنا من فعل ذلك، أو يرد عليك القرآن"[7].

قال يحيى بن سلام:" وليا يمنعك من ذلك"[8].

قال مقاتل:" يعني: مانعا يمنعك منا"[9].

قال الطبري:" ثم لا تجد لنفسك بما نفعل بك من ذلك وكيلا يعني: قيّما يقوم لك، فيمنعنا من فعل ذلك بك، ولا ناصرا ينصرك، فيحول بيننا وبين ما نريد بك"[10].

عن معقل، قال: "قلت لعبد الله، وذكر أنه يُسرى على القرآن، كيف وقد أثبتناه في صدورنا ومصاحفنا؟ قال: يُسرى عليه ليلا فلا يبقى منه في مصحف ولا في صدر رجل، ثم قرأ عبد الله :{وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْك}"[11].

وفي رواية عن عبد الله بن مسعود قال: "إن أول ما تفقدون من دينكم الأمانة وآخر ما تفقدون الصلاة والمصلين قوم لا دين لهم، وإن هذا القرآن تصبحون يوما وما معكم منه شيء،

---

[1] أخرجه الطبري:١٧/٥٤٣.

[2] انظر: أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات:١٩١.

[3] صفوة التفاسير:٢/١٥٩.

[4] تفسير يحيى بن سلام:١/١٦١.

[5] تفسير مقاتل بن سليمان:٢/٥٤٨.

[6] تفسير الطبري:١٧/٥٤٥.

[7] التفسير الميسر:٢٩٠.

[8] تفسير يحيى بن سلام:١/١٦١.

[9] تفسير مقاتل بن سليمان:٢/٥٤٨.

[10] تفسير الطبري:١٧/٥٤٥.

[11] أخرجه الطبري:١٧/٥٤٤-٥٤٥.

فقال رجل: كيف يكون ذلك يا أبا عبد الرحمن وقد أثبتناه في قلوبنا وأثبتناه في مصاحفنا نعلمه أبناءنا ويعلمه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة. قال: يسري به في ليلة فيذهب بما في المصاحف ما في القلوب فتصبح الناس كالبهائم، ثم قرأ عبد الله:{ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك} الآية"[1].

وروي أيضا عن عبد الله بن مسعود، قال: "تطرق الناسَ ريح حمراء من نحو الشام، فلا يبقى في مصحف رجل ولا قلبه آية. قال رجل: يا أبا عبد الرحمن، إني قد جمعت القرآن، قال: لا يبقى في صدرك منه شيء. ثم قرأ ابن مسعود :{وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ}"[2].

القرآن

{إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا (٨٧)} [الإسراء : ٨٧]

التفسير:

لكنَّ الله رحمك، فأثبت ذلك في قلبك، إن فضله كان عليك عظيمًا؛ فقد أعطاك هذا القرآن العظيم، والمقام المحمود، وغير ذلك مما لم يؤته أحدًا من العالمين.

قوله تعالى:{إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ} [الإسراء : ٨٧]، أي:" لكنَّ الله رحمك، فأثبت ذلك في قلبك"[3].

قال الطبري:" يقول عزّ وجلّ {وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ} يا محمد {بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ}، ولكنه لا يشاء ذلك، رحمة من ربك وتفضلا منه عليك"[4].

قال الزجاج:" استثناء ليس من الأول، والمعنى: ولكن الله رحمك فأثبت ذلك في قلبك وقلوب المؤمنين"[5].

قال النحاس:" الرحمة من الله جل وعز: التفضل"[6].

قوله تعالى:{إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا} [الإسراء : ٨٧]، أي:" إن فضله كان عليك عظيمًا؛ فقد أعطاك هذا القرآن العظيم، والمقام المحمود، وغير ذلك مما لم يؤته أحدًا من العالمين"[7].

قال يحيى بن سلام:" يقول: أعطاك النبوة وأنزل عليك القرآن"[8].

قال الطبري:" باصطفائه إياك لرسالته، وإنزاله عليك كتابه، وسائر نعمه عليك التي لا تحصى"[9].

قال أبو الليث السمرقندي:" أي: بالنبوة والإسلام"[10].

قال مكي بن أبي طالب:" باصطفائه إياك لرسالته ووحي كتابه وغير ذلك من
عن عبد الله بن عمرو: إن رسول الله ﷺ خرج وهو معصوب الرأس من وجع فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس ما هذه الكتب التي يكتبون الكتاب غير كتاب الله

---

[1] الكشف والبيان:١٣٢/٦.
[2] أخرجه الطبري:٥٤٥/١٧.
[3] التفسير الميسر:٢٩١.
[4] تفسير الطبري:٥٤٦/١٧.
[5] معاني القرآن:٢٥٩/٣.
[6] إعراب القرآن:٢٨٣/٢.
[7] التفسير الميسر:٢٩١.
[8] تفسير يحيى بن سلام:١٦١/١.
[9] تفسير الطبري:٥٤٦/١٧.
[10] بحر العلوم:٣٢٨/٢.
[11] الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٢٨٣/٦.

يوشك أن يغضب الله لكتابه فلا يدع ورقا إلا قليلا إلا أخذ منه»، قالوا: يا رسول الله فكيف بالمؤمنين والمؤمنات يومئذ؟ قال: «من أراد الله به خيرا أبقى في قلبه لا إله إلا الله»[١].

فوائد الآيتين:[٨٦-٨٧]:

١- حفظ القرآن في الصدور والسطور إلى قرب الساعة، فهو سبحانه مريد لبقاء ما أوحى به إلى رسوله.
٢- أن الأمور كلها بمشيئته، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.
٣- ادعى الجهمي أن قوله: {ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك}، حجة له في خلق القرآن، فقال الجهمي: فهل يذهب إلا مخلوق؟ وكما قال: {فإما نذهبن بك}[طالزخرف:٤١] فالقرآن يذهب كما ذهب - ﷺ -، فأفحش الجهمي في التأويل وأتى بأنجس الأقاويل، لأن قول الله: {ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك} [الإسراء:٨٦] لم يرد أن القرآن يموت كما نموت، إنما يريد: ولئن شئنا لنذهبن بحفظه عن قلبك وتلاوته عن لسانك. أما سمعت ما وعد به من حفظه للقرآن حين يقول: {سنقرئك فلا تنسى (٦) إلا ما شاء الله} [الأعلى:٦-٧]، فلو أذهب الله القرآن من القلوب، لكان موجودا محفوظا عند من استحفظه إياه، ولئن ذهب القرآن في جميع الخلق وأمات الله كل قارئ له، فإن القرآن موجود محفوظ عند الله وفي علمه، وفي اللوح المحفوظ، أما سمعت قول الله عز وجل: {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون (٩)} [الحجر:٩،] وقوله عز وجل: {بل هو قرآن مجيد (٢١) في لوح محفوظ (٢٢)}[البروج:٢١-٢٢][٢].

القرآن

{قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨)} [الإسراء : ٨٨]

التفسير:

قل: لو اتفقت الإنس والجن على محاولة الإتيان بمثل هذا القرآن المعجز لا يستطيعون الإتيان به، ولو تعاونوا وتظاهروا على ذلك.

سبب النزول:

قال ابن عباس:" أتى رسول الله ﷺ محمود بن سيحان وعمر بن أضا[٣]، وبحري بن عمرو، وعزيز بن أبي عزيز، وسلام بن مِشْكم، فقالوا: أخبرنا يا محمد بهذا الذي جئتنا به حقّ من عند الله عزّ وجلّ، فإنا لا نراه متناسقا كما تناسق التوراة، فقال لهم رسول الله ﷺ: «أما وَالله إنَّكُمْ لَتَعْرِفُونَ أنَّهُ مِنْ عِنْدِ الله تَجِدُونَهُ مَكْتُوبا عِنْدَكُمْ، وَلَو اجْتَمَعَتِ الإنْسُ والجِنُّ على أنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ ما جاءُوا بِهِ»، فقال عند ذلك، وهم جميعا: فِنْحاص، وعبد الله بن صُورِيا، وكِنانة بن أبي الحُقيق، وأشيع، وكعب بن أسد، وسموءَل بن زيد، وجبل بن عمرو: يا محمد ما يعلّمك هذا إنس ولا جان، فقال رسول الله ﷺ:«أما وَالله إنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أنَّهُ مِنْ عِنْدِ الله تَجِدُونَهُ مَكْتُوبا عِنْدكمْ في التَّوْرَاةِ والإنجِيلِ»، فقالوا: يا محمد، إن الله يصنع لرسوله إذا بعثه ما شاء، ويقدر منه على ما أراد، فأنزل علينا كتابا تقرؤه ونعرفه، وإلا جئناك بمثل ما تأتي به، فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم وفيما قالوا :{قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا}"[٤].

---

[١] الكشف والبيان:١٣١/٦، ومجمع الزوائد: ١/ ١٥٠، وكتاب الدعاء للطبراني: ٤٣٧.

[٢] انظر: موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (أكثر من ٩٠٠٠ موقف لأكثر من ١٠٠٠ عالم على مدى ١٥ قرنًا، المغراوي:٤٥٦/٥-٤٥٧.

[٣]قد بين ابن إسحاق في السيرة أسماء الأعداء من يهود، ولم أجد بينهم من اسمه عمر بن أصان الذي جاء في الأصل، ولعله نعمان ابن أضا، من بني قينقاع (انظر السيرة طبعة الحلبي ٢: ١٦١. أفاده المحقق.

[٤] أخرجه الطبري:٥٤٧/١٧.

قال البغوي:" نزلت حين قال الكفار: {لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا} [الأنفال : ٣١]، فكذبهم الله تعالى"[١].

قوله تعالى:{قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ} [الإسراء : ٨٨]، أي:" قل: لو اتفقت الإنس والجن على محاولة الإتيان بمثل هذا القرآن المعجز، لا يستطيعون الإتيان به"[٢].

قال ابن جريج:" يقول: لو برزت الجنّ وأعانهم الإنس، فتظاهروا لم يأتوا بمثل هذا القرآن"[٣].

قال الواحدي:أي:" في نظمه وبلاغته"[٤].

قال ابن كثير:" نبه تعالى على شرف هذا القرآن العظيم ، فأخبر أنه لو اجتمعت الإنس والجن كلهم ، واتفقوا على أن يأتوا بمثل ما أنزله على رسوله، لما أطاقوا ذلك ولما استطاعوه"[٥].

قال مقاتل:" وذلك أن الله- عز وجل- أنزل في سورة هود: {قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ} [هود : ١٣] ، فلم يطيقوا ذلك. فقال الله- تبارك وتعالى- لهم فى سورة يونس {فَأْتُوا بِسُورَةٍ} [يونس : ٣٨] واحدة مثله، فلم يطيقوا ذلك، وأخبر الله- تبارك وتعالى- النبي- ﷺ- فقال: {قل لئن اجتمعت الإنس والجن فعان بعضهم بعضا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله}، يقول لا يقدرون على أن يأتوا بمثله"[٦].

قوله تعالى:{وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء : ٨٨]، أي:" ولو تعاونوا وتظاهروا على ذلك"[٧].

عن ابن جريج:" {ظَهِيرًا}، قال: معينا"[٨].

قال يحيى بن سلام:" "{ظهيرا}، أي: عوينا"[٩].

قال البغوي:" عونا ومظاهرا"[١٠].

قال الواحدي:أي:" مُعيناً مثل ما يتعاون الشعراء على بيت شعرٍ فيقيمونه"[١١].

قال الزجاج:" «الظهير»: المعينُ"[١٢].

قال الزمخشري:" أى: لو تظاهروا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في بلاغته وحسن نظمه وتأليفه، وفيهم العرب العاربة أرباب البيان لعجزوا عن الإتيان بمثله"[١٣].

قال ابن كثير:"ولو تعاونوا وتساعدوا وتظافروا ، فإن هذا أمر لا يستطاع ، وكيف يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق ، الذي لا نظير له ، ولا مثال له ، ولا عديل له ؟!"[١٤].

قال القشيري:" سائر الأنبياء معجزاتهم باقية حكما، ونبينا- ﷺ- معجزته باقية عينا، وهى القرآن"[١٥].

---

[١] تفسير البغوي:١٢٧/٥.
[٢] التفسير الميسر:٢٩١.
[٣] أخرجه الطبري:٥٤٧/١٧.
[٤] الوجيز:٦٤٧.
[٥] تفسير ابن كثير:١١٧/٥.
[٦] تفسير مقاتل بن سليمان:٥٤٨/٢-٥٤٩.
[٧] التفسير الميسر:٢٩١.
[٨] أخرجه الطبري:٥٤٧/١٧.
[٩] تفسير يحيى بن سلام:١٦١/١.
[١٠] تفسير البغوي:١٢٧/٥.
[١١] الوجيز:٦٤٧.
[١٢] معاني القرآن:٢٥٩/٣.
[١٣] الكشاف:٦٩٢/٢.
[١٤] تفسير ابن كثير:١١٧/٥.
[١٥] لطائف الإشارات:٣٦٨/٢.

قال البغوي:" فالقرآن معجز في النظم والتأليف والإخبار عن الغيوب وهو كلام في أعلى طبقات البلاغة لا يشبه كلام الخلق لأنه غير مخلوق ولو كان مخلوقا لأتوا بمثله"[١].

قال ابن المنير الإسكندري:" عقيدة أهل السنة أن مدلول العبارات صفة قديمة قائمة بذات الباري تعالى، يطلق عليها قرآن، ويطلق أيضا على أدلتها وهي هذه الكلمات الفصيحة والآي الكريمة قرآن، وأن المعجز عندهم الدليل لا المدلول، لكنهم يتحرزون من إطلاق القول بأنه مخلوق لوجهين:

أحدهما: أنه إطلاق موهم.

والثاني: أن السلف الصالح كفوا عنه فاقتفوا آثارهم واقتبسوا أنوارهم.

وكم من معتقد لا يطلق القول به خشية إيهام غيره مما لا يجوز اعتقاده، فلا ربط بين الاعتقاد والإطلاق، ولا كرامة لمعتقد ذلك والمتعنت بالزامه، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل"[٢].

الفوائد:

١- عجز الإنس والجن عن الإتيان بقرآن كالقرآن الكريم.

٢- أن القرآن كلام الخالق نفسه، وأنه غير مخلوق، قال تعالى:{لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا}، فقد ثبت الله عليه الشهادة أنه لا يأتي بمثله جن ولا إنس؛ لأنه منه، وصدق الله وبلغ رسوله.

عن أبي سعيد - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -:«من شغله قراءة القرآن عن ذكري ومسألتي؛ أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام؛ كفضل الله على خلقه»[٣].

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -:«فضل القرآن على سائر الكلام، كفضل الرحمن على سائر خلقه»[٤].

---

[١] تفسير البغوي:١٢٧/٥.

[٢] الكشاف:٦٩٢/٢. الهامش(٣).

[٣]ضعيف جدًا، أخرجه الترمذي (٢٩٢٦)، والدارمي (٣٣٥٦)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ١٠٦)، وغيرهم، من طريق محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني، به، وهذا إسناد ضعيف جدًا؛ محمد بن الحسن ضعفه غير واحد من أهل العلم وقال النسائي: متروك الحديث، وعطية، هو ابن سعد العوفي، ضعيف، ضعفه أحمد وغيره، وقد سئل أبو حاتم الرازي عن هذا الحديث؟ فقال: منكر، وأعله بمحمد بن الحسن الهمداني، كما في العلل لابن أبي حاتم (١٧٣٨)، وقد حسنه الترمذي، فرد عليه الذهبي في الميزان (٧٣٨٢) قائلا: «حسنه الترمذي فلم يحسن». ... =

= قلت: قال الترمذي «حسن غريب» فهل عني بالحسن هنا، الحسن الاصطلاحي؟!. ...

وقد أطال محقق المطبوعة الكلام على هذا الحديث، وكان من جملة كلامه أن أعله بتدليس عطية العوفي، حيث نعته الحافظ بالتدليس.

فقال المحقق: وقد عنعن في هذا الإسناد.

قلت: أما تدليس عطية فلا يضرنا هنا، فقد قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في شرحه لعلل الترمذي (٢/ ٨٢٣)، - بعد أن ذكر قصة العوفي مع الكلبي والتي من أجلها وصفوه بالتدليس-: «وإن صحت هذه الحكاية عن عطية، فإنما تقتضي التوقف فيما يحكيه عطية عن أبي سعيد من التفسير خاصة، فأما الأحاديث المرفوعة التي يرويها عن أبي سعيد؛ فإنما يريد أبا سعيد الخدري، ويصرح في بعضها بنسبته» ا. هـ

وهذا الحديث من هذا القبيل، لأنه ليس في التفسير، وقد صرح فيه بنسبة أبي سعيد.

فلينتبه لمثل ذلك، وينبغي أن ينزل كلام الأئمة على مرادهم.

[٤]ضعيف، أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (١٢٩)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٥٥٧)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٥١٥)، وغيرهم من طريق سعيد بن أبي عروبة، به، إلا عبد الله بن أحمد، والبيهقي، زادا ذكر قتادة بين سعيد والحداني.

قلت: وللحديث علتان؛ أولاهما ضعف شهر بن حوشب، والثانية اختلاط سعيد بن أبي عروبة، والراوي عنه هنا محمد بن سواء، ولا ندري متى سمع منه ولم ينص أحد من أهل العلم على أنه سمع منه قبل الاختلاط.وحتى لا

روي أبو عبدالرحمن عن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه»[١]. قال أبو عبد الرحمن: «فهذا الذي أجلسني هذا المجلس، وفضل القرآن على سائر الكلام؛ كفضل الخالق على المخلوق، وذلك أنه منه»[٢].

قال أبو سعيد الدارمي: "ففي هذه الأحاديث بيان أن القرآن غير مخلوق؛ لأنه ليس شيء من المخلوقين من التفاوت في فضل ما بينهما، كما بين الله وبين خلقه في الفضل؛ لأن فضل ما بين المخلوقين يستدرك، ولا يستدرك فضل الله على خلقه، ولا يحصيه أحد، وكذلك فضل كلامه على كلام المخلوقين، ولو كان كلاما مخلوقا؛ لم يكن فضل ما بينه وبين سائر الكلام كفضل الله على خلقه، ولا كعشر عشر جزء من ألف ألف جزء، ولا قريبا ولا قريبا، فافهموه، فإنه ليس كمثله شيء، فليس ككلامه كلام، ولن يؤتى بمثله أبدا"[٣].

عن عبد الله بن عمرو بن العاص؟ قال: «لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث نزل، له دوي كدوي النحل، يقول يا رب! منك خرجت، وإليك أعود، أتلى ولا يعمل بي، أتلى ولا يعمل بي»[٤].

قال عمرو بن دينار: «أدركت أصحاب النبي - ﷺ - فمن دونهم منذ سبعين سنة، يقولون: الله الخالق وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله، منه خرج وإليه يعود»[٥].

عن معاوية بن عمار قال: قيل لجعفر بن محمد: " القرآن خالق أو مخلوق؟ قال: «ليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله»[٦].

ندع مجالا لمعترض؛ فإن الشيخين حين أخرجا لمحمد بن سواء عن سعيد في صحيحهما، إنما أخرجا له مقرونا بغيره، وفي ذلك إشعار منهما بعدم الاحتجاج به منفردا، والله أعلم.

وقد سئل الدارقطني كما في العلل له (٢٠٩٩) عن هذا الحديث، فذكر الاختلاف الواقع فيه، ورجح الرواية المرسلة التي قبل هذه وقال: هي أشبه بالصواب.

[١]صحيح، رواه علقمة بن مرثد، واختلف عنه؛ فرواه سفيان الثوري، والجراح بن الضحاك، وغيرهما، عن أبي عبد الرحمن، به، أخرجه البخاري (٥٠٢٨)، والترمذي (٢٩٠٨)، وابن ماجه (٢١٢)، وأحمد (٤٠٥)، وعبد الرزاق في مصنفه (٥٩٩٥)، والنسائي في الكبرى (٧٩٨٤)، وغيرهم، ورواه شعبة، وغيره عن علقمة بن مرثد، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن، به، أخرجه البخاري (٥٠٢٧)، وأبو داود (١٤٥٤)، والترمذي (٢٩٠٧)، وابن ماجه (٢١١)، وغيرهم، هكذا بزيادة سعد بن عبيدة في الإسناد، ورواية سفيان ومن تابعه، بدون ذكر سعد بن عبيدة هي الأرجح.

قال الترمذي في السنن عقب حديث (٢٩٠٨): «وقد زاد شعبة في إسناد هذا الحديث سعد بن عبيدة وكأن حديث سفيان أصح، قال علي بن عبد الله _يعني ابن المديني_: قال يحيى بن سعيد: ما أحد يعدل عندي شعبة وإذا خالفه سفيان أخذت بقول سفيان.

قال أبو عيسى: سمعت أبا عمار يذكر عن وكيع قال: قال شعبة: سفيان أحفظ مني وما حدثني سفيان عن أحد بشيء فسألته إلا وجدته كما حدثني».

وقد اعترض الدارقطني على إخراج البخاري هذا الحديث وذكر الاختلاف الواقع فيه، فرد عليه الحافظ في الفتح (١/ ٣٧٤) بكلام مفاده؛ أن هذا من قبيل المزيد في متصل الأسانيد، فيحتمل أن يكون علقمة سمعه مرة من سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن، ثم لقي أبا عبد الرحمن بعد ذلك فسمعه منه مباشرة دون الواسطة.

[٢]هذا القدر الموقوف على أبي عبد الرحمن، أخرجه أحمد (٤١٢)، والطيالسي (٧٣)، وابن حبان (١١٨)، وغيرهم.

[٣] الرد على الجهمية: ١٧٠-١٧١.

[٤]ضعيف، ذكره السيوطي في الدر المنثور (٩/ ٤٣٩) وعزاه لمحمد بن نصر في كتاب الصلاة، قلت: فيه ابن لهيعة، ضعيف، وثابت بن عبد الله؛ قال الذهبي في الميزان (١٣٦٥): «لا يدرى من ذا».

[٥]صحيح، أخرجه البيهقي في السنن (١٠/ ٢٠٥)، من طريق المصنف، به، وأخرجه الخلال في السنة (١٨٦٠)، وابن عبد البر في التمهيد (٢٤/ ١٨٦) كلاهما من طريق ابن راهويه، به، وأخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٣٨١)، من طريق الحكم بن محمد الآملي، عن سفيان بن عيينة، به.

[٦]حسن، أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٩٥)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١٣٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٥٤٣)، من طريق معبد بن راشد، به، وإسناده حسن، ومعبد بن راشد؛ قال الحافظ مقبول

علي بن مضاء مولى خالد القسري قال: سمعت ابن المبارك بالمصيصة سأله رجال عن القرآن؟ فقال: «هو كلام الله، غير مخلوق»[١].

قال علي بن المضاء: سمعت بقية بن الوليد يقول: «القرآن كلام الله غير مخلوق»[٢].

قال علي بن المضاء: سمعت عيسى بن يونس يقول: «القرآن كلام الله غير مخلوق»[٣].

قال علي بن المضاء :«القرآن كلام غير مخلوق»[٤].

روي الدارمي عن محمد بن منصور، حدثنا علي بن المضاء، حدثنا هشام بن بهرام قال: سمعت المعافى بن عمران يقول: «القرآن كلام الله غير مخلوق» قال هشام: وأنا أقول كما قال المعافى، قال علي: وأنا أقول كما قال هشام، قال محمد بن منصور: وأنا كما قالوا، خمسين مرة»[٥].

قال أبو سعيد الدارمي: وأنا أقول كما قالوا سبعين مرة، قال القرشي [٦]: وأنا أقول كما قالوا.

قال الأزدي [٧]: وأنا أقول كما قالوا عدد أيام الدهر من أوله إلى آخره، وبه ألقى الله - عز وجل - ورسوله - ﷺ -.

قال أبو روح[٨]: وأنا أقول بعدد من يبصر ومن لا يبصر.

وقال شيخنا أبو عبد الله [٩]: وأنا أقول بعدد جميع الخلائق"[١٠].

قال الدارمي: سمعت محمد بن منصور: رأيت النبي - ﷺ - في المنام- حدثان ما استخلف جعفر-[١١] فقلت له: إن ناسا يقولون: القرآن مخلوق، فقال بوجهه هكذا، كأنه أعرض، فقلت: أليس كلام الله غير مخلوق؟ قال: نعم، ثم قلت له مرة أخرى، فقال: نعم"[١٢].

عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: «القرآن أحب إلى الله من السماوات والأرض وما فيهن»"[١٣].

يعني حيث يتابع، وقد توبع، تابعه سويد بن سعيد كما عند البيهقي في الأسماء والصفات (٥٤٢)، ويحيى بن عبد الحميد الحماني كما عند اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤٠٢).

[١]إسناده صحيح إلى ابن المبارك، إن كان علي بن مضاء؛ هو علي بن محمد بن علي بن أبي المضاء المصيصي، المصيصي، وإلا فلم أقف له على ترجمة، والمذكور وثقه النسائي، ثم إني لم أجد من أخرج هذا القول بهذا الإسناد، وإلا فهو صحيح عن ابن المبارك من أوجه أخر، وينظر الأسماء والصفات للبيهقي (٥٤٩)، وشرح أصول الاعتقاد للالكائي (٤٢٦)، والسنة لعبد الله بن أحمد (١٤٤).

[٢]إسناده صحيح كسابقه، ولم أقف على من أخرجه بهذا الإسناد سوى الدارمي في الرد على الجهمية: ١٧٢.

[٣]إسناده صحيح كسابقه، ولم أقف على من أخرجه بهذا الإسناد سوى الدارمي في الرد على الجهمية: ١٧٢.

[٤]إسناده صحيح كسابقه، ولم أقف على من أخرجه بهذا الإسناد سوى الدارمي في الرد على الجهمية: ١٧٢.

[٥] الرد على الجهمية(١٨٤):ص١٧٣، إسناده صحيح كسابقه، ولم أقف على من أخرجه بهذا الإسناد سواه.

[٦]القرشي: هو أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن إبراهيم، راوي كتاب "الرد على الجهمية" عن أبي سعيد الدارمي.

[٧]الأزدي: هو أبو محمد محمد بن أحمد بن محمد بن الفضل، الراوي عن القرشي.

[٨]أبو روح: هو ثابت بن أبي محمد الأزدي، والراوي عنه.

[٩]عبد الله: هو محمد بن عبد الله بن محمد المذكر الهروي، الراوي عن أبي روح.

[١٠] الرد على الجهمية:١٧٣.

[١١]جعفر: هو ابن المعتصم بن الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي، المتوكل على الله، الخليفة العباسي الذي أنهى الله على يديه محنة خلق القرآن، توفي سنة ٢٤٧ هـ..

[١٢] الرد على الجهمية(١٨٥):ص١٧٣-١٧٤، وروى هذه الحكاية عن الطوسي؛ عبد الله بن أحمد في كتاب السنة (٥١٣).

[١٣]أخرجه الدارمي في سننه (٣٣٥٨)، عن عبد الله بن صالح المصري، به.

قلت: عبد الله بن صالح المصري كاتب الليث، ضعيف، وأيضا إبهام الراوي عن عبد الله بن عمرو، وقد أخرجه أبو الفضل الرازي في فضائل القرآن (ص ٩) من طريق يحيى بن أيوب الغافقي، عن واهب بن عبد الله

قال الدارمي:" فهذا ينبئك أنه نفس كلام الله، وأنه غير مخلوق؛ لأن الله - عز وجل - لم يخلق كلاما إلا على لسان مخلوق، فلو كان القرآن مخلوقا -كما يزعم هؤلاء المعطلون- كان إذا من كلام المخلوقين، وكل هذه الروايات والحكايات والشواهد والدلائل، قد جاءت وأكثر منها؛ في أنه غير مخلوق، ثم إحاطة علم العلماء وعقول العقلاء بأن كلام الخالق لا يكون مخلوقا أبدا، إذا كان في دعواهم قبل أن يخلق الكلام منقوصا مضطرا إلى الكلام، حتى خلقه، وكملت ربوبيته وتمت وحدانيته بمخلوق -في دعواهم-!!!"[1].

القرآن

{وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٨٩)} [الإسراء : ٨٩]

التفسير:

ولقد بيَّنَّا ونَوَّعنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ينبغي الاعتبار به؛ احتجاجًا بذلك عليهم؛ ليتبعوه ويعملوا به، فأبى أكثر الناس إلا جحودًا للحق وإنكارًا لحجج الله وأدلته.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ} [الإسراء : ٨٩]، أي:" ولقد بيَّنَّا ونَوَّعنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ينبغي الاعتبار به؛ احتجاجًا بذلك عليهم؛ ليتبعوه ويعملوا به"[2].

قال الطبري:" يقول ذكره: ولقد بيَّنا للناس في هذا القرآن من كلّ مثل، احتجاجا بذلك كله عليهم، وتذكيرا لهم، وتنبيها على الحقّ ليتبعوه ويعملوا به"[3].

قال البغوي:أي:" من كل وجه من العبر والأحكام والوعد والوعيد وغيرها"[4].

قال الزمخشري:أي:" رددنا وكررنا من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه"[5].

قوله تعالى:{فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا} [الإسراء : ٨٩]، أي:" فأبى أكثر الناس إلا جحودًا للحق وإنكارًا لحجج الله وأدلته"[6].

قال الطبري:" يقول: فأبى أكثر الناس إلا جحودا للحقّ، وإنكارا لحجج الله وأدلته"[7].

قال الزمخشري:" الكفور: الجحود"[8].

الفوائد:

١- لما سبق في علم الله من شقاوة الناس تجد أكثرهم لا يؤمنون.

٢- أن القرآن الكريم كتاب الإنسانية كلها الذي خاطب الله تعالى به جميع البشر إلى يوم القيامة فلم يُقيد بزمان، ولا بمكان، ولا جنس ولا طبقة، بل هو موجه إلى الثقلين، خاطبهم جميعاً بما يسعدهم في الدنيا والآخرة من العقائد الصحيحة والعبادات الحكيمة والأحكام الرفيعة، والأخلاق الفاضلة التي تستقيم بها حياتهم، ولقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة على عالمية القرآن.

المعافري، عن عبد الله بن عمرو، به، إلا أن إسناده ضعيف جدا، فيه أبو الهيثم المدائني خالد بن القاسم، قال البخاري: «متروك تركه علي والناس».

[1] الرد على الجهمية:١٧٤.

[2] التفسير الميسر:٢٩١.

[3] تفسير الطبري:٥٤٨/١٧.

[4] تفسير البغوي:١٢٨/٥.

[5] الكشاف:٦٩٢/٢.

[6] التفسير الميسر:٢٩١.

[7] تفسير الطبري:٥٤٨/١٧.

[8] الكشاف:٦٩٢/٢.

ومن الآيات التي صرحت بعالمية القرآن العظيم:

- قوله تعالى:{تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا}[الفرقان:١].
- وقال تعالى:{ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}[الأنبياء: ١٠٧].
- وقال تعالى:{وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا} [الإسراء، آية: ٨٩].
- وقال تعالى:{وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}[الزمر: ٢٧].
- وقال تعالى:{إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ}[الزمر: ٤١][1].

القرآن

{وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (٩٠)} [الإسراء : ٩٠]

التفسير:

ولما أعجز القرآن المشركين وغلبهم أخذوا يطلبون معجزات وَفْق أهوائهم فقالوا: لن نصدقك -أيها الرسول- ونعمل بما تقول حتى تفجر لنا من أرض «مكة» عينًا جارية.

سبب نزول الآيات:[٩٠-٩٣]:

أخرج الطبري بسنده محمد بن إسحاق، قال: "حدثني شيخ من أهل مصر، قدم منذ بضع وأربعين سنة، عن عكرمة، عن ابن عباس، أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب ورجلا من بني عبد الدار وأبا البختري أخا بني أسد، والأسود بن المطلب، وزمعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبا جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية، وأميَّة بن خلف، والعاص بن وائل، ونُبَيها ومُنَبها ابني الحجاج السَّهميين اجتمعوا، أو من اجتمع منهم، بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، فقال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلِّموه وخاصموه حتى تُعْذروا فيه، فبعثوا إليه: إن أشراف قومك قد اجتمعوا إليك ليكلموك، فجاءهم رسول الله ﷺ سريعا، وهو يظنّ أنه بدا لهم في أمره بَدَاء، وكان عليهم حريصا، يحبّ رشدهم ويعزّ عليه عَنَتهم، حتى جلس إليهم، فقالوا: يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنُعْذر فيك، وإنا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء، وعِبْت الدين، وسفَّهت الأحلام، وشتمت الآلهة، وفرّقت الجماعة، فما بقي أمر قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك، فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سوّدناك علينا،وإن كنت تريد به مُلكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك به رئيا تراه قد غلب عليك وكانوا يسمون التابع من الجنّ: الرئي، فربما كان ذلك، بذلنا أموالنا في طلب الطّب لك حتى نبرئك منه، أو نعذر فيك، فقال رسول الله ﷺ: "ما بِي ما تَقُولُونَ، ما جِئْتُكُمْ بِمَا جِئْتُكُمْ بِهِ أطْلُبُ أمْوالَكُمْ، ولا الشَّرَفَ فِيكُمْ وَلا المُلْكَ عَلَيْكُمْ وَلَكِنَّ الله بَعَثَنِي إلَيْكُمْ رَسُولا وَأنزلَ عَلَيَّ كِتَابًا، وَأَمَرَنِي أَنْ أَكُونَ لَكُمْ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، فَبَلَّغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي، وَنَصَحْتُ لَكُمْ، فَإِنْ تَقْبَلُوا مِنِّي مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرْ لأمْرِ الله حتى يَحْكُمَ الله بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ"، أو كما قال رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد، فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك، فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلادا، ولا أقل مالا ولا أشدّ عيشا منا، فسل ربك الذي بعثك بما بعثك به، فليسيِّرْ عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا، ويبسط لنا بلادنا، وليفجِّر لنا فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قُصَيّ بن كلاب، فإنه كان شيخا صدوقا، فنسألهم عما تقول، حقّ هو أم باطل؟ فإن صنعت ما سألناك، وصدقوك صدقناك، وعرفنا به منزلتك عند الله، وأنه بعثك بالحقّ رسولا كما تقول. فقال لهم رسول الله ﷺ: ما بِهذَا بُعِثْتُ، إنَّمَا جِئْتُكُمْ مِنَ الله بِمَا بَعَثَنِي بِهِ، فقد بَلَّغْتُكُمْ ما أُرْسِلْتُ بِهِ إليكم، فإنْ تَقْبَلُوهُ فَهُوَ حظُّكُمْ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ، وإنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أصْبِرْ لأمْرِ الله حتى يَحْكُمَ الله بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ" قالوا: فإن

---

[1] انظر: عظمة القرآن الكريم :١١٠، والإيمان بالقرآن الكريم والكتب السماوية:٤١.

لم تفعل لنا هذا، فخذ لنفسك، فسل ربك أن يبعث ملكا يصدّقك بما تقول، ويراجعنا عنك، واسأله فليجعل لك جنانا وكنوزا وقصورا من ذهب وفضة، ويغنيك بها عما نراك تبتغي، فإنك تقوم بالأسواق، وتلتمس المعاش كما نلتمسه، حتى نعرف فضل منزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم، فقال لهم رسول الله ﷺ: ما أنا بِفاعِلٍ، ما أنا بالَّذِي يَسْأَلُ رَبَّهُ هذَا، وَما بُعِثْتُ إلَيْكُمْ بِهذَا، وَلَكِنَّ الله بَعَثَنِي بَشِيرًا وَنَذِيرًا، فإنْ تَقْبَلُوا ما جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حظُّكُمْ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ، وإنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرْ لأمْرِ الله حتى يَحْكُمَ الله بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ قالوا: فأسقط السماء علينا كسفا، كما زعمت أن ربك إن شاء فعل، فإنا لا نؤمن لك إلا أن تفعل، فقال رسول الله ﷺ: ذلكَ إلى اللهِ إنْ شاءَ فَعَلَ بِكُمْ ذلكَ، فقالوا: يا محمد، فما علم ربك أنا سنجلس معك، ونسألك عما سألناك عنه، ونطلب منك ما نطلب، فيتقدّم إليك، ويعلمك ما تراجعنا به، ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا إذ لم نقبل منك ما جئتنا به، فقد بلغنا أنه إنما يعلِّمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن، وإنا والله ما نؤمن بالرحمن أبدا، أعذرنا إليك يا محمد، أما والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك أو تهلكنا، وقال قائلهم: نحن نعبد الملائكة، وهنّ بنات الله، وقال قائلهم: لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا. فلما قالوا ذلك، قام رسول الله ﷺ عنهم، وقام معه عبد الله بن أبي أميَّة بن المُغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وهو ابن عمته هو لعاتكة بنت عبد المطلب، فقال له: يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم، ثم سألوك لأنفسهم أمورا، ليعرفوا منزلتك من الله فلم تفعل ذلك، ثم سألوك أن تعجل ما تخوّفهم به من العذاب، فوالله لا أومن لك أبدا، حتى تتخذ إلى السماء سلما ترقى فيه، وأنا أنظر حتى تأتيها، وتأتي معك بنسخة منشورة معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول، وايم الله لو فعلت ذلك لظننتُ ألا أصدّقك، ثم انصرف عن رسول الله ﷺ، وانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزينا أسيفا لما فاته مما كان يطمع فيه من قومه حين دعوه، ولما رأى من مباعدتهم إياه..[فأنزل الله تعالى: {وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا}[1] ... الآيات][2]"[3].

عن سعيد بن جبير- قال: " قلت له في قوله تعالى :{لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأرْضِ يَنْبُوعًا}، قال: قلت له: نزلت في عبد الله بن أبي أمية، قال: قد زعموا ذلك "[4].

قال قتادة:" أي: حتى تفْجُر لنا من الأرض عيونا: أي ببلدنا هذا"[5].

عن مجاهد :{يَنْبُوعًا}، قال: عيونا"[6].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وقال يا محمد، المشركون بالله من قومك لك: لن نصدّقك، حتى تفجر لنا من أرضنا هذه عينا تنبع لنا بالماء"[7].

قال ابن كثير:" الينبوع : العين الجارية ، سألوه أن يجري لهم عينًا معينًا في أرض الحجاز هاهنا وهاهنا ، وذلك سهل يسير على الله تعالى ، لو شاء لفعله ولأجابهم إلى جميع ما سألوا وطلبوا ، ولكن علم أنهم لا يهتدون ، كما قال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الألِيمَ } [يونس : ٩٦ ، ٩٧] وقال تعالى : { وَلَوْ

---

[1][الإسراء : ٩٠].

[2] زيادة في اسباب النزول للواحدي:٣٠١-٣٠٢.

[3] تفسير الطبري:٥٥٥/١٧-٥٥٨. وفيه بعد قوله "مباعدتههم حزينا: فلما قام عنهم رسول الله ﷺ، قال أبو جهل: يا معشر قريش، إن محمدا قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا، وشتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وسب آلهتنا، وإني أعاهد الله لأجلسنّ له غدا بحجر قدر ما أطيق حَمْله، فإذا سجد في صلاته فضخت رأسه به". وليس فيه« فأنزل الله تعالى: وقالوا».

وانظر هذا الحديث في سيرة ابن هشام (طبعة الحلبي ١: ٣١٥) وفيه اختلاف يسير في بعض الألفاظ، وفي تفسير القرطبي (١٠: ٣٢٨-٣٣٠).

[4]أخرجه الطبري :٥٨٨/١٧، وعزاه في الدر (٤/ ٢٠٣) لسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

[5] أخرجه الطبري:٥٤٨/١٧-٥٤٩.

[6] أخرجه الطبري:٥٤٩/١٧.

[7] تفسير الطبري:٥٤٨/١٧.

أَنَّنَا نزلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ } [الأنعام : ١١١]"[١].

قال الزمخشري:" لما تبين إعجاز القرآن وانضمت إليه المعجزات الأخر والبينات ولزمتهم الحجة وغلبوا، أخذوا يتعللون باقتراح الآيات: فعل المبهوت المحجوج المتعثر في أذيال الحيرة، فقالوا: {لن نؤمن لك حتى تفجر من الأرض}، يعنون أرض مكة، {ينبوعا}: عينا غزيرة من شأنها أن تنبع بالماء لا تقطع من نبع الماء"[٢].

قال ابن عطية:" طلبت قريش هذا من رسول الله ﷺ بمكة، وإياها عنوا ب الْأَرْضِ، وإنما يراد بإطلاق لفظة الْأَرْضِ هنا الأرض التي يكون فيها المعنى المتكلم فيه، كقوله: {أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ} [المائدة: ٣٣] فإنما يريد من أرض تصرفهم وقطعهم السبل ومعاشهم"[٣].

قرأ أهل الكوفة ويعقوب :« تَفْجُرَ» بفتح التاء وضم الجيم مخففا، لأن الينبوع واحد وقرأ الباقون بالتشديد من «التفجير» واتفقوا على تشديد قوله: {فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا} [الإسراء : ٩١]، لأن «الأنهار» جمع والتشديد يدل على التكثير ولقوله {تفجيرا} من بعد[٤].

القرآن

{أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (٩١)} [الإسراء : ٩١]

التفسير:

أو تكون لك حديقة فيها أنواع النخيل والأعناب، وتجعل الأنهار تجري في وسطها بغزارة.

قوله تعالى:{أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ} [الإسراء : ٩١]، أي:" أو تكون لك حديقة فيها أنواع النخيل والأعناب"[٥].

قال البيضاوي:" أو يكون لك بستان يشتمل على ذلك"[٦].

قال الطبري:" أو يكون لك بستان، وهو الجنة، من نخيل وعنب، فتفجِّر الأنهار خلالها تفجيرا بأرضنا هذه التي نحن بها خلالها، يعني: خلال النخيل والكروم"[٧].

قال المراغي:" أي: أو يكون لك بستان فيه نخيل"[٨].

قال البغوي:" {جنة}: بستان"[٩].

قال السعدي:" {أو تكون لك جنة من نخيل وعنب} فتستغني بها عن المشي في الأسواق والذهاب والمجيء"[١٠].

قوله تعالى:{فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا} [الإسراء : ٩١]، أي:" وتجعل الأنهار تجري في وسطها بغزارة"[١١].

قال مقاتل:" يقول: تجري العيون في وسط النخيل والأعناب والشجر"[١٢].

قال المراغي:أي:" تتفجر الأنهار خلاله تفجيرا لسقيه"[١٣].

قال البغوي:" {تفجيرا}: تشقيقا"[١].

---

[١] تفسير ابن كثير:١٢٠/٥.
[٢] الكشاف:٦٩٣/٢.
[٣] المحرر الوجيز:٤٨٤/٣.
[٤] انظر: تفسير البغوي:١٢٨/٥.
[٥] التفسير الميسر:٢٩١.
[٦] تفسير البيضاوي:٢٦٦/٣.
[٧] تفسير الطبري:٥٤٩/١٧-٥٥٠.
[٨] تفسير المراغي:٩٥/١٥.
[٩] تفسير البغوي:١٢٩/٥.
[١٠] تفسير السعدي:٤٦٦.
[١١] التفسير الميسر:٢٩١.
[١٢] تفسير مقاتل بن سليمان:٥٤٩/٢.
[١٣] تفسير المراغي:٩٥/١٥.

قال ابن عطية:" اقتراحهم الجنة إنما هو بمكة لامتناع ذلك فيها، وإلا ففي سائر البلاد كان ذلك يمكنه وإنما طلبوه بأمر إلهي في ذلك الموضع الجدب"[٢].

قال القاسمي:" وإنما قدموا في عنتهم هذا المقترح، لأنهم كانوا يردون بلاد الشام والعراق، ويرون ما فيها من البساتين والأنهار"[٣].

القرآن

{أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (٩٢)} [الإسراء : ٩٢]

التفسير:

أو تسقط السماء علينا قطعًا كما زَعَمْتَ، أو تأتي لنا بالله وملائكته، فنشاهدهم مقابلة وعِيانًا.

قوله تعالى:{أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا} [الإسراء : ٩٢]، أي:" أو تسقط السماء علينا قطعًا كما زَعَمْتَ"[٤].

قال الزمخشري:" يعنون قول الله تعالى: {إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ} [سبأ : ٩]"[٥].

قال ابن كثير:" أي : أنك وعدتنا أن يوم القيامة تنشق فيه السماء وتهي ، وتدلي أطرافها ، فعجل ذلك في الدنيا ، وأسقطها كسفًا [أي : قطعًا ، كقولهم : { اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } الآية [الأنفال : ٣٢] ، وكذلك سأل قوم شعيب منه فقالوا : { أَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ } [الشعراء : ١٨٧]. فعاقبهم الرب بعذاب يوم الظلة ، إنه كان عذاب يوم عظيم. وأما نبيّ الرحمة ، ونبيّ التوبة المبعوث رحمة للعالمين ، فسأل إنظارهم وتأجيلهم ، لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبده لا يشرك به شيئًا. وكذلك وقع ، فإن من هؤلاء الذين ذكروا من أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه حتى "عبد الله بن أبي أمية" الذي تبع النبي ﷺ وقال له ما قال ، أسلم إسلامًا تامًا ، وأناب إلى الله عز وجل"[٦].

وفي قوله تعالى:{أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا} [الإسراء : ٩٢]، وجهان:

أحدهما : سترا وتغطية، من قولهم: قد انكسفت الشمس: إذا غطاها ما يحول بين الناظرين إليها وبين أنوارها. حكاه ابن الجوزي عن ابن الانباري[٧].

وحكي الماوردي عن ابن الأنباري، قال: "حيّزا"[٨]، ثم قال:" ولعلهم أرادوا به مشاهدة ما فوق السماء"[٩].

الثاني : يعني: قطعاً، قاله ابن عباس[١٠]، وقتادة[١١]، وابن جريج[١٢]، وأبو عبيدة[١٣]، وابن قتيبة[١٤].

قال يحيى بن سلام:" الكسف: القطعة"[١٥].

---

[١] تفسير البغوي:١٢٩/٥.
[٢] المحرر الوجيز:٤٨٤/٣.
[٣] محاسن التأويل:٥١٢/٦.
[٤] التفسير الميسر:٢٩١.
[٥] الكشاف:٦٩٣/٢.
[٦] تفسير ابن كثير:١٢٠/٥.
[٧] انظر: زاد المسير:٥٤/٣.
[٨] انظر: النكت والعيون:٢٧٢/٣.
[٩] انظر: النكت والعيون:٢٧٢/٣.
[١٠] انظر: تفسير الطبري:٥٥١/١٧.
[١١] انظر: تفسير عبدالرزاق(١٦٢٤):ص٣١٥/٢.
[١٢] انظر: تفسير الطبري:٥٥١/١٧.
[١٣] مجاز القرآن:١٤٢/٢.
[١٤] انظر: غريب القرآن:٢٦١.
[١٥] تفسير يحيى بن سلام:١٦٢/١.

وقال مجاهد:"السماء جميعا"[1].

الثالث:يعني: جانبا من السماء. وهذا قول مقاتل[2].

والعرب تقول . أعطني كسفة من هذا الثوب أي قطعة منه، ومن هذا «كسوف القمر» لانقطاع النور منه ، وعلى الوجه الثاني لتغطيته بما يمنع من رؤيته[3].

قرأ نافع وعاصم وابن عامر {كسفا} بفتح السين والباقون باسكانها[4].

قال الزجاج:" فمن قرأ «كِسَفًا» جعلها جمع «كسفة»، وهي القطعة، ومن قرأ «كِسْفًا» فكأنه قال أو تسقطها طبقا علينا، واشتقاقه من :كسفت الشيء إذا غطيته"[5].

قوله تعالى:{أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا} [الإسراء : ٩٢]، أي:" أو تأتي لنا بالله وملائكته، فنشاهدهم مقابلة وعِيانًا"[6].

وفي قوله تعالى:{أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا} [الإسراء : ٩٢]، وجوه:

أحدها : يعني: كل قبيلة على حدتها ، قاله الحسن[7]، ومجاهد[8].

الثاني : يعني: مقابلة، نعاينهم ونراهم، وهو من قول العرب: لقيت فلانا قبلا وقبلا، أي: معاينة، قاله قتادة[9]، وابن جريج[10]، وأبو عبيدة[11]، وأنشد قول الأعشى[12]:

"نصالحكم حتى تبوؤا بمثلها ... كصرخة حبلى بشّرتها قبيلها

أي: قابلتها فإذا وصفوا بتقدير فعيل من قولهم: قابلت ونحوها جعلوا لفظ صفة الاثنين والجميع من المذكر والمؤنث على لفظ واحد، نحو قولك: هى قبيلى وهما قبيلى وهم قبيلى وكذلك هن قبيلى"[13].

قال الطبري:" ووجهه بعض أهل العربية إلى أنه بمعنى الكفيل من قولهم: هو قبيل فلان بما لفلان عليه وزعيمه"[14].

الثالث : ضامنا، يقال: قبلت به أي: كفلت به، قاله الضحاك[15]، وابن قتيبة[16].

الرابع : كفيلا. حكاه الثعلبي عن ابن عباس[17]، وبه قال الفراء[1].

---

[1]تفسير مجاهد:٤٤٢، وتفسير الطبري:٥٥٠/١٧-٥٥١.

[2] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٥٠/٢.

[3] انظر: تفسير الطبري:٥٥٠/١٧.

[4] انظر: السبعة في القراءات:٣٨٥، والتيسير في القراءات السبع:١٤١

[5] معاني القرآن:٢٥٩/٣.

[6] التفسير الميسر:٢٩١.

[7] انظر: النكت والعيون:٢٧٢/٣.

[8] انظر: تفسير مجاهد:٤٤٢، وتفسير الطبري:٥٥١/١٧.

[9] انظر: تفسير الطبري:٥٥٢/١٧، وتفسير عبدالرزاق(١٦٢٥):ص٣١٥/٢، ووحكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان:١٣٥/٦.

[10]انظر: تفسير الطبري:٥٥٢/١٧.

[11] انظر: مجاز القرآن:٣٩٠/١.

[12]البيت فى ملحق ديوان الأعشى ص ٢٥٦ برواية شرح شواهد الكشاف ٢٤٧، وهو فى الطبري ١٥/ ١٠١ واللسان (قبل) وعجزه فى الإصلاح ١٦٠ وفتح الباري ٨/ ٢٩٧.

وهو من قصيدة عدتها ١٨ بيتا. والشاهد هو ال ١٧فيها. وقبله: فإني ورب الساجدينعشية ... وما صك ناقوس النصارى أبيلها

والقصيدة قالها في الحرب التي كانت بينه وبين الحرقتين، يعاتب بني مرثد وبني جحدر، وفي رواية الشاهد: "أصالحكم" بالهمزة بدل النون. يقول: لن أصالحكم حتى تبوءوا بمثل جنايتكم وبغيكم، وتصرخوا صرخة الحبلى حين تعينها القابلة في المخاض. "وقبولها" في موضع: قبيلها. والأبيل الراهب. وتبوءا. ويسرتها: سهلت ولادتها وأعانتها فيها. والقبول: المرأة التي تستقبل الولد عند الولادة.

[13] مجاز القرآن:٣٩١/١.

[14] تفسير الطبري:٥٥٢/١٧.

[15] حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان:١٣٥/٦.

[16] انظر: غريب القرآن:٢٦١.

[17] انظر: الكشف والبيان:١٣٥/٦. دون الإسناد

وقال مقاتل:" يعني: كفيلا يشهدون بأنك رسول الله- عز وجل-"[٢].
الخامس: مجتمعين ، مأخوذ من قبائل الرأس لاجتماع بعضه إلى بعض ومنه سميت قبائل العرب لاجتماعها ، حكاه الماوردي عن ابن بحر[٣].
قال الطبري:" وأشبه الأقوال في ذلك بالصواب، القول الذي قاله قتادة من أنه بمعنى المعاينة، من قولهم: قابلت فلانا مقابلة، وفلان قبيل فلان، بمعنى قبالته"[٤]. وأنشد قول الأعشى السابق.

القرآن

{أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (٩٣)} [الإسراء : ٩٣]

التفسير:

أو يكون لك بيت من ذهب، أو تصعد في درج إلى السماء، ولن نصدِّقك في صعودك حتى تعود، ومعك كتاب من الله منشور نقرأ فيه أنك رسول الله حقا. قل -أيها الرسول- متعجبًا مِن تعنُّت هؤلاء الكفار: سبحان ربي!! هل أنا إلا عبد من عباده مبلِّغ رسالته؟ فكيف أقدر على فعل ما تطلبون؟

قوله تعالى:{أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ} [الإسراء : ٩٣]، أي:" أو يكون لك بيت من ذهب"[٥].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره مخبرا عن المشركين الذين ذكرنا أمرهم في هذه الآيات: أو يكون لك يا محمد بيت من ذهب، وهو الزخرف"[٦].

وفي قوله تعالى:{أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ} [الإسراء : ٩٣]، وجهان:
أحدهما : أن الزخرف النقوش ، وهذا قول الحسن[٧].
الثاني : أنه الذهب ، وهذا قول ابن عباس[٨]، ومجاهد[٩]، وقتادة[١٠]، ومقاتل[١١]، ورواه الفراء عن الكلبي[١٢].

قال مجاهد : "كنا لا ندري ما «الزخرف»، حتى رأيناه في قراءة ابن مسعود: «أو يكون لك بيت من ذهب»"[١٣].

وأصله من "«الزخرفة»: وهو تحسين الصورة، ومنه قوله تعالى: {حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَت} [يونس : ٢٤]"[١٤].

قوله تعالى:{أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ} [الإسراء : ٩٣]، أي:" أو تصعد في درج إلى السماء"[١٥].

قال الطبري:" يعني: أو تصعد في درج إلى السماء"[١].

---

[١] انظر: معاني القرآن:١٣١/٢.
[٢] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٥٠/٢، وحكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان:١٣٥/٦.
[٣] انظر: النكت والعيون:٢٧٢/٣.
[٤] تفسير الطبري:٥٥٢/١٧.
[٥] التفسير الميسر:٢٩١.
[٦] تفسير الطبري:٥٥٣/١٧.
[٧] انظر: النكت والعيون:٢٧٣/٣.
[٨] انظر: تفسير الطبري:٥٥٣/١٧.
[٩] انظر: تفسير مجاهد:٤٤٢، وتفسير الطبري:٥٥٣/١٧.
[١٠] انظر: تفيير عبدالرزاق(١٦٢٨):ص٣١٧/٢، وتفسير الطبري:٥٥٣/١٧
[١١] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٢٣٣/٢.
[١٢] انظر: معاني القرآن:١٣٢/٢.
[١٣] أخرجه الطبري:٥٥٣/١٧.
[١٤] النكت والعيون:٥٥٣/١٧.
[١٥] التفسير الميسر:٢٩١.

قوله تعالى:{وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ} [الإسراء : ٩٣]، أي:" ولن نصدِّقك في صعودك حتى تعود، ومعك كتاب من الله منشور نقرأ فيه أنك رسول الله حقا"[٢].

قال الطبري:" يقول: ولن نصدقك من أجل رقيك إلى السماء {حتى تنزل علينا كتابا} منشورا نقرؤه فيه أمرنا باتباعك والإيمان بك"[٣].

عن مجاهد:قوله "{كتابا نقرؤه}، قال: من رب العالمين إلى فلان، عند كل رجل صحيفة تصبح عند رأسه يقرؤها"[٤].

وفي رواية عن مجاهد، قوله :"{كتابا نقرؤه}، قال: من رب العالمين إلى فلان، عند كل رجل صحيفة تصبح عند رأسه يقرؤها"[٥].

قال قتادة:" أي: كتابا خاصا نؤمر فيه باتباعك"[٦].

قوله تعالى:{قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا} [الإسراء : ٩٣]، أي:" قل -أيها الرسول- متعجبًا مِن تعنُّت هؤلاء الكفار: سبحان ربي!! هل أنا إلا عبد من عباده مبلِّغ رسالته؟ فكيف أقدر على فعل ما تطلبون؟"[٧].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك، القائلين لك هذه الأقوال، تنزيها لله عما يصفونه به، وتعظيما له من أن يؤتى به وملائكته، أو يكون لي سبيل إلى شيء مما تسألونيه {هل كنت إلا بشرا رسولا}، يقول: هل أنا إلا عبد من عبيده من بني آدم، فكيف أقدر أن أفعل ما سألتموني من هذه الأمور، وإنما يقدر عليها خالقي وخالقكم، وإنما أنا رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم، والذي سألتموني أن أفعله بيد الله الذي أنا وأنتم عبيد له، لا يقدر على ذلك غيره"[٨].

قال ابن كثير:" سبحانه وتعالى وتقدس أن يتقدم أحد بين يديه في أمر من أمور سلطانه وملكوته ، بل هو الفعال لما يشاء ، إن شاء أجابكم إلى ما سألتم ، وإن شاء لم يجبكم ، وما أنا إلا رسول إليكم أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم ، وقد فعلت ذلك ، وأمركم فيما سألتم إلى الله عز وجل"[٩].

قال السعدي:" ولما كانت هذه تعنتات وتعجيزات؛ وكلام أسفه الناس وأظلمهم، المتضمنة لرد الحق وسوء الأدب مع الله، وأن الرسول ﷺ هو الذي يأتي بالآيات، أمره الله أن ينزهه فقال: {قل سبحان ربي} عما تقولون علوا كبيرا، وسبحانه أن تكون أحكامه وآياته تابعة لأهوائهم الفاسدة، وآرائهم الضالة. {هل كنت إلا بشرا رسولا} ليس بيده شيء من الأمر، وهذا السبب الذي منع أكثر الناس من الإيمان، حيث كانت الرسل التي ترسل إليهم من جنسهم بشرا، وهذا من رحمته بهم، أن أرسل إليهم بشرا منهم، فإنهم لا يطيقون التلقي من الملائكة"[١٠].

قرأ ابن كثير وابن عامر :«قال سبحان ربي»، بالف، والباقون {قل} بغير الف[١١]. عن أبي أمامة ، عن النبي ﷺ قال : "عرض ربي عز وجل ليجعل لي بطحاء مكة ذهبًا ، فقلت : لا يا رب ، ولكن أشبع يومًا ، وأجوع يومًا - أو نحو ذلك - فإذا جُعت تضرعت إليك وذكرتك ، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك"[١٢].

---

[١] تفسير الطبري:٥٥٤/١٧.
[٢] التفسير الميسر:٢٩١.
[٣] تفسير الطبري:٥٥٤/١٧.
[٤] أخرجه الطبري:٥٥٤/١٧.
[٥] أخرجه الطبري:٥٥٤/١٧.
[٦] أخرجه الطبري:٥٥٤/١٧.
[٧] التفسير الميسر:٢٩١.
[٨] تفسير الطبري:٥٥٤/١٧.
[٩] تفسير ابن كثير:١٢١/٥.
[١٠] تفسير السعدي:٤٦٦.
[١١] انظر: السبعة في القراءات:٣٨٥، والتيسير في القراءات السبع:١٤١
[١٢]المسند (٢٤٥/٥) وسنن الترمذي برقم (٢٣٤٧)، وقال : هذا حديث حسن. قال ابن كثير:١٢١/٥، "وعلي بن

فوائد الآيات:[٩٠-٩٣]:
١- تقرير نبوة الرسول محمد-ﷺ-.
٢- بيان شدة عناد مشركي قريش، وتصلبهم وتحزبهم إزاء دعوة التوحيد.
٣- أن الذي يفهم من هذه الآيات، وما شاكلها، نفي المعجزات المقترحة، ولا يلزم من نفي المعجزات المقترحة نفي المعجزات مطلقا. إذ أنه ليس حتما على الأنبياء أن يظهروا معجزة كلما طلبها المنكرون!! بل -على العكس- فهم لا يظهرون المعجزة إذا كان طلبها منطويا على العناد والامتحان والاستهزاء

القرآن

{وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا (٩٤)} [الإسراء : ٩٤]

التفسير:
وما منع الكفارَ من الإيمان بالله ورسوله وطاعتهما، حين جاءهم البيان الكافي من عند الله، إلا قولهم جهلا وإنكارًا: أبعث الله رسولا من جنس البشر؟

قوله تعالى:{وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى} [الإسراء : ٩٤]، أي:" وما منع الكفارَ من الإيمان بالله ورسوله وطاعتهما، حين جاءهم البيان الكافي من عند الله"[١].

قال مقاتل:" يعني: رءوس كفار مكة، {أن يؤمنوا}، يعني: أن يصدقوا بالقرآن {إذ جاءهم الهدى} يعني: البيان، وهو «القرآن»، لأن القرآن هدى من الضلالة"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وما منع يا محمد مشركي قومك الإيمان بالله، وبما جئتهم به من الحق إذ جاءهم البيان من عند الله بحقيقة ما تدعوهم وصحة ما جئتهم به"[٣].

قال ابن كثير:" يقول تعالى :{ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ } أي : أكثرهم { أَنْ يُؤْمِنُوا } ويتابعوا الرسل"[٤].

قال يحيى بن سلام:"يعني: المشركين"[٥].

قوله تعالى:{إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا} [الإسراء : ٩٤]، أي:" إلا قولهم جهلا وإنكارًا: أبعث الله رسولا من جنس البشر؟"[٦].

قال الطبري:" إلا قولهم جهلا منهم {أبعث الله بشرا رسولا}"[٧].

قال يحيى بن سلام:" على الاستفهام، وهذا الاستفهام على إنكار منهم، أي: لم يبعث الله بشرا رسولا فلو كان من الملائكة لآمنا به"[٨].

قال ابن كثير:" إلا استعجابهم من بعثته البشر رسلا كما قال تعالى : { أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا } [يونس : ٢]، وقال تعالى : { ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ } [التغابن : ٦] ، وقال فرعون وملؤه : { أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ } [المؤمنون : ٤٧] ، وكذلك قالت الأمم لرسلهم : { إِنْ أَنْتُمْ إِلا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ } [إبراهيم : ١٠] ، والآيات في هذا كثيرة"[٩].

يزيد يُضَعَّفُ في الحديث"، قلت: وعبد الله بن زحر والقاسم ضعفاء.
[١]التفسير الميسر:٢٩١.
[٢] تفسير مقاتل بن سليمان:٥٥١/٢.
[٣] تفسير الطبري:٥٥٨/١٧.
[٤] تفسير ابن كثير:١٢١/٥.
[٥] تفسير يحيى بن سلام:١٦٣/١.
[٦]التفسير الميسر:٢٩١.
[٧] تفسير الطبري:٥٥٨/١٧.
[٨] تفسير يحيى بن سلام:١٦٣/١.
[٩] تفسير ابن كثير:١٢١/٥.

القرآن
{قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا (٩٥)} [الإسراء : ٩٥]
التفسير:
قل -أيها الرسول- ردًّا على المشركين إنكارهم أن يكون الرسول من البشر: لو كان في الأرض ملائكة يمشون عليها مطمئنين، لأرسلنا إليهم رسولا من جنسهم، ولكنَّ أهل الأرض بشر، فالرسول إليهم ينبغي أن يكون من جنسهم؛ ليمكنهم مخاطبته وفَهْم كلامه.
سبب النزول:
قال مقاتل:" نزلت فى المستهزئين والمطعمين ببدر، فأنزل- تبارك وتعالى-:{قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ}.."[١].
قوله تعالى:{قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ} [الإسراء : ٩٥]، أي:" قل -أيها الرسول- لو كان أهل الأرض ملائكة يمشون على أقدامهم كما يمشي الناس ساكنين في الأرض مستقرين فيها"[٢].
قال الطبري:" قل يا محمد لهؤلاء الذين أبوا الإيمان بك وتصديقك فيما جئتهم به من عندي، استنكارا لأن يبعث الله رسولا من البشر: لو كان أيها الناس في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين"[٣].
قال ابن كثير:" قال تعالى منبهًا على لطفه ورحمته بعباده : أنه يبعث إليهم الرسول من جنسهم ، ليفقهوا عنه ويفهموا منه ، لتمكنهم من مخاطبته ومكالمته ، ولو بعث إلى البشر رسولا من الملائكة لما استطاعوا مواجهته ولا الأخذ عنه ، كما قال تعالى : { لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولا مِنْ أَنْفُسِهِمْ } [آل عمران : ١٦٤] ، وقال تعالى : { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ } [التوبة : ١٢٨] ، وقال تعالى : { كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ * فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ } [البقرة : ١٥١ ، ١٥٢] ؛ ولهذا قال هاهنا : { لَوْ كَانَ فِي الأرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ } أي : كما أنتم فيها"[٤].
قال ابن ابي زمنين: "{مطمئنين} أي: قد اطمأنت بهم الدار فهي مسكنهم"[٥].
قال الزجاج:" أي: يمشون مستوطنين الأرض"[٦].
قال الكلبي:" مقيمين"[٧].
قال الحسن: "قانطين"[٨].
قال النحاس:"{مطمئنون}: نعت للملائكة. ومعنى هذا- والله أعلم- :لو كان في الأرض ملائكة يمشون لا يعبدون الله ولا يخافونه. وهذا معنى المطمئنين لأن المتعبد الخائف لا يكون مطمئنا"[٩].
قال الواحدي:" معنى:«الطمأنينة»: السكون، والمراد ههنا المقام والاستيطان، لأنه يقال: سكن فلان بلد كذا إذا استوطن، وإن كان ماشيا متقلبا في حاجاته، وليس يراد السكون الذي هو ضد الحركة"[١].

---
[١] تفسير مقاتل بن سليمان:٥٥١/٢.
[٢] صفوة التفاسير:١٦٢/٢.
[٣] تفسير الطبري:٥٥٨/١٧.
[٤] تفسير ابن كثير:١٢١/٥.
[٥] تفسير ابن ابي زمنين:٤٠/٣.
[٦] معاني القرآ،:٢٦١/٣.
[٧] التفسير الوسيط للواحدي:١٢٩/٣.
[٨] التفسير الوسيط للواحدي:١٢٩/٣.
[٩] إعراب القرآن:٢٨٤/٢.

قوله تعالى:{لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا} [الإسراء : ٩٥]، أي:" لنزلنا عليهم رسولاً من الملائكة ولكنَّ أهل الأرض بشرٌ"[٢].

قال يحيى بن سلام:" ولكن فيها بشر، فأرسلنا إليهم بشرا مثلهم"[٣].

قال الزجاج:" لأنه لا يُرْسَلُ إلى خلق إلا ما كان مِن جِنْسِهِ"[٤].

قال ابن كثير:" أي : من جنسهم ، ولما كنتم أنتم بشرًا ، بعثنا فيكم رسلنا منكم لطفًا ورحمة "[٥].

قال الواحدي:" أعلمهم الله تعالى أن الأعدل والأبلغ في الأداء إليهم بشر مثلهم، ولو كان في الأرض بدل الآدميين ملائكة لنزلنا عليهم ملكا رسولا"[٦].

قال الطبري:" لأن الملائكة إنما تراهم أمثالهم من الملائكة، ومن خصّه الله من بني آدم برؤيتها، فأما غيرهم فلا يقدرون على رؤيتها فكيف يبعث إليهم من الملائكة الرسل، وهم لا يقدرون على رؤيتهم وهم بهيئاتهم التي خلقهم الله بها، وإنما يرسل إلى البشر الرسول منهم، كما لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين، ثم أرسلنا إليهم رسولا أرسلناه منهم ملكا مثلهم"[٧].

قال القشيري:" الجنس إلى الجنس أميل، والشكل بالشكل آنس، فقال سبحانه لو كان سكان الأرض ملائكة لجعلنا الرسول إليهم ملكا، فلما كانوا بشرا فلا ينبغي أن يستبعد إرسال البشر إلى البشر"[٨].

فوائد الآيتين:[٩٤-٩٥]

١- بيان سخف عقول المشركين برضاهم للألوهية بحجر وإنكارهم الرسالة للبشر!

إذ كان إنكارهم لبعث الرسول ﷺ في الصورة البشرية أشد، وإصرارهم على ذلك أبلغ. وأخبر التنزيل عنهم بقوله تعالى: {وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا} [الإسراء:٩٤]، {أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا} [التغابن:٦]، فمن كان يعترف بالملائكة كان يريد أن يأتي ملك من السماء: {وَقَالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ} [الفرقان:٧،] ومن كان لا يعترف بهم كان يقول: الشفيع والوسيلة لنا إلى الله تعالى هم الأصنام المنصوبة، إما الأمر والشريعة من الله تعالى إلينا فهو المنكر.

فيعبدون الأصنام التي هي الوسائل: ودا، وسواعا، ويغوث، ويعوق، ونسرا، وكان ود لكلب وهو بدومة الجندل، وسواع لهذيل. وكانوا يحجون إليه وينحرون له، ويغوث لمذحج ولقبائل من اليمن، ويعوق لهمدان، ونسر لذي الكلاع بأرض حمير. وكانت اللات لثقيف بالطائف، والعزي لقريش وجميع بني كنانة وقوم من بني سليم. ومناة للأوس والخزرج وغسان. وهبل أعظم الأصنام عندهم، وكان على ظهر الكعبة، وأساف ونائلة على الصفا والمروة وضعهما عمر بن لحي، وكان يذبح عليهما تجاه الكعبة، وزعموا أنهما كانا من جرهم إساف بن عمرو، ونائلة بنت سهل تعاشقا ففجرا في الكعبة، فمسخا حجرين. وقيل: لا، بل كانا صنمين جاء بهما عمرو بن لحي فوضعهما على الصفا.

وكان لبني ملكان من كنانة صنم يقال له سعد، وهو الذي يقول فيه قائلهم[٩]:

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا ... فشتتنا سعد، فلا نحن من سعد

---

[١] التفسير الوسيط:١٢٩/٣.
[٢] صفوة التفاسير:١٦٢/٢.
[٣] تفسير يحيى بن سلام:١٦٤/١.
[٤] معاني القرآن:٢٦١/٣.
[٥] تفسير ابن كثير:١٢١/٥.
[٦] التفسير الوسيط:١٢٩/٣.
[٧] تفسير الطبري:٥٥٨/١٧.
[٨] لطائف الإشارات:٣٧٠/٢.
[٩] انظر: الملل والنحل:٨٢/٣.

وهل سعد إلا صخرة بتنوفة[1] ... من الأرض لا يدعو لغي ولا رشد
وكانت العرب إذا لبت وهللت قالت[2]:
لبيك اللهم لبيك ... لبيك لاشريك لك
إلا شريك هو لك ... تملكه وما ملك

ومن العرب من كان يميل إلى اليهودية، ومنهم من كان يميل إلى النصرانية، ومنهم من كان يصبو إلى الصابئة، ويعتقد في الأنواء اعتقاد المنجمين في السيارات حتى لا يتحرك ولا يسكن ولا يسافر ولا يقيم إلا بنوء من الأنواء، ويقول: مطرنا بنوء كذا. ومنهم من كان يصبوا إلى الملائكة فيعبدهم، بل كانوا يعبدون الجن، ويعتقدون فيهم أنهم بنات الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا[3].

٢- تقرير أن التفاهم حسب سنة الله لا يتم إلا بين المتجانسين فإذا اختلفت الأجناس فلا تفاهم إلا أن يشاء الله فلا يتفاهم إنسان مع حيوان أو جان.

القرآن

{قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٩٦)} [الإسراء : ٩٦]

التفسير:

قل لهم: كفى بالله شهيدًا بيني وبينكم على صِدْقي وحقيقة نبوَّتي. إنه سبحانه خبير بأحوال عباده، بصير بأعمالهم، وسيجازيهم عليها.

قوله تعالى:{قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ} [الإسراء : ٩٦] أي:" قل لهم: كفى بالله شهيدًا بيني وبينكم على صِدْقي وحقيقة نبوَّتي"[4].

قال مقاتل:" يقول: فلا أحد أفضل من الله شاهدا بأني رسول الله إليكم"[5].

قال البغوي:أي:بـ" أني رسول الله إليكم"[6].

قال الطبري:" فإنه نعم الكافي والحاكم"[7].

قوله تعالى:{إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا} [الإسراء : ٩٦] أي:" . إنه سبحانه خبير بأحوال عباده، بصير بأعمالهم، وسيجازيهم عليها"[8].

قال الطبري:" يقول: إن الله بعباده ذو خبرة وعلم بأمورهم وأفعالهم، والمحقّ منهم والمُبطل، والمُهدىّ والضالّ {بَصِيرًا} بتدبيرهم وسياستهم وتصريفهم فيما شاء، وكيف شاء وأحبّ، لا يخفى عليه شيء من أمورهم، وهو مجازٍ جميعَهم بما قدّم عند ورودهم عليه"[9].

الفوائد:

١- عظم شهادة الله تعالى ووجوب الاكتفاء بها.
٣- إثبات اسمين من اسمائه تعالى، وهما:«الخبير»، و«البصير»:
- «الخبير»: أي:"العالم العارف بما كان وما يكون"[10].
- «الْبَصِير»: "يعني: المدرك لجميع المبصرات"[11].

---

[1] التنوفة: الأرض المترامية الأطراف، أو الفلاة لا ماء فيها ولا أقيس.
[2] انظر: الملل والنحل:٨٢/٣.
[3] انظر: الملل والنحل:٨١/٣-٨٢.
[4] التفسير الميسر:٢٩١.
[5] تفسير مقاتل بن سليمان:٥٥١/٢.
[6] تفسير البغوي:١٣١/٥.
[7] تفسير الطبري:٥٥٩/١٧.
[8] التفسير الميسر:٢٩١.
[9] تفسير الطبري:٥٥٩/١٧.
[10] جامع الأصول:١٧٣/٤.
[11] انظر: شرح العقيدة الواسطية، ابن عثيمين:٢٠٨/١.

القرآن
{وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٩٧)} [الإسراء : ٩٧]
التفسير:
ومن يهده الله فهو المهتدي إلى الحق، ومن يضلله فيخذلْه ويَكِلْه إلى نفسه فلا هادي له من دون الله، وهؤلاء الضُّلال يبعثهم الله يوم القيامة، ويحشرهم على وجوههم، وهم لا يرون ولا ينطقون ولا يسمعون، مصيرهم إلى نار جهنم الملتهبة، كلما سكن لهيبها، وخمدت نارها، زدناهم نارًا ملتهبة متأججة.

قوله تعالى:{وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ} [الإسراء : ٩٧]، أي:" ومن يهده الله فهو المهتدي إلى الحق"[١].

قال يحيى بن سلام:" ولا يستطيع أحد أن يضله"[٢].

قال مكي:" أي: من يهده الله للإيمان فهو المهتدي للرشد والحق"[٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ومن يهد الله يا محمد للإيمان به، ولتصديقك وتصديق ما جئت به من عند ربك، فوفَّقه لذلك، فهو المهتد الرشيد المصيب الحقّ، لا من هداه غيره، فإن الهداية بيده"[٤].

قوله تعالى:{وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ} [الإسراء : ٩٧]، أي:" ومن يضلله فيخذلْه ويَكِلْه إلى نفسه فلا هادي له من دون الله"[٥].

قال يحيى بن سلام:" أولياء من دونه، يمنعونهم من عذاب الله"[٦].

قال مكي:" ومن يضلله عن الإيمان ولا يوفقه فلن تجد له يا محمد أولياء من دون الله عز وجل ينصرونه من عذاب الله سبحانه"[٧].

قال الطبري:" يقول: ومن يضلله الله عن الحقّ، فيخذله عن إصابته، ولم يوفقه للإيمان بالله وتصديق رسوله، فلن تجد لهم يا محمد أولياء ينصرونهم من دون الله، إذا أراد الله عقوبتهم والاستنقاذ منهم"[٨].

قوله تعالى:{وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا} [الإسراء : ٩٧]، أي:" وهؤلاء الضُّلال يبعثهم الله يوم القيامة، ويحشرهم على وجوههم، وهم لا يرون ولا ينطقون ولا يسمعون"[٩].

قال الطبري:" يقول: ونجمعهم بموقف القيامة من بعد تفرقهم في القبور عند قيام الساعة {عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا}"[١٠].

عن قتادة، قوله :"{وبكما}، قال: الخرس :{وصما}، وهو جمع «أصم»"[١١].

وفي قوله تعالى:{وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ} [الإسراء : ٩٧]، وجهان[١٢]:
أحدهما : أن ذلك عبارة عن الإسراع بهم إلى جهنم ، من قول العرب : قدم القوم على وجوههم إذا أسرعوا .

---

[١] التفسير الميسر:٢٩٢.
[٢] تفسير يحيى بن سلام:١٦٤/١.
[٣] الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٢٩٤/٦.
[٤] تفسير الطبري:٥٥٩/١٧.
[٥] التفسير الميسر:٢٩٢.
[٦] تفسير يحيى بن سلام:١٦٤/١.
[٧] الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٢٩٤/٦.
[٨] تفسير الطبري:٥٥٩/١٧.
[٩] التفسير الميسر:٢٩٢.
[١٠] تفسير الطبري:٥٥٩/١٧.
[١١] أخرجه الطبري:٥٥٩/١٧.
[١٢] انظر: النكت والعيون:٢٧٤/٣-٢٧٥.

الثاني : أنه يسحبون يوم القيامة على وجوههم إلى جهنم كمن يفعل في الدنيا بمن يبالغ في هوانه وتعذيبه.

عن أنس بن مالك،:" عن أنس أن رجلا قال: يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال النبي ﷺ: "إن الذي أمشاه على رجليه قادر على أن يمشيه على وجهه""[١].

وفي قوله تعالى:{عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا} [الإسراء : ٩٧]، وجهان:

أحدهما : أنهم حشروا في النار عُمي الأبصار بُكم الألسن صُمّ الأسماع ليكون ذلك يزادة في عذابهم ، ثم أبصروا لقوله تعالى : {وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا} [الكهف : ٥٣]، وتكلموا لقوله تعالى : {دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا} [الفرقان : ١٣] ، وسمعوا ، لقوله تعالى : {سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا} [الفرقان : ١٢][٢].

وقال مقاتل: "وذلك إذا قيل لهم : {اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون} [المؤمنون : ١٠٨]، فصاروا فيها عميا لا يبصرون أبدا، وصما لا يسمعون أبدا"[٣].

قال يحيى بن سلام:" إما عميا: فعموا في النار حين دخلوها فلم يبصروا فيها شيئا، وهي سوداء مظلمة لا يضيء لهبها، وبكما: خرسا، انقطع كلامهم حين قال: {اخسئوا فيها ولا تكلمون} [المؤمنون: ١٠٨]، وصما: ذهب الزفير والشهيق بسمعهم فلا يسمعون معه شيئا"[٤].

الثاني : أن حواسهم على ما كانت عليه ، ومعناه: عمي عما يسرّهم ، بكم عن التكلم بما ينفعهم ، صم عما يمتعهم ، قاله ابن عباس[٥]، والحسن[٦].

قوله تعالى:{مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ} [الإسراء : ٩٧]، أي:" مصيرهم إلى نار جهنم الملتهبة"[٧].

قال مقاتل: " يعني: مصيرهم جهنم"[٨].

وقال ابن عباس:" يعني: إنهم وقودها"[٩].

قوله تعالى:{كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا} [الإسراء : ٩٧]، أي:" كلما سكن لهيبها، وخمدت نارها، زدناهم نارًا ملتهبة متأججة"[١٠].

قال مجاهد:" يقول: كلما أطفئت أوقدت"[١١].

قال الأخفش:" يقول: "لا يخفف عنهم من العذاب الذي هو هكذا"[١٢].

قال ابن عباس:" يقول: كلما أحرقتهم تسعر بهم حطبا، فإذا أحرقتهم فلم تبق منهم شيئا صارت جمرا تتوهج، فذلك خبوها، فإذا بدلوا خلقا جديدا عاودتهم"[١٣].

وقال ابن عباس:" خبوها أنها تسعر بهم حطبا، فإذا أحرقتهم، فلم يبق منهم شيء صارت جمرا تتوهج، فإذا بدلوا خلقا جديدا عاودتهم"[١٤].

---

[١]أخرجه البخاري في تفسير سورة الفرقان باب "الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم": ٨ / ٤٩٢، ومسلم في المنافقين، باب يحشر الكافر على وجهه برقم (٢٨٠٦) : ٤ / ٢١٦١، وأخرجه البغوي في التفسير:١٣١/٥، والواحدي في التفسير الوسيط(٥٥٧):ص١٢٩/٣.

[٢] انظر: النكت والعيون:٢٧٥/٣.

[٣] تفسير مقاتل بن سليمان:٥٥١/٢.

[٤] تفسير يحيى بن سلام:١٦٤/١.

[٥] انظر: النكت والعيون:٢٧٥/٣.

[٦] انظر: النكت والعيون:٢٧٥/٣.

[٧] التفسير الميسر:٢٩٢.

[٨] تفسير مقاتل بن سليمان:٥٥١/٢.

[٩] أخرجه الطبري:٥٦٠/١٧.

[١٠] التفسير الميسر:٢٩٢.

[١١] تفسير مجاهد:٤٤٢.

[١٢] معاني القرآن:٤٨٦/٢.

[١٣] أخرجه الطبري:٥٦١/١٧.

[١٤] أخرجه الطبري:٥٦١/١٧.

قال قتادة:" يقول: كلما احترقت جلودهم بدلوا جلودا غيرها، ليذوقوا العذاب"[١].
وقال قتادة:" كلما لان منها شيء"[٢].
قال يحيى بن سلام: وخبوها أنها تأكل كل شيء: الجلد، والعظم، والشعر، والبشر، والأحشاء، حتى تهجم على الفؤاد، فلا يريد الله أن تأكل أفئدتهم، فإذا انتهت إلى الفؤاد خبت، سكنت فلم تشعر بهم وتركت فؤاده تصيح، ثم يجدد خلقهم فيعود فتأكلهم، فلا يزالون كذلك، وهو قوله: {كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها} [النساء: ٥٦]"[٣].
قال أبو عبيدة:" أي تأجّجا، وخبت سكنت، قال الكميت[٤]:
ومنّا ضرار وابنماه وحاجب ... مؤجّج نيران المكارم لا المخبى
قال: ولا تكون الزيادة إلّا على أقلّ منها قبل الزيادة. قال القطاميّ[٥]:
وتخبو ساعة وتشبّ ساعا
ولم يذكر هاهنا جلودهم فيكون الخبوّ لها"[٦].
عن الضحاك :"{كلما خبت}، قال: سكنت"[٧].
قال الماوردي:" وسكون التهابها من غير نقصان في الآمهم ولا تخفيف من عذابهم"[٨].
عذابهم"[٨].
القرآن
{ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٩٨)} [الإسراء : ٩٨]
التفسير:
هذا الذي وُصِف من العذاب عقاب للمشركين؛ بسبب كفرهم بآيات الله وحججه، وتكذيبهم رسله الذين دَعَوْهم إلى عبادته، وقولهم استنكارًا - إذا أُمروا بالتصديق بالبعث -: أإذا متنا وصِرْنا عظامًا بالية وأجزاءً متفتتة نُبعث بعد ذلك خَلْقًا جديدًا؟
قوله تعالى:{ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا} [الإسراء : ٩٨]، أي:" هذا الذي وُصِف من العذاب عقاب للمشركين؛ بسبب كفرهم بآيات الله وحججه وتكذيبهم رسله الذين دَعَوْهم إلى عبادته"[٩].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: هذا الذي وصفنا من فعلنا يوم القيامة بهؤلاء المشركين، ما ذكرت أنا نفعل بهم من حشرهم على وجوههم عميا وبكما وصما، وإصلائنا إياهم النار على ما بيَّنا من حالتهم فيها ثوابهم بكفرهم في الدنيا بآياتنا، يعني بأدلته وحججه، وهم رسله الذين دعوهم إلى عبادته، وإفرادهم إياه بالألوهة دون الأوثان والأصنام"[١٠].
قوله تعالى:{وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا} [الإسراء : ٩٨]، أي:" وبسبب قولهم استنكارًا - إذا أُمروا بالتصديق بالبعث -: أإذا متنا وصِرْنا عظامًا بالية وأجزاءً متفتتة نُبعث بعد ذلك خَلْقًا جديدًا؟"[١١].
قال يحيى بن سلام:" على الاستفهام، أي: إن هذا ليس بكائن، يكذبون بالبعث"[١].

---

[١] أخرجه الطبري:٥٦١/١٧.
[٢] أخرجه عبدالرزاق في التفسير(١٦٣٠):ص٣١٧/٢.
[٣] تفسير يحيى بن سلام:١٦٤/١.
[٤]فى اللسان والتاج (خبا).
[٥]ديوانه ٣٩ وفى الكتاب ٢/ ١٩٥ والكامل ١٦٠ والطبري ١٥/ ١٠٥ والأضداد للأبيارى ١١٣ والشنتمرى ٢/ ٢/ ١٨٩ واللسان (سوع).
[٦] مجاز القرآن:٣٩١/١.
[٧] أخرجه الطبري:٥٦٢/١٧.
[٨] النكت والعيون:٢٧٥/٣.
[٩] التفسير الميسر:٢٩٢.
[١٠] تفسير الطبري:٥٦٢/١٧.
[١١] التفسير الميسر:٢٩٢.

قال الطبري:" وبقولهم إذا أُمروا بالإيمان بالميعاد، وبثواب الله وعقابه في الآخرة {أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا} بالية {وَرُفَاتًا} قد صرنا ترابا {أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا} يقولون: نُبعث بعد ذلك خلقا جديدا. كما ابتدأناه أوّل مرّة في الدنيا استنكارا منهم لذلك، واستعظاما وتعجبا من أن يكون ذلك"[٢].

القرآن

{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا (٩٩)} [الإسراء : ٩٩]

التفسير:

أَغَفَل هؤلاء المشركون، فلم يتبصروا ويعلموا أن الله الذي خلق السموات والأرض وما فيهن من المخلوقات على غير مثال سابق، قادر على أن يخلق أمثالهم بعد فنائهم؟ وقد جعل الله لهؤلاء المشركين وقتًا محددًا لموتهم وعذابهم، لا شك أنه آتيهم، ومع وضوح الحق ودلائله أبى الكافرون إلا جحودًا لدين الله عزَّ وجلَّ.

قوله تعالى:{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ} [الإسراء : ٩٩]، أي:" أَغَفَل هؤلاء المشركون، فلم يتبصروا ويعلموا أن الله الذي خلق السموات والأرض وما فيهن من المخلوقات على غير مثال سابق، قادر على أن يخلق أمثالهم بعد فنائهم؟"[٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد ﷺ: أولم ينظر هؤلاء القائلون من المشركين {أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا} بعيون قلوبهم، فيعلمون أن الله الذي خلق السماوات والأرض، فابتدعها من غير شيء، وأقامها بقُدرته، قادر بتلك القُدرة على أن يخلق مثلهم أشكالهم، وأمثالهم من الخلق بعد فنائهم، وقبل ذلك، وأن من قدر على ذلك فلا يمتنع عليه إعادتهم خلقا جديدا، بعد أن يصيروا عظاما ورُفاتا"[٤].

قال يحيى بن سلام:" وهم يقرون أنه خلق السموات، وهو قوله: {ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله} [لقمان: ٢٥]، فخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، والله خلقهم فهو {قادر على أن يخلق مثلهم} [الإسراء: ٩٩] ، يعني: البعث، وقال في آية أخرى: {أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم} [يس: ٨١]"[٥].

قال الثعلبي:" فأجابهم الله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} في عظمها وشدتها وكثرة أجزائها وقوتها {قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ} في صغرهم وضعفهم نظيره قوله : {لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ} [غافر : ٥٧]، وقوله: {أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ} [النازعات : ٢٧]"[٦].

قوله تعالى:{وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ} [الإسراء : ٩٩]، أي:" وقد جعل الله لهؤلاء المشركين وقتًا محددًا لموتهم وعذابهم، لا شك أنه آتيهم"[٧].

قال يحيى بن سلام:" لا شك فيه، القيامة"[٨].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وجعل الله لهؤلاء المشركين أجلا لهلاكهم، ووقتا لعذابهم لا ريب فيه. يقول: لا شكّ فيه أنه آتيهم ذلك الأجل"[٩].

---

[١] تفسير يحيى بن سلام:١/١٦٥.
[٢] تفسير الطبري:١٧/٥٦٢.
[٣] التفسير الميسر:٢٩٢.
[٤] تفسير الطبري:١٧/٥٦٢.
[٥] تفسير يحيى بن سلام:١/١٦٥.
[٦] الكشف والبيان:٦/١٣٧.
[٧] التفسير الميسر:٢٩٢.
[٨] تفسير يحيى بن سلام:١/١٦٥.
[٩] تفسير الطبري:١٧/٥٦٢-٥٦٢.

قال الثعلبي:" أي وقتا لعذابهم وهلاكهم لا ريب فيه إنه إليهم، وقيل: إن هذا جواب لقولهم أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا، وقيل: هو يوم القيامة، وقيل: هو الموت الذي يعاينونه"[١].

قوله تعالى:{فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا} [الإسراء : ٩٩]، أي:" ومع وضوح الحق ودلائله أبى الكافرون إلا جحودًا لدين الله عزَّ وجلَّ"[٢].

قال يحيى بن سلام:" المشركون، بالقيامة"[٣].

قال الطبري:" يقول: فأبى الكافرون إلا جحودا بحقيقة وعيده الذي أوعدهم وتكذيبا به"[٤].

قال الثعلبي:" فأبى الكافرون إلا جحودا"[٥].

فوائد الآيات:[٩٧-٩٩]:

١- الهداية والإضلال بيد الله فيجب طلب الهداية منه والاستعاذة به من الضلال.
٢- فظاعة عذاب يوم القيامة إذ يحشر الظالمون يمشون على وجوههم كالحيات وهم صم بكم عمي والعياذ بالله تعالى من حال أهل النار.
٣- جهنم جزاء الكفر بآيات الله والإنكار للبعث والجزاء يوم القيامة.
٤- دليل البعث عقلي كما هو نقلي فالقادر على البدء، قادر عقلا على الإعادة بل الإعادة -عقلا- أهون من البدء للخلق من لاشيء.

القرآن

{قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا (١٠٠)} [الإسراء : ١٠٠]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: لو كنتم تملكون خزائن رحمة ربي التي لا تنفد ولا تبيد إذًا لبخلتم بها، فلم تعطوا منها غيركم خوفًا مِن نفادها فتصبحوا فقراء. ومن شأن الإنسان أنه بخيل بما في يده إلا مَن عصم الله بالإيمان.

قوله تعالى:{قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي} [الإسراء : ١٠٠]، أي: قل -أيها الرسول- "لهؤلاء المعاندين المكابرين، المقترحين للخوارق والمعجزات: لو كنتم تملكون خزائن رزق الله ونِعَمه التي أفاضها على العباد"[٦].

قال الثعلبي:" أي: أملاك ربي وأمواله، وأراد بالـ«رحمة» -هاهنا-: الرزق"[٧].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيّه: قل يا محمد لهؤلاء المشركين: لو أنتم أيها الناس تملكون خزائن أملاك ربي من الأموال، وعنى بالـ«رحمة» -في هذا الموضع- : المال"[٨].

قوله تعالى:{إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ} [الإسراء : ١٠٠]، أي:" إذاً لبخلتم به وامتنعتم عن الإنفاق خوفاً من نفادها"[٩].

قال الثعلبي:" لبخلتم وحبستم خشية الفاقة"[١٠].

---

[١] الكشف والبيان:١٣٧/٦.
[٢] التفسير الميسر:٢٩٢.
[٣] تفسير يحيى بن سلام:١٦٥/١.
[٤] تفسير الطبري:٥٦٣/١٧.
[٥] الكشف والبيان:١٣٧/٦.
[٦] صفوة التفاسير:١٦٢/٢.
[٧] الكشف والبيان:١٣٧/٦.
[٨] تفسير الطبري:٥٦٣/١٧.
[٩] صفوة التفاسير:١٦٢/٢.
[١٠] الكشف والبيان:١٣٧/٦.

قال الطبري:" يقول: إذن لَبَخِلْتُمْ بِهِ فَلم تجودوا بها على غيركم، خشية من الإنفاق والإقتار"[1].

عن ابن عباس :"{إِذًا لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإنْفَاقِ}، قال: الفقر"[2].

عن قتادة :"{خَشْيَةَ الإنْفَاقِ}، أي: خشية الفاقة"[3].

قوله تعالى:{وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا} [الإسراء : ١٠٠]، أي:" وكان الإنسان شحيحاً مبالغاً في البخل"[4].

قال يحيى بن سلام:أي:" بخيلا، يقتر على نفسه وعلى غيره"[5].

قال أبو عبيدة:" أي: مقترا"[6].

قال ابن قتيبة:" أي: ضيقا بخيلا"[7].

قال الطبري:" يقول: وكان الإنسان بخيلا ممسكا"[8].

قال الثعلبي:" أي: بخيلا ممسكا ضيقا"[9].

عن ابن عباس:{وَكَانَ الإنْسَانُ قَتُورًا}، يقول: بخيلا"[10].

عن قتادة :"{وَكَانَ الإنْسَانُ قَتُورًا}، قال: بخيلا ممسكا"[11].

الفوائد:

١- بيان شح الإنسان وبخله ، فإن الشح من طبع الإنسان إلا أن يعالجه بالإيمان والتقوى فيقيه الله منه.

٢- بيان غناه -عز وجل- عن خلقه وأنه لا يزيد في غناه طاعة من أطاع ولا ينقصه معصية من عصى، وأنه لم يخلق الخلق لحاجة إليهم وأنه لو شاء لم يخلقهم ولو شاء لذهب بهم وجاء بغيرهم ويخبر أنهم كلهم فقراء إليه لا غنى لهم عنه في نفس من الأنفاس، وهم يعلمون ذلك من أنفسهم، وأنهم لم يكونوا موجودين حتى أوجدهم، ولا قدرة لهم على شيء من أنفسهم ولا غيرها إلا بما أقدرهم عليه الغني الحميد الفعال لما يريد.

القرآن

{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا (١٠١)} [الإسراء : ١٠١]

التفسير:

ولقد آتينا موسى تسع معجزات واضحات شاهدات على صِدْق نبوته وهي: العصا واليد والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، فاسأل -أيها الرسول- اليهود سؤال تقرير حين جاء موسى أسلافهم بمعجزاته الواضحات، فقال فرعون لموسى: إني لأظنك -يا موسى- ساحرا، مخدوعًا مغلوبًا على عقلك بما تأتيه من غرائب الأفعال.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ} [الإسراء : ١٠١]، أي:" ولقد آتينا موسى تسع معجزات واضحات شاهدات على صِدْق نبوته وهي: العصا واليد والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم"[1].

---

[1] تفسير الطبري:٥٦٣/١٧.

[2] أخرجه الطبري:٥٦٣/١٧.

[3] أخرجه الطبري:٥٦٣/١٧.

[4] صفوة التفاسير:١٦٢/٢.

[5] تفسير يحيى بن سلام:١٦٥/١.

[6] مجاز القرآن:٣٩٢/١.

[7] غريب القرآ،:٢٦١.

[8] تفسير الطبري:٥٦٣/١٧.

[9] الكشف والبيان:١٣٧/٦.

[10] أخرجه الطبري:٥٦٣/١٧.

[11] أخرجه الطبري:٥٦٣/١٧.

قال الطبري:" ولقد آتينا موسى بن عمران تسع آيات بينات تبين لمن رآها أنها حجج لموسى شاهدة على صدقه وحقيقة نبوته"[2].

وفي قوله تعالى:{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ} [الإسراء : ١٠١]، وجوه:

أحدها : التسع الآيات البينات: يده، وعصاه، ولسانه، والبحر، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم آيات مفصلات، قاله ابن عباس[3].

وقال الضحاك:" إلقاء العصا مرتين عند فرعون، ونزع يده، والعقدة التي كانت بلسانه، وخمس آيات في الأعراف: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم"[4].

الثاني : أنها نحو من ذلك إلا آيتين منهن إحداهما الطمس، والأخرى الحجر، قاله محمد بن كعب القرظي[5].

عن محمد بن كعب القرظي، قال: "سألني عمر بن عبد العزيز، عن قوله :{ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات}، فقلت له: هي الطوفان والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والبحر، وعصاه، والطمسة، والحجر، فقال: وما الطمسة؟ فقلت: دعا موسى وأمن هارون، فقال: قد أجيبت دعوتكما، وقال عمر: كيف يكون الفقه إلا هكذا. فدعا عمر بن عبد العزيز بخريطة كانت لعبد العزيز بن مروان أصيبت بمصر، فإذا فيها الجوزة والبيضة والعدسة ما تنكر، مسخت حجارة كانت من أموال فرعون أصيبت بمصر"[6].

الثالث : أنها نحو من ذلك ، وزيادة السنين ونقص من الثمرات ، وهو قول ابن عباس[7]، ومجاهد[8]، عكرمة[9] ومطر الوراق[10]، والشعبي[11]، وحكاه الماوردي عن الحسن[12].

قال ابن كثير:" وهذا القول ظاهر جلي حسن قوي"[13].

وقال ابن جريج:" ويقولون: التاسعتان: السنين، وذهاب عجمة لسان موسى"[14].

وفي رواية عن ابن عباس:" قوله :"{تسع آيات بينات}، وهي متتابعات، وهي في سورة الأعراف {ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات}، قال: السنين في أهل البوادي، ونقص من الثمرات لأهل القرى، فهاتان آيتان، والطوافان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، هذه خمس، ويد موسى إذ أخرجها بيضاء للناظرين من غير سوء: البرص، وعصاه إذ ألقاها، فإذا هي ثعبان مبين"[15].

الرابع : وقال آخرون نحوا من ذلك إلا أنهم جعلوا السنين، والنقص من الثمرات آية واحدة، وجعلوا التاسعة: تلقف العصا ما يأفكون. قاله الحسن[16].

---

(١) التفسير الميسر:٢٩٢.
(٢) تفسير الطبري:٥٦٤/١٧.
(٣) انظر: تفسير الطبري:٥٦٤/١٧.
(٤) أخرجه الطبري:٥٦٤/١٧.
(٥) انظر: تفسير الطبري:٥٦٤/١٧-٥٦٥.
(٦) أخرجه الطبري:٥٦٥/١٧.
(٧) انظر: تفسير الطبري:٥٦٦/١٧.
(٨) انظر: تفسير الطبري:٥٦٥/١٧.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٥٦٥/١٧.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:٥٦٥/١٧.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٥٦٥/١٧.
(١٢) انظر: النكت والعيون:٢٧٧/٣.
(١٣) تفسير ابن كثير:١٢٤/٥.
(١٤) أخرجه الطبري:٥٦٥/١٧.
(١٥) أخرجه الطبري:٥٦٦/١٧.
(١٦) انظر: تفسير الطبري:٥٦٦/١٧.

عن الحسن، قوله :"{ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات}، قال: هذه آية واحدة، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، ويد موسى، وعصاه إذ ألقاها فإذا هي ثعبان مبين، وإذ ألقاها فإذا هي تلقف ما يأفكون"[١].

الخامس: ما روى عن صفوان بن عسال، قال: قال يهودي لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي، فقال صاحبه: لا تقل نبي، إنه لو سمعك كان له أربع أعين، قال: فأتيا رسول الله ﷺ، يسألانه عن تسع آيات بينات، فقال: "هن: ولا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان ليقتله، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا محصنة، ولا تولوا يوم الزحف، وعليكم خاصة يهود: أن لا تعدوا في السبت، قال: فقبلوا يديه ورجليه، وقالوا: نشهد أنك نبي، قال: فما يمنعكم أن تتبعوني؟ قالوا: إن داود دعا أن لا يزال من ذريته نبي، وإنا نخاف إن اتبعناك أن تقتلنا يهود"[٢].

قوله تعالى:{فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ} [الإسراء : ١٠١]، أي:" فاسأل -أيها الرسول- اليهود سؤال تقرير حين جاء موسى أسلافهم بمعجزاته الواضحات"[٣].

وفي أمره بسؤالهم وإن كان خبر الله أصدق من خبرهم ثلاثة أوجه :

أحدها : ليكون ألزم لهم وأبلغ في الحجة عليهم[٤].

الثاني : فانظر ما في القرآن من أخبار بني إسرائيل فه سؤالهم ، قاله الحسن[٥].

قال الحسن:" سؤالك إياهم: نظرك في القرآن"[٦].

الثالث : إنه خطاب لموسى عليه أن يسأل فرعون في إطلاق بني إسرائيل قاله ابن عباس[٧].

روي عن ابن عباس، أنه قرأ: «فَسأَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جاءهم»، يعني أن موسى سأل فرعون بني إسرائيل أن يرسلهم معه"[٨].

قوله تعالى:{فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا} [الإسراء : ١٠١]، أي:" فقال فرعون لموسى: إني لأظنك -يا موسى- ساحرا، مخدوعًا مغلوبًا على عقلك بما تأتيه من غرائب الأفعال"[٩].

قال الطبري:" يقول: فقال لموسى فرعون: إني لأظنك يا موسى تتعاطى علم السحر، فهذه العجائب التي تفعلها من سحرك، وقد يجوز أن يكون مرادا به إني لأظنك يا موسى ساحرا"[١٠].

قال ابن كثير:"{مَسْحُورًا}، قيل : بمعنى ساحر"[١١].

وفي قوله تعالى:{فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا} [الإسراء : ١٠١]، وجوه[١٢]:

أحدها : قد سُحرت لما تحمل نفسك عليه من هذا القول والفعل المستعظمين .

الثاني : يعني: ساحراً لغرائب أفعالك .

الثالث : مخدوعاً.

الرابع : مغلوباً : قاله مقاتل[١].

---

[١] أخرجه الطبري:٥٦٦/١٧.

[٢] أخرجه الطبري:٥٦٧/١٧.

[٣] التفسير الميسر:٢٩٢.

[٤] انظر: النكت والعيون:٢٧٧/٣.

[٥] انظر: الطبري:٥٦٨/١٧.

[٦] أخرجه الطبري:٥٦٨/١٧.

[٧] انظر: الطبري:٥٦٨/١٧.

[٨] أخرجه الطبري:٥٦٨/١٧.

[٩] التفسير الميسر:٢٩٢.

[١٠] أخرجه الطبري:٥٦٨/١٧.

[١١] تفسير ابن كثير:١٢٥/٥.

[١٢] انظر: النكت والعيون:٢٧٨/٣.

القرآن
{قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا (١٠٢)} [الإسراء : ١٠٢]
التفسير:
فردَّ عليه موسى: لقد تيقَّنتَ -يا فرعون- أنه ما أنزل تلك المعجزات التسع الشاهدة على صدق نبوتي إلا رب السموات والأرض؛ لتكون دلالات يَستدِل بها أولو البصائر على وحدانية الله تعالى في ربوبيته وألوهيته، وإني لعلى يقين أنك -يا فرعون- هالك ملعون مغلوب.
قوله تعالى:{قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ} [الإسراء : ١٠٢]، أي:" فردَّ عليه موسى: لقد تيقَّنتَ -يا فرعون- أنه ما أنزل تلك المعجزات التسع الشاهدة على صدق نبوتي إلا رب السموات والأرض؛ لتكون دلالات يَستدِل بها أولو البصائر على وحدانية الله تعالى في ربوبيته وألوهيته"[٢].
قال يحيى بن سلام والزجاج:" يعني: الآيات"[٣].
قال ابن أبي زمنين:" يعني: الآيات؛ يقول هذا لفرعون"[٤].
قال الماتريدي:" لأنه قال: لقد علمت أنها آيات، ولم يكذبه فرعون، ولم يستقبله بشيء يكذبه في قوله، وهو ما قال: {وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا}، أخبر أنهم جحدوا بها بعدما استيقنوا أنها آيات، وحجج ظلما وعلوا"[٥].
قال النحاس:" {بصائر}، أي: حجبا تبصرها العقول، لأن فرعون مع توجيهه إلى السحرة ونظره إلى ما يصنعون قد علم أن ما أتى به موسى عليه السلام لا يكون إلا من عند الله جل وعز"[٦].
قرأ بعضهم: «لقد علمتُ» - بضم التاء -[٧]. يعني: "إن لم تصدقني، فأنا على يقين من ذلك"[٨].
روي عن علي-رضي الله عنه-، قال:" لم يعلم الخبيث أن موسى على الحق ولو علم لآمن ولكن موسى هو الذي علم"[٩].
قال ابن عباس: "علمه فرعون ولكنه عاند، قال الله تعالى: {وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا}"[١٠].
قال الزجاج:" والأجود في القراءة:« لقد علمتَ» - بفتح التاء - لأن علم فرعونَ بأنها آيات من عند اللَّه أوكد في الحجة عليه"[١١].
قال البغوي:" وقراءة نصب التاء أصح في المعنى وعليه أكثر القراء، لأن موسى لا يحتج عليه بعلم نفسه ولا يثبت عن علي رفع التاء لأنه روي عن رجل من مراد عن علي وذلك أن الرجل مجهول ولم يتمسك بها أحد من القراء غير الكسائي"[١٢].

---

[١] انظر: النكت والعيون:٥٥٣/٢.
[٢] التفسير الميسر:٢٩٢.
[٣] انظر: تفسير يحيى بن سلام:١٦٥/١، ومعاني القرآن:٢٦٣/٣.
[٤] تفسير ابن ابي زمنين:٤٣/٣.
[٥] تأويلات أهل السنة:١٢١/٧.
[٦] إعراب القرآ،:٢٨٦/٢.[بتصرف]
[٧] انظر: معاني القرآن للزجاج:٢٦٣/٣.
[٨] بحر العلوم:٣٣١/٢.
[٩] تفسير البغوي:١٣٤/٥.
[١٠] تفسير البغوي:١٣٤/٥.
[١١] معاني القرآن:٢٦٣/٣.
[١٢] تفسير البغوي:١٣٤/٥.

قوله تعالى:{وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا} [الإسراء : ١٠٢]، أي:" وإني لأعتقدك يا فرعون هالكاً خاسرا"[١].

قال أبو الليث:"أي: لأعلمنك يا فرعون ملعونا هالكا"[٢].

وفي قوله تعالى:{وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا} [الإسراء : ١٠٢]، وجوه:

أحدها : مغلوباً ، قاله ابن عباس[٣]، والكلبي[٤]، وقال الكميت[٥]:

وَرَأَت قُضَاعَةُ في الأَيَا ... مِن رَأْيَ مَثْبُورٍ وَثَابِرِ

الثاني : هالكا، وهو قول مجاهد[٦]، و قتادة[٧]، وابن قتيبة[٨]، والزجاج[٩]، وأبو عبيدة"[١٠]، وأنشد قول ابن الزّبعرى[١١]:

إذْ أُجارِي الشَّيطانَ في سَنَنِ الغَيّ ... وَمنْ مالَ مَيْلَهُ مَثْبُورُ

الثالث : مبدِّلا مغيرا، قاله عطية[١٢].

الرابع : ممنوعا من الخير. والعرب تقول: ما ثبرك عن ذا أي ما منعك منه وصرفك عنه، قاله الفراء[١٣].

الخامس : ملعوناً ، قاله ابن عباس[١٤]، ومقاتل[١٥]، والكلبي[١٦]، ومنه قول أبان بن تغلب[١٧]:

يا قَوْمَنَا لاَ تَرُومُوا حَرْبَنَا سَفَهاً ... إنّ السَّفَاهَ وإِنَّ البَغْيَ مَثْبُورُ

السادس: مخبولا لا عقل له. قاله ابن زيد[١٨].

قال ابن زيد:" الإنسان إذا لم يكن له عقل فما ينفعه؟ يعني: إذا لم يكن له عقل ينتفع به في دينه ومعاشه دعته العرب مثبورا، قال: أظنك ليس لك عقل يا فرعون، قال: بينا هو يخافه ولا ينطق لساني أن أقول هذا لفرعون، فلما شرح الله صدره، اجترأ أن يقول له فوق ما أمره الله"[١٩].

القرآن

وكذلك قال ابن الجوزي في "زاد المسير": (٥ / ٩٤) : "والقراءة الأولى -بفتح التاء- أصح لاختيار الجمهور ولأنه قد أبان موسى من المعجزات ما أوجب علم فرعون بصدقه فلم يرد إلا بالتعلل والمدافعة فكأنه قال: لقد علمت بالدليل والحجة {ما أنزل هؤلاء} يعني: الآيات.

[١] صفوة التفاسير:١٦٤/٢.

[٢] بحر العلوم:٣٣١/٢.

[٣] انظر: تفسير الطبري:٥٧٠/١٧.

[٤] انظر: النكت والعيون:٢٧٨/٣.

[٥] انظظر: النكت والعيون:٢٧٨/٣، وتفسير القرطبي:٢٣٧/١٠، وفتح القدير للشوكاني:٣١٢/٣.

[٦] انظر: تفسير الطبري:٥٧١/١٧، وتفسير مجاهد:٤٤٢. وفيه«مهلكا».

[٧] انظر: تفسير الطبري:٥٧١/١٧، وتفسير عبدالرزاق(١٦٣٤):ص٣١٨/٢، وفيه«مهلكا».

[٨] انظر: غريب القرآن:٢٦١.

[٩] انظر: معاني القرآن:٢٦٣/٣.

[١٠] مجاز القرآن:٣٩٢/١.

[١١]البيت لعبد الله بن الزبعرى من مقطوعة أربعة أبيات، قالها حين جاء إلى النبي مسلما معتذرا عما فرط منه من هجائه، بتحريض قريش على ذلك (انظر سيرة ابن هشام طبعة مصطفى الحلبي وأولاده، بتحقيق مصطفى السقا والإبياري وشلبي، الطبعة الثانية القسم الثاني ص ٤١٩، وانظر: والروض الأنف ٢/ ٢٨٩ والسمط ٨٣٣ وتفسير الطبري: ٥٧٠/١٧، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٣٨، ١٣/ ١١ وشواهد المغني ١٨٨.

[١٢] انظر: تفسير الطبري:٥٧١/١٧.

[١٣] انظر: معاني القرآن:١٣٢/٢.

[١٤] انظر: تفسير الطبري:٥٧٠/١٧.

[١٥] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٥٣/٢.

[١٦] انظر: تفسير يحيى بن سلام:١٦٦/١.

[١٧] انظر: النكت والعيون:٢٧٨/٣.

[١٨] انظر: تفسير الطبري:٥٧١/١٧.

[١٩] أخرجه الطبري:٥٧١/١٧.

{فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا (١٠٣)} [الإسراء : ١٠٣]

التفسير:

فأراد فرعون أن يزعج موسى ويخرجه مع بني إسرائيل مِن أرض «مصر» ، فأغرقناه ومَن معه مِن جندٍ في البحر عقابًا لهم.

قوله تعالى:{فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ} [الإسراء : ١٠٣]، أي:" فأراد فرعون أن يزعج موسى ويخرجه مع بني إسرائيل مِن أرض «مصر»"[١].

قال مقاتل:" يعني: أن يخرجهم من أرض مصر"[٢].

وفي قوله تعالى:{فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ} [الإسراء : ١٠٣]، وجوه:

أحدهما : يزعجهم منها بالنفي عنها، قاله الكلبي[٣].

الثاني: يَسْتَخِفَّهُمْ حتى يخرجوا. قاله ابن قتيبة[٤].

الثالث: يخرجهم فيها بالقتل. ذكره الزجاج[٥]، وبه قال ابن أبي زمنين[٦].

قال الزجاج:" جائز أن يكون استفزارهم إخرَاجهم منها بالقتل أو بالتنحية"[٧].

قال الماوردي:" ويعني بـ«الأرض»: مصر وفلسطين والأردن"[٨].

قوله تعالى:{فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا} [الإسراء : ١٠٣]، أي:" فأغرقنا فرعون ومَن معه مِن جندٍ في البحر عقابًا لهم"[٩].

قال مقاتل:" من الجنود"[١٠].

قال البغوي:" ونجينا موسى وقومه"[١١].

القرآن

{وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا (١٠٤)} [الإسراء : ١٠٤]

التفسير:

وقلنا من بعد هلاك فرعون وجنده لبني إسرائيل: اسكنوا أرض «الشام» ، فإذا جاء يوم القيامة جئنا بكم جميعًا مِن قبوركم إلى موقف الحساب.

قوله تعالى:{وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ} [الإسراء : ١٠٤]، أي:" وقلنا من بعد هلاك فرعون وجنده لبني إسرائيل: اسكنوا أرض «الشام»"[١٢].

قال البغوي:" أي: من بعد هلاك فرعون، {لبني إسرائيل اسكنوا الأرض}، يعني: أرض مصر والشام"[١٣].

قال مقاتل:" يعني: من بعد فرعون لبني إسرائيل وهم سبعون ألفا من وراء نهر الصين معهم التوراة اسكنوا الأرض وذلك من بعد موسى ومن بعد يوشع ابن نون"[١٤].

---

[١] التفسير الميسر:٢٩٢.
[٢] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٥٣/٢.
[٣] انظر: النكت والعيون:٢٧٨/٣.
[٤] انظ{: غريب القرآن:٢٦٢.
[٥] انظر: معاني القرآن:٢٦٣/٣.
[٦] انظ{: تفسير ابن ابي زمنين:٤٣/٣.
[٧] معاني القرآن:٢٦٣/٣.
[٨] انظر: النكت والعيون:٢٧٨/٣.
[٩] التفسير الميسر:٢٩٢.
[١٠]تفسير مقاتل بن سليمان:٥٥٣/٢ .
[١١] تفسير البغوي:١٣٥/٥.
[١٢] التفسير الميسر:٢٩٢.
[١٣] تفسير البغوي:١٣٥/٥.
[١٤]تفسير مقاتل بن سليمان:٥٥٣/٢-٥٥٤.

قوله تعالى:{فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا} [الإسراء : ١٠٤]، أي:" فإذا جاء يوم القيامة جئنا بكم جميعًا مِن قبوركم إلى موقف الحساب"[١].

قال الطبري:" يقول: فإذا جاءت الساعة، وهي وعد الآخرة، {جئنا بكم لفيفا}، يقول: حشرناكم من قبوركم إلى موقف القيامة لفيفا: أي مختلطين قد التفّ بعضكم على بعض، لا تتعارفون، ولا ينحاز أحد منكم إلى قبيلته وحيِّه، من قولك: لففت الجيوش: إذا ضربت بعضها ببعض، فاختلط الجميع، وكذلك كلّ شيء خُلط بشيء فقد لُفّ به"[٢].

قال البغوي:" يعني يوم القيامة {جئنا بكم لفيفا} أي: جميعا إلى موقف القيامة واللفيف: الجمع الكثير إذا كانوا مختلطين من كل نوع. يقال: لفت الجيوش إذا اختلطوا وجمع القيامة كذلك فيهم المؤمن والكافر والبر والفاجر"[٣].

قال الزمخشري: أي:" جمعا مختلطين إياكم وإياهم، ثم يحكم بينكم ويميز بين سعدائكم وأشقيائكم: واللفيف: الجماعات من قبائل شتى"[٤].

قال الصابوني:" أي: فإذا جاء يوم القيامة جئنا بكم من قبوركم إلى المحشر مختلطين فيكم المؤمن والكافر، والبرُّ والفاجر، ثم نفصل بينكم ونميّز السعداء من الأشقياء"[٥].

قال يحيى بن سلام: {جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا}: "يعني: بني إسرائيل، وفرعون، وقومه"[٦].

قال مقاتل:" يعني: جميعا، فهم وراء الصين فساروا من بيت المقدس في سنة ونصف سنة ستة آلاف فرسخ وبينهم وبين الناس نهر من رمل يجري اسمه أردف، يجمد كل سبت وذلك أن بني إسرائيل قتلوا الأنبياء وعبدوا الأوثان، فقال المؤمنون منهم: اللهم فرق بيننا وبينهم فضرب الله- عز وجل- سربا في الأرض من بيت المقدس إلى وراء الصين فجعلوا يسيرون فيه يفتح أمامهم ويسد خلفهم وجعل لهم عمودا من نار فأنزل الله- عز وجل- عليهم المن والسلوى كل ذلك في المسير وهم الذين ذكرهم الله- عز وجل- في الأعراف: {وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} [الأعراف : ١٥٩]، فلما أسرى بالنبي- ﷺ- تلك الليلة أتاهم فعلمهم الأذان والصلاة وسورا من القرآن فأسلموا فهم القوم المؤمنون ليست لهم ذنوب وهم يجامعون نساءهم بالليل وأتاهم جبريل- عليه السلام- مع النبي- ﷺ- فسلموا عليه قبل أن يسلم عليهم، فقالوا للنبي- ﷺ-: لولا الخطايا التي في أمتك لصافحتهم الملائكة"[٧].

وفي قوله تعالى:{فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ} [الإسراء : ١٠٤]، قولان:

أحدهما : وعد الكرة الآخرة في تحويلهم إلى أرض الشام[٨].

الثاني : نزول عيسى عليه السلام من السماء ، قاله قتادة[٩]، والكلبي[١٠].

وفي قوله تعالى:{جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا} [الإسراء : ١٠٤]، ثلاثة وجوه:

أحدهما : مختلطين لا تتعارفون ، قاله رزين[١١].

الثاني : جئنا بكم جميعاًً من جهات شتى ، قاله ابن عباس[١٢]، ومجاهد[١٣]، وقتادة[١]، والضحاك[٢]، وبه قال الفراء[٣]، وابن قتيبة[٤]، مأخوذ من: لفيف الناس.

---

[١] التفسير الميسر:٢٩٢.
[٢] تفسير الطبري:٥٧٢/١٧.
[٣] تفسير البغوي:١٣٥/٥.
[٤] الكشاف:٦٩٨/٢.
[٥] صفوة التفاسير:١٦٤/٢.
[٦] تفسير يحيى بن سلام:١٦٦/١.
[٧] تفسير مقاتل بن سليمان:٥٥٣/٢-٥٥٤.
[٨] انظر: النكت والعيون:٢٧٨/٣.
[٩] انظر: النكت والعيون:٢٧٨/٣.
[١٠] انظر: تفسير البغوي:١٣٥/٥.
[١١] انظر: تفسير الطبري:٥٧٢/١٧.
[١٢] انظر: تفسير الطبري:٥٧٢/١٧.
[١٣] انظر: تفسير مجاهد:٤٤٣، وتفسير الطبري:٥٧٢/١٧.

قال قتادة:" أي: جميعا، أولكم وآخركم"[٥].
قال الفراء:" من هاهنا وهاهنا وكل جانب"[٦].
الثالث: أي: النزاع من كل قوم من هاهنا ومن هاهنا لفوا جميعا. قاله الكلبي[٧].
فوائد البيات:[١٠١-١٠٤]:

١- أن الآيات والمعجزات التي أجراها الله تعالى على أيدي أنبيائه، هي دلائل عظيمة دالة على ربوبية الله وألوهيته،وصدق أنبيائه تعالى فيما دعوا إليه أقوامهم من التوحيد وقد سماها الله تعالى آيات.قال تعالى: {سَلْ بَنِي إِسْرائيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ} [البقرة ٢١١] .وقال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرائيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً، قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً} [الإسراء ١٠١ - ١٠٢] .
قال ابن القيم رحمه الله: "وهذه الطريق من أقوى الطرق وأصحها وأدلها على الصانع وصفاته وأفعاله، وارتباط أدلة هذه الطريق بمدلولاتها أقوى من ارتباط الأدلة العقلية الصريحة بمدلولاتها، فإنها جمعت بين دلالة الحس والعقل، ودلالتها ضرورية بنفسها، ولهذا يسميها الله آيات بينات"[٨].
٢- أن الآيات وحدها لا تكفي لهداية الإنسان بل لا بد من توفيق إلهي.
٣- مظاهر قدرة الله تعالى وانتصاره لأوليائه وكبت أعدائه.
٤- - بيان كيفية حشر الناس يوم القيامة لفيفا أخلاطا من قبائل وأجناس شتى.

القرآن

{وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (١٠٥)} [الإسراء : ١٠٥]

التفسير:

وبالحق أنزلنا هذا القرآن على محمد ﷺ لأمْرِ العباد ونهيهم وثوابهم وعقابهم، وبالصدق والعدل والحفظ من التغيير والتبديل نزل. وما أرسلناك -أيها الرسول- إلا مبشرًا بالجنة لمن أطاع، ومخوفًا بالنار لمن عصى وكفر.
قوله تعالى:{وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ} [الإسراء : ١٠٥]، أي:" وبالحق أنزلنا هذا القرآن على محمد ﷺ لأمْرِ العباد ونهيهم وثوابهم وعقابهم"[٩].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وبالحق أنزلنا هذا القرآن: يقول: أنزلناه نأمر فيه بالعدل والإنصاف والأخلاق الجميلة، والأمور المستحسنة الحميدة، وننهى فيه عن الظلم والأمور القبيحة، والأخلاق الردية، والأفعال الذّميمة"[١٠].
قال أبو الليث السمرقندي:" أي: أنزلنا عليك جبريل بالقرآن، ويقال: أنزلناه بالحق والحكمة والحجة"[١١].
قال الزمخشري: أي:" وما أنزلنا القرآن إلا بالحكمة المقتضية لإنزاله، أو ما أنزلناه من السماء إلا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة"[١٢].

---

[١] انظر: تفسير عبدالرزاق(١٦٣٥):ص٣١٩/٢، وتفسير الطبري:٥٧٣/١٧.
[٢] انظر: تفسير الطبري:٥٧٣/١٧.
[٣] معاني القرآن:١٣٢/٢.
[٤] انظر: غريب القرآن:٢٦٢.
[٥] أخرجه الطبري:٥٧٣/١٧.
[٦] معاني القرآن:١٣٢/٢.
[٧] انظر: تفسير البغوي:١٣٥/٥.
[٨] الصواعق المرسلة:١١٩٧/٣.
[٩] التفسير الميسر:٢٩٣.
[١٠] تفسير الطبري:٥٧٣/١٧.
[١١] بحر العلوم:٣٣٢/٢.
[١٢] الكشاف:٦٩٨/٢.

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرًا عن كتابه العزيز ، وهو القرآن المجيد ، أنه بالحق نزل ، أي : متضمنًا للحق ، كما قال تعالى : { لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزلَ إِلَيْكَ أَنزلَهُ بِعِلْمِهِ } [النساء : ١٦٦] أي : متضمنا علم الله الذي أراد أن يُطْلِعكم عليه ، من أحكامه وأمره ونهيه"[١].
ونهيه"[١].

قال ابن عثيمين:" وقوله: {بالحق}: إما أن يكون وصفا للنازل أو للمنزول به، فإن كان وصفا للنازل؛ فمعناه: أن نزوله حق، وليس بكذب، وإن كان وصفا للمنزول به؛ فمعناه: أن ما جاء به فهو حق، وكلاهما مراد؛ فهو حق من عند الله، ونازل بالحق"[٢].

قوله تعالى:{وَبِالْحَقِّ نَزَلَ} [الإسراء : ١٠٥]، أي:" وبالصدق والعدل والحفظ من التغيير والتبديل نزل"[٣].

قال الطبري:" يقول: وبذلك نزل من عند الله على نبيّه محمد ﷺ"[٤].

قال أبو الليث السمرقندي:" أي: بالقرآن نزل جبريل"[٥].

قال الزمخشري: أي:" وما نزل إلا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية إلى كل خير، أو وما نزل على الرسول إلا محفوظا بهم من تخليط الشياطين"[٦].

قال ابن كثير:" أي : ووصل إليك - يا محمد - محفوظًا محروسًا ، لم يُشَب بغيره ، ولا زِيدَ فيه ولا نُقص منه ، بل وصل إليك بالحق ، فإنه نزل به شديد القُوى ، القَوِيّ الأمين المكين المطاع في الملأ الأعلى "[٧].

قوله تعالى:{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا} [الإسراء : ١٠٥]، أي:" وما أرسلناك -أيها الرسول- إلا مبشرًا بالجنة لمن أطاع، ومخوفًا بالنار لمن عصى وكفر"[٨].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد ﷺ: وما أرسلناك يا محمد إلى من أرسلناك إليه من عبادنا، إلا مبشرا بالجنَّة من أطاعنا، فانتهى إلى أمرنا وَنهْينا، ومنذرا لمن عصانا وخالف أمرنا ونهينَا"[٩].

قال أبو الليث السمرقندي:" وما أرسلناك إلا مبشرا بالجنة للمؤمنين ونذيرا بالنار للكافرين"[١٠].

قال الزمخشري: أي:" وما أرسلناك إلا لتبشرهم بالجنة وتنذرهم من النار، ليس إليك وراء ذلك شيء، من إكراه على الدين أو نحو ذلك"[١١].

قال ابن كثير:"{إلا مُبَشِّرًا } لمن أطاعك من المؤمنين { وَنَذِيرًا } لمن عصاك من الكافرين "[١٢].

قال النحاس:" لأن كل ما فيه حق"[١٣].

الفوائد:

١- أن القرآن حق من الله وما نزل به كله حق.

---

[١] تفسير ابن كثير:١٢٨/٥.
[٢] شرح العقيدة الواسطية:٤٤٣/١.
[٣] التفسير الميسر:٢٩٣.
[٤] تفسير الطبري:٥٧٣/١٧.
[٥] بحر العلوم:٣٣٢/٢.
[٦] الكشاف:٦٩٨/٢.
[٧] تفسير ابن كثير:١٢٨/٥.
[٨] التفسير الميسر:٢٩٣.
[٩] تفسير الطبري:٥٧٣/١٧.
[١٠] بحر العلوم:٣٣٢/٢.
[١١] الكشاف:٦٩٨/٢.
[١٢] تفسير ابن كثير:١٢٨/٥.
[١٣] إعراب القرآن:٢٨٦/٢.

٢- أن القرآن كتاب محفوظ، إذ تولى الله تعالى حفظه بنفسه، ولم يكل حفظه إلى أحد كما فعل مع الكتب المقدسة الأخرى، وقد نوه الله سبحانه بعظمة القرآن بذكر حفظه قبل نزوله في آيات منها: { كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَن شَاء ذَكَرَهُ * فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَة * مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ} [عبس: ١١ - ١٦].

وأما حفظ الله تعالى للقرآن أثناء نزوله فيدل عليه قوله تعالى: {وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ}[الإسراء: ١٠٥].

وأما حفظ الله تعالى للقرآن بعد نزوله فيدل عليه قوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}[الحجر: ٩].

القرآن

{وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا (١٠٦)} [الإسراء : ١٠٦]

التفسير:

وأنزلنا إليك -أيها الرسول- قرآنًا بيَّناه وأحكمناه وفَصَّلناه فارقًا بين الهدى والضلال والحق والباطل؛ لتقرأه على الناس في تؤدة وتمهُّل، ونَزَّلْناه مفرَّقًا، شيئًا بعد شيء، على حسب الحوادث ومقتضيات الأحوال.

قوله تعالى:{وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ} [الإسراء : ١٠٦]، أي:" وأنزلنا إليك -أيها الرسول- قرآنًا بيَّناه وأحكمناه وفَصَّلناه فارقًا بين الهدى والضلال والحق والباطل"[١].

قال السعدي:" أي: وأنزلنا هذا القرآن مفرقا، فارقا بين الهدى والضلال، والحق والباطل"[٢].

وفي قوله تعالى:{وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ} [الإسراء : ١٠٦]، ثلاثة وجوه:

أحدها : فرقنا فيه بين الحق والباطل ، قاله الحسن[٣].

الثاني : «فرّقناه» بالتشديد، وهي قراءة ابن عباس[٤]، أي: نزل مفرّقاً آية آية وهي كذلك في مصحف ابن مسعود وأُبيّ بن كعب : «فرقناه عليك»[٥].

قال قتادة:" لم ينزل جميعا، وكان بين أوّله وآخره نحو من عشرين سنة"[٦].

قال ابن زيد:" فرّقه: لم ينزله جميعه"[٧].

وقال مقاتل:" يعني: قطعناه بين أوله وآخره عشرون سنة تترى، لم ننزله جملة واحدة"[٨].

قال ابن عباس:" أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة، قال: {وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} ، {وَقُرآنا فَرَّقْناهُ لِتَقْرأَهُ عَلى النَّاسِ على مُكْثٍ، وَنزلْناهُ تَنزيلا}"[٩].

الثالث : فصّلناه. قال ابن عباس أيضا[١٠].

الرابع: بيناه. وهذا مروي عن أبيّ بن كعب[١١].

وحكي الماوردي عن ابن بحر، قال:"فصّلناه سُوراً وآيات متميزة[١٢].

---

[١] التفسير الميسر:٢٩٣.

[٢] تفسير السعدي:٤٦٨.

[٣] انظر: تفسير الطبري:٥٧٤/١٧.

[٤] انظر: تفسير الطبري:٥٧٤/١٧.

[٥] انظر: الكشف والبيان:١٤٠/٦.

[٦] أخرجه الطبري:٥٧٥/١٧.

[٧] أخرجه الطبري:٥٧٥/١٧.

[٨] تفسير مقاتل بن سليمان:٥٥٥/٢.

[٩] أخرجه الطبري:٥٧٤/١٧.

[١٠] انظر: تفسير الطبري:٥٧٤/١٧.

[١١] انظر: تفسير الطبري:٥٧٤/١٧.

[١٢] النكت والعيون:٢٧٩/٣.

وقال الفراء:" أحكمناه وفصلناه كما قال: {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ} [الدخان : ٤]، أي: يفصل"[١].

قوله تعالى:{لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ} [الإسراء : ١٠٦]، أي:" لتقرأه على الناس في تؤدة وتمهُّل"[٢].

قال الطبري:" يقول: لتقرأه على الناس على تُؤَدة، فترتله وتبينه، ولا تعجل في تلاوته، فلا يفهم عنك"[٣].

قال السعدي:" أي: على مهل، ليتدبروه ويتفكروا في معانيه، ويستخرجوا علومه"[٤].

وفي قوله تعالى:{لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ} [الإسراء : ١٠٦]، أربعة وجوه:

أحدها : يعني: على تثبت وترسّل ، وهو قول مجاهد[٥].

عن عبيد المكْتِب قال: "قلت لمجاهد: رجل قرأ البقرة وآل عمران، وآخر قرأ البقرة، وركوعهما وسجودهما واحد، أيهما أفضل؟ قال: الذي قرأ البقرة، وقرأ {وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ}"[٦].

الثاني: على ترتيل. قاله ابن جريج[٧]، وابن زيد[٨].

قال مقاتل:" يعني: على ترتيل للحفظة"[٩].

الثالث: على تأييد. قاله ابن عباس[١٠].

الرابع : أن يمكث في قراءته عليهم مفرقاً شيئاً بعد شيء ، قاله أبو مسلم[١١].

قوله تعالى:{وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا} [الإسراء : ١٠٦]، أي:" ونَزَّلْناه مفرَّقًا، شيئًا بعد شيء، على حسب الحوادث ومقتضيات الأحوال"[١٢].

قال الطبري:" وأنزلناه شيئا بعد شيء"[١٣].

قال مجاهد:" بعضه على إثر بعض"[١٤].

قال يحيى بن سلام:" أنزله الله في ثلاث وعشرين سنة"[١٥].

قال قتادة:" لم ينزل في ليلة ولا ليلتين، ولا شهر ولا شهرين، ولا سنة ولا سنتين، ولكن كان بين أوّله وآخره عشرون سنة، وما شاء الله من ذلك"[١٦].

وروي عن قتادة، قال:" عشرا بمكة، وعشرا بالمدينة"[١٧].

قال الحسن:" أنزل على نبيّ الله القرآن ثماني سنين، وعشرا بعد ما هاجر"[١٨].

عن أبي رجاء؛ قال: "تلا الحسن: {وَقُرآنا فَرَّقْناهُ لِتَقْرأَهُ عَلَى النَّاسِ على مُكْثٍ وَنزلْنَاهُ تَنزيلا}، قال: كان الله تبارك وتعالى ينزل هذا القرآن بعضه قبل بعض لما علم أنه سيكون

---

[١] معاني القرآن:١٣٣/٢.
[٢] التفسير الميسر:٢٩٣.
[٣] تفسير الطبري:٥٧٥/١٧.
[٤] تفسير السعدي:٤٦٨.
[٥] انظر: تفسير الطبري:٥٧٥/١٧.
[٦] أخرجه الطبري:٥٧٥/١٧.
[٧] انظر: تفسير الطبري:٥٧٦/١٧.
[٨] انظر: تفسير الطبري:٥٧٦/١٧.
[٩] تفسير مقاتل بن سليمان:٥٥٥/٢.
[١٠] انظر: تفسير الطبري:٥٧٥/١٧.
[١١] انظر: النكت والعيون:٢٧٩/٣.
[١٢] التفسير الميسر:٢٩٣.
[١٣] تفسير الطبري:٥٧٦/١٧.
[١٤] اخرجه عبدالرزاق(١٦٣٨):ص٣١٩/٢.
[١٥] تفسير يحيى بن سلام:١٦٧/١.
[١٦] أخرجه الطبري:٥٧٦/١٧.
[١٧] أخرجه الطبري:٥٧٧/١٧.
[١٨] أخرجه الطبري:٥٧٧/١٧.

ويحدث في الناس، لقد ذكر لنا أنه كان بين أوّله وآخره ثماني عشرة سنة، قال: فسألته يوما على سخطة، فقلت: يا أبا سعيد "وقرآنا فرقناه" فثقلها أبو رجاء، فقال الحسن: ليس فرّقناه، ولكن فَرقناه، فقرأ الحسن مخففة، قلت: من يُحدثك هذا يا أبا سعيد أصحاب محمد، قال: فمن يحدّثنيه، قال: أنزل عليه بمكة قبل أن يهاجر إلى المدينة ثماني سنين، وبالمدينة عشر سنين"[١].

الفوائد:

٣- الندب إلى ترتيل القرآن لاسيما عند قراءته على الناس لدعوتهم إلى الله تعالى.

٤- تقرير نزول القرآن مفرقا في ثلاث وعشرين سنة.

القرآن

{قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧)} [الإسراء : ١٠٧]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المكذبين: آمِنوا بالقرآن أو لا تؤمنوا؛ فإن إيمانكم لا يزيده كمالا وتكذيبكم لا يُلْحِق به نقصًا. إن العلماء الذين أوتوا الكتب السابقة مِن قبل القرآن، وعرفوا حقيقة الوحي، إذا قرئ عليهم القرآن يخشعون، فيسجدون على وجوههم تعظيما لله تعالى، وشكرا له.

قوله تعالى:{قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا} [الإسراء : ١٠٧]، أي:" قل -أيها الرسول- لهؤلاء المكذبين: آمِنوا بالقرآن أو لا تؤمنوا؛ فإن إيمانكم لا يزيده كمالا وتكذيبكم لا يُلْحِق به نقصًا"[٢].

قال السعدي:" فإذا تبين أنه الحق، الذي لا شك فيه ولا ريب، بوجه من الوجوه فـ: {قل} لمن كذب به وأعرض عنه: {آمنوا به أو لا تؤمنوا}، فليس لله حاجة فيكم، ولستم بضاريه شيئا، وإنما ضرر ذلك عليكم، فإن لله عبادا غيركم، وهم الذين آتاهم الله العلم النافع"[٣].

قال الزمخشري:" أمر بالإعراض عنهم واحتقارهم والازدراء بشأنهم، وأن لا يكترث بهم وبإيمانهم وبامتناعهم عنه"[٤].

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ} [الإسراء : ١٠٧]، أي:" إن العلماء الذين أوتوا الكتب السابقة مِن قبل القرآن، وعرفوا حقيقة الوحي"[٥].

قال الزمخشري:" وأنهم إن لم يدخلوا في الإيمان ولم يصدقوا بالقرآن وهم أهل جاهلية وشرك، فإن خيرا منهم وأفضل- وهم العلماء الذين قرءوا الكتب وعلموا ما الوحى وما الشرائع- قد آمنوا به وصدقوه، وثبت عندهم أنه النبي العربى الموعود في كتبهم"[٦].

وفي قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ} [الإسراء : ١٠٧]، وجهان:

أحدهما : أنهم أمة محمد -ﷺ-. قاله الحسن[٧].

الثاني : أنهم أناس من أهل الكتاب حين سمعوا ما أنزل الله على محمد قالوا :{سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولا}. قاله مجاهد[٨].

قال يحيى بن سلام:" يعني: المؤمنين من أهل الكتاب"[٩].

قوله تعالى:{إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا} [الإسراء : ١٠٧]، أي:" إذا قرئ عليهم القرآن يخشعون، فيسجدون على وجوههم تعظيما لله تعالى، وشكرا له"[١].

---

[١] أخرجه الطبري:٥٧٦/١٧.

[٢] التفسير الميسر:٢٩٣.

[٣] تفسير السعدي:٤٦٨.

[٤] الكشاف:٦٩٩/٢.

[٥] التفسير الميسر:٢٩٣.

[٦] الكشاف:٦٩٩/٢.

[٧] انظر: النكت والعيون:٢٨٠/٣.

[٨] انظر: تفسير الطبري:٥٧٨/١٧.

[٩] تفسير يحيى بن سلام:١٦٧/١.

قال الطبري:" ويخرّ هؤلاء الذين أوتوا العلم من مؤمني أهل الكتابين من قبل نزول الفرقان، إذا يُتْلَى عليهم القرآن لأذقانهم يبكون، ويزيدهم ما في القرآن من المواعظ والعبر خشوعا، يعني خضوعا لأمر الله وطاعته، واستكانة له"[٢].

قال السعدي:" أي: يتأثرون به غاية التأثر، ويخضعون له"[٣].

قال المحاسبي:" يخبر تبارك وتعالى أن وجل الذين أوتوا العلم من قبلنا ومخافتهم كانت عن فهم آياته في كتابه وتدبر قوله"[٤].

قال الزمخشري:"فإذا تلى عليهم خروا سجدا"[٥].

وفي قوله تعالى:{يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا} [الإسراء : ١٠٧]، ثلاثة أقوال:

أحدها : أن الأذقان مجتمع اللحيين. قاله أبو عبيدة[٦]، والزجاج[٧].

قال الزجاج:" لأن الذي يخر وهو قائم يخر لوجهه، والذَّقَنُ :مجتمع اللَّحْيَيْنِ، وهو عضو من أعضاء الوجه، وكما يبتدئ المبتدئ يخر فأقرب الأشياء من وجهه إلى الأرض الذَّقن"[٨].

الثاني : أنها ها هنا الوجوه ، قاله ابن عباس[٩]، وقتادة[١٠]، ومقاتل[١١].

الثالث : أنها اللحى ، قاله الحسن[١٢].

عن عبد الأعلى التيميّ، "أن من أوتي من العلم ما لا يبكه لخليق أن لا يكون أوتي علما ينفعه، لأن الله نعت العلماء فقال :{إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ} .... الآيتين"[١٣].

قال سهل: "لا يؤثر شيء على السر مثل ما يؤثر عليه سماع القرآن، فإن العبد إذا سمع خشع سره، وأنار ذلك قلبه بالبراهين الصادقة، وزين جوارحه بالتذلل والانقياد، والله سبحانه وتعالى أعلم"[١٤].

القرآن

{وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨)} [الإسراء : ١٠٨]

التفسير:

ويقول هؤلاء الذين أوتوا العلم عند سماع القرآن: تنزيهًا لربنا وتبرئة له مما يصفه المشركون به، ما كان وعد الله تعالى من ثواب وعقاب إلا واقعًا حقًا.

قوله تعالى:{وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا} [الإسراء : ١٠٨]، أي:" ويقول هؤلاء الذين أوتوا العلم عند سماع القرآن: تنزيهًا لربنا وتبرئة له مما يصفه المشركون به"[١٥].

---

[١] التفسير الميسر:٢٩٣.
[٢] تفسير الطبري:٥٧٩/١٧.
[٣] تفسير السعدي:٤٦٨.
[٤] فهم القرآن:٢٨٠.
[٥] الكشاف:٦٩٩/٢.
[٦] انظر: مجاز القرآن:٣٩٢/١.
[٧] انظر: معاني القرآن:٢٦٤/٣.
[٨] معاني القرآن:٢٦٤/٣.
[٩] انظر: تفسير الطبري:٥٧٧/١٧.
[١٠] انظر: تفسير الطبري:٥٧٧/١٧.
[١١] انظر تفسير مقاتل بن سليمان:٥٥٥/٢.
[١٢] انظر: تفسير الطبري:٥٧٨/١٧.
[١٣] أخرجه الطبري:٥٧٩/١٧.
[١٤] تفسير التستري:٩٦.
[١٥] التفسير الميسر:٢٩٣.

قال الطبري:" يقول جلّ ثناؤه: ويقول هؤلاء الذين أوتوا العلم من قبل نزول هذا القرآن، إذ خروا للأذقان سجودا عند سماعهم القرآن يُتْلَى عليهم، تنزيها لربنا وتبرئة له مما يضيف إليه المشركون به"[١].

قال الزمخشري:" وسبحوا الله تعظيما لأمره ولإنجازه ما وعد في الكتب المنزلة وبشربه من بعثة محمد ﷺ وإنزال القرآن عليه، وهو المراد بالوعد في قوله: {إن كان وعد ربنا لمفعولا}"[٢].

قال السعدي:" {ويقولون سبحان ربنا} عما لا يليق بجلاله، مما نسبه إليه المشركون"[٣]. المشركون"[٣].

قال ابن الجوزي:" نزهوا الله تعالى عن تكذيب المكذبين بالقرآن"[٤].

قوله تعالى:{إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا} [الإسراء : ١٠٨]، أي:" ما كان وعد الله تعالى من ثواب وعقاب إلا واقعًا حقًّا"[٥].

قال يحيى بن سلام:" يعني: لقد كان وعد ربِّنا لمفعولا"[٦].

قال الزجاج:" معناه: ما كان وعد ربنا إلا مفعولًا. و«إن» و«اللام» دخلتا للتوكيد"[٧].

قال الطبري:" ما كان وعد ربنا من ثواب وعقاب، إلا مفعولا حقا يقينا، إيمان بالقرآن وتصديق به، والأذقان في كلام العرب: جمع ذَقَن وهو مجمع اللَّحيين، وإذ كان ذلك كذلك، فالذي قال الحسن في ذلك أشبه بظاهر التنزيل"[٨].

قال مكي بن ابي طالب:" أي: ما كان وعد ربنا من ثواب وعذاب إلا مفعولاً. وقيل: معناه: إن كان وعد ربنا أن يبعث محمداً ﷺ لمفعولا"[٩].

قال الواحدي:" أَيْ: وعده بإنزال القرآن وبعث محمّد عليه السَّلام لمفعولاً"[١٠].

قال الجصاص:" فمدحهم بهذا القول عند السجود، فدل على أن المسنون في السجود من الذكر هو التسبيح"[١١].

القرآن

{وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (١٠٩)} [الإسراء : ١٠٩]

التفسير:

ويقع هؤلاء ساجدين على وجوههم، يبكون تأثرًا بمواعظ القرآن، ويزيدهم سماع القرآن ومواعظه خضوعًا لأمر الله وعظيم قدرته.

قوله تعالى:{وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ} [الإسراء : ١٠٩]، أي:" ويقع هؤلاء ساجدين على وجوههم، يبكون تأثرًا بمواعظ القرآن"[١٢].

قال أبو الليث السمرقندي:" أي: يقعون على الوجوه. يبكون"[١٣].

قال مكي بن ابي طالب:" ويخر هؤلاء الذين أوتوا العلم، من مؤمنين أهل الكتاب من قبل نزول القرآن، إذا يتلى عليهم القرآن لأذقانهم يبكون"[١].

---

[١] تفسير الطبري:٥٧٨/١٧.
[٢] الكشاف:٦٩٩/٢.
[٣] تفسير السعدي:٤٦٨.
[٤] زاد المسير:٥٩/٣.
[٥] التفسير الميسر:٢٩٣.
[٦] التصاريف:١٩٦/١.
[٧] معاني القرآن:٢٦٤/٣.
[٨] تفسير الطبري:٥٧٨/١٧.
[٩] الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٣١٠/٦.
[١٠] الوجيز:٦٥٠.
[١١] أحكام القرآن:٢٧٢/٣.
[١٢] التفسير الميسر:٢٩٣.
[١٣] بحر العلوم:٣٣٢/٢.

قال البغوي:" أي: يقعون على الوجوه يبكون، البكاء مستحب عند قراءة القرآن"[٢].
قال الواحدي:" كرَّر القول لتكرُّر الفعل منهم"[٣].
قوله تعالى:{وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا} [الإسراء : ١٠٩]، أي:" ويزيدهم سماع القرآن ومواعظه خضوعًا لأمر الله وعظيم قدرته"[٤].
قال أبو الليث السمرقندي:" أي: تواضعا ومذلة"[٥].
قال ابن أبي زمنين والواحدي:" {ويزيدهم} يعني: القرآن {خشوعا}"[٦].
قال مكي بن ابي طالب:" ويزيدهم وعظ القرآن خشوعاً لله"[٧].
قال البغوي:" {ويزيدهم} نزول القرآن خضوعا لربهم"[٨].
قال الزمخشري:" أى: يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين"[٩].
قال يحيى بن سلام:" «الخشوع»: الخوف الثابت في القلب"[١٠].
قال ابن عطية:" هذه مبالغة في صفتهم ومدح لهم وحض لكل من ترسم بالعلم وحصل منه شيئا أن يجري إلى هذه الرتبة"[١١].
عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: "لا يلج النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري مسلم أبدا"[١٢].
فوائد الآيات:[١٠٧-١٠٩]:
١- تقرير النبوة المحمدية بنزول القرآن وإيمان من آمن به من أهل الكتاب.
٢- الكتب السوالف تؤيد القرآن.
٣- بيان حقيقة السجود وأنه وضع الوجه على الأرض.
٤- مشروعية السجود للقارىء أو المستمع وسنية ذلك عند قراءة هذه الآية وهي {يخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا} فيخر ساجدا مكبرا في الخفض وفي الرفع قائلا: الله أكبر ويسبح ويدعو في سجوده بما يشاء.

القرآن

{قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١١٠)} [الإسراء : ١١٠]

التفسير:
قل -أيها الرسول- لمشركي قومك الذين أنكروا عليك الدعاء بقولك: يا ألله يا رحمن، ادعوا الله، أو ادعوا الرحمن، فبأي أسمائه دعوتموه فإنكم تدعون ربًا واحدًا؛ لأن أسماءه كلها حسنى. ولا تجهر بالقراءة في صلاتك، فيسمعك المشركون، ولا تُسِرَّ بها فلا يسمعك أصحابك، وكن وسطًا بين الجهر والهمس.

---

[١] الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٣٠٩/٦.
[٢] تفسير البغوي:١٣٦/٥.
[٣] الوجيز:٦٥١.
[٤] التفسير الميسر:٢٩٣.
[٥] بحر العلوم:٣٣٢/٢.
[٦] تفسير ابن ابي زمنين:٤٥/٣، والوجيز للواحدي:٦٥١.
[٧] الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٣٠٩/٦.
[٨] تفسير البغوي:١٣٦/٥.
[٩] الكشاف:٦٩٩/٢.
[١٠] تفسير يحيى بن سلام:١٦٨/١.
[١١] المحرر الوجيز:٤٩٢/٣.
[١٢]أخرجه الترمذي في فضائل الجهاد باب ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله: ٥ / ٢٦٠-٢٦١، وقال: "هذا حديث حسن صحيح" وأخرجه النسائي في الجهاد باب فضل من عمل في سبيل الله: ٦ / ١٢، وصححه الحاكم: ٤ / ٢٦٠، وابن حبان برقم (١٥٩٨) ص (٣٨٥) من موارد الظمآن. والإمام أحمد في المسند: ٢ / ٥٠٥، والبغوي التفسير:١٣٧/٥، وفي شرح السنة: ١٤ / ٣٦٤.

نزلت الآية على سببين:
أولا:- نزل أولها إلى قوله تعالى: {الْحُسْنَى}، على سبب، وفيه ثلاثة أقوال
أحدها : قال الكلبي :" أن ذكر الرحمن كان في القرآن قليلاً وهو في التوراة كثير ، فلما أسلم ناس من اليهود منهم ابن سلام وأصحابه ساءَهم قلة ذكر الرحمن في القرآن ، وأحبوا أن يكون كثيراً فنزلت"[١].[ضعيف]

وقال الضحاك: "قال أهل الكتاب لرسول الله ﷺ: إنك لتقل ذكر الرحمن، وقد أكثر الله في التوراة هذا الاسم! فأنزل الله تعالى هذه الآية"[٢].

الثاني: قال ابن عباس:"كان النبيّ ﷺ ساجدا يدعو: يا رَحْمَنُ يا رَحيمُ، فقال المشركون: هذا يزعم أنه يدعو واحدا، وهو يدعو مثنى مثنى، فأنزل الله تعالى: {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأسْمَاءُ الْحُسْنَى}.... الآية"[٣].[ضعيف]

الثالث: قال ميمون بن مهران: "كان رسول الله ﷺ يكتب في أول ما أوحي إليه: «باسمك اللهم» حتى نزلت هذه الآية: إنه من سليمان وإنه بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ فكتب: «بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ» . فقال مشركو العرب: هذا الرحيم نعرفه، فما الرحمن؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية"[٤].[مرسل]

ثانيا:- ونزل قوله تعالى:{وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا}، على سبب، وفيه ثلاثة أقوال:

أحدها: عن ابن عباس، في قوله تعالى: "{وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا}، قال: نزلت ورسول الله ﷺ مختف بمكة: فكانوا إذا سمعوا القرآن سبوا القرآن، ومن أنزله، ومن جاء به. فقال الله عز وجل لنبيه ﷺ: {وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ}،أي: بقراءتك، فيسمع المشركون فيسبوا القرآن، {وَلَا تُخَافِتْ بِهَا} عن أصحابك فلا يسمعوا، {وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا}"[٥].

قال سعيد بن جبير:" كان النبيّ ﷺ إذا رفع صوته أعجب ذلك أصحابه، وإذا سمع ذلك المشركون سبُّوه، فنزلت هذه الآية"[٦].

الثاني: وقالت عائشة رضي الله عنها: "نزلت هذه الآية في التشهد، كان الأعرابي يجهر فيقول: التحيات لله والصلوات والطيبات، يرفع بها صوته، فنزلت هذه الآية"[٧].

الثالث: وقال عبد الله بن شداد: "كان أعراب إذا سلم النبيّ ﷺ قالوا: اللهم ارزقنا إبلا وولدا، قال: فنزلت هذه الآية: {وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا}"[٨].

وروي عن عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى: "{وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا}، قالت: إنها أنزلت في الدعاء"[١].

---

[١] النكت والعيون:٣/٢٨٠.
[٢] اسباب النزول للواحدي:٣٠٣. ذكره بدون إسناد.
[٣] اخرجه الطبري:١٧/٥٨٠. في اسناده الحسين وهو الحسين بن داود ولقبه سنيد وهو ضعيف (له ترجمة في التقريب ١/ ٣٣٥) وعلى ذلك فالإسناد ضعيف
[٤] أسباب النزول للواحدي:٣٠٢-٣٠٣. [مرسل]
[٥] أخرجه الواحدي في اسباب النزول:٣٠٣، واللفظ له، وأخرجه البخاري في التفسير (٤٧٢٢) وفي التوحيد (٧٤٩٠، ٧٥٢٥، ٧٥٤٧) .
وأخرجه مسلم في الصلاة (١٤٥/ ٤٤٦) ص ٣٢٩.
والترمذي في التفسير (٣١٤٦) وقال: حسن صحيح.
والنسائي في التفسير (٣٢٠) .
والنسائي في المجتبى (٢/ ١٧٨) .
وأخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢٣، ٢١٥) والطبراني في الكبير (١٢/ ٥٥) .
وابن جرير في تفسيره (١٥/ ١٢٣) والبيهقي في السنن (٢/ ١٨٤) .
وزاد السيوطي نسبته في الدر (٤/ ٢٠٦) لسعيد بن منصور وابن أبي حاتم وابن حبان وابن مردويه.
[٦] أخرجه الطبري:١٧/٥٨٦.
[٧] أسباب النزول للواحدي:٣٠٤. ذكره بدون إسناد.
[٨] أخرجه الطبري:١٧/٥٨٣.

قوله تعالى:{قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ} [الإسراء : ١١٠]، أي:" قل -أيها الرسول- لمشركي قومك الذين أنكروا عليك الدعاء بقولك: يا ألله يا رحمن، ادعوا الله، أو ادعوا الرحمن"[٢].

قوله تعالى:{أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} [الإسراء : ١١٠]، أي:" بأي هذين الإسمين ناديتموه فهو حسن لأن أسماءه جميعها حسنى وهذان منها"[٣].

قوله تعالى:{وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا} [الإسراء : ١١٠]، أي:" أي لا تجهر يا محمد بقراءتك في الصلاة فيسمعك المشركون فيسبوا القرآن ومن أنزله ولا تُسرَّ بقراءتك بحيث لا تسمع من خلفك"[٤].

قوله تعالى:{وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا} [الإسراء : ١١٠]، أي:" اقصد طريقاً وسطاً بين الجهر والمخافتة"[٥].

وفي قوله تعالى:{وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا}} [الإسراء : ١١٠]، قولان:

أحدهما : أنه عنى بـ«الصلاة»: الدعاء ، ومعنى ذلك: ولا تجهر بدعائك ولا تخافت به ، وهذا قول عائشة رضي الله عنها[٦]، وعروة[٧]، وعبدالله بن شداد[٨]، وابن عباس- في أحد قوليه[٩]، ومكحول[١٠]، وأبي عياض[١١]، وسعيد بن جبير-في احد قوليه-[١٢]، ومجاهد[١٣]، وعطاء[١٤].

قال ابن عباس:" كانوا يجهرون بالدعاء، فلما نزلت هذه الآية أُمروا أن لا يجهروا، ولا يخافتوا"[١٥].

قال مجاهد:" نزلت في الدعاء والمسألة"[١٦].

قال إبراهيم : "لينتهين أقوام يشخصون بأبصارهم إلى السماء في الصلاة أو لا ترجع إليهم أبصارهم"[١٧].

الثاني : أنه عنى بذلك الصلاة المشروعة، واختلف قائلو ذلك فيما نهى عنه من الجهر بها والمخافتة فيها على خمسة أقوال:

أحدها : أنه نهى عن الجهر بالقراءة فيها لأن رسول الله -ﷺ- بمكة كان يجهر بالقراءة جهراً شديداً ، فكان إذا سمعه المشركون سبّوه ، فنهاه الله تعالى عن شدة الجهر ، وأن لا يخافت بها

---

[١] أخرجه الواحدي في أسباب النزول:٣٠٤، واللفظ له، وأخرجه مسلم في كتاب الصلاة (١٤٦/ ٤٤٧) ص ٣٢٩.

والنسائي في التفسير (٣٢١) والبيهقي في السنن (٢/ ١٨٣) .

وزاد السيوطي نسبته في الدر (٤/ ٢٠٧) للبخاري وأبي داود في الناسخ والبزار وسعيد بن منصور وابن نصر وابن مردويه. وأخرجه ابن جرير (١٥/ ١٢٢).

[٢] التفسير الميسر:٢٩٣.

[٣] صفوة التفاسير:١٦٥/٢.

[٤] صفوة التفاسير:١٦٥/٢.

[٥] صفوة التفاسير:١٦٥/٢.

[٦] انظر: تفسير الطبري:٥٨١/١٧.

[٧] انظر: تفسير الطبري:٥٨٣/١٧.

[٨] انظر: تفسير الطبري:٥٨٣/١٧.

[٩] انظر: تفسير الطبري:٥٨١/١٧.

[١٠] انظر: تفسير الطبري:٥٨٣/١٧.

[١١] انظر: تفسير الطبري:٥٨٢/١٧.

[١٢] انظر: تفسير الطبري:٥٨٣/١٧.

[١٣] انظر: تفسير الطبري:٥٨٢/١٧.

[١٤] انظر: تفسير الطبري:٥٨٢/١٧.

[١٥] أخرجه الطبري:٥٨١/١٧.

[١٦] أخرجه الطبري:٥٨٢/١٧.

[١٧] النكت والعيون:٢٨١/٣.

حتى لا يسمعه أصحابه ، ويبتغي بين ذلك سبيلاً ، قاله ابن عباس[١]، وسعيد بن جبير[٢]، وقتادة[٣]، والضحاك[٤].

قال سعيد:" كان النبيّ ﷺ يجهر بقراءة القرآن في المسجد الحرام، فقالت قريش: لا تجهر بالقراءة فتؤذي آلهتنا، فنهجو ربك، فأنزل الله :{وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا} .... الآية"[٥].

الثاني : أنه نهى عن الجهر بالقراءة في جميعها وعن الإسرار بها في جميعها وأن يجهر في صلاة الليل ويسر في صلاة النهار. حكاه الماوردي[٦].

الثالث : أنه نهي عن الجهر بالتشهد في الصلاة، قاله ابن سيرين[٧]، وهو مروي عن عائشة-رضي الله عنها-[٨].

قالت عائشة-رضي الله عنها-: "نزلت هذه الآية في التشهد :{وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا}"[٩].

الرابع : أنه نهي عن الجهر بفعل الصلاة لأنه كان يجهر بصلاته، بمكة فتؤذيه قريش، فخافت بها واستسر، فأمره الله ألاّ يجهر بها كما كان ، ولا يخافت بها كما صار ، ويبتغي بين ذلك سبيلاً ، وهذا المعنى مروي عن عكرمة والحسن البصري[١٠].

عن عكرمة والحسن البصري قالا:" قال في بني إسرائيل {وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا) وكان رسول الله ﷺ إذا صلى يجهر بصلاته، فآذى ذلك المشركين بمكة، حتى أخفى صلاته هو وأصحابه، فلذلك قال {وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا} وقال في الأعراف {وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ}"[١١].

الخامس : ولا تجهر بصلاتك تحسنها من إتيانها في العلانية، ولا تخافت بها: تسيئها في السريرة. وهذا القول مروي عن ابن عباس[١٢]، والحسن[١٣].

قال ابن عباس:" لا تصلّ مراءاة الناس ولا تدعها مخافة"[١٤].

قال الحسن:" تحسن علانيتها، وتسيء سريرتها"[١٥].

وقال الحسن : "لا تراء بها في العلانية، ولا تخفها في السريرة"[١٦].

قال الماوردي" "الأول أظهر "[١٧].

عن محمد بن سيرين، قال: "نبئت أن أبا بكر كان إذا صلى فقرأ خفض صوته، وأن عمر كان يرفع صوته، قال: فقيل لأبي بكر: لم تصنع هذا؟ فقال: أناجي ربي، وقد علم حاجتي، قيل:

---

[١] انظر: تفسير الطبري:١٧/٥٨٣-٥٨٥.
[٢] انظر: تفسير الطبري:١٧/٥٨٥-٥٨٦.
[٣] انظر: تفسير الطبري:١٧/٥٨٦.
[٤] انظر: تفسير الطبري:١٧/٥٨٤.
[٥] أخرجه الطبري:١٧/٥٨٥.
[٦] انظر: النكت والعيون:٣/٢٨١.
[٧] انظر: تفسير الطبري:١٧/٥٨٧.
[٨] انظر: تفسير الطبري:١٧/٥٨٧.
[٩] اخرجه الطبري:١٧/٥٨٧.
[١٠] انظر: تفسير الطبري:١٧/٥٨٧، ووحكاه الماوردي :٣/٢٨١ عن عكرمة.
[١١] أخرجه الطبري:١٧/٥٨٧.
[١٢] انظر: تفسير الطبري:١٧/٥٨٨.
[١٣] انظر: الطبري:١٧/٥٨٧.
[١٤] أخرجه الطبري:١٧/٥٨٨.
[١٥] أخرجه الطبري:١٧/٥٨٨.
[١٦] أخرجه الطبري:١٧/٥٨٧.
[١٧] النكت والعيون:٣/٢٨١.

أحسنت، وقيل لعمر: لم تصنع هذا؟ قال: أطرد الشيطان، وأوقظ الوسنان، قيل: أحسنت، فلما نزلت {وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا}، قيل لأبي بكر: ارفع شيئا، وقيل لعمر: اخفض شيئا"[١].

الفوائد:

١- إن لله الأسماء الحسنى وهي مائة اسم إلا اسما واحدا، فيدعى الله تعالى وينادى بأيها: وكلها حسنى كما قال تعالى {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأعراف : ١٨٠].

وقال النبي ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة»[٢].

وقال النبي ﷺ: «أسألك اللهم بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي»[٣]. الحديث.

٢- بيان ما كان عليه المشركون في مكة من بغض للرسول والقرآن والمؤمنين.

٣- مشروعية الأخذ بالاحتياط للدين كما هو للدنيا.

القرآن

{وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا (١١١)} [الإسراء : ١١١]

التفسير:

وقل -أيها الرسول-: الحمد لله الذي له الكمال والثناء، الذي تنزَّه عن الولد والشريك في ألوهيته، ولا يكون له سبحانه وليٌّ مِن خلقه فهو الغني القوي، وهم الفقراء المحتاجون إليه، وعظِّمه تعظيمًا تامًا بالثناء عليه وعبادته وحده لا شريك له، وإخلاص الدين كله له.

سبب النزول:

روي عن القُرَظي، أنه كان يقول في هذه الآية :{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا} .... الآية. قال: إن اليهود والنصارى قالوا: اتخذ الله ولدا، وقالت العرب: لبيك، لبيك، لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، وقال الصابئون والمجوس: لولا أولياء الله لذلّ الله، فأنزل الله {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ} أنت يا محمد على ما يقولون {تَكْبِيرًا}"[٤].

قوله تعالى:{وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا} [الإسراء : ١١١]، أي:" وقل -أيها الرسول-:" الحمد لله الذي تنزَّه عن الولد"[٥].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد ﷺ {وَقُلْ} يا محمد {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا} فيكون مربوبا لا ربا، لأن ربّ الأرباب لا ينبغي أن يكون له ولد"[٦].

قوله تعالى:{وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ} [الإسراء : ١١١]، أي:"و ليس له شريك في ألوهيته"[٧].

---

[١] أخرجه الطبري:٥٨٦/١٧.

[٢]رواه البخاري (٢٧٣٦، ٧٣٩٢).

[٣]صحيح) ، رواه أحمد (١ / ٣٩١، ٤٥٢) ، وابن حبان (٩٦٨) ، والحاكم (١ / ٥٠٩) ، وأبو يعلى (٥٢٩٧) ، ، وقد عدد الشيخ الألباني طرقه في الصحيحة (١٩٩) وناقش ما دار حولها من خلاف ثم قال: وجملة القول أن الحديث صحيح من رواية.

[٤] أخرجه الطبري:٥٩٠/١٧.

[٥] صفوة التفاسير:١٦٥/٢.

[٦] تفسير الطبري:٥٨٩/١٧.

[٧] صفوة التفاسير:١٦٥/٢.

قال الطبري:" فيكون عاجزا ذا حاجة إلى معونة غيره ضعيفا، ولا يكون إلها من يكون محتاجا إلى معين على ما حاول، ولم يكن منفردا بالمُلك والسلطان"[١].

قال السمعاني:" أي: كما قاله عبدة الأصنام وغيرهم"[٢].

قوله تعالى:{وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ} [الإسراء : ١١١]، أي:" ليس بذليل فيحتاج إلى الوليّ والنصير"[٣].

قال الطبري:" يقول: ولم يكن له حليف حالفه من الذّل الذي به، لأن من كان ذا حاجة إلى نصرة غيره، فذليل مهين، ولا يكون من كان ذليلا مهينا يحتاج إلى ناصر إلها يطاع"[٤].

قال ابن كثير:" أي : ليس بذليل فيحتاج أن يكون له ولي أو وزير أو مشير ، بل هو تعالى شأنه خالق الأشياء وحده لا شريك له ، ومقدرها ومدبرها بمشيئته وحده لا شريك له"[٥].

وفي قوله تعالى:{وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ} [الإسراء : ١١١]، وجهان:

أحدهما : لم يحالف أحدا ولم يبتغ نصر أحد. وهذا قول مجاهد[٦].

قال يحيى بن سلام:" يعني: لم يكن له صاحب يتعزَّز به من ذل"[٧].

قال الزجاج:" أي: لم يحتج إلى أن ينتصر بغيره"[٨].

الثاني: لم يكن له وليٌّ من اليهود والنصارى لأنهم أذل الناس ، قاله الكلبي[٩].

قوله تعالى:{وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا} [الإسراء : ١١١]، أي:" وعظِّمه تعظيمًا تامًا بالثناء عليه وعبادته وحده لا شريك له، وإخلاص الدين كله له"[١٠].

قال الطبري:" يقول: وعظم ربك يا محمد بما أمرناك أن تعظمه به من قول وفعل، وأطعه فيما أمرك ونهاك"[١١].

قال الزجاج:" أي: عظِّمه عظَمَة تامَّةً"[١٢].

قال البغوي:" أي: وعظمه عن أن يكون له شريك أو ولي"[١٣].

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: "أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء"[١٤].

عن قتادة أن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: "الحمد لله رأس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمده"[١٥].

---

[١] تفسير الطبري:٥٨٩/١٧.

[٢] تفسير السمعاني:٥/٤.

[٣] صفوة التفاسير:١٦٥/٢.

[٤] تفسير الطبري:٥٨٩/١٧.

[٥] تفسير ابن كثير:١٣٠/٥.

[٦] انظر: تفسير مجاهد:٤٤٤، وتفسير الطبري:٥٩٠/١٧.

[٧] التفسير التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه:٢٣٥.

[٨] معاني القرآن:٢٦٥/٣.

[٩] انظ: النكت والعيون:٢٨٢/٣.

[١٠] التفسير الميسر:١٦٥/٢.

[١١] تفسير الطبري:٥٩٠/١٧.

[١٢] معاني القرآن:٢٦٥/٣.

[١٣] تفسير البغوي:١٣٩/٥.

[١٤]أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ١٢ / ١٩، وفي المعجم الصغير ١ / ١٠٣، وصححه الحاكم: ١ / ٥٠٢ وأخرجه أبو نعيم في الحلية: ٥ / ٦٩، وعزاه في المشكاة للبيهقي في الشعب ٢ / ٧١٤، وفيه نصر بن حماد وهو ضعيف. قال الهيثمي في المجمع (١٠ / ٩٥) : رواه الطبراني في الثلاثة بأسانيد، وفي أحدها قيس بن الربيع ثقة وشعبة والثوري وغيرهما وضعفه يحيى القطان وغيره وبقية رجاله رجال الصحيح ورواه البزار بنحوه وإسناده حسن". وأخرجه والبغوي في التفسير:١٣٩/٥، وفي شرح السنة: ٥ / ٤٩، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة: ٢ / ٩٣-٩٤ .

[١٥]أخرجه عبد الرزاق في المصنف: ١٠ / ٤٢٤، والبيهقي في الجامع لشعب الإيمان كما في المشكاة: ٢ / ٧١٤، والبغوي في التفسير:١٣٩/٥، و شرح السنة: ٥ / ٥٠. ورواه الخطابي في غريب الحديث والديلمي في

عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: "إن أفضل الدعاء الحمد لله وأفضل الذكر لا إله إلا الله"[١].

عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: "أحب الكلام إلى الله تعالى أربع: لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله لا يضرك بأيهن بدأت"[٢].

قال قتادة: "ذُكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يعلّم أهله هذه الآية :{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا} الصغير من أهله والكبير"[٣].

قال ابن عباس:" إن التوراة كلها في خمس عشرة آية من بني إسرائيل، ثم تلا :{لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ}"[٤].

الفوائد:

١- أنه سبحانه أمر نبيه بحمده لأنه المستحق لأن يحمد لما اتصف به من صفات الكمال.

والحمد :" هو الثناء باللسان، وبالفعل هو تعظيم المنعم على إحسانه إلى عباده وهو الشكر "[٥].

وإن إثبات الحمد له سبحانه متضمن لإثبات جميع الكمالات التي لا يستحق الحمد المطلق إلا من بلغ غايتها، ثم نفى سبحانه عن نفسه ما ينافي كمال الحمد من الولد والشريك والولي من الذل ـ أي: من فقر وحاجة ـ، فهو سبحانه لا يوالي أحدا من خلقه من أجل ذلة وحاجة إليه.

٢- تنزيه الله عن الولد لكمال صمديته وغناه وتعبد كل شيء له فاتخاذ الولد ينافي ذلك قال الله تعالى {قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغني} الآية.

٣- تنزيه الله عن الشريك في الملك المتضمن تفرده بالربوبية والألوهية وصفات الكمال.

٤- نفي الولاية من الذل التي تحميه وتمنعه وتؤيده وتحفظه لأنه قوي عزيز غني عن من سواه. أما الولاية التي على وجه المحبة والكرامة لمن شاء من عباده فلم ينفها المذكورة وهي بقوله تعالى: {الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور} وقوله: {ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون} فمن كان مؤمناً تقياً كان لله ولياً، فأثبتها سبحانه للمؤمنين المتقين تفضلاً منه وإحساناً[٦].

فإن الله سبحانه ليس له ظهير ولا ولي من الذل وكل ما في الوجود من الأسباب فهو خالقه وربه ومليكه، فهو الغني عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقير إليه، بخلاف الملوك المحتاجين إلى ظهرائهم وهم في الحقيقة شركاؤهم في الملك، والله تعالى ليس له شريك في الملك، بل لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

الفردوس بسند رجاله ثقات وهو منقطع بين قتادة وابن عمرو. انظر: فيض القدير للمناوي: ٣ / ٤١٨.

[١]أخرجه الترمذي في الدعوات باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة: ٩ / ٣٢٥، وقال: "هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث موسى بن إبراهيم والنسائي في عمل اليوم والليلة ص (٨٤٠-٨٤١) وابن ماجه في الأدب باب فضل الحامدين برقم (٣٨٠٠) ٢ / ١٢٤٩ وصححه ابن حبان ص (٥٧٨) من موارد الظمآن والحاكم في المستدرك: ١ / ٥٠٣ ووافقه الذهبي وأخرجه البغوي في التفسير:١٣٩/٥-١٤٠، و شرح السنة: ٥ / ٤٤٩، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٣ / ٤٨٤.

[٢]أخرجه مسلم في الآداب باب كراهية التسمية بالأسماء القبيحة برقم (٢١٣٧) : ٣ / ١٦٨٥. والبغوي في التفسير:١٤٠/٥، وشرح السنة: ٥ / ٩.

[٣] أخرجه الطبري:٥٩٠/١٧.

[٤] أخرجه الطبري:٥٩٠/١٧.

[٥] انظر: كتاب التوحيد المسمى بـ «التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد»، الحملاوي: ٦٧، وانظر: شرح العقيدة الواسطية للهراس:٨١.

[٦] انظر: مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية:٧٠-٧١.

٤- أن الله نزه نفسه في كتابه عن النقائص، تارة بنفيها، وتارة بإثبات أضدادها، كقوله تعالى: {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [الإخلاص:٣-٤]، وقوله تعالى: {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ} [الإسراء:١١١] وقوله: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} [الفرقان:١] . . الآية، وقوله: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ} [البقرة:٢٥٥]، وقوله: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ} [الأنعام:١٠٠] إلى قوله: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الأنعام:١٠٣] وقوله: {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ} إلى قوله: {فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [المؤمنون:٩١-٩٢] وقوله: {حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [فصلت:٢٠] إلى قوله: {وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [فصلت:٢٣] وقوله: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ}[المائدة:٦٤]. . . الآية، وقوله: {لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ}[آل عمران:١٨١][1].

٥- قوله {وكبره تكبيراً} فإن تكبيره سبحانه، يكون[2]:

أولاً: بذاته باعتقاد أنه واجب الوجود لذاته وأنه غني عن كل موجود.

ثانياً: بتكبيره في صفاته بأن يعتقد أن كل صفة من صفاته سبحانه فهي من صفات الجلال والكمال والعظمة والعزة وأنه منزه عن كل عيب ونقص.

ثالثاً: بتكبيره في أفعاله فنعتقد أنه يجري في ملكه شيء إلا وفق مشيئته وإرادته.

رابعاً: تكبيره في أحكامه باعتقاد أنه ملك مطاع له الأمر والنهي والرفع والخفض وأنه لا اعتراض لأحد عليه في شيء من أحكامه يعز من يشاء ويذل من يشاء. لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

خامساً: تكبيره في أسمائه فلا يذكر إلا بأسمائه الحسنى ولا يوصف إلا بصفاته المقدسة

روى الإمام أحمد عن معاذ الجهني أن رسول الله ﷺ :" أنه كان يقول إذا تعز: " {الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك} [الإسراء: ١١١]، إلى آخر السورة"[3].

قال ابن كثير:" وفي بعض الآثار : أنها ما قرئت في بيت في ليلة فيصيبه سرق أو آفة"[4].

روي عن أبي هريرة قال : خرجت أنا ورسول الله ﷺ ويدي في يده ، فأتى على رجل رث الهيئة ، فقال : "أي فلان ، ما بلغ بك ما أرى ؟". قال : السقم والضرّ يا رسول الله. قال : "ألا أعلمك كلمات تذهب عنك السقم والضر ؟". قال : لا قال : ما يسرني بها أن شهدت معك بدرًا أو أحدًا. قال : فضحك رسول الله ﷺ وقال : "وهل يدرك أهل بدر وأهل أحد ما يدرك الفقير القانع ؟". قال : فقال أبو هريرة : يا رسول الله ، إياي فعلمني قال : فقل يا أبا هريرة : «توكلت على الحي الذي لا يموت ، الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا ، ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له ولي من الذل ، وكبره تكبيرًا». قال : فأتى عليّ رسول الله وقد حَسُنَت حالي ، قال : فقال لي : "مَهْيم". قال : قلت : يا رسول الله ، لم أزل أقول الكلمات التي علمتني"[5].

«آخر تفسير سورة (الإسراء)، والحمد لله وحده»

---

[1] انظر: التسعينية:١٨٨/١-١٨٩.

[2] انظر: مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية:٧١.

[3] المسند(١٥٦٢٥):ص٣٨٩/٢٤.

[4] تفسير ابن كثير:١٣١/٥.

[5]مسند أبي يعلى (٢٣/١٢) وقال الهيثمي في المجمع (٥٢/٧) : "وفيه موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف". وقال ابن كثير:١٣١/٥:" إسناده ضعيف وفي متنه نكارة".

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسير سورة « الكهف»

سورة «الكهف»: هي السورة «الثامنة عشر» في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة: «الغاشية»[١]، وعدد آياتها: (١١٠) مائة وعشرة عند الكوفيين، و(١٠٦) مائة وست عند الشاميين، و(١٠٥) مائة وخمس عند الحجازيين، و(١١١) مائة وإحدى عشرة عند البصريين. وكلماتها: (١٥٧٩) ألف وخمسمائة وتسع وسبعون، وحروفها: (٦٣٠٦) ستة آلاف وثلثمائة وست[٢].

والمختلف فيها إحدى عشرة آية: {وَزِدْنَاهُمْ هُدًى} [الكهف : ١٣]، {إِلَّا قَلِيلٌ} [الكهف : ٢٢]، {ذَٰلِكَ غَدًا} [الكهف : ٢٣]، {زَرْعًا} [الكهف : ٣٢]، {مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا} [الكهف : ٨٤]، {هَٰذِهِ أَبَدًا} [الكهف : ٣٥]، {عِنْدَهَا قَوْمًا } [الكهف : ٨٦]، {فَأَتْبَعَ سَبَبًا} [الكهف : ٨٥]، «ذريته» فى موضع {الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا} [الكهف : ١٠٣][٣].

وفواصل آياتها على :«الألف»[٤].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسماؤها التوقيفية:**
- **الإسم الأول: سورة «الكهف»:**

«الكهف»: كالمغارة في الجبل إلا أنه أوسع منها، فإذا صغر فهو غار، وجمعه: «كهوف»[٥]. قال الشاعر[٦]:

وكنتَ لهم كَهْفاً حصيناً وجُنَّةٌ ... يؤول إليها كهلها ووليدها

وقد وردت هذه التسمية في كلام النبي-ﷺ-، وذلك في أحاديث، منها:

- عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال»[٧].
- عن أبي سعيد، أن النبي-ﷺ-، قال:«من قرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين»[٨].

وقد ورجدت تسميتها بسورة«الكهف» عند الصحابة الكرام-رضوان الله تعالى عليهم-، كابن مسعود والبراء بن عازب:

- قال ابن مسعود:« فى بنى إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء هن من العتاق الأول وهن من تلادى»[٩].

---

[١] انظر: الكشاف: ٧٠٢/٢.

[٢]انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٩٧.

[٣]انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٩٧.

[٤]انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٩٧.

[٥] انظر: العين:٣،٣٨٠، والعباب الزاخر:١١/٢، وتاج العروس:٣٤٧/٢٤..

[٦] لم أجده، والبيت من شواهد الخليل في العين:٣،٣٨٠، والصغاني في العباب:١١/٢، والزبيدي في تاج العروس:٣٤٧/٢٤.

[٧]صحيح. أخرجه أحمد (١٩٦/٥، رقم ٢١٧٦٠) ومسلم (٥٥٥/١، رقم ٨٠٩) وأبو داود (١١٧/٤، رقم ٤٣٢٣) ، والنسائى فى الكبرى (٢٣٦/٦، رقم ١٠٧٨٧) . وأخرجه أيضا: الحاكم (٣٩٩/٢، رقم ٣٣٩١) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقى (٢٤٩/٣، رقم ٥٧٩٣)، وأخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» ٧/ ٣٨/ ١٣٢، وإسناده على شرط مسلم، وابن حبان ٧٨٥ و ٧٨٦.

[٨]أخرجه الحاكم (٣٩٩/٢، رقم ٣٣٩٢) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقى (٢٤٩/٣، رقم ٥٧٩٢).

[٩]أخرجه ابن أبى شيبة (٢٥٨/٧، رقم ٣٥٨٥٧).

- عن البراء بن عازب. قال: «كان رجل يقرأ في داره سورة الكهف، وإلى جانبه حصان له مربوط بشطنين، حتى غشيته سحابة، فجعلت [تدنو و] تدنو، حتى جعل فرسه ينفر منها. قال الرجل: فعجبت لذلك، فلما أصبح أتى النبي - ﷺ -، فذكر ذلك له [وقص عليه] فقال رسول الله - ﷺ -: "تلك السكينة تنزلت للقرآن"»[١].

فدلّت تلك الاحاديث تدل على أن اسم سورة «الكهف» هو المشهور، وهو اسم توقيفي كما ثبت عن رسولنا الكريم-ﷺ- وعن صحابته-رضوان الله عليهم أجمعين.

- **وجه التسمية:**

سميت سورة «الكهف»؛ لاشتمالها على قصة أصحاب أهل الكهف بتفصيلها[٢]، إذ وردت كلمة«الكهف» في هذه السورة حصرا، دون غيرها من السور، فجاءت بصيغة«الكهف» أربع مرات[٣]، ومرتين مضافة إلى ضمير الغائب«كهفهم»[٤].

- **الإسم الثاني: سورة «أصحاب الكهف»:**

وسميت بسورة«أصحاب الكهف»، في مصحف نسخ في القرن الحادي عشر الهجري[٥]، كما وردت هذه التسمية في أحاديث رويت عن النبي-ﷺ-، منها:

- عن أمّ المؤمنين عائشة-رضي الله عنها-، عن النبي-ﷺ- :«ألا أخبركم بسورة ملأت عظمتها ما بين السماء والأرض ولكاتبها من الأجر مثل ذلك ومن قرأها يوم الجمعة غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام ومن قرأ الخمس الأواخر منها عند نومه بعثه الله أى الليل شاء سورة أصحاب الكهف"[٦].
- عن النواس بن سمعان الكلابي قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة، فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل، قال: فانصرفنا من عند [ص:٥١١] رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجعنا إليه فعرف ذلك فينا فقال: «ما شأنكم؟» قال: قلنا: يا رسول الله، ذكرت الدجال الغداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل قال: «غير الدجال أخوف لي عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط عينه طافئة شبيه بعبد العزى بن قطن، فمن رآه منكم فليقرأ فواتح سورة أصحاب الكهف» قال: «يخرج ما بين الشام والعراق، فعاث يمينا وشمالا، يا عباد الله اثبتوا»، قال: قلنا: يا رسول الله، وما لبثه في الأرض؟ قال: «أربعين يوما، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم»، قال: قلنا: يا رسول الله، أرأيت اليوم الذي كالسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «لا، ولكن اقدروا له»، قال: قلنا: يا رسول الله، فما سرعته في الأرض؟ قال: «كالغيث استدبرته الريح فيأتي القوم فيدعوهم فيكذبونه ويردون عليه قوله فينصرف عنهم فتتبعه أموالهم ويصبحون ليس بأيديهم شيء، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيستجيبون له

---

[١] المسند: ٢٩٣/٤، صحيح البخاري: فضائل القرآن: فصل الكهف: ٥٧/٩، صحيح مسلم: الصلاة: نزول السكينة لقراءة القرآن: ٥٤٨/١. والنسائي كما في تحفة الأشراف ٤٥/٢، سنن الترمذي: فضائل القرآن: ماجاء في سورة الكهف: ١٦١/٥ والنسائي كما في تحفة الأشراف ٥٣/٢.

[٢] انظر: البصائر:٢٩٧/١.

[٣] الآيات: {أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١)} [الكهف : ٩ - ١١]، {وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا (١٦)} [الكهف : ١٦].

[٤] الآيتين: {وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا} [الكهف : ١٧]، {وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا} [الكهف : ٢٥].

[٥] جاء في مصحف مخطوط على الورق، قام بنسخه: عبدالله بن يحيى بن حسن الفياض، من شهر محرم الحرام سنة ١٢٨٨هـ، وهو من مخطوطات بيت القرآن في البحرين.

[٦] ابن مردويه، والديلمى عن عائشة، جامع الأحاديث(٤٤٤٨):ص٤٣٩/٥.

ويصدقونه فيأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم كأطول ما كانت ذرا وأمده خواصر وأدره ضروعا»، قال: " ثم يأتي الخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك فينصرف منها فيتبعه كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلا شابا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين ثم يدعوه فيقبل يتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك إذ هبط عيسى ابن مريم بشرقي دمشق عند المنارة البيضاء بين مهرودتين واضعا يديه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ "، قال: «ولا يجد ريح نفسه - يعني أحدا - إلا مات وريح نفسه منتهى بصره»، قال: «فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله»، قال: «فيلبث كذلك ما شاء الله»، قال: «ثم يوحي الله إليه أن حوز عبادي إلى الطور فإني قد أنزلت عبادا لي لا يدان لأحد بقتالهم»، قال: " ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم كما قال الله: {وهم من كل حدب ينسلون} [الأنبياء: ٩٦] قال: " فيمر أولهم ببحيرة الطبرية فيشرب ما فيها ثم يمر بها آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل بيت المقدس فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض، فهلم فلنقتل من في السماء، فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم محمرا دما، ويحاصر عيسى ابن مريم وأصحابه حتى يكون رأس الثور يومئذ خيرا لأحدهم من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب عيسى ابن مريم إلى الله وأصحابه «،» فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى موتى كموت نفس واحدة، ويهبط عيسى وأصحابه فلا يجد موضع شبر إلا وقد ملأته زهمتهم ونتنهم ودماؤهم، فيرغب عيسى إلى الله وأصحابه، فيرسل الله عليهم طيرا كأعناق البخت، فتحملهم فتطرحهم بالمهبل ويستوقد المسلمون من قسيهم ونشابهم وجعابهم سبع سنين، ويرسل الله عليهم مطرا لا يكن منه بيت وبر ولا مدر، فيغسل الأرض فيتركها كالزلفة " قال: «ثم يقال للأرض أخرجي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة الرمانة، ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى إن الفئام من الناس ليكتفون باللقحة من الإبل، وإن القبيلة ليكتفون باللقحة من البقر، وإن الفخذ ليكتفون باللقحة من الغنم فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا فقبضت روح كل مؤمن ويبقى سائر الناس يتهارجون كما تتهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة»[١].

- وروى إسماعيل بن رافع عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أدلكم على سورة شيعها سبعون ألف ملك حين نزلت ملأ فضلها ما بين السماء والأرض لتاليها مثل ذلك» ؟. قالوا بلى يا رسول الله. قال: «سورة أصحاب الكهف من قرأها يوم الجمعة غفر له إلى الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام ولياليها مثل ذلك، وأعطي نورا يبلغ به السماء ووقي فتنة الدجال"[٢].

كما وردت هذه التسمية في كلام بعض السلف، إذ اخرج ابن سعد عن صفية بن ابي عبيد:«أنها سمعت عمر بن الخطاب يقرأ في صلاة الفجر بسورة أصحاب الكهف»[٣].

ومن المفسرين من ذكر هذه التسمية، السيوطي[١]، والىلوسي[٢]، والقاسمي[٣]، وسعيد وسعيد حوى[٤].

---

[١] اخرجه الترمذي(٢٢٤٠):ص٥١٠/٤، وقال:" ذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن يزيد بن جابر". حكم الألباني«صحيح»

[٢] الكشف والبيان:١٤٤/٦، وتفسير القرطبي:٣٤٦/١٠.

وأما رواية ابن الضريس:« عن إسماعيل بن رافع، قال: " بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم بسورة ملأ عظمتها ما بين السماء والأرض، شيعها سبعون ألف ملك؟ . سورة الكهف من قرأها يوم الجمعة غفر الله له بها إلى الجمعة الأخرى، وزيادة ثلاثة أيام بعدها، وأعطي نورا يبلغ إلى السماء، ووقي من فتنة الدجال، ومن قرأ الخمس آيات من خاتمتها حين يأخذ مضجعه من فراشه، حفظه وبعث من أي الليل شاء». فضائل القرآن لابن الضريس(٢٠٣):ص٩٦

[٣] أخرجه ابن سعد في طبقاته:٣٤٧/٨.

▪ **وجه التسمية:**

قال المهايمي:"سميت بها لاشتمالها على قصة أصحابه الجامعة فوائد الإيمان بالله، من الأمن الكلي عن الاعداء، والإغناء الكلي عن الاشياء، والكرامات العجيبة، وهذا من أعظم مقاصد القرآن"[٥].

وهو اسم توقيفي ثبت من أحاديث الرسول-ﷺ-، وهو مستنبط من قصة أصحاب الكهف التي عنت بها السورة، فسورة «الكهف» هي بمعنى سورة «أصحاب الكهف».

▪ **ثانيا:- اسمها الإجتهادي: سورة«الحائلة»**

«الحائلة»: أي: الحاجزة، والحاجز: الحائل بين الشيئين، يقال: حال الشىء بينى وبينك، أى: حجز[٦].

وقد وردت تسميتها بسورة«الحائلة» عند الألوسي[٧]، والسيوطي[٨]، واستدلوا بحديث ابن عباس أن النبي-ﷺ-، قال:« سورة الكهف التي تدعى في التوراة الحائلة، تحول بين قارئها وبين النار»[٩].

وروي ايضا:«قارئ الكهف تدعى فى التوراة الحائلة تحول بين قارئها وبين النار»[١٠].

▪ **وجه التسمية:**

وجه تسميتها بسورة«الحائلة»، أنها تحجز بين قارئها وبين النار، بمعنى: أنها تحاجج وتخاصم عنه، **وقيل:** أنها فتمنعه من دخول النار وتخلصه من الزبانية[١١].

قال المناوي:" يؤخذ من تعبيره بقارئ أن المراد المواظب على قراءتها في كل يوم أو في كل ليلة لا من قرأها أحيانا ثم يترك ويحتمل أن المراد في ليلة الجمعة ويومها لاستحباب قراءتها فيهما"[١٢].

ويجدر القول بأن تسميتها بسورة«الحائلة»، لا تستند على حديث صحيح، عليه فإنها لاتعد من اسمائها التوقيفية -والله أعلم.

▪ **مكية السورة ومدنيتها:**

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على أقوال:

أحدها: أنها مكية كلها. قاله ابن عباس[١٣]، وابن الزبير[١]، والحسن[٢]، ومجاهد[٣]، وقتادة[٤]، وقتادة[٤]، وبه قال يحيى بن سلام[٥]، والماتريدي[٦]، وأبو الليث السمرقندي[٧]، وابن أبي

---

[١] انظر: أسرار ترتيب القرآن:١٠٧، ١٠٨، والإتقان:١٠٨/١،

[٢] انظر: روح المعاني:١٨٩/٨.

[٣] انظر: محاسن التأويل:٣/٧.

[٤] انظر: الأساس بالتفسير:٣١٤٥/٦.

[٥] تفسير المهايمي:٤٣٩/١.

[٦] انظر: لسان العرب:٣٣٢/٥، وغريب الحديث:٣٤٤/١.

[٧] انظر: روح المعاني:١٨٩/٨.

[٨] انظر: الإتقان:١٩٣/١.

[٩] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان(٢٢٢٣):ص٨٧/٤. وضعفه، قال:" تفرد به محمد بن عبد الرحمن [الجدعاني]هذا، وهو منكر".

وأخرجه أيضا: الرافعى (٣٠٠/١).

(ضعيف) انظر حديث رقم: ٣٢٩٢ في ضعيف الجامع

[١٠]أخرجه الديلمى (٢١٥/٣، رقم ٤٦١٩)، من حديث ابن عمر-رضي الله عنه-. وفيه سليمان بن قارع. منكر الحديث.

قال المناوي:" الجدعاني ضعفه أبو حاتم وغيره وفيه أيضا سليمان بن مرقاع أورده الذهبي في الضعفاء والمتروكين وقال العقيلي: منكر الحديث وإسماعيل بن أبي أويس قال النسائي: ضعيف وقال الذهبي: صدوق صاحب مناكير وهذا الحديث والحديثان بعده سندها واحد وطريقها متحد". انظر: فيض القدير:٤٦٦/٤

[١١] انظر: التيسبر بشرح الجامع الصغير:٦٢/٢، ١٨١، وفتح القدير:١١٥/٤.

[١٢] فتح القدير:٤٦٧/٤.

[١٣] أورده السيوطي في الدر المنثور:٣٥٤/٥، وعزاه إلى النحاس في ناسخه وابن مردويه.

زمنين[٨]، والثعلبي[٩]، والواحدي[١٠]، وعبدالقاهر الجرجاني[١١]، والبغوي[١٢]، والسيوطي[١٣]، وابن كثير[١٤].

قال ابن الجوزي:" وهذا إجماع المفسرين"[١٥].

قال الفيروزآبادي:" السورة مكية بالاتفاق"[١٦].

قال المراغي:" هى مكية كلها فى المشهور واختاره جمع من العلماء"[١٧].

الثاني: أنها مكية، إلا قوله تعالى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ} [الكهف: ٢٨]، فإنها مدنية. وهذا مروي عن ابن عباس أيضا[١٨]، وقتادة أيضا[١٩].

الثالث: أنها مكية، إلا آيتين نزلتا في المدينة، وهما: قوله تعالى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ} [الكهف: ٢٨]، وقوله تعالى: {وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا} [الكهف: ٢٨]. وهذا مروي عن الحسن[٢٠].

الرابع: أنها مكية جميعها. إلا سبع آيات: من أول السورة إلى غاية الآية السابعة[٢١]. قاله مقاتل[٢٢].

الخامس: أنها مكية إلا آية :(٣٨)، ومن آية (٨٣) إلى غاية آية (١٠١) فمدنية. قاله الزمخشري[٢٣].

- **مناسبة سورة«الكهف» مع سورة «الإسراء»:**

من وجوه المناسبة بين السورتين:

ورواه أبو صالح عن ابن عباس، كما في زاد المسير:٦٣/٣.

[١] أورده السيوطي في الدر المنثور:٣٥٤/٥، وعزاه إلى ابن مردويه.

[٢] حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٦٣/٣. دون ذكر الإسناد.

[٣] حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٦٣/٣. دون ذكر الإسناد.

[٤] حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٦٣/٣. دون ذكر الإسناد.

[٥] انظر: تفسير يحيى بن سلام:١٧١/١.

[٦] انظر: تأويلات أهل السنة:١٣٢/٧.

[٧] انظر: بحر العلوم:٣٣٤/٢.

[٨] انظر: تفسير ابن أبي زمنين:٤٧/٣.

[٩] انظر: الكشف والبيان:١٤٤/٦.

[١٠] انظر: التفسير الوسيط:١٣٥/٣.

[١١] اظر: درج الدرر:١١٣٥/٣.

[١٢] انظر: تفسير البغوي:١٤١/٥.

[١٣] انظر: الدر المنثور:٣٥٤/٥.

[١٤] انظر: تفسير ابن كثير:١٣٢/٥.

[١٥] زاد المسير:٧/٣.

[١٦] البصائر:٢٩٧/١.

[١٧] تفسير المراغي:١١٣/١٥.

[١٨] حكاه عنه الجرجاني في درج الدرر:١١٣٥/٣، وابن الجوزي في زاد المسير:٦٣/٣، وذكره أبو السعود في تفسيره (٥/ ٢٠٢)، وأسباب نزولها تؤيد ذلك كما سيأتى.

[١٩] حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٦٣/٣. دون ذكر الإسناد.

[٢٠] حكاه عنه الجرجاني في درج الدرر:١١٣٥/٣، ولم نجده عن الحسن، وولكن أسباب النزول تؤيد ذلك كما سيأتى.

[٢١] وهي الآيات:« {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥) فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (٦) إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧)} [الكهف : ١ - ٧]».

[٢٢] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٧١/٢.

[٢٣] انظر: الكشاف:٧٠٢/٢.

١- أن سورة «الإسراء» افتتحت بالتسبيح، وهذه بالتحميد، وهما مقترنان في القرآن وسائر الكلام بحيث يسبق التسبيح التحميد، نحو: {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ} [الحجر : ٩٨/ النصر:٣]، وفي الحديث: «سبحان الله وبحمده»[١] .

كما «أن الإسراء» اختتمت بالتحميد أيضا[٢]، فتشابهت الأطراف أيضا.

٢- ولما أمر اليهود المشركين أن يسألوا النبي ﷺ عن ثلاثة أشياء: عن الروح، وعن قصة أصحاب الكهف، وعن قصة ذي القرنين، أجاب تعالى في آخر سورة بني إسرائيل عن السؤال الأول، وقد أفرد فيها لعدم الجواب عن الروح، ثم أجاب تعالى في سورة الكهف عن السؤالين الآخرين، فناسب اتصالهما ببعضهما.

٣- ولما ذكر تعالى في «الإسراء»: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء : ٨٥]، وهى تدل على كثرة معلومات الله التي لا تحصى، فناسب ذكر قصة موسى مع العبد الصالح الخضر، كالدليل على ما تقدم.

وقد روي عن عطاء بن يسار، قال:" نزلت بمكة {وما أوتيتم من العلم إلا قليلا} فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أتاه أحبار يهود، فقالوا: يا محمد ألم يبلغنا أنك تقول {وما أوتيتم من العلم إلا قليلا} أفعنيتنا أم قومك؟ قال: كلا قد عنيت، قالوا: فإنك تتلو أنا أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شيء، فقال رسول الله ﷺ: هي في علم الله قليل، وقد آتاكم ما إن عملتم به انتفعتم، فأنزل الله {ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام} .... إلى قوله {إن الله سميع بصير}"[٣].

٤- ولما قال تعالى في الإسراء: {فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا} [الإسراء : ١٠٤]، أعقبه في سورة «الكهف» بالتفصيل والبيان بقوله: {فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا} [الكهف : ٩٨] إلى قوله: {وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا} [الكهف : ١٠٠][٤].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

قبل الحديث عن المقاصد الرئيسة التي تضمنتها هذه السورة، نمهد لذلك بنقطتين اثنتين:

الأولى: بدأت السورة بوصف الكتاب بأنه قيم؛ لكونه يقيم الحق، ويُبطل الباطل: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢)} [الكهف : ١ - ٢].

الثانية: القصص هو العنصر الغالب في هذه السورة؛ وقد احتوت السورة على خمسة قصص:

أحدها: قصة أصحاب الكهف:

ففي أولها تجيء قصة أصحاب الكهف؛ تلك القصة التي يتجلى فيها صدق الإيمان، وقوة العقيدة، والإعراض عن كل ما ينافيها إعراضاً عمليًّا صارماً، لا تردد فيه ولا مواربة، فتية رأوا قومهم في الضلال يعمهون، وفي ظلمات الشرك يتخبطون، لا حجة لهم ولا سلطان على ما يزعمون، وأحسوا في أنفسهم غيرة على الحق، لم يستطيعوا معها أن يبقوا في هذه البيئة الضالة، فتركوا أوطانهم، واعتزلوا قومهم، وآثروا آخرتهم على دنياهم .

الثانية: قصة أصحاب الجنتين:

الثالثة: الإشارة إلى قصة آدم و إبليس.

---

[١] وردت أحاديث كثيرة تضمنت «سبحان الله وبحمده»، منها: ما رواه أبو ذر عن النبي-ﷺ-، قال:«ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله سبحان الله وبحمده».
أخرجه مسلم (٢٠٩٣/٤، رقم ٢٧٣١) . وأخرجه أيضا: ابن أبى شيبة (٥٤/٦، رقم ٢٩٤١٨).

[٢] قال تعالى: {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا (١١١)} [الإسراء : ١١١].

[٣] أخرجه الطبري:٥٤٥/١٧.

[٤] انظر: تناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي ٦٤ وما بعدها، طبع دار الكتاب العربي- دمشق، وانظر: تفسير المراغي:١١٣/١٥.

الرابعة: قصة موسى مع العبد الصالح.

الخامسة: قصة ذي القرنين .

وتلتقي هذا القصص حول فكرة أساسية للقرآن، هي إثبات أن البعث حق، وأن المؤمن يكافأ بحُسن الجزاء، وأن الكافر يلقى جزاء عنته وكفره في الدنيا والآخرة. وتضمنت هذه القصص دلالة على البعث، وضرب المثل للحياة الدنيا، والحشر، ونفخ الصور، وما يكون يوم البعث والنشور .

ونستطيع أن نجمل مقاصد هذه السورة وفق التالي :

١- بدأت السورة بقوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣)} [الكهف : ١ - ٣]، وختمت بقوله سبحانه: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)} [الكهف : ١١٠]، وهي تتحدث عن الدار الآخرة أيضاً، وعمن يرجو لقاء ربه، وما يجب عليه أثراً لهذا الرجاء والإيمان من عمل صالح، وتوحيد لله لا يخالطه شرك .

وهكذا يتلاقى أول السورة وآخرها: أولها يتحدث عن الآخرة بطريق التقرير لها، وبيان مهمة القرآن في إثبات ما يكون فيها من الجزاء؛ إنذاراً وتبشيراً، وآخرها يتحدث عن هذه الحقيقة التي تركزت وتقررت ويحاكم الناس إليها إنها حقيقة الإيمان بالله والمقرون بالعمل الصالح .

ويلاحظ هنا أن الآيات الأُوَل من السورة تحدثت عن أمر الذين {الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا} [الكهف : ٤]، من إنذارهم، وبيان كذبهم؛ وذلك هو قول الذين يشركون بالله، ويعتقدون ما ينافي وحدانيته وتنزيهه، وأن آية الختام قررت {أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ} [الكهف : ١١٠]، وأن على من يؤمن به، ويرجو لقاء ربه ألا يشرك بعبادته أحداً، فتطابق أول السورة وآخرها في إثبات وحدانية الله، وتنزيهه سبحانه، كما تطابقا في أمر البعث والدار الآخرة .

٢- وما بين بدء السورة وختامها تكرر الحديث عن أمر البعث؛ فجاء في أثناء قصة أصحاب الكهف، التي ساقها سبحانه حقيقة من حقائق الوجود؛ كدليل على قدرته، قولَه سبحانه :{وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا} [الكهف : ٢١]، وجاء الحديث عن البعث مرة ثانية في هذه السورة حين قررت أن الحق من الله، وأن كلَّ امرئ مخير بين الإيمان أو الكفر، قال سبحانه: {وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩)} [الكهف : ٢٩] ، فهناك دار أخرى غير هذه الدار، يحاسب فيها كل امرئ بما كسبت يداه، قال تعالى: {إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا} [النبأ : ٤٠].

٣- وجاء الحديث عن البعث في سياق المثل الذي ضربه سبحانه عن صاحب الجنتين وزميله، وما كان من إنكاره قدرة الله، وشكه في الساعة ويوم الحساب، وذلك قوله: {وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا} [الكهف : ٣٦].

٤- وجاء الحديث عن البعث في المثل الذي ضربه سبحانه للحياة الدنيا، {كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ } [الكهف : ٤٥]، وقد عقب سبحانه على هذا المثل بذكر تسيير الجبال، وبروز الأرض، وشمول الحشر، ووضع الكتاب، وإشفاق المجرمين مما هم فيه، وقولهم: {يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩)} [الكهف : ٤٩].

٥- وفي سياق الحديث عن قصة آدم وإبليس، يحذر سبحانه أبناء آدم أن يتخذوا الشيطان وذريته أولياء من دونه، ثم يذكر سبحانه لهم أمراً من أمور الآخرة، حيث ينادي الشركاء فلا يجيبون، ويُستجار بهم فلا يجيرون، وتبرز الجحيم، فيراها المجرمون{وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا (٥٣)} [الكهف : ٥٣].

وفي هذا الأسلوب جَمْعٌ بين بداية الخلق ونهايته، ووَضْعٌ لقضية الخلق والبعث مقترنتين بين يدي العقل؛ ليدرك الإنسان أنه منذ أول نشأته هدف لعدو مبين، يحاول إضلاله، وثنيه عن الطريق المستقيم، وأن هذا العدو المخاتل سيكون أمره يوم الجزاء كسائر الشركاء، يزينون للناس الكفر والعصيان ما داموا في الدنيا، ثم إذا كان يوم الحساب أعلنوا براءتهم ممن اتبعوهم.

٦- وفي سياق الحديث عن قصة موسى والعبد الصالح، يذكر سبحانه العديد من الأدلة على تصريفه للكون على سنن، منها ما هو معروف، ومنها ما هو خفي. فإذا آمن الناس بها، لم يعد ثمة مجال للعجب من أمر الساعة، فما هي إلا تغيير يحدثه خالق الكون ومالك أمره، فإذا السنن المعروفة تَحُلُّ مكانها سنن أخرى، فمن قدر على إنشاء السنن بداية، قادر على تغييرها نهاية .

٧- وتضمنت السورة حديثاً عن ذي القرنين، وهو عبد من عباد الله، مكَّن الله له في الأرض، وآتاه من كل شيء سبباً، وقد لجأ إليه قوم؛ ليحول بينهم وبين المفسدين، فأنجدهم وأعانهم، وجعل الله عمله في ذلك رحمة للناس، يبقى ما بقيت هذه الحياة، فإذا جاء وعد الآخرة انتهى كل شيء في هذه الحياة، وأصبحت الحياة دكًّا، وأضحى الناس مضطربين، يموج بعضهم في بعض، ثم ينفخ في الصور فيقوم الناس لرب العالمين، وتُعْرَض جهنم يومئذ للكافرين، ويلقى كل إنسان جزاء عمله، وينال مصيره. وهكذا نجد قصة ذي القرنين قد انتهت إلى تقرير أمر البعث والآخرة.

٨- وتأخذ السورة في خاتمتها في تهديد الكافرين، الذين اتخذوا من دون الله أولياء، وتبين ما أعد لهم: {أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا (١٠٢)} [الكهف : ١٠٢].

وتوازن هؤلاء جميعاً بالذين آمنوا وعملوا الصالحات وما أعد لهم، {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (١٠٨)} [الكهف : ١٠٧ - ١٠٨]، ويأتي ختامها بعد إثبات القدرة والعظمة لله، وأن كلماته سبحانه لا تنفد، فتذكر رسالة الرسول ﷺ، وأنها عن وحي من الخالق القادر الواحد، وتتوجه بعد ذلك إلى الناس كافة بصيغة من صيغ العموم، فتقول: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)} [الكهف : ١١٠].

نخلص مما تقدم، أن المقاصد الرئيسة التي قصدت هذه السورة إلى تثبيتها وتأكيدها، تتمثل في ثلاثة مقاصد:

أولها: أن الكتاب هو حق مبين لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ثانيها: بيان وحدانية الله سبحانه، والتنديد بالذين يتخذون من دونه أولياء .

ثالثها: قضية البعث والنشور واليوم الآخر.

ويكاد يكون المقصد الأخير القضية المركزية التي أبرزتها هذه السورة؛ وذلك من خلال القصص التي قصتها علينا[(١)].

هذه أهم المقاصد التي تضمنتها هذه السورة الكريمة. وليس من شك، فإن مزيداً من التأمل فيها يهدينا إلى مقاصد أُخر، فإن القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه قارئه ومتأمله .

---

(١) انظر: اسلام ويب. [موقع الكتروني].

- **فضائل السورة:**

وردت جملة من الأحاديث النبوية التي تبين فضائل هذه السورة، من ذلك :

- عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال»[١].
- عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «من قرأ ثلاث آيات من أول الكهف عصم من فتنة الدجال»[٢].
- عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف كانت له نورا يوم القيامة»[٣].
- وروي عنه-ﷺ-:«من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال»[٤].
- عن أبي سعيد، أن النبي-ﷺ-، قال:«من قرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين»[٥].
- عن أبى سعيد مرفوعا وموقوفا:«من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق»[٦].
- عن ابي سعيد، عن رسولا لله -ﷺ-:«من قرأ سورة الكهف كما أنزلت رفع الله له نورا من حيث قرأها إلى مكة ومن قال إذا توضأ سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك طبع بطابع ثم جعلت تحت العرش حتى يؤتى بصاحبها يوم القيامة»[٧].
- عن عائشة-رضي الله عنها-، عن رسول الله -ﷺ-:«من قرأ من سورة الكهف عشر آيات عند منامه عصم من فتنة الدجال ومن قرأ خاتمتها عند رقاده كان له نورا من لدن قرنه إلى قدمه يوم القيامة»[٨].
- عن ابن عمر-رضي الله عنه، عن رسول الله-ﷺ-، قال:«من قرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدميه إلى عنان السماء يضيء له يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعتين»[٩].

---

[١] صحيح. أخرجه أحمد (١٩٦/٥، رقم ٢١٧٦٠) ومسلم (٥٥٥/١، رقم ٨٠٩) وأبو داود (١١٧/٤، رقم ٤٣٢٣) ، والنسائى فى الكبرى (٢٣٦/٦، رقم ١٠٧٨٧) . وأخرجه أيضا: الحاكم (٣٩٩/٢، رقم ٣٣٩١) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقى (٢٤٩/٣، رقم ٥٧٩٣)، وأخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» ٧/ ٣٨/ ١٣٢، وإسناده على شرط مسلم، وابن حبان ٧٨٥ و ٧٨٦، وابن ابي شيبة في مسنده(٣٨):ص٥٠/١.

[٢] أخرجه الترمذى (١٦٢/٥، رقم ٢٨٨٦) وقال: حسن صحيح.

[٣] أخرجه أبو عبيد، وابن مردويه، كما في جامع الاحاديث(٢٢٠٤١):٢٥٤/٢٠.

[٤] ٢٣٣٧٧- من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال (أبو عبيد فى فضائله، وأحمد، ومسلم، والنسائى، وابن ماجه، وابن حبان عن أبى الدرداء. ابن الضريس، والنسائى، وأبو يعلى، والرويانى، والضياء عن ثوبان)

حديث أبى الدرداء: أخرجه أحمد (٤٤٦/٦، رقم ٢٧٥٥٦) ، ومسلم (٥٥٥/١، رقم ٨٠٩) ، والنسائى فى الكبرى

(٢٣٥/٦، رقم ١٠٧٨٦) ، وابن حبان (٦٥/٣، رقم ٧٨٥) .

حديث ثوبان: أخرجه النسائى فى الكبرى (٢٣٥/٦، رقم ١٠٧٨٤) ، والرويانى (٤٠٤/١، رقم ٦١٣) . وأخرجه أيضا: الخطيب (٢٩٠/١).

[٥] أخرجه الحاكم (٣٩٩/٢، رقم ٣٣٩٢) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقى (٢٤٩/٣، رقم ٥٧٩٢).

[٦] أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (٤٧٤/٢، رقم ٢٤٤٤) وقال: هذا هو المحفوظ موقوف ورواه نعيم بن حماد عن هشيم فرفعه.

[٧] أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (٢١/٣، رقم ٢٧٥٤).

[٨] أخرجه ابن مردويه، كما في جامع الاحاديث(٢٣٤٩٠):ص٢٧٣/٢١.

[٩] ذكره السيوطي في جامع الاحاديث(٢٣٤٣٧):ص٢٥٤/٢١، وعزاه لابن عمر.

قال ابن الملقن فى تحفة المحتاج (٥٢٣/١، رقم ٦٥٩) وقال: رواه الضياء فى أحكامه من حديث ابن مردويه أحمد بن موسى بسند فيه من لا أعرفه. أورده الذهبى فى الميزان (١٣١/٦، ترجمة ٧٤٧٦ محمد بن خالد الختلى)

- «من قرأ سورة الكهف كما أنزلت كانت له نورا يوم القيامة من مقامه إلى مكة ومن قرأ عشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يسلط عليه»[1].
- عن عبد الله بن مغفل - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «البيت الذي تُقرأ فيه سورة الكهف لا يدخله شيطان تلك الليلة»[2].

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

وقال: قال ابن الجوزى فى الموضوعات كذبوه روى عن كثير بن هشام حديث يتجلى لأبى بكر خاصة قال ابن منده صاحب مناكير.

[1] أخرجه الطبرانى فى الأوسط كما فى مجمع الزوائد (٢٣٩/١) قال الهيثمى: رجاله رجال الصحيح إلا أن النسائى قال بعد تخريجه فى اليوم والليلة هذا خطأ والصواب موقوفا ثم رواه من رواية الثورى وغندر عن شعبة موقوفا. وأخرجه الحاكم (٧٥٢/١، رقم ٢٠٧٢) وقال: صحيح على شرط مسلم. والبيهقى (٢٤٩/٣، رقم ٥٧٩٢) . وأخرجه أيضا: نعيم بن حماد (٥٦٣/٢، رقم ١٥٧٩) ، والنسائى فى السنن الكبرى (٢٣٦/٦، رقم ١٠٧٨٨) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٤٧٥/٢، رقم ٢٤٤٦).

[2] أخرجه: ابن مردويه، كما في الدر المنثور (٩/ ٤٧٨)، وهو واه جداً.

القرآن

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١)} [الكهف : ١]

التفسير:

الثناء على الله بصفاته التي كلُّها أوصاف كمال، وبنعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، الذي تفضَّل فأنزل على عبده ورسوله محمد ﷺ القرآن، ولم يجعل فيه شيئًا من الميل عن الحق.

قوله تعالى:{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ} [الكهف : ١]، :أي:" الثناء الكامل مع التعظيم والإجلال لله الذي أنزل على رسوله محمد القرآن نعمةً عليه وعلى سائر الخلق"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: الحمد لله الذي خص برسالته محمدا وانتخبه لبلاغها عنه، فابتعثه إلى خلقه نبيا مرسلا"[٢].

قال الزجاج:" الشكر للَّهِ الذي أنزل على محمد الكتابَ"[٣].

قال الزمخشري:" لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الإسلام، وما أنزل على عبده محمد ﷺ من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم"[٤].

قوله تعالى:{وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا} [الكهف : ١]، :أي:" ولم يجعل فيه شيئًا من الميل عن الحق"[٥].

قال ابن كثير:" أي : لم يجعل فيه اعوجاجًا ولا زيغًا ولا ميلا بل جعله معتدلا مستقيمًا"[٦].

قال الزمخشري:" ولم يجعل له شيئا من العوج قط، و«العوج» في المعاني كالعوج في الأعيان، والمراد: نفى الاختلاف والتناقض عن معانيه، وخروج شيء منه من الحكمة والإصابة فيه"[٧].

وفي قوله تعالى:{وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا} [الكهف : ١]، وجوه:

أحدها : يعني: مختلفاً ، قاله مقاتل[٨]، والزجاج[٩]،كما قال جل ثناؤه: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} [النساء : ٨٢]. ومنه قول الشاعر[١٠]:

أدوم بودي للصديق تكرُّماً ... ولا خير فيمن كان في الود أعوجا

الثاني : يعني: ولم يجعل له ملتبسا. قاله ابن عباس[١١].

قال ابن عباس:" أنزل الكتاب عدلا قيما ولم يجعل له عوجا ملتسا"[١٢].

الثالث: يعني: لم يجعله مخلوقا، قاله ابن عباس[١٣].

---

[١] صفوة التفاسير:١٦٨/٢.

[٢] تفسير الطبري:٥٩١/١٧.

[٣] معاني القرآن:٢٦٧/٣.

[٤] الكشاف:٧٠٢/٢.

[٥] التفسير الميسر:٢٩٣.

[٦] تفسير ابن كثير:١٣٥/٥.

[٧] الكشاف:٧٠٢/٢.

[٨] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٧٢/٢.

[٩] انظر: معاني القرآن:٢٦٧/٣.

[١٠] انظر: النكت والعيون:٢٨٣/٣، وتفسير القرطبي:٣٥٢/١٠.

[١١] انظر: تفسير الطبري:٥٩٢/١٧.

[١٢] أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٦٩٣):ص٢٣٤٤/٧.

[١٣] انظر: الدر المنثور:٢٢٣/٧، وعزاه إلى الآجري في الشريعة وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات.

روي عن ابن عباس في قوله : {قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ}[١]، قال: غير مخلوق"[٢].
مخلوق"[٢].

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله {قرآنا عربيا غير ذي عوج} قال: «غير مخلوق»[٣].

عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «القرآن كلام الله غير مخلوق»[٤].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: "القرآن كلام الله وليس كلام الله بمخلوق"[٥].

قال سفيان:" القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود"[٦].

سئل الإمام الشافعي:" فما الدليل على أنه غير مخلوق؟

فرفع الشافعي رأسه وقال: تقر بأن القرآن كلام الله؟

قال: نعم.

قال الشافعي: سبقت في هذه الكلمة، قال الله تعالى ذكره: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ الله} [التوبة : ٦]، وقال: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} [النساء : ١٦٤].

قال الشافعي رحمه الله: فتقر بأن الله كان وكان كلامه؛ أو كان الله ولم يكن كلامه؟ فقال الرجل: بل كان الله، وكان كلامه.

قال: فتبسم الشافعي وقال: يا كوفيون، إنكم لتأتوني بعظيم من القول: إذا كنتم تقرون بأن الله كان قبل القبل وكان كلامه، فمن أين لكم الكلام: إن الكلام الله، أو سوى الله، أو غير الله، أو دون الله؟!

قال: فسكت الرجل وخرج"[٧].

قال الماتريدي:" ذهب المعتزلة إلى نفي صفة القدم عن القرآن الكريم، وزعموا أن القرآن مخلوق؛ لأن القول بقدمه يقود إلى تعدد القدماء، وهو ما يتنافى مع مفهومهم للتوحيد، وقد حاول المعتزلة إجبار غيرهم من المسلمين على الأخذ برأيهم، غير أن بعض العلماء من أصحاب الاتجاه السلفي رفضوا هذا الرأي، وكان على رأسهم الإمام أحمد بن حنبل الذي ذهب إلى أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن البحث في هذه المسألة مبتدع لم يثبت عن السلف، ومن ثم لا ينبغي الخوض في هذه الأمور بل ينبغي الوقوف عند رأي السلف"[٨].

الرابع : أنه العدول عن الحق إلى الباطل، وعن الاستقامة إلى الفساد ، وهو قول علي بن عيسى[٩].

قال ابن عباس:" بعثت قريش النضر بن الحارث، وعُقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة، فقالوا لهم: سلوهم عن محمد، وصِفُوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجا حتى قدما المدينة، فسألوا أحبار يهودَ عن رسول الله ﷺ، ووصفوا لهم أمره وبعض قوله، وقالا إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا، قال: فقالت لهم أحبار يهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهنّ، فإن أخبركم بهنّ فهو نبيّ مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقوّل، فَرَأوا فيه رأيكم: سلوه عن فِتية ذهبوا في الدهر الأوَّل،

---

[١][الزمر : ٢٨].

[٢] أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٢٣/٧، وعزاه إلى الآجري في الشريعة وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات.

[٣] أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٢٣/٧، وعزاه إلى الديلمي في مسند الفردوس.

[٤] أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٢٣/٧، وعزاه إلى ابن شاهين في السنة.

[٥] أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٢٣/٧، وعزاه إلى البيهقي وابن عدي.

[٦] تفسير سفيان الثوري:١٥.

[٧] تفسير الإمام الشافعي:٦٨٤/٢.

[٨] تأويلات أهل السنة:١٣٧/١.

[٩] انظر: النكت والعيون:٢٨٣/٣.

ما كان من أمرهم فإنه قد كان لهم حديث عجيب. وسلوه عن رجل طوّاف، بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح ما هو؟ فإن أخبركم بذلك، فإنه نبيّ فاتَّبعوه، وإن هو لم يخبركم، فهو رجل متقوّل، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم. فأقبل النضْر وعقبة حتى قَدِما مكة على قريش، فقالا يا معشر قريش: قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أمرنا أحبار يهودَ أن نسأله، عن أمور، فأخبروهم بها، فجاءوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد أخبرنا، فسألوه عما أمروهم به، فقال لهم رسول الله ﷺ: أُخْبِرُكُمْ غَدًا بِمَا سأَلْتُمْ عَنْهُ، ولم يستثن فانصرفوا عنه، فمكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة، لا يُحدِث الله إليه في ذلك وحيا، ولا يأتيه جبرائيل عليه السلام، حتى أرجف أهل مكة وقالوا: وَعَدَنا محمد غدا، واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه، وحتى أحزنَ رسول الله ﷺ مُكْثُ الوحي عنه، وشقّ عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبرائيل عليه السلام، من الله عزّ وجلّ، بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم وخبر ما سألوه عنه من أمر الفِتية والرجل الطوّاف، وقول الله عزّ وجلّ {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إلا قَلِيلا}"[١].

القرآن

{قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢)} [الكهف : ٢]

التفسير:

جعله الله كتابًا مستقيمًا، لا اختلاف فيه ولا تناقض؛ لينذر الكافرين من عذاب شديد من عنده، ويبشر المصدقين بالله ورسوله الذين يعملون الأعمال الصالحات، بأن لهم ثوابًا جزيلا هو الجنة.

قوله تعالى:{قَيِّمًا} [الكهف : ٢]، أي:" جعله الله كتابًا مستقيمًا، لا اختلاف فيه ولا تناقض"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: أنزل على عبده القرآن معتدلا مستقيما لا عوج فيه"[٣].

قال القرطبي:" المعنى: مستقيم، أي: مستقيم الحكمة لا خطأ فيه ولا فساد ولا تناقض"[٤].

قال ابن كثير:" أي : مستقيمًا"[٥].

قال الزمخشري:" فإن قلت: ما فائدة الجمع بين نفى العوج وإثبات الاستقامة، وفي أحدهما غنى عن الاخر؟ قلت: فائدته التأكيد، فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند السير والتصفح"[٦].

وفي قوله تعالى:{قَيِّمًا} [الكهف : ٢]، وجوه من التفسير:

أحدها : أنه المستقيم المعتدل، وهذ قول ابن عباس[٧]، والضحاك[٨]، وبه قال الطبري[٩]، والزجاج[١٠].

وقال ابن إسحاق:" أي: معتدلا لا اختلاف فيه"[١١].

---

[١] اخرجه الطبري:١٧/٥٩٢-٥٩٣.
[٢] التفسير الميسر:٢٩٣.
[٣] تفسير الطبري:١٧/٥٩٣.
[٤] تفسير القرطبي:١٠/٣٥٢.
[٥] تفسير ابن كثير:٥/١٣٥.
[٦] الكشاف:٢/٧٠٢.
[٧] انظر: تفسير الطبري:١٧/٥٩١.
[٨] انظر: تفسير الطبري:١٧/٥٩١.
[٩] انظر: تفسير الطبري:١٧/٥٩١.
[١٠] انظر: معاني القرآن:٣/٢٦٧.
[١١] أخرجه الطبري:١٧/٥٩١.

الثاني : أنه قيم على سائر كتب الله تعالى يصدقها وينفي الباطل عنها. حكاه الفراء[١].
الثالث : أنه المعتمد عليه والمرجوع إليه كقيم الدار الذي يرجع إليه في أمرها. حكاه الماوردي[٢].
الرابع: قيما بالحجج أبدا. حكاه القرطبي[٣].

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك عندنا: ما قاله ابن عباس، ومن قال بقوله في ذلك، لدلالة قوله: {وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا}، فأخبر جل ثناؤه أنه أنزل الكتاب الذي أنزله إلى محمد ﷺ {قيمًا} مستقيما لا اختلاف فيه ولا تفاوت، بل بعضه يصدق بعضا، وبعضه يشهد لبعض، لا عوج فيه، ولا ميل عن الحق"[٤].

قال القرطبي:" «العِوج» -بكسر العين- في الدين والرأي والأمر والطريق. وبفتحها في الأجسام كالخشب والجدار، وليس في القرآن عوج، أي: عيب، أي: ليس متناقضا مختلفا"[٥].

قال الماوردي:" وفيه تقديم وتأخير في قول الجميع وتقديره : أنزل الكتاب على عبده قيماً ولم يجعل له عوجاً ولكن جعله قيماً"[٦].

قال يحيى بن سلام، والأخفش:" فيها تقديم، يقول: أنزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا"[٧].

قال الفراء:" المعنى: الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قيما، ولم يجعل له عوجا"[٨].

عن قتادة، قوله: "{ولم يجعل له عوجا قيما}، «أنزل الكتاب ، ولم يجعل له عوجا ، قيما»[٩].

قال مجاهد:" هذا من التقديم والتأخير، أنزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا"[١٠].

قال ابن عباس:" يقول: أنزل الكتاب عدلا قيما، ولم يجعل له عوجا"[١١].

وفي بعض القراءات: «ولكن جعله قيما»[١٢].

قوله تعالى:{لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ} [الكهف : ٢]، أي:" لينذر الكافرين من عذاب شديد من عنده"[١٣].

قال الطبري:" لينذركم أيها الناس بأسا من الله شديدا، وعنى بـ«البأس»: العذاب العاجل، والنكال الحاضر والسطوة"[١٤].

عن محمد بن إسحاق: "{لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا}، عاجل عقوبة في الدنيا، وعذابا في الآخرة. {مِنْ لَدُنْه}: أي من عند ربك الذي بعثك رسولا"[١٥].

عن السدي قوله: "{لينذر بأسا شديدا}، قال: عذابا شديدا"[١].

---

[١] انظر: معاني القرآن:١٣٣/٢.
[٢] انظر: النكت والعيون:٢٨٤/٣.
[٣] انظر: تفسير القرطبي:٣٥٢/١٠.
[٤] تفسير الطبري:٥٩٢/١٧.
[٥] تفسير القرطبي:٣٥٢/١٠.
[٦] النكت والعيون:٢٨٤/٣.
[٧] تفسير يحيى بن سلام:١٧١/١، ومعاني القرآن للأخفش:٤٢٧/٢
[٨] معاني القرآن:١٣٣/٢.
[٩] تفسير عبدالرزاق(١٦٥٠):ص٣٢٤/٢.
[١٠] اخرجه ابن ابي حاتم(١٢٦٩٤):ص٢٣٤٤/٧.
[١١] أخرجه الطبري:٥٩١/١٧.
[١٢] تفسير الطبري:٥٩١/١٧.
[١٣] التفسير الميسر:٢٩٣.
[١٤] تفسير الطبري:٥٩٣/١٧.
[١٥] أخرجه الطبري:٥٩٣/١٧.

عن قتادة، قوله: "{مِنْ لَدُنْهُ} : أي: من عنده"[٢].
وقرئ: «من لدْنه»، بسكون الدال مع إشمام الضمة وكسر النون[٣].
قوله تعالى:{وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ} [الكهف : ٢]، أي:" ويبشر المصدقين بالله ورسوله الذين يعملون الأعمال الصالحات"[٤].
قال الطبري:" يقول: ويبشر المصدقين الله ورسوله {الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ} وهو العمل بما أمر الله بالعمل به، والانتهاء عما نهى الله عنه"[٥].
قال ابن إسحاق:" الذين صدقوك بما جئت به عن الله، وعملوا بما أمرتهم"[٦].
قوله تعالى:{أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا} [الكهف : ٢]، أي:" بأن لهم ثوابًا جزيلا هو الجنة"[٧].
قال السدي : "يعني: الجنة"[٨].
قال الطبري:" يقول: ثوابا جزيلا لهم من الله على إيمانهم بالله ورسوله، وعملهم في الدنيا الصالحات من الأعمال، وذلك الثواب: هو الجنة التي وعدها المتقون"[٩].
قال ابن كثير:" أي : مثوبة عند الله جميلة "[١٠].

القرآن
{مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣)} [الكهف : ٣]
التفسير:
يقيمون في هذا النعيم لا يفارقونه أبدًا.
قال ابن إسحاق:" أي: في دار خلد لا يموتون فيها"[١١].
قال الطبري:" خالدين، لا ينتقلون عنه، ولا ينقلون"[١٢].
قال البغوي:" أي: مقيمين فيه"[١٣].
قال ابن كثير:" { مَاكِثِينَ فِيهِ } في ثوابهم عند الله ، وهو الجنة ، خالدين فيه { أَبَدًا } دائمًا لا زوال له ولا انقضاء "[١٤].
وفي قوله تعالى:{مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا} [الكهف : ٣]، وجهان[١٥]:
أحدهما: أي: لا تأخذهم سآمة ولا ملالة فيه؛ فيريدون التحول منه إلى غير؛ على ما يكون في الشاهد: أنه يسأم المرء ويمل من طعام - وإن كان رفيعا - ويرغب فيما دونه، وهو ما قال: {خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا} [الكهف : ١٠٨].
والثاني: {مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا}؛ لأن خوف الخروج والزوال عن النعمة ينغص النعمة على صاحبها، وهو ما قال {خالدين فيها أبدا}؛ وقال: {فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}.
فوائد الآيات:[١-٣]:

---

[١] أخرجه الطبري(١٢٦٩٥):ص٢٣٤٤/٧
[٢] أخرجه الطبري:٥٩٣/١٧.
[٣] انظر: الكشاف:٧٠٢/٢.
[٤] التفسير الميسر:٢٩٣.
[٥] تفسير الطبري:٥٩٣/١٧.
[٦] أخرجه الطبري:٥٩٥/١٧.
[٧] التفسير الميسر:٢٩٣.
[٨] أخرجه الطبري(١٢٦٩٧):ص٢٣٤٤/٧
[٩] تفسير الطبري:٥٩٣/١٧-٥٩٤.
[١٠] تفسير ابن كثير:١٣٥/٥.
[١١] أخرجه الطبري:٥٩٥/١٧.
[١٢] تفسير الطبري:٥٩٥/١٧.
[١٣] تفسير البغوي:١٤٤/٥.
[١٤] تفسير ابن كثير:١٣٥/٥.
[١٥] انظر: تأويلات أهل السنة:١٣٤/٧-١٣٥.

١- وجوب حمد الله تعالى على آلائه وعظيم نعمه.
٢- لا يحمد إلا من له ما يقتضي حمده، وإلا كان المدح كذبا وزورا.
٣- عظم شأن القرآن الكريم وسلامته من الإفراط والتفريط والانحراف في كل ما جاء به.
٤- أن القرآن الكريم مستقيم ليس فيه عوج:

ونفي العوج عن القرآن له عدة أوجه، منها[1]:

الأول: نفي التناقض عن آياته، كما قال تعالى: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا}[النساء: ٨٢].

الثاني: إن كل ما ذكر الله تعالى في القرآن من التوحيد والنبوة والأحكام والتكاليف وهو حق وصدق ولا خلل في شيء منه البتة.

وأخبر تعالى كذلك عن القرآن أنه ليس فيه تضاد، ولا اختلاف ولا عيب من العيوب التي في كلام البشر، فقال تعالى: {قُرآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ} [الزمر: ٢٨]، أي: ليس فيه خلل ولا نقص بوجه من الوجوه، لا في ألفاظه، ولا في معانيه، وهذا يستلزم كمال اعتداله واستقامته.

فقد وصف الله تعالى كتابه العزيز بأوصاف عظيمة تدل على أنه كامل من جميع الوجوه، وعظيم بكل ما تعبر عنه الكلمات منها:

أ- نفيُ العوج عنه: وهذا يقتضي أنه ليس في أخباره كذب، ولا في أوامره ونواهيه ظلم ولا عبث.

ب- إثبات أنه مستقيم مقيم: فالقرآن العظيم مستقيم في ذاته، مقيم للنفوس على جادّة الصوّاب واثبات الاستقامة يقتضي أنه لا يُخبرُ ولا يأمر إلا بأجلّ الاخبارات، وهي الأخبار التي تملأ القلوب معرفة وإيماناً وعقلاً، كالإخبار بأسماء الله وصفاته وأفعاله، والإخبار بالغيوب المتقدمة والمتأخرة، وأن أوامره ونواهيه، تزكي النفوس وتطهرها وتنميّها وتكمّلها لاشتمالها على كمال العدل والقسط، والإخلاص، والعبودية لله رب العالمين، وحده لا شريك له، فحقيق بكتاب موصوف بما ذُكر، أن يَحمد الله تعالى نفسه على إنزاله، وينفي العوج عن القرآن الكريم وإثبات استقامته تتجلى عظمته وعلّو شأنه، ومنزلته عند الله.

٥- وصف الله تعالى نبيه بالعبد في اشرف المقامات، وذلك كما يلي:

أ- حال إنزال القرآن عليه كما في هذه الآية.

ب- حال الدفاع عنه ﷺ:، قال تعالى: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة : ٢٣].

ت- حال الإسراء به، قال تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الإسراء : ١].

٦- بيان مهمة القرآن وهي البشارة لأهل الإيمان بالجنة والرضوان، والإنذار لأهل الشرك والكفران، قال تعالى:{لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ}.

٧- أن العمل الصالح سبب في دخول الجنة. قال تعالى: {ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا} ، وقوله: {وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الأعراف : ٤٣]، أي: بسببه، وقوله تعالى: {وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الزخرف : ٧٢]، وقوله تعالى: {إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا} [مريم : ٦٠]، إلى غير ذلك من الآيات.

---

[1] انظر: مفاتيح الغيب:٦٤/٢١، وتفسير ابن كثير:٥٣/٤، وتفسير السعدي:٧٢٣/١-٧٢٤، وعظمة القرآن:٧٠، والإيمان بالقرآن الكريم والكتب السماوية:١٠-١١.

فإن قيل هذه الآيات فيها الدلالة على أن طاعة الله بالإيمان والعمل الصالح سبب في دخول الجنة، وقوله ﷺ: «لن يدخل أحدكم عمله الجنة» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا يتغمدني الله برحمة منه وفضل»[1]، يرد بسببه إشكال على ذلك.

فالجواب: أن العمل لا يكون سببا لدخول الجنة إلا إذا تقبله الله تعالى وتقبله له فضل منه، فالفعل الذي هو سبب لدخول الجنة هو الذي تقبله الله بفضله، وغيره من الأعمال لا يكون سببا لدخول الجنة.

القرآن

{وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤)} [الكهف : ٤]

التفسير:

وينذر به المشركين الذين قالوا: اتخذ الله ولدا.

قال السدي : " هم اليهود والنصارى"[٢].

قال أبو الليث السمرقندي:" أي: يخوف بالقرآن الذين قالوا: اتخذ الله ولدا، وهم المشركون والنصارى"[٣].

قال القرطبي:" هم اليهود، قالوا عزير ابن الله، والنصارى قالوا المسيح ابن الله، وقريش قالت الملائكة بنات الله. فالإنذار في أول السورة عام، وهذا خاص فيمن قال لله ولد"[٤].

قال البيضاوي:" خصهم بالذكر وكرر الإنذار متعلقا بهم استعظاما لكفرهم، وإنما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدم ذكره"[٥].

القرآن

{مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥)} [الكهف : ٥]

التفسير:

ليس عند هؤلاء المشركين شيء من العلم على ما يَدَّعونه لله من اتخاذ الولد، كما لم يكن عند أسلافهم الذين قلَّدوهم، عَظُمت هذه المقالة الشنيعة التي تخرج من أفواههم، ما يقولون إلا قولا كاذبًا.

قوله تعالى:{مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ} [الكهف : ٥]، أي:" ليس عند هؤلاء المشركين شيء من العلم على ما يَدَّعونه لله من اتخاذ الولد، ولا لأسلافهم الذي قلَّدوهم فتاهوا جميعاً في بيداء الجهالة والضلالة"[٦].

قال أبو الليث السمرقندي:" أي ليس لهم بذلك القول بيان ولا حجة، {ولا لآبائهم}، أي: ولا حجة لآبائهم الذين مضوا، فأخبر أنهم أخذوا دينهم من آبائهم بالتقليد لا بالحجة والبيان، لأنهم قالوا كان آباؤنا على هذا"[٧].

قال القرطبي:" أي ما لهم بذلك القول علم، لأنهم مقلدة قالوه بغير دليل. {ولا لآبائهم}، أي: أسلافهم"[٨].

---

[1] أخرجه البخاري (٢١٤٧/٥) (٥٣٤٩) ، ومسلم (٢١٦٩/٤) (٢٨١٦) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - به.

[٢] أخرجه الطبري(١٢٦٩٧):ص٢٣٤٤/٧

[٣] بحر العلوم:٣٣٤/٢.

[٤] تفسير القرطبي:٣٥٣/١٠.

[٥] تفسير البيضاوي:٢٧٣/٣.

[٦] التفسير الميسر:٢٩٤/١، وصفوة التفاسير:١٦٨/٢.

[٧] بحر العلوم:٣٣٤/٢.

[٨] تفسير القرطبي:٣٥٣/١٠.

قال ابن كثير:" أي : بهذا القول الذي افتروه وائتفكوه من علم، :{وَلَا لِآبَائِهِمْ} أي : أسلافهم"[١].

قال الزمخشري:" أى: بالولد أو باتخاذه، يعنى أن قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد للآباء، وقد اشتملته «١» آباؤهم من الشيطان وتسويله.

قال الزمخشري: فإن قلت: اتخاذ الله ولدا في نفسه محال، فكيف قيل: ما لهم به من علم؟

قلت: معناه ما لهم به من علم، لأنه ليس مما يعلم لاستحالته، وانتفاء العلم بالشيء إما للجهل بالطريق الموصل إليه، وإما لأنه في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به "[٢].

قوله تعالى:{كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ} [الكهف : ٥]، أي:" عَظُمت هذه المقالة الشنيعة التي تخرج من أفواههم"[٣].

قال ابن كثير:" كبرت كلمتهم هذه كلمة.. [و]هذا تبشيع لمقالتهم واستعظام لإفكهم "[٤].

قال الزمخشري:" تخرج من أفواههم صفة للكلمة تفيد استعظاما لاجترائهم على النطق بها وإخراجها من أفواههم، فإن كثيرا مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس ويحدثون به أنفسهم من المنكرات لا يتمالكون أن يتفوهوا به ويطلقوا به ألسنتهم، بل يكظمون عليه تشورا[٥] من إظهاره، فكيف بمثل هذا المنكر؟ "[٦].

قراء مكة : { كَبُرَتْ كَلِمَةً } كما يقال : عَظُم قولُك ، وكبر شأنُك[٧].

قال الزمخشري:" والنصب أقوى وأبلغ. وفيه معنى التعجب، كأنه قيل: ما أكبرها كلمة"[٨].

قوله تعالى:{إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا} [الكهف : ٥]، أي:" ما يقولون إلا قولا كاذبًا"[٩].

قال ابن كثير:" أي : ليس لها مستند سوى قولهم ، ولا دليل لهم عليها إلا كذبهم وافتراؤهم "[١٠].

فوائد الآيتين:[٤-٥]:

١- التنديد بالكذب على الله ونسبة ما لا يليق بجلاله وكماله إليه كالولد ونحوه.

٢- أن كمال قدرته وكمال غناه وكمال ربوبيته يحيل نسبة الولد إليه، ونسبته إليه يقدح في كمال ربوبيته، وكمال غناه، وكمال قدرته.

ولهذا كان نسبة الولد إليه مسبة له -تبارك وتعالى- كما في الحديث الصحيح عن النبي -ﷺ-، قال: «قال اللَّه عز وجل: كذّبني ابن آدم ولم يكنْ له ذلك وشتمني ولم يكنْ له ذلك؛ أما تكْذِيبه إياي فقوله: لنْ يعيدني كما بدأني، وليس أوّل الخلْقِ بأهون علي منْ إعادتِهِ، وأما شتْمه إياي فقوله: اتخذ اللَّه ولدا وأنا الأحد الصمد الذي لم يلدْ ولم يولدْ ولم يكنْ له كفوا أحد»[١١].

---

[١] تفسير ابن كثير:١٣٦/٥.
[٢] الكشاف:٧٠٣/٢.
[٣] التفسير الميسر:٢٩٤/١.
[٤] تفسير ابن كثير:١٣٦/٥.
[٥]أى: تباعدا من إظهاره، كأنه عورة. وفي الصحاح «الشوار» الفرج، ومنه قيل: شور به، كأنه أبدى عورته.
[٦] الكشاف:٧٠٣/٢.
[٧] انظر: تفسير ابن كثير:١٣٦/٥.
[٨] الكشاف:٧٠٣/٢.
[٩] التفسير الميسر:٢٩٤/١.
[١٠] تفسير ابن كثير:١٣٦/٥.
[١١]رواه البخاري كتاب التفسير (٨ / ٧٣٩) (رقم: ٤٩٧٤) .
الصمد من أسماء الله سبحانه وتعالى، هو: السيد الذي انتهى إليه السؤدد، وقيل: هو الدائم الباقي، وقيل: هو الذي لا جوف له، وقيل: الذي يصمد في الحوائج إليه، أي: يقصد. . " النهاية " (٣ / ٥٢) .
وقال البخاري في " صحيحه ": والعرب تسمي أشرافها الصمد.

وفي روايةٍ عن ابنِ عباسٍ - رضي الله عنهما-: «وأمَّا شتمه إيَّاي فقوله: لي ولدٌ، وسبحاني أنْ أتخِذ صاحِبة أو ولدا»[١].

٣- ومن الفوائد: إطلاق لفظ الكلام مرادا به الحقيقة، قال تعالى: {كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ}، فأطلق الكلمة على اللفظ الخارج من الأفواه، ومثله «القول»، قال تعالى: {لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ} [الأنبياء: ٢٧].

القرآن

{فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (٦)} [الكهف : ٦]

التفسير:

فلعلك -أيها الرسول- مُهْلِك نفسك غمًّا وحزنًا على أثر تولِّي قومك وإعراضهم عنك، إن لم يصدِّقوا بهذا القرآن ويعملوا به.

قوله تعالى:{فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ} [الكهف : ٦]، أي:" فلعلك -أيها الرسول- مُهْلِك نفسك غمًّا وحزنًا على أثر تولِّي قومك وإعراضهم عنك"[٢].

قال الطبري:" فلعلك يا محمد قاتلٌ نفسك ومهلكها على آثار قومك الذين قالوا لك :{لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأرْضِ يَنْبُوعًا}، تمردا منهم على ربهم، إن هم لم يؤمنوا بهذا الكتاب الذي أنزلته عليك، فيصدقوا بأنه من عند الله حزنا وتلهفا ووجدا، بإدبارهم عنك، وإعراضهم عما أتيتهم به وتركهم الإيمان بك"[٣].

قال ابن كثير:" يقول تعالى مسليًا رسوله ﷺ في حزنه على المشركين ، لتركهم الإيمان وبعدهم عنه ، كما قال تعالى : { فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ } [فاطر : ٨] ، وقال { وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ } [النحل : ١٢٧] ، وقال { لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ } [الشعراء : ٣]"[٤].

قال الزمخشري:" شبهه وإياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد والأسف على توليهم، برجل فارقه أحبته وأعزته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم"[٥].

وفي قوله تعالى:{فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ} [الكهف : ٦]، وجهان:

أحدهما : مهلك وقاتل نفسك، قاله أبو عبيدة[٦]، وابن قتيبة[٧]، وأنشدوا قول ذي الرُّمَّةِ[٨]:

ألا أَيُّهَذَا الباخِعُ الوَجْدُ نَفْسَهُ ... بِشَيْءٍ نَحَتْهُ عَنْ يديك المقادر

---

[١]رواه البخاري في التفسير (٨ / ١٦٨) (رقم: ٤٤٨٢) : حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب عن عبد الله بن أبي حسين، حدثنا نافع بن جبير عن ابن عباس.

قال الحافظ في " الفتح " (٨ / ١٦٨) :

وإنما سماه شتما لما فيه من التنقيص، لأن الولد إنما يكون عن والدة تحمله ثم تضعه ويستلزم ذلك سبق النكاح، والناكح يستدعي باعثا له على ذلك والله سبحانه منزّه عن جميع ذلك.

وقال الحافظ (٨ / ٧٤٠) :

ولما كان الرب سبحانه واجب الوجود لذاته قديما موجودا قبل وجود الأشياء، وكان كل مولود محدثا انتفت عنه الوالدية، ولما كان لا يشبهه أحد من خلقه ولا يجالسه حتى يكون له من جنسه صاحبة فتتوالد، انتفت عنه الولدية، ومن هذا قوله تعالى: {أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ}.

[٢] التفسير الميسر:٢٩٤/١.

[٣] تفسير الطبري:٥٩٧/١٧.

[٤] تفسير ابن كثير:١٣٧/٣.

[٥] الكشاف:٧٠٣/٢-٧٠٤.

[٦] انظر: مجاز القرآن:٣٩٣/١، و٨٣/٢.

[٧] انظر: غريب القرآن:٢٦٣.

[٨]ديوانه: ٢٥١ وتفسير الطبري ١٧/ ٥٩٧، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٤٨، والصحاح والراغب والأساس واللسان والتاج (نجع)، وفتح الباري ٨/ ٣٠٨.

وروي عن قتادة: "{فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ}، يقول: قاتل نفسك"[١].
وقال الضحاك:" قاتل نفسك عليهم حرصا"[٢].
قال القاسم بن سلام:" {باخع نفسك}، أي: قاتل نفسك بلغة قريش"[٣].
قال ابن كثير:" باخع : أي: مهلك نفسك بحزنك عليهم "[٤].
الثاني : أن الباخع المتحسر الأسِف ، حكاه الماوردي عن ابن بحر[٥].
وقرئ: «باخع نفسك»، على الأصل، وعلى الإضافة[٦].
وفي قوله تعالى:{عَلَى آثَارِهِمْ} [الكهف : ٦]، وجهان[٧]:
أحدهما : على آثار كفرهم .
الثاني : بعد موتهم .
قوله تعالى:{إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا} [الكهف : ٦]، أي:" إن لم يصدِّقوا بهذا القرآن ويعملوا به"[٨].
قال ابن إسحاق:" يعاتبه على حزنه عليهم حين فاته ما كان يرجو منهم: أي لا تفعل"[٩].
قال ابن كثير:" يقول : لا تهلك نفسك أسفًا"[١٠].
وفي قوله تعالى:{إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا} [الكهف : ٦]، وجوه من التفسير:
أحدها : أي: غضباً ، قاله قتادة[١١].
الثاني : جزعاً ، قاله مجاهد[١٢].
الثالث : أنه غمّاً ، قاله السدي[١٣].
الرابع : حزناً ، قاله الحسن[١٤]، وقتادة ايضا[١٥]، وبه قال ابن قتيبة[١٦].
قال الزجاج:" «الأسَف»: المبالغة في الحزن أو الغَضَبِ. يقَال: قد أسِفَ الرجل فهو أسِيفٌ وآسِفٌ. قال الشاعر[١٧]:
أَرَى رَجُلاً منهم أَسِيفاً كأَنَّمَا ... يَضُمُّ إلى كَشْحَيْه كَفًّا مُخَضَّبا"[١٨].
عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: "قال النبي - صلى الله عليه وسلم - في مرضه: «مروا أبا بكر فليصل بالناس»، فقلت: إنه رجل أَسيف .."[١٩]. الحديث

---

[١] أخرجه الطبري:٥٩٧/١٧.
[٢] حكاه عنه السجستاني في غريب القرآن:١٢٤.
[٣] لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم:٨.
[٤] تفسير ابن كثير:١٣٧/٣.
[٥] انظر: النكت والعيون:٢٨٤/٣.
[٦] انظر: الكشاف:٧٠٤/٢.
[٧] انظر: النكت والعيون:٢٨٤/٣.
[٨] التفسير الميسر:٢٩٤/١.
[٩]أخرجه الطبري:٥٩٨/١٧ .
[١٠] تفسير ابن كثير:١٣٧/٣.
[١١] انظر: تفسير الطبري:٥٩٨/١٧.
[١٢] انظر: تفسير الطبري:٥٩٨/١٧.
[١٣] انظر: النكت والعيون:٢٨٥/٣.
[١٤] انظر: النكت والعيون:٢٨٥/٣.
[١٥] انظر: تفسير الطبري:٥٩٨/١٧.
[١٦] انظر: غريب القرآن:٢٦٣.
[١٧] البيت للأعشى في ديوانه" ص ٨٠، و"مجالس ثعلب" ص ٣٨، و"تهذيب اللغة" ١/ ١٦١، و"مقاييس اللغة" ١/ ١٠٣، و"اللسان" ١/ ٧٩، و"الدر المصون" ٥/ ٤٦٦، وفي "الديوان" (رجلاً منكم) بدل (منهم).
[١٨] معاني القرآن:٢٦٩/٣.
[١٩]أخرجه مسلم رقم (٤١٨) كتاب الصلاة، باب: استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرها رقم (٣٣٨٤).

الخامس: أي: ندما وتلهّفا، وأسى. قاله أبو عبيدة[1].

قال الطبري:" وهذه معاتبة من الله عزّ ذكره على وجده بمباعدة قومه إياه فيما دعاهم إليه من الإيمان بالله، والبراءة من الآلهة والأنداد، وكان بهم رحيما"[2].

الفوائد:

١- أنه -ﷺ- كان عظيم الشفقة والرحمة على أمته كما قال الله تعالى: {فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إ} [فاطر : ٨]، وقال تعالى : {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ} [الكهف : ٦]، وقال تعالى : {وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ} [الحجر : ٨٨/ النحل:١٢٧/ النمل:٧٠] وقال تعالى: {عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة : ١٢٨].

ومن ذلك حديث ابن عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- أنه قال:"كنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر حتى سمعنا: {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء} [النساء: ٤٨ و١١٦]، قال: -يعني- النبي - ﷺ -: " إني ادخرت دعوتي شفاعة لأهل الكبائر من أمتي ". فأمسكنا عن كثير مما كان في أنفسنا، ثم نطقنا بعد ورجونا"[3].

٢- تحريم الانتحار وقتل النفس من الحزن أو الخوف ونحوه من الغضب والحرمان.

القرآن

{إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧)} [الكهف : ٧]

التفسير:

إنَّا جعلنا ما على وجه الأرض من المخلوقات جَمالا لها، ومنفعة لأهلها؛ لنختبرهم: أيُّهم أحسن عملا بطاعتنا، وأيهم أسوأ عملا بالمعاصي، ونجزي كلا بما يستحق.

قوله تعالى:{إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا} [الكهف : ٧]، أي:" إنَّا جعلنا ما على وجه الأرض من المخلوقات جَمالا لها، ومنفعة لأهلها"[4].

قال الطبري:" يقول عز ذكره: إنا جعلنا ما على الأرض زينة للأرض"[5].

عن مجاهد :{مَا عَلَى الأرْضِ زِينَةً لَهَا}، قال: ما عليها من شيء"[6].

قال قتادة:" ذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يقول: «إنَّ الدُّنْيا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، وَإنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفَكُمْ فِيها، فَناظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فاتَّقُوا الدُّنْيا، واتَّقُوا النِّساء»"[7].

---

[1] انظر: مجاز القرآن:٣٩٣/١.

[2] تفسير الطبري:٥٩٨/١٧.

[3]رواه الحافظ أبو يعلى الحنفي في " مسنده "برقم (٥٨١٣). وأخرجه ابن أبي حاتم كما في " تفسير ابن كثير " " ١/ ٥٣٣ بنحوه. وأورده السيوطي في " الدر المنثور " ٢/ ٥٥٧، وزاد نسبته إلى ابن الضريس وابن المنذر وابن عدي، وصحح إسناده.

[4] التفسير الميسر:٢٩٤/١.

[5] تفسير الطبري:٥٩٨/١٧.

[6] أخرجه الطبري:٥٩٨/١٧.

[7] أخرجه الطبري:٥٩٩/١٧.

والحديث:« أما بعد فإن الدنيا خضرة حلوة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء ألا إن بنى آدم خلقوا على طبقات شتى منهم من يولد مؤمنا ويحيى مؤمنا ويموت مؤمنا ومنهم من يولد كافرا ويحيى كافرا ويموت كافرا ومنهم من يولد مؤمنا ويحيى مؤمنا ويموت كافرا ومنهم من يولد كافرا ويحيى كافرا ويموت مؤمنا ألا إن الغضب جمرة توقد فى جوف ابن آدم ألا ترون إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه فإذا وجد أحدكم شيئا من ذلك فالأرض الأرض ألا إن خير الرجال من كان بطىء الغضب سريع الرضا وشر الرجال من كان سريع الغضب بطىء الرضا فإذا كان الرجل بطىء الغضب بطىء الفىء وسريع الغضب سريع الفىء فإنها بها ألا إن خير التجار من كان حسن القضاء حسن الطلب وشر التجار من كان سيئ القضاء سيئ الطلب فإذا كان الرجل حسن القضاء سيئ الطلب أو كان سيئ القضاء حسن الطلب فإنها بها ألا إن لكل غادر لواء يوم القيامة بقدر غدرته ألا وأكبر الغدر غدر أمير عامة ألا

قوله تعالى:{لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [الكهف : ٧]، أي:" لنختبرهم: أيُّهم أحسن عملا بطاعتنا، وأيهم أسوأ عملا بالمعاصي، ونجزي كلا بما يستحق"[١].

قال الطبري:" يقول: لنختبر عبادنا أيهم أترك لها وأتبع لأمرنا ونهينا وأعمل فيها بطاعتنا"[٢].

قال الزمخشري:" حسن العمل: الزهد فيها وترك الاغترار بها"[٣].

وفي قوله تعالى:{لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [الكهف : ٧]، وجوه من التفسير:

أحدها : أيهم أحسن إعراضاً عنها وتركاً لها ، قاله ابن عطاء[٤].

وري عن أبي أصم العسقلاني:" أترك لها"[٥].

وقال سفيان الثوري:" أزهدهم في الدنيا"[٦].

وقال الحسن:" أشدهم للدنيا تركا"[٧].

الثاني : اختبارا لهم أيهم أتبع لأمري وأعمل بطاعتي. قاله ابن إسحاق[٨].

وقال يحيى بن سلام:" أيهم أطوع لله، وقد علم ما هم فاعلون"[٩].

الثالث: أيهم أحسن إعراضا عن الدنيا، وما يوجب الاشتغال عن الله تعالى، وإخباتا وسكونا إلينا، وعلينا توكلا وإقبال. قاله سهل بن عبد الله[١٠].

الرابع : أيهم أتم عقلا . قاله قتادة[١١].

روي عن ابن عمر قال: "تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: {لنبلوهم أيهم أحسن عملا}، فقلت: ما معنى ذلك يا رسول الله؟ قال: «ليبلوكم أيكم أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرعكم في طاعة الله»[١٢].

الخامس :أيهم أصفى قلباً وأهدى سمتاً. حكاه الماوردي[١٣].

السادس: لنختبرهم أيهم أكثر اعتباراً بها. أفاده الماوردي[١٤].

السابع: لنختبرهم في تجافي الحرام منها. أفاده الماوردي[١٥].

القرآن

لا يمنعن رجل مهابة الناس أن يتكلم بالحق إذا علمه ألا إن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر ألا إن مثل ما بقى من الدنيا فيما مضى منها مثل ما بقى من يومكم هذا فيما مضى منه».

أخرجه الطيالسى (ص ٢٨٦، رقم ٢١٥٦) ، وأحمد (١٩/٣، رقم ١١١٥٩) ، وعبد بن حميد (ص ٢٧٣، رقم ٨٦٤) والترمذى (٤٨٣/٤، رقم ٢١٩١) وقال: حسن صحيح. وأبو يعلى (٣٥٢/٢، رقم ١١٠١) ، والحاكم (٥٥١/٤، رقم ٨٥٤٣) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٣٠٩/٦، رقم ٨٢٨٩) .

ومن غريب الحديث: "شتى": متفرقة. "أوداجه": مفردها: ودج، وهو عرق الأخدع الذى يقطعه الذابح فلا يبقى معه حياة. "الفىء": الرجوع. "جائر": ظالم.

[١] التفسير الميسر:٢٩٤/١.

[٢] تفسير الطبري:٥٩٨/١٧.

[٣] الكشاف:٧٠٤/٢.

[٤] انظر: النكت والعيون:٢٨٥.

[٥] أخرجه الطبري:٥٩٩/١٧.

[٦] أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٧٠٧):ص٢٣٤٥/٧.

[٧] أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٧٠٦):ص٢٣٤٥/٧.

[٨] انظر: تفسير الطبري:٥٩٩/١٧.

[٩] تفسير يحيى بن سلام:١٧٢/١.

[١٠] انظر: تفسير التستري:٩٧.

[١١] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٧٠٥):ص٢٣٤٥/٧.

[١٢] أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٧٠٤):ص٢٣٤٥/٧.

[١٣] انظر: النكت والعيون:٢٨٥.

[١٤] انظر: النكت والعيون:٢٨٥.

[١٥] انظر: النكت والعيون:٢٨٦.

{وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (٨)} [الكهف : ٨]

التفسير:

وإنَّا لجاعلون ما على الأرض من تلك الزينة عند انقضاء الدنيا ترابًا، لا نبات فيه.

قال ابن عباس:" يقول: يهلك كلّ شيء عليها ويبيد"[١].

قال ابن إسحاق:"يعني: الأرض، إن ما عليها لفان وبائد، وإن المرجع لإليّ، فلا تأس، ولا يحزنك ما تسمع وترى فيها"[٢].

قال الجصاص:" فيه بيان أن ما جعله زينة لها من النبات والحيوان وغير ذلك سيجعله صعيدا جرزا"[٣].

وفي تفسير«الصعيد»، أقوال:

أحدها : الأرض التي ليس فيها شجر ولا نبات. قاله قتادة[٤].

وقال ابن زيد:" «الجرز»: الأرض التي ليس فيها شيء، ألا ترى أنه يقول: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا}، قال: والجرز: لا شيء فيها، لا نبات ولا منفعة"[٥].

قال الزجاج:" «الصعيد» الطريق الذي لا نبات فيه"[٦].

الثاني: الأرض المستوية ، قاله ابن زيد[٧]، ومقاتل[٨].

الثالث : هو وجه الأرض لصعوده ، قاله ابن قتيبة[٩]، والنحاس[١٠].

قال النحاس:" الصعيد في اللغة وجه الأرض ومنه قيل للتراب :«صعيد»"[١١].

الرابع : أنه التراب ، قاله قتادة[١٢]، وأبان بن تغلب[١٣].

وفي تفسير «الجُرُز» أقوال:

أحدها : بلقعاً ، قاله مجاهد[١٤].

الثاني : ملساء، ليس عليها جبل ولا نبت كما خلقت أول مرة. قاله مقاتل[١٥].

الثالث : محصورة ، حكاه الماوردي عن ابن بحر[١٦].

الرابع : يعني بالـ«جرز»: الخراب. قاله سعيد بن جبير[١٧]، وحكاه يحيى بن سلام عن الحسن[١٨].

الخامس: أنها اليابسة التي لا نبات بها ولا زرع. وهذا قول قتادة[١٩]، وابن زيد[١]، وبه قال الزجاج[٢].

---

[١] أخرجه الطبري:٥٩٩/١٧.

[٢] أخرجه الطبري:٦٠٠/١٧.

[٣] أحكام القرآن:٢٧٦/٣.

[٤] انظر: تفسير الطبري:٦٠٠/١٧.

[٥] أخرجه الطبري:٦٠٠/١٧.

[٦]معهاني القرآن:٢٦٩/٣ .

[٧] انظر: تفسير الطبري:٦٠٠/١٧.

[٨] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٧٤/٢.

[٩] حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون:٢٨٦.

[١٠] انظر: معاني القرآن:٢١٦/٤.

[١١] معاني القرآن:٢١٦/٤.

[١٢] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٠٨):ص٢٣٤٥/٧.

[١٣] انظر: النكت والعيون:٢٨٦.

[١٤] انظر: تفسير الطبري:٥٩٩/١٧.

[١٥] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٧٤/٢.

[١٦] انظر: النكت والعيون:٢٨٦.

[١٧] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٠٩):ص٢٣٤٦/٧.

[١٨] انظر: تفسير يحيى بن سلام:١٧٢/١.

[١٩] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٠٨):ص٢٣٤٥/٧.

قال ابن زيد:" الجرز: الأرض التي ليس فيها شيء، ألا ترى أنه يقول: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا}، قال: والجرز: لا شيء فيها، لا نبات ولا منفعة"[٣].

قال الزجاج:" «الجرز»: الأرض التي لا تنبت شيئا، كأنها تأكل النبت أكلا، يقال أرض جرز، وأرضون أجراز"[٤].

قال أبو عبيدة:" أي غلظا لا ينبت شيئا والجميع أرضون أجراز، ويقال للسنة المجدبة: جرز وسنون أجراز لجدوبها ويبسها وقلّة مطرها، قال ذو الرّمّة[٥]:

طوى النّحر والأجراز ما في عروضها ... فما بقيت إلا الصدور الجراشع

وقال[٦]:

قد جرّفتهن السّنون الأجراز"[٧].

فوائد الآيتين:[٧-٨]:

١- بيان العلة في وجود الزينة على هذه الأرض، وهي الابتلاء والاختبار للناس ليظهر الزاهد فيها، العارف بتفاهتها وسرعة زوالها، وليظهر الراغب فيها المتكالب عليها الذي عصى الله من أجلها.
٢- تقرير فناء كل ما على الأرض حتى تبقى صعيدا جرزا وقاعا صفصفا لا يرى فيها عوج ولا أمت.

القرآن

{أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩)} [الكهف : ٩]

التفسير:

لا تظن -أيها الرسول- أن قصة أصحاب الكهف واللوح الذي كُتِبت فيه أسماؤهم من آياتنا عجيبة وغريبة؛ فإن خلق السموات والأرض وما فيهما أعجب من ذلك.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: أم حسبت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا، فإن ما خلقت من السماوات والأرض، وما فيهنّ من العجائب أعجب من أمر أصحاب الكهف، وحجتي بكل ذلك ثابتة على هؤلاء المشركين من قومك، وغيرهم من سائر عبادي"[٨].

وفي قوله تعالى:{كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا} [الكهف : ٩]، وجهان:

أحدهما : أم حسبت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عَجَبا، فإن الذي آتيتك من العلم والحكمة أفضل منه. قاله ابن عباس[٩].

قال ابن عباس:" يقول: الذي آتيتك من العلم والسنة والكتاب أفضل من شأن أصحاب الكهف والرقيم"[١٠].

الثاني : معناه: أحسبت أنهم أعجب آياتنا وليسوا بأعجب خلقنا، فإن ما خلقت من السماوات

---

[١] انظر: تفسير الطبري:٦٠٠/١٧.
[٢] انظر: معاني القرآن:٢٦٩/٣.
[٣] أخرجه الطبري:٦٠٠/١٧.
[٤]معهاني القرآن:٢٦٩/٣ .
[٥]ديوانه ٣٤١.
[٦] انظر: اللسان (جرز)، وتفسير الطبري:٦٠٠/١٧. والبيت من مشطور الرجز.
ومعنى وجرفتهن: أي ذهبت بهن كلهن أو جلهن. والضمير راجع إلى إبله. ويجوز أن يكون معنى جرفتهن بالتشديد: هزلتهن، وذهبت بما فيهن من شحم ولحم، ولقلة المرعى.
[٧] مجاز القرآن:٣٩٣/١-٣٩٤.
[٨] تفسير الطبري:ذ٦٠٠/١٧-٦٠١.
[٩] انظر: تفسير الطبري:٦٠١/١٧.
[١٠] أخرجه الطبري:٦٠١/١٧.

والأرض، وما فيهنّ من العجائب أعجب من أمر أصحاب الكهف، وحجتي بكل ذلك ثابتة على هؤلاء المشركين من قومك، وغيرهم من سائر عبادي. وهذا معنى قول مجاهد[١]، وقتادة[٢]، وابن إسحاق[٣].

قال ابن إسحاق:" أي: وما قدروا من قَدْر فيما صنعت من أمر الخلائق، وما وضعت على العباد من حججي ما هو أعظم من ذلك"[٤].

قال قتادة:" يقول: قد كان من آياتنا ما هو أعجب من ذلك"[٥].

وقال قتادة:" ليسوا بأعجب آياتنا، كانوا من أبناء الملوك"[٦].

قال مجاهد:" كانوا يقولون هم عجب"[٧].

قال الطبري:" إن القول الأول أولى بتأويل الآية، لأنّ الله عزّ وجلّ أنزل قصة أصحاب الكهف على نبيه احتجاجا بها على المشركين من قومه على ما ذكرنا في الرواية عن ابن عباس، إذ سألوه عنها اختبارا منهم له بالجواب عنها صدقه، فكان تقريعهم بتكذيبهم بما هو أوكد عليهم في الحجة مما سألوا عنهم، وزعموا أنهم يؤمنون عند الإجابة عنه أشبه من الخبر عما أنعم الله على رسوله من النعم"[٨].

وفي تفسير «الرقيم»، أقوال:

أحدها : أنه اسم القرية التي كانوا منها ، قاله كعب[٩]، وابن عباس[١٠].

الثاني : أنه اسم جبل أصحاب الكهف، رواه ابن جريج عن ابن عباس[١١]، وبه قال الحسن.

قال ابن عباس:" قيل: إن اسمه بنجلوس"[١٢].

روي عن شعيب الجَبئي[١٣] : "أن اسم جبل الكهف: بناجلوس. واسم الكهف: حيزم. والكلب: حُمران"[١٤].

الثالث : أنه اسم الوادي ، قاله قتادة[١٥]، والضحاك[١٦]، وعطية[١٧].

وقال ابن عباس:" الرقيم: واد بين عُسْفان وأيَلة دون فلسطين، وهو قريب من أيَلة"[١٨].

قال الضحاك:" الكهف: فهو غار الوادي، والرقيم: اسم الوادي"[١٩].

الرابع : أنه اسم كلبهم . قاله سعيد بن جبير[١].

---

[١] انظر: الطبري:٦٠١/١٧.
[٢] انظر: الطبري:٦٠١/١٧.
[٣] انظر: الطبري:٦٠١/١٧.
[٤] اخرجه الطبري:٦٠١/١٧.
[٥] اخرجه الطبري:٦٠١/١٧.
[٦] أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٧١٨):ص٢٣٤٧/٧.
[٧] اخرجه الطبري:٦٠١/١٧.
[٨] تفسير الطبري:٦٠٢/١٧.
[٩] انظر: تفسير الطبري:٦٠٢/١٧، وتفسير سفيان الثوري(٥٣٦: ١: ٦):ص١٧٧
[١٠] انظر: تفسير الطبري:٦٠٢/١٧.
[١١]انظ{: تفسير الطبري:٦٠٣/١٧ .
[١٢] أخرجه الطبري:٦٠٣/١٧.
[١٣]شعيب الجبئي: هو شعيب بن الأسود الجبئي المحدث من أقران طاووس، أخذ العلم عنه محمد بن إسحاق وسلمة بن وهران. وهو منسوب إلى الجبأ، بالهمز والقصر، كما قال الهمداني في صفة جزيرة العرب في مواضع، وهو كورة المعافر، بالقرب من الجند (انظر معجم ما استعجم للبكري، طبعة القاهرة، في رسم الجبأ ص ٣٦٠).
[١٤] أخرجه الطبري:٦٠٣/١٧.
[١٥] انظر: تفسير الطبري:٦٠٢/١٧.
[١٦] انظر: تفسير الطبري:٦٠٢/١٧-٦٠٣.
[١٧] انظر: تفسير الطبري:٦٠٢/١٧.
[١٨] أخرجه الطبري:٦٠٢/١٧.
[١٩] أخرجه الطبري:٦٠٢/١٧-٦٠٣.

الخامس : أن الرقيم الكتاب الذي كتب فيه شأنهم ، قاله ابن عباس أيضا[٢]، وسعيد بن جبير[٣]، ومجاهد، وابن زيد[٤]، ومقاتل[٥].

قال القاسم بن سلام:" {الرقيم}: الكتاب بلغة الروم"[٦].

قال سعيد بن جبير:" الرقيم: لوح من حجارة كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف، ثم وضعوه على باب الكهف"[٧].

قال مقاتل:" يعني بـ«الرقيم»: الكتاب الذي كتبه القاضيان مثل قوله- عز وجل-: {كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (٨) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٩)} [المطففين : ٧ - ٩]، يعني: كتاب مكتوب"[٨].

قال الماوردي:" ماخوذ من الرقم في الثوب، وقيل كان الكتاب لوحاً من رصاص على باب الكهف ، وقيل في خزائن الملوك لعجيب أمرهم"[٩].

السادس : «الرقيم»: الدواة بالرومية ، قاله أبو صالح[١٠].

السابع : أن «الرقيم»: قوم من أهل الشراة كانت حالهم مثل حال أصحاب الكهف ، قاله سعيد بن جبير[١١].

الثامن: أن «الرقيم»: هو رئيسهم. قاله سهل بن عبدالله[١٢].

قال ابن عباس:" : كل القرآن أعلمه، إلا «حنانا»، و«الأوّاه»، و«الرقي«»"[١٣].

وقال ابن عباس:" ما أدري ما «الرقيم»، أكتاب، أم بنيان؟"[١٤].

قال الطبري:" وأولى هذه الأقوال بالصواب في الرقيم أن يكون معنيا به: لوح، أو حجر، أو شيء كُتب فيه كتاب، وقد قال أهل الأخبار: إن ذلك لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وخبرهم حين أوَوْا إلى الكهف. ثم قال بعضهم: رُفع ذلك اللوح في خزانة الملك، وقال بعضهم: بل جُعل على باب كهفهم، وقال بعضهم: بل كان ذلك محفوظا عند بعض أهل بلدهم، وإنما الرقيم: فعيل، أصله: مرقوم، ثم صُرف إلى فعيل، كما قيل للمجروح: جريح، وللمقتول: قتيل، يقال منه: رقمت كذا وكذا: إذا كتبته، ومنه قيل للرقم في الثوب رقم، لأنه الخطّ الذي يعرف به ثمنه، ومن ذلك قيل للحيَّة: أرقم، لما فيه من الآثار، والعرب تقول: عليك بالرقمة، ودع الضفة: بمعنى عليك برقمة الوادي حيث الماء، ودع الضفة الجانبة. والضفتان: جانبا الوادي، وأحسب أن الذي قال الرقيم: الوادي، ذهب به إلى هذا، أعني به إلى رقمة الوادي"[١٥].

الفوائد:

١- تقرير نبوة الرسول ﷺ بإجابة السائلين عن أصحاب الكهف بالإيجاز والتفصيل.
٢- أن من آيات الله تعالى ما هو أعجب من قصة أصحاب الكهف.

---

[١] انظر: النكت والعيون:٢٨٧/٣.
[٢] انظر: تفسير الطبري:٦٠٣/١٧.
[٣] انظر: تفسير الطبري:٦٠٣/١٧.
[٤] انظر: تفسير الطبري:٦٠٣/١٧.
[٥] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٧٤/٢.
[٦] لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم:٨.
[٧] أخرجه الطبري:٦٠٣/١٧.
[٨] تفسير مقاتل بن سليمان:٥٧٤/٢.
[٩] النكت والعيون:٢٨٧/٣.
[١٠] انظر: النكت والعيون:٢٨٧/٣.
[١١] انظر: النكت والعيون:٢٨٧/٣.
[١٢] انظر: تفسير التستري:٩٧.
[١٣] أخرجه الطبري:٦٠٤/١٧.
[١٤] أخرجه الطبري:٦٠٤/١٧.
[١٥] تفسير الطبري:٦٠٤/١٧.

٣- أن نومهم طول هذه المدة إنما كان بمحض قدرة الله تعالى، وليس في ذلك أي دخل وقدرة لأصحاب الكهف.

القرآن
{إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠)} [الكهف : ١٠]
التفسير:
اذكر -أيها الرسول- حين لجأ الشبَّان المؤمنون إلى الكهف؛ خشية من فتنة قومهم لهم، وإرغامهم على عبادة الأصنام، فقالوا: ربنا أعطنا مِن عندك رحمة، تثبتنا بها، وتحفظنا من الشر، ويسِّر لنا الطريق الصواب الذي يوصلنا إلى العمل الذي تحب، فنكون راشدين غير ضالين.

قوله تعالى:{إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ} [الكهف : ١٠]، أي:" اذكر -أيها الرسول- حين لجأ الشبَّان المؤمنون إلى الكهف؛ خشية من فتنة قومهم لهم، وإرغامهم على عبادة الأصنام"[١].

قال الزجاج:" معنى: «أووا إليه»: صاروا إليه وجعلوه مأواهم، و«الفتية» جمع «فتى» مثل: غلام وغلمة"[٢].

واختلف في سبب إيوائهم إلى «الكهف» على ثلاثة أقوال :

أحدها : أن أصحاب الكهف كانوا "أبناء عظماء مدينتهم، وأهل شرفهم، فخرجوا فاجتمعوا وراء المدينة على غير ميعاد، فقال رجل منهم هو أسنهم: إني لأجد في نفسي شيئا ما أظنُّ أن أحدا يجده، قالوا: ماذا تجد؟ قال: أجد في نفسي أن ربي ربّ السماوات والأرض، وقالوا: نحن نجد، فقاموا جميعا، فقالوا: {رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا} فاجتمعوا أن يدخلوا الكهف، وعلى مدينتهم إذ ذاك جبار يقال له دقينوس، فلبثوا في الكهف ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعا رقدا. قاله مجاهد[٣]، وعبد الله بن عبيد بن عمير[٤].

قال عبد الله بن عبيد بن عمير: "كان أصحاب الكهف فتيانا ملوكا مُطَوّقين مُسَوّرين ذوي ذوائب، وكان معهم كلب صيدهم، فخرجوا في عيد لهم عظيم في زيّ وموكب، وأخرجوا معهم آلهتم التي يعبدون، وقذف الله في قلوب الفتية الإيمان فآمنوا، وأخفى كلّ واحد منهم الإيمان عن صاحبه، فقالوا في أنفسهم من غير أن يظهر إيمان بعضهم لبعض: نخرج من بين أظهر هؤلاء القوم لا يصيبنا عقاب بجرمهم، فخرج شاب منهم حتى انتهى إلى ظلّ شجرة، فجلس فيه، ثم خرج آخر فرآه جالسا وحده، فرجا أن يكون على مثل أمره من غير أن يظهر منه، فجاء حتى جلس إليه، ثم خرج الآخرون، فجاؤوا حتى جلسوا إليهما، فاجتمعوا، فقال بعضهم: ما جمعكم؟ وقال آخر: بل ما جمعكم؟ وكل يكتم إيمانه من صاحبه مخافة على نفسه، ثم قالوا: ليخرج منكم فَتَيان، فيخْلُوَا، فيتواثقا أن لا يفشيَ واحد منهما على صاحبه، ثم يفشي كل واحد منهما لصاحبه أمره، فإنا نرجو أن نكون على أمر واحد، فخرج فتيان منهم فتواثقا، ثم تكلما، فذكر كل واحد منهما أمره لصاحبه، فأقبلا مستبشرَين إلى أصحابهما قد اتفقا على أمر واحد، فإذا هم جميعا على الإيمان، وإذا كهف في الجبل قريب منهم، فقال بعضهم لبعض: ائتوا إلى الكهف {يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا} فدخلوا الكهف، ومعهم كلب صيدهم فناموا، فجعله الله عليهم رقدة واحدة، فناموا ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعا، قال: وفقدهم قومُهم فطلبوهم وبعثوا البرد، فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم، فلما لم يقدروا عليهم كتبوا أسماءهم وأنسابهم في لوح: فلان ابن فلان، وفلان ابن فلان أبناء ملوكنا، فَقَدناهم في عيد كذا وكذا في شهر كذا وكذا في سنة كذا وكذا، في مملكة فلان ابن فلان، ورفعوا اللوح في الخزانة،

---

[١] التفسير الميسر:٢٩٤/١.
[٢] معاني القرآن:٢٧٠/٣.
[٣] انظر: تفسير الطبري:٦٠٩/١٧.
[٤] انظر: تفسير الطبري:٦٠٩/١٧.

فمات ذلك الملك وغلب عليهم ملك مسلم مع المسلمين، وجاء قرن بعد قرن، فلبثوا في كهفهم ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعا"[١].

الثاني: أنه كان مصيرهم إلى الكهف هربا من طلب سلطان كان طلبهم بسبب دَعوى جناية ادّعى على صاحب لهم أنه جناها. وهذا قول وهب بن منبه[٢].

قال وهب:" جاء حواريّ عيسى ابن مريم إلى مدينة أصحاب الكهف، فأراد أن يدخلها، فقيل له: إن على بابها صنما لا يدخلها أحد إلا سجد له، فكره أن يدخلها، فأتى حَمَّاما، فكان فيه قريبا من تلك المدينة، فكان يعمل فيه يؤاجر نفسه من صاحب الحمام، ورأى صاحب الحمام في حمامه البركة ودرّ عليه الرزق، فجعل يعرض عليه الإسلام، وجعل يسترسل إليه، وعلقه فتية من أهل المدينة، وجعل يخبرهم خبر السماء والأرض وخبر الآخرة، حتى آمنوا به وصدّقوه، وكانوا على مثل حاله في حُسْن الهيئة، وكان يشترط على صاحب الحمام أن الليل لي لا تحول بيني وبين الصلاة إذا حضرت، فكان على ذلك حتى جاء ابن الملك بامرأة، فدخل بها الحمام، فعيره الحواريّ، فقال: أنت ابن الملك، وتدخل معك هذه النكداء، فاستحيا، فذهب فرجع مرّة أخرى، فقال له مثل ذلك، فسبه وانتهره ولم يلتفت حتى دخل ودخلت معه المرأة، فماتا في الحمام جميعا، فأتي الملك، فقيل له: قتل صاحب الحمام ابنك، فالتُمس، فلم يقدر عليه هَربا، قال: من كان يصحبه؟ فسموا الفتية، فالتمسوا، فخرجوا من المدينة، فمروا بصاحب لهم في زرع له، وهو على مثل أمرهم، فذكروا أنهم التُمسوا، فانطلق معهم الكلب، حتى أواهم الليل إلى الكهف، فدخلوه، فقالوا: نبيت ههنا الليلة، ثم نصبح إن شاء الله فترون رأيكم، فضرب على آذانهم، فخرج الملك في أصحابه يتبعونهم حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف، فكلما أراد رجل أن يدخل أرعب، فلم يطق أحد أن يدخله، فقال قائل: أليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم؟ قال: بلى، قال: فابن عليهم باب الكهف، ودعهم فيه يموتوا عطشا وجوعا، ففعل"[٣].

الثالث : أنهم كانوا مسلمين على دين عيسى، وكان لهم ملك عابد وَثَن، دعاهم إلى عبادة الأصنام، فهربوا بدينهم منه خشية أن يفتنهم عن دينهم، أو يقتلهم، فاستخفوا منه في الكهف، قاله ابن عباس، والحسن[٤]، وعمرو[٥]، وابن إسحاق[٦].

أخرج الطبري بسنده عن ابن إسحاق:" مَرِج أمر أهل الإنجيل وعظُمت فيهم الخطايا وطغت فيهم الملوك، حتى عبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت، وفيهم على ذلك بقايا على أمر عيسى ابن مريم، متمسكون بعبادة الله وتوحيده، فكان ممن فعل ذلك من ملوكهم، ملك من الروم يقال له: دَقْيَنوس، كان قد عبد الأصنام، وذبح للطواغيت، وقتل من خالفه في ذلك ممن أقام على دين عيسى ابن مريم، كان ينزل في قرى الروم، فلا يترك في قرية ينزلها أحدا ممن يدين بدين عيسى ابن مريم إلا قتله، حتى يعبد الأصنام، ويذبح للطواغيت، حتى نزل دقينوس مدينة الفِتية أصحاب الكهف، فلما نزلها دقينوس كبر ذلك على أهل الإيمان، فاستخْفُوا منه وهربوا في كلّ وجه. وكان دقينوس قد أمر حين قدمها أن يتبع أهل الإيمان فيُجمعوا له، واتخذ شُرَطا من الكفَّار من أهلها، فجعلوا يتبعون أهل الإيمان في أماكنهم التي يستخفون فيها، فيستخرجونهم إلى دقينوس، فقدمهم إلى المجامع التي يذبح فيها للطواغيت فيخيرهم بين القتل، وبين عبادة الأوثان والذبح للطواغيت، فمنهم من يرغب في الحياة ويُقْطَع بالقتل فيَفتِتن. ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله فيقتل، فلما رأى ذلك أهل الصلابة من أهل الإيمان بالله، جعلوا يُسْلمون أنفسهم للعذاب والقتل، فيقتلون ويقطعون، ثم يربط ما قطع من أجسادهم، فيعلَّق على سور المدينة من نواحيها كلها، وعلى كلّ باب من أبوابها، حتى عظمت الفتنة على أهل الإيمان، فمنهم من كفر فتُرك،

---

[١] أخرجه الطبري:٦١١/١٧-٦١٢.
[٢] انظر: تفسير الطبري:٦١٢/١٧-٦١٣.
[٣] أخرجه الطبري:٦١٢/١٧-٦١٣.
[٤] انظر: النكت والعيون:٢٨٧/٣.
[٥] انظر: تفسير الطبري:٦٠٥/١٧-٦٠٦.
[٦] انظر: تفسير الطبري:٦٠٦/١٧-٦٠٧.

ومنهم من صُلب على دينه فقُتل، فلما رأى ذلك الفِتية أصحاب الكهف، حزنوا حزنا شديدا، حتى تغيرت ألوانهم، ونَحِلت أجسامهم، واستعانوا بالصلاة والصيام والصدقة، والتحميد، والتسبيح، والتهليل، والتكبير، والبكاء، والتضرّع إلى الله، وكانوا فتية أحداثا أحرارا من أبناء أشراف الروم".

ثم قال الطبري: "فحدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: لقد حُدّثت أنه كان على بعضهم من حداثة أسنانه وضح الورق، قال ابن عباس: فكانوا كذلك في عبادة الله ليلهم ونهارهم، يبكون إلى الله، ويستغيثونه، وكانوا ثمانية نفر: مَكْسِلمينا، وكان أكبرهم، وهو الذي كلم الملك عنهم، ومُحْسيميلنينا، وَيمليخا، ومَرْطوس، وكشوطوش، وبيرونس، ودينموس، ويطونس قالوس[1]، فلما أجمع دقينوس أن يجمع أهل القرية لعبادة الأصنام، والذبح للطواغيت، بكوا إلى الله وتضرعوا إليه، وجعلوا يقولون: اللهم رب السماوات والأرض، لن ندعو من دونك إلها {لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا} اكشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة وادفع عنهم البلاء وأنعم على عبادك الذين آمنوا بك، ومُنِعوا عبادتك إلا سرّا، مستخفين بذلك، حتى يعبدوك علانية، فبينما هم على ذلك، عرفهم عُرفاؤهم من الكفار، ممن كان يجمع أهل المدينة لعبادة الأصنام، والذبح للطواغيت، وذكروا أمرهم، وكانوا قد خَلوا في مُصَلّى لهم يعبدون الله فيه، ويتضرّعون إليه، ويتوقَّعون أن يُذْكَروا لدقينوس، فانطلق أولئك الكفرة حتى دخلوا عليهم مُصلاهم، فوجدوهم سجودا على وجوههم يتضرّعون، ويبكون، ويرغبون إلى الله أن ينجيهم من دقينوس وفتنته، فلما رآهم أولئك الكفرة من عُرفائهم قالوا لهم: ما خَلَّفكم عن أمر الملك؟ انطلقوا إليه! ثم خرجوا من عندهم، فرفعوا أمرهم إلى دقينوس، وقالوا: تجمع الناس للذبح لآلهتك، وهؤلاء فِتية من أهل بيتك، يسخَرون منك، ويستهزئون بك، ويعصون أمرك، ويتركون آلهتك، يَعمِدون إلى مُصَلّى لهم ولأصحاب عيسى ابن مريم يصلون فيه، ويتضرّعون إلى إلههم وإله عيسى وأصحاب عيسى، فلم تتركهم يصنعون هذا وهم بين ظَهراني سلطانك ومُلكك، وهم ثمانية نفر: رئيسهم مكسلمينا، وهم أبناء عظماء المدينة؟ فلما قالوا ذلك لدقينوس، بعث إليهم، فأتي بهم من المصلّى الذي كانوا فيه تفيض أعينهم من الدموع مُعَفرة وجوههم في التراب، فقال لهم: ما منعكم أن تشهدوا الذبح لآلهتنا التي تعبد في الأرض، وأن تجعلوا أنفسكم أُسْوة لسَراة أهل مدينتكم، ولمن حضر منَّا من الناس؟ اختاروا مني: إما أن تذبحوا لآلهتنا كما ذبح الناس، وإما أن أقتلكم! فقال مكسلمينا: إن لنا إلها نعبده ملأ السموات والأرض عظَمتُه، لن ندعو من دونه إلها أبدا، ولن نقر بهذا الذي تدعونا إليه أبدا، ولكنا نعبد الله ربنا، له الحمد والتكبير والتسبيح من أنفسنا خالصا أبدا، إياه نعبد، وإياه نسأل النجاة والخير. فأما الطواغيت وعبادتها، فلن نقرّ بَها أبدا، ولسنا بكائنين عُبَّادا للشياطين، ولا جاعلي أنفسنا وأجسادنا عُبادا لها، بعد إذ هدانا الله له رهبتَك، أو فَرَقا من عبودتك، اصنع بنا ما بدا لك، ثم قال أصحاب مكسلمينا لدقينوس مثل ما قال، قال: فلما قالوا ذلك له، أمر بهم فنزع عنهم لبوس كان عليهم من لبوس عظمائهم، ثم قال: أما إذ فعلتم ما فعلتم فإني سأؤخركم أن تكونوا من أهل مملكتي وبطانتي، وأهل بلادي، وسأفرُغ لكم، فأنجز لكم ما وعدتكم من العقوبة، وما يمنعني أن أعجِّل ذلك لكم إلا أني أراكم فتيانا حديثة أسنانُكم، ولا أحبُّ أن أهلككم حتى أستأنّي بكم، وأنا جاعل لكم أجلا تَذكرون فيه، وتراجعون عقولكم، ثم أمر بحلية كانت عليهم من ذهب وفضة، فنزعت عنهم، ثم أمر بهم فأخرجوا من عنده، وانطلق دقينوس مكانه إلى مدينة سوى مدينتهم التي هم بها قريبا منها لبعض ما يريد من أمره.

فلما رأى الفتية دقينوس قد خرج من مدينتهم بادروا قدومه، وخافوا إذا قدم مدينتهم أن يذكر بهم، فأتمروا بينهم أن يأخذ كلّ واحد منهم نفقة من بيت أبيه، فيتصدّقوا منها، ويتزوّدوا بما بقي، ثم ينطلقوا إلى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له: بنجلوس فيمكثوا فيه، ويعبدوا الله

---

[1] قال القرطبي في تفسيره (١٠: ٣٦٠) وأما أسماء أهل الكهف فأعجمية، والسند في معرفتها واه، ونقلها عن الطبري.

حتى إذا رجع دقينوس أتوه فقاموا بين يديه، فيصنع بهم ما شاء، فلما قال ذلك بعضهم لبعض، عمد كلّ فتى منهم، فأخذ من بيت أبيه نفقة، فتصدّق منها، وانطلقوا بما بقي معهم من نفقتهم، واتبعهم كلْب لهم، حتى أتوا ذلك الكهف، الذي في ذلك الجبل، فلبثوا فيه ليس لهم عمل إلا الصلاة والصيام والتسبيح والتكبير والتحميد، ابتغاء وجه الله تعالى، والحياة التي لا تنقطع، وجعلوا نفقتهم إلى فتى منهم يقال له يمليخا، فكان على طعامهم، يبتاع لهم أرزاقهم من المدينة سرا من أهلها، وذلك أنه كان من أجملهم وأجلدهم، فكان يمليخا يصنع ذلك، فإذا دخل المدينة يضع ثيابا كانت عليه حسانا، ويأخذ ثيابا كثياب المساكين الذين يستطعمون فيها، ثم يأخذ ورقه، فينطلق إلى المدينة فيشتري لهم طعاما وشرابا، ويتسمَّع ويتجسَّس لهم الخبر، هل ذكر هو وأصحابه بشيء في ملإِ المدينة، ثم يرجع إلى أصحابه بطعامهم وشرابهم، ويخبرهم بما سمع من أخبار الناس، فلبثوا بذلك ما لبثوا، ثم قدم دقينوس الجبَّار المدينة التي منها خرج إلى مدينته، وهي مدينة أفَمْوس، فأمر عظماء أهلها، فذبحوا للطواغيت، ففزع في ذلك أهل الإيمان، فتخبئوا في كل مخبأ، وكان يمليخا بالمدينة يشتري لأصحابه طعامهم وشرابهم ببعض نفقتهم، فرجع إلى أصحابه وهو يبكي ومعه طعام قليل، فأخبرهم أن الجبار دقينوس قد دخل المدينة، وأنهم قد ذكروا وافتقدوا والتمسوا مع عظماء أهل المدينة ليذبحوا للطواغيت، فلما أخبرهم بذلك، فزعوا فزعا شديدا، ووقعوا سجودا على وجوههم يدعون الله، ويتضرّعون إليه، ويتعوّذون به من الفتنة، ثم إن يمليخا قال لهم: يا إخوتاه، ارفعوا رؤوسكم، فاطعَموا من هذا الطعام الذي جئتكم به، وتوكلوا على ربكم، فرفعوا رؤوسهم، وأعينهم تفيض من الدمع حذرا وتخوّفا على أنفسهم، فطعموا منه، وذلك مع غروب الشمس، ثم جلسوا يتحدثون ويتدارسون، ويذكر بعضهم بعضا على حزن منهم، مشفقين مما أتاهم به صاحبهم من الخبر، فبينا هم على ذلك، إذ ضرب الله على آذانهم في الكهف سنين عددا، وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف، فأصابهم ما أصابهم وهم مؤمنون مُوقنون، مصدّقون بالوعد، ونفقتهم موضوعة عندهم، فلما كان الغد فقدهم دقينوس، فالتمسهم فلم يجدهم، فقال لعظماء أهل المدينة: لقد ساءني شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا، لقد كانوا يظنون أن بي غضبا عليهم فيما صنعوا في أوّل شأنهم، لجهلهم ما جهلوا من أمري، ما كنت لأجهل عليهم في نفسي، ولا أؤاخذ أحدا منهم بشيء إن هم تابوا وعبدوا آلهتي، ولو فعلوا لتركتهم، وما عاقبتهم بشيء سلف منهم، فقال له عظماء أهل المدينة: ما أنت بحقيق أن ترحم قوما فجرة مَردة عُصاة، مقيمين على ظلمهم ومعصيتهم، وقد كنتَ أجَّلتهم أجلا وأخَّرتهم عن العقوبة التي أصبت بها غيرهم، ولو شاؤوا لرجعوا في ذلك الأجل، ولكنهم لم يتوبوا ولم ينزعوا ولم يندموا على ما فعلوا، وكانوا منذ انطلقت يبذرون أموالهم بالمدينة، فلما علموا بقدومك فرّوا فلم يُروا بعد، فإن أحببت أن تُؤْتَى بهم، فأرسل إلى آبائهم فامتحنهم، واشدُد عليهم يدُلوك عليهم، فإنهم مختبئون منك، فلما قالوا ذلك لدقينوس الجبار، غضب غضبا شديدا. ثم أرسل إلى آبائهم، فأتي بهم فسألهم عنهم وقال: أخبروني عن أبنائكم المردة الذين عصوا أمري، وتركوا آلهتي، ائتوني بهم، وأنبئوني بمكانهم، فقال له آباؤهم: أما نحن فلم نعص أمرك ولم نخالفك، قد عبدنا آلهتك وذبحنا لهم، فلم تقتلنا في قوم مردة، قد ذهبوا بأموالنا فبذّروها وأهلكوها في أسواق المدينة، ثم انطلقوا، فارتقوا في جبل يدعى بنجلوس، وبينه وبين المدينة أرض بعيدة هرَبا منك، فلما قالوا ذلك خلَّى سبيلهم، وجعل يأتمر ماذا يصنع بالفتية، فألقى الله عز وجل في نفسه أن يأمر بالكهف فيُسدّ عليهم كرامة من الله، أراد أن يكرمهم، ويكرم أجساد الفتية، فلا يجول، ولا يطوف بها شيء، وأراد أن يحييهم، ويجعلهم آية لأمة تُستخلف من بعدهم، وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور. فأمر دقينوس بالكهف أن يسدّ عليهم، وقال: دعوا هؤلاء الفتية المَرَدة الذين تركوا آلهتي فليموتوا كما هم في الكهف عطشا وجوعا، وليكن كهفهم الذي اختاروا لأنفسهم قبرا لهم، ففعل بهم ذلك عدوّ الله، وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم، وقد تَوَفَّى الله أرواحهم وفاة النوم، وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف، قد غَشَّاه الله ما غشاهم، يُقلَّبون ذات اليمين وذات الشمال، ثم إن رجلين مؤمنين كانا في بيت الملك دقينوس يكتمان إيمانهما: اسم أحدهما بيدروس، واسم الآخر: روناس، فأتمرا أن يكتبا شأن الفتية

أصحاب الكهف، أنسابهم وأسماءهم وأسماء آبائهم، وقصة خبرهم في لوحين من رَصاص، ثم يصنعا له تابوتا من نحاس، ثم يجعلا اللوحين فيه، ثم يكتبا عليه في فم الكهف بين ظهراني البنيان، ويختما على التابوت بخاتمهما، وقالا لعل الله أن يُظْهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة، فيعلم من فتح عليهم حين يقرأ هذا الكتاب خبرهم، ففعلا ثم بنيا عليه في البنيان، فبقي دقينوس وقرنه الذين كانوا منهم ما شاء الله أن يبقوا، ثم هلك دقينوس والقرن الذي كانوا معه، وقرون بعده كثيرة، وخلفت الخلوف بعد الخلوف"[١].

قوله تعالى:{فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً} [الكهف : ١٠]، أي:" ربنا أعطنا مِن عندك رحمة، تثبتنا بها، وتحفظنا من الشر"[٢].

قال مقاتل:" يعني: رزقا"[٣].

قال الزجاج:" أي: أعطنا من عندك رحمة، أي: مغفرة ورزقا"[٤].

قوله تعالى:{وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا} [الكهف : ١٠]، أي:" ويسِّر لنا الطريق الصواب الذي يوصلنا إلى العمل الذي تحب، فنكون راشدين غير ضالين"[٥].

قال مقاتل:"يعني: تيسيرا"[٦].

قال الزجاج:" أي: أرشدنا إلى ما يقرب منك ويزلف عندك"[٧].

قال يحيى بن سلام:" كانوا قوما قد آمنوا، فروا بدينهم من قومهم، وإن قومهم على الكفر وخشوا على أنفسهم القتل"[٨].

القرآن

{فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١)} [الكهف : ١١]

التفسير:

فألقينا عليهم النوم العميق، فبقوا في الكهف سنين كثيرة.

قوله تعالى:{فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ} [الكهف : ١١]، أي:" فألقينا عليهم النوم العميق في الكهف"[٩].

قال ابن قتيبة:" أي أنمناهم. ومثله قول أبي ذر: «قد ضرب الله على أصمختهم»[١٠]"[١١].

قال الطبري:" أي: ألقينا عليهم النوم، كما يقول القائل لآخر: ضربك الله بالفالج، بمعنى ابتلاه الله به، وأرسله عليه"[١٢].

قال الزجاج:" أي: منعناهم - أن يسمعوا، لأن النائم - إذا سمع انتبه. فالمعنى أنمناهم، ومنعناهم السمع"[١٣].

قوله تعالى:{سِنِينَ عَدَدًا} [الكهف : ١١]، أي:" فبقوا في الكهف سنين كثيرة"[١٤].

---

[١] تفسير الطبري:١٧/٦٠٦-٦٠٩.
[٢] التفسير الميسر: ٢٩٤.
[٣] تفسير مقاتل بن سليمان:٢/٥٧٦.
[٤] معاني القرآن:٣/٢٧٠.
[٥] التفسير الميسر: ٢٩٤.
[٦] تفسير مقاتل بن سليمان:٢/٥٧٦.
[٧] معاني القرآن:٣/٢٧٠.
[٨] تفسير يحيى بن سلام:١/١٧٣.
[٩] التفسير الميسر:٢٩٤.[بتصرف]
[١٠]في اللسان ٢/٣٨.
[١١] غريب القرآن:٢٦٤.
[١٢] تفسير الطبري:١٧/٦١٣.
[١٣] معاني القرآن:٣/٢٧٠.
[١٤] التفسير الميسر:٢٩٤.

قال الطبري:" يعني: سنين معدودة"[1].
قال الفراء:" العدد هاهنا في معنى معدودة"[2].
قال الأخفش:" أي: نعدها عددا"[3].
وفي قوله تعالى:{سِنِينَ عَدَدًا} [الكهف : ١١]، وجهان[4]:
أحدهما : إحصاء .
الثاني : سنين كاملة ليس فيها شهور ولا أيام .
قال مقاتل:" يعنى: ثلاثمائة سنة وتسع سنين"[5].

قال ابن عباس:"غزونا مع معاوية غزوة المضيق نحو الروم فمررنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف الذي ذكر الله في القرآن، فقال معاوية: لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم! فقال له ابن عباس: ليس ذلك لك، قد منع الله ذلك عمن هو خير منك. فقال: لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا فقال معاوية: لا أنتهي حتي أعلم علمهم. فبعث رجالا فقال: اذهبوا فادخلوا الكهف فانظروا. فذهبوا، فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فأخرجتهم. فبلغ ذلك ابن عباس فأنشأ يحدث عنهم فقال: إنهم كانوا في مملكة ملك من الجبابرة يعبد الأوثان، وقد أجبر الناس على عبادتها، وكان هؤلاء الفتية في المدينة، فلما رأوا ذلك خرجوا من تلك المدينة فجمعهم الله على غير ميعاد، فجعل بعضهم يقول لبعض: أين تريدون؟ أين تذهبون!؟ فجعل بعضهم يخفي على بعض لأنه لا يدري هذا على ما خرج هذا، ولا يدري هذا. فأخذوا العهود والمواثيق إن يخبر بعضهم بعضا، فإن اجتمعوا على شيء وإلا كتم بعضهم بعضا. فاجتمعوا على كلمة واحدة : {فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}.... إلى قوله: {مِرْفَقًا}، قال: فقعدوا فجاء أهلهم يطلبونهم لا يدرون أين ذهبوا، فرفع أمرهم إلى الملك فقال: ليكونن لهؤلاء القوم بعد اليوم شأن ... ناس خرجوا لا يدرى أين ذهبوا في غير خيانة ولا شيء يعرف ... !! فدعا بلوح من رصاص فكتب فيه أسماءهم ثم طرح في خزانته. فذلك قول الله أم حسبت إن أصحاب الكهف والرقيم، هو اللوح الذي كتبوا. فانطلقوا حتى دخلوا الكهف فضرب الله على آذانهم فقاموا. فلو إن الشمس تطلع عليهم لأحرقتهم، ولولا أنهم يقلبون لأكلتهم الأرض. ذلك قول الله: {وَتَرَى الشَّمْس ....} الآية. قال: ثم إن ذلك الملك ذهب وجاء ملك آخر فعبد الله وترك تلك الأوثان، وعدل في الناس، فبعثهم الله لما يريد، قال قائل منهم كم لبثتم فقال بعضهم: يوما. وقال بعضهم يومين. وقال بعضهم: أكثر من ذلك. فقال كبيرهم: لا تختلفوا، فإنه لم يختلف قوم قط إلا هلكوا، فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة. فرأي شارة أنكرها ورأى بنيانا أنكره، ثم دنا إلى خباز فرمى إليه بدرهم وكانت دراهمهم كخفاف الربع- يعني ولد الناقة- فأنكر الخباز الدرهم فقال: من أين لك هذا الدرهم؟ لقد وجدت كنزا لتدلني عليه أو لأرفعنك إلى الأمير. فقال: أو تخوفني بالأمير؟ وأتى الدهقان الأمير، قال: من أبوك؟ قال: فلان. فلم يعرفه. قال: فمن الملك؟ قال: فلان. فلم يعرفه، فاجتمع عليهم الناس فرفع إلى عالمهم فسأله فأخبره فقال: علي باللوح، فجيء به فسمى أصحابه فلانا وفلانا. وهم مكتوبون في اللوح، فقال للناس: إن الله قد دلكم على إخوانكم. وانطلقوا وركبوا حتى أتوا إلى الكهف، فلما دنوا من الكهف قال الفتى: مكانكم أنتم حتى أدخل أنا على أصحابي، ولا تهجموا فيفزعون منكم وهم لا يعلمون إن الله قد أقبل بكم وتاب عليكم. فقالوا: لتخرجن علينا قال: نعم إن شاء الله. فدخل فلم يدروا أين ذهب، وعمي عليهم فطلبوا وحرضوا فلم يقدروا على الدخول عليهم فقالوا لنتخذن عليهم مسجدا فاتخذوا عليهم مسجدا فجعلوا يصلون عليهم ويستغفرون لهم"[6].

---

[1] تفسير الطبري:٦١٣/١٧.
[2] معاني القرآن:٤٢٨/٢.
[3] معاني القرآن:٤٢٨/٢.
[4] انظر: النكت والعيون:٢٨٨/٣.
[5] تفسير مقاتل بن سليمان:٥٧٦/٢.
[6] اخرجه ابن أبي حاتم(١٢٧٢٠):ص٢٣٤٨/٧-٢٣٤٩.

قال عكرمة:" كان أصحاب الكهف أبناء ملوك، رزقهم الله الإسلام فتعوذوا بدينهم واعتزلوا قومهم حتى انتهوا إلى الكهف، فضرب الله على صماخاتهم فلبثوا دهرا طويلا حتى هلكت أمتهم، وجاءت أمة مسلمة وكان ملكهم مسلما، واختلفوا في الروح والجسد فقال قائل: يبعث الروح والجسد جميعا. وقال قائل: يبعث الروح وأما الجسد فتأكله الأرض فلا يكون شيئا، فشق على ملكهم اختلافهم فانطلق فلبس المسوح وجلس على الرماد، ثم دعا الله فقال: أي رب، قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم، فبعث الله أصحاب الكهف، فبعثوا أحدهم ليشتري لهم طعاما فدخل السوق، فلما نظر جعل ينكر الوجوه ويعرف الطرق، ورأى الإيمان ظاهرا بالمدينة. فانطلق وهو مستخف حتى أتى رجلا يشتري منه طعاما، فلما نظر الرجل إلى الورق أنكرها. حسبت أنه قال كأنها أخفاف الربيع- يعني الإبل الصغار- فقال الفتى: أليس ملككم فلان؟ قال الرجل: بل ملكنا فلان. فلم يزل ذلك بينهما حتى رفعه إلى الملك، فنادى في الناس فجمعهم فقال: إنكم اختلفتم في الروح والجسد وإن الله قد بعث لكم آية، فهذا الرجل من قوم فلان- يعني ملكهم الذي قبله- فقال الفتى: انطلقوا بي إلى أصحابي. فركب الملك وركب معه الناس حتى انتهى إلى الكهف، فقال الفتى: دعوني أدخل إلى أصحابي. فلما أبصروه وأبصرهم ضرب على آذانهم، فلما استبطئوه دخل الملك ودخل الناس معه، فإذا أجساد لا يبلى منها شيء غير أنها لا أرواح فيها. فقال الملك: هذه آية بعثها الله لكم، فغزا ابن عباس مع حبيب بن مسلمة فمروا بالكهف فإذا فيه عظام، فقال رجل: هذه عظام أهل الكهف. فقال ابن عباس: ذهبت عظامهم أكثر من ثلاثمائة سنة"[١].

القرآن

{ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢)} [الكهف : ١٢]

التفسير:

ثم أيقظناهم مِن نومهم؛ لنُظهر للناس ما علمناه في الأزل؛ فتتميَّز أي الطائفتين المتنازعتين في مدة لبثهم أضبط في الإحصاء، وهل لبثوا يومًا أو بعض يوم، أو مدة طويلة؟

قال الطبري:" ثم بعثنا هؤلاء الفتية الذين أوَوْا إلى الكهف بعد ما ضربنا على آذانهم فيه سنين عددا من رقدتهم، لينظر عبادي فيعلموا بالبحث، أيُّ الطائفتين اللتين اختلفتا في قدر مبلغ مكث الفتية في كهفهم رقودا: {أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا} يقول: أصوب لقدر لبثهم فيه أمدا، ويعني بالأمد: الغاية، كما قال النابغة[٢]:

إلا لِمِثْلِكَ أوْ مَنْ أنْتَ سابِقُهُ ... سَبْقَ الجَوَادِ إذا اسْتَوْلَى على الأمَدِ"[٣].

وفي «الحزبين»، أقوال[٤]:

أحدها : أن الحزبين هما المختلفان في أمرهم من قوم الفتية ، قاله مجاهد[٥].

الثاني : أن أحد الحزبين الفتية.

والثاني : من حضرهم من أهل ذلك الزمان .

الثالث : أن أحد الحزبين مؤمنون ، والآخر كفار .

الرابع : أن أحد الحزبين الله تعالى ، والآخر الخلق ، وتقديره : أنتم أعلم أم الله .

قال قتادة:" ما كان لواحد من الفريقين علم، لا لكفارهم ولا لمؤمنيهم"[١].

---

[١] أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٧٢١):ص٧/٢٣٤٩-٢٣٥٠.

[٢]البيت للنابغة الذبياني، في (مختار الشعر الجاهلي، بشرح مصطفى السقا، طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ص ١٥٢) من قصيدته التي مطلعها: يا دار مية بالعلياء فالسند

وهي خمسون بيتا، والشاهد هو السادس والعشرون منها. قال شارحه: الأمد الغاية التي تجري إليها (وعلى هذا استشهد المؤلف) يقول: لا تنطو على حقد وغضب، إلا لمن هو مثلك في الناس، أو قريب منك.

[٣] تفسير الطبري:١٧/٦١٣.

[٤] انظر: النكت والعيون:٣/٢٨٩.

[٥] انظر: تفسير الطبري:١٧/٦١٣-٦١٤.

وفي قوله تعالى:{أَمَدًا} [الكهف : ١٢]، وجهان:
أحدهما: معناه: بعيدا. قاله ابن عباس[٢].
الثاني: معناه: عددا. قاله مجاهد[٣].
قال الزجاج:" «الأمد»: الغاية.. المعنى: أيّ الحزبين أحصى للبثهم في الأمد"[٤].
فوائد الآيات:[١٠-١٢]:
١- تقرير التوحيد ضمن قصة أصحاب الكهف إذ فروا بدينهم خوفا من الشرك والكفر.
٢- استجابة الله دعاء عباده المؤمنين الموحدين حيث استجاب للفتية فآواهم الدار ورعاهم حتى بعثهم بعد تغير الأحوال وتبدل العباد والبلاد.
٣- بيان موقف رائع من مواقف التوسل إلى الله تعالى، ألا وهو موقف الفتية أصحاب الكهف، فتوسلوا إلى الله تعالى بتوحيدهم لله عز وجل وتركهم عبادة غيره، واعتزالهم لقومهم، وفرارهم بدينهم، وبعد أن قدّموا هذه الوسائل الصحيحة المقبولة دعوا الله عز وجل وهم واثقون من إجابته دعاءهم، وقد استجاب تعالى دعاءهم فعمّى عنهم أعين طالبيهم من قومهم، ولبثوا في كهفهم ما ينيف على ثلاثمائة عام وهم نيام لا يمسهم سوء، ولا يشعر بهم أحد[٥].
٤- الآية دليل على إحياء الموتى بعد مماتهم، وهذا برهان قطعي على القدرة الإلهية، وقد أخبر الله ورسوله عن وقوع البعث والحشر فوجب القطع بذلك.

القرآن
{نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣)} [الكهف : ١٣]
التفسير:
نحن نقصُّ عليك -أيها الرسول- خبرهم بالصدق. إن أصحاب الكهف شُبَّان صدَّقوا ربهم وامتثلوا أمره، وزِدْناهم هدى وثباتًا على الحق.
قوله تعالى:{نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ} [الكهف : ١٣]، أي:" نحن نقصُّ عليك -أيها الرسول- خبرهم بالصدق"[٦].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: نحن يا محمد نقص عليك خبر هؤلاء الفتية الذين أوَوْا إلى الكهف بالحق، يعني: بالصدق واليقين الذي لا شك فيه"[٧].
قوله تعالى:{إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ} [الكهف : ١٣]، أي:" إن أصحاب الكهف شُبَّان صدَّقوا ربهم وامتثلوا أمره"[٨].
قال مقاتل:" يعني: صدقوا بتوحيد ربهم"[٩].
قال الطبري:" يقول: إن الفتية الذين أوَوْا إلى الكهف الذين سألك عن نبئهم الملأ من مشركي قومك، فتية آمنوا بربهم"[١٠].
قال ابن كثير:" أي : اعترفوا له بالوحدانية ، وشهدوا أنه لا إله إلا هو ، ذكر تعالى أنهم فتية - وهم الشباب - وهم أقبل للحق ، وأهدى للسبيل من الشيوخ ، الذين قد عتوا وعَسَوا في

---
[١] أخرجه الطبري:٦١٤/١٧.
[٢] انظر: تفسير الطبري:٦١٤/١٧.
[٣] انظر: تفسير الطبري:٦١٤/١٧.
[٤] معاني القرآن:٢٧١/٣.
[٥] انظر: التوسل في كتاب الله عز وجل:٣٩.
[٦] التفسير الميسر:٢٩٤/١.
[٧] تفسير الطبري:٦١٥/١٧.
[٨] التفسير الميسر:٢٩٤/١.
[٩] تفسير مقاتل بن سليمان:٥٧٦/٢.
[١٠] تفسير الطبري:٦١٥/١٧.

دين الباطل ؛ ولهذا كان أكثر المستجيبين لله ولرسوله ﷺ شبابًا. وأما المشايخ من قريش ، فعامتهم بَقُوا على دينهم ، ولم يسلم منهم إلا القليل. وهكذا أخبر تعالى عن أصحاب الكهف أنهم كانوا فتية شبابًا"[١].

قال سهل: إنما سماهم «فتية»، لأنهم آمنوا به بلا واسطة، وقاموا إليه بإسقاط العلائق عن أنفسهم"[٢].

قال مجاهد : "بلغني أنه كان في آذان بعضهم القرطة"[٣]، يعني : "الحَلَق، فألهمهم الله رشدهم وآتاهم تقواهم"[٤].

قوله تعالى:{وَزِدْنَاهُمْ هُدًى} [الكهف : ١٣]، أي:" وزِدْناهم هدى وثباتًا على الحق"[٥].

قال يحيى بن سلام:" يعني: إيمانا"[٦].

قال سهل: "أي: بصيرة في الإيمان"[٧].

قال مقاتل:" حين فارقوا قومهم"[٨].

قال الطبري:" يقول: وزدناهم إلى إيمانهم بربهم إيمانا، وبصيرة بدينهم، حتى صبروا على هجران دار قومهم، والهرب من بين أظهرهم بدينهم إلى الله، وفراق ما كانوا فيه من خفض العيش ولينه، إلى خشونة المكث في كهف الجبل"[٩].

قال الشافعي رحمه الله: ولو كان هذا الإيمان كله واحدا لا نقصان فيه ولا زيادة، لم يكن لأحد فيه فضل، واستوى الناس، وبطل التفضيل، ولكن بتمام الإيمان دخل المؤمنون الجنة، وبالزيادة في الإيمان تفاضل المؤمنون بالدرجات عند الله في الجنة، وبالنقصان من الإيمان دخل المفرطون النار"[١٠].

الفوائد:

١- تقرير النبوة المحمدية بذكر قصة أصحاب الكهف.

٢- بيان قوة يقين هؤلاء الفتية، وثقتهم بربهم عز وجل، وعظيم توكّلهم عليه جل وعلا.

فإن موقف هؤلاء الفتية موقف يثير العجب، ويبعث على التأمل، موقف ينبغي أن يدرس لطلابنا في مدارسهم ليكون لهم بهؤلاء الأبطال الذين آثروا الفرار بدينهم، والثبات عليه على الراحة التي كانوا فيها، والرغد الذي عاشوا عليه، والترف الذي تربوا فيه، وفارقوا أهليهم وديارهم طمعا في رحمة ربهم، ونجاة أنفسهم من سخط الله عز وجل، إذ لو بقوا مع قومهم لهلكوا وخسروا، ولكن أراد الله عز وجل بهم خيراً فآثروا ما عند الله وإن كان آجلاً على الراحة العاجلة الزائلة فنجوا بذلك، وفازوا برحمة الله"[١١].

٣- تقرير زيادة الإيمان ونقصانه.

قال ابن كثير:" استدل بهذه الآية وأمثالها غير واحد من الأئمة كالبخاري وغيره ممن ذهب إلى زيادة الإيمان وتفاضله ، وأنه يزيد وينقص ؛ ولهذا قال تعالى : { وَزِدْنَاهُمْ هُدًى } كَمَا قَالَ { وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ } [محمد : ١٧] ، (٤)

---

[١] تفسير ابن كثير:١٤٠/٥.

[٢] تفسير التستري:٩٧.

[٣] حكاه عنه ابن كثير في تفسيره:١٤٠/٥.

القرطة - بوزن عتبة - جمع: قرط؛ وهوحلية الأذن؛ والفتحة بالسكون وبفتحتين: الحاتم؛ وجمعها: فتح بفتحتين.

[٤] تفسير ابن كثير:١٤٠/٥.

[٥] التفسير الميسر:٢٩٤/١.

[٦] تفسير يحيى بن سلام:١٧٤/١.

[٧] تفسير التستري:٩٧.

[٨] تفسير مقاتل بن سليمان:٥٧٦/٢.

[٩] تفسير الطبري:٦١٥/١٧.

[١٠] تفسير الإمام الشافعي:٩٦٤/٢.

[١١] انظر: التوسل في كتاب الله عز وجل:٣٩-٤٠.

وقال : { فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا } [التوبة : ١٢٤] ، وقال { لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ } [الفتح : ٤] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك"[١].

القرآن

{وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٤)} [الكهف : ١٤]

التفسير:

وقوَّينا قلوبهم بالإيمان، وشددنا عزيمتهم به، حين قاموا بين يدي الملك الكافر، وهو يلومهم على تَرْكِ عبادة الأصنام فقالوا له: ربنا الذي نعبده هو رب السموات والأرض، لن نعبد غيره من الآلهة، لو قلنا غير هذا لكُنَّا قد قلنا قولا جائرًا بعيدًا عن الحق.

قوله تعالى:{وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ} [الكهف : ١٤]، أي:" وقوَّينا قلوبهم بالإيمان، وشددنا عزيمتهم به"[٢].

قال الطبري:" يقول عز ذكره: وألهمناهم الصبر، وشددنا قلوبهم بنور الإيمان حتى عزفت أنفسهم عما كانوا عليه من خفض العيش"[٣].

عن قتادة :"{وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ}، يقول: بالإيمان"[٤].

قال النحاس:" أي: شددناها حتى قالوا بين يدي الكفار :{ربنا رب السماوات والأرض لن ندعوا من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا}"[٥].

قال ابن كثير:" يقول تعالى : وصَبَّرناهم على مخالفة قومهم ومدينتهم ، ومفارقة ما كانوا فيه من العيش الرغيد والسعادة والنعمة"[٦].

قوله تعالى:{إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الكهف : ١٤]، أي:" حين قاموا بين يدي الملك الكافر، وهو يلومهم على تَرْكِ عبادة الأصنام فقالوا له: ربنا الذي نعبده هو رب السموات والأرض"[٧].

قال الطبري:" يقول: حين قاموا بين يدي الجبار دقينوس، فقالوا له إذ عاتبهم على تركهم عبادة آلهته {رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ}، يقول: قالوا ربنا ملك السماوات والأرض وما فيهما من شيء، وآلهتك مربوبة، وغير جائز لنا أن نترك عبادة الربّ ونعبد المربوب"[٨].

قوله تعالى:{لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا} [الكهف : ١٤]، أي:" لن نعبد غيره من الآلهة"[٩].

قال الطبري:" يقول: لن ندعو من دون ربّ السموات والأرض إلها، لأنه لا إله غيره، وإن كلّ ما دونه فهو خلقه"[١٠].

قال ابن كثير:" «لن» : لنفي التأبيد ، أي : لا يقع منا هذا أبدًا ؛ لأنا لو فعلنا ذلك لكان باطلا، فإنه قد ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف أنهم كانوا من أبناء ملوك الروم وسادتهم ، وأنهم خرجوا يومًا في بعض أعياد قومهم ، وكان لهم مجتمع في السنة يجتمعون فيه في ظاهر البلد ، وكانوا يعبدون الأصنام والطواغيت ، ويذبحون لها ، وكان لهم ملك جبار عنيد يقال له : "دقيانوس" ، وكان يأمر الناس بذلك ويحثهم عليه ويدعوهم إليه. فلما خرج الناس

---

[١] تفسير ابن كثير:١٤١/٥.
[٢] التفسير الميسر:٢٩٤/١.
[٣] تفسير الطبري:٦١٥/١٧.
[٤] أخرجه الطبري:٦١٥/١٧.
[٥] إعراب القرآن:٢٩٠/٢.
[٦] تفسير ابن كثير:١٤٠/٥.
[٧] التفسير الميسر:٢٩٤/١.
[٨] تفسير الطبري:٦١٥/١٧.
[٩] التفسير الميسر:٢٩٤/١.
[١٠] تفسير الطبري:٦١٥/١٧.

لمجتمعهم ذلك ، وخرج هؤلاء الفتية مع آبائهم وقومهم ، ونظروا إلى ما يصنع قومهم بعين بصيرتهم ، عرفوا أن هذا الذي يصنعه قومهم من السجود لأصنامهم والذبح لها ، لا ينبغي إلا لله الذي خلق السموات والأرض. فجعل كل واحد منهم يتخلص من قومه ، وينحاز منهم ويتبرز عنهم ناحية. فكان أول من جلس منهم وحده أحدهم ، جلس تحت ظل شجرة ، فجاء الآخر فجلس عنده ، وجاء الآخر فجلس إليهما ، وجاء الآخر فجلس إليهم ، وجاء الآخر ، وجاء الآخر ، وجاء الآخر ، ولا يعرف واحد منهم الآخر ، وإنما جمعهم هناك الذي جمع قلوبهم على الإيمان ، كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري تعليقًا ، من حديث يحيى بن سعيد ، عن عمرة ، عن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : قال رسول الله ﷺ : «الأرواح جنود مُجَنَّدة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف»[1].

والناس يقولون : الجنسية علة الضم.

والغرض أنه جعل كل أحد منهم يكتم ما هو فيه عن أصحابه ، خوفًا منهم ، ولا يدري أنهم مثله ، حتى قال أحدهم : تعلمون - والله يا قوم - إنه ما أخرجكم من قومكم وأفردكم عنهم ، إلا شيء فليظهر كل واحد منكم بأمره. فقال آخر : أما أنا فإني والله رأيت ما قومي عليه ، فعرفت أنه باطل ، وإنما الذي يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به شيء هو الله الذي خلق كل شيء : السموات والأرض وما بينهما. وقال الآخر : وأنا والله وقع لي كذلك. وقال الآخر كذلك ، حتى توافقوا كلهم على كلمة واحدة ، فصاروا يدًا واحدة وإخوان صدق ، فاتخذوا لهم معبدًا يعبدون الله فيه ، فعرف بهم قومهم ، فوشوا بأمرهم إلى ملكهم ، فاستحضرهم بين يديه فسألهم عن أمرهم وما هم عليه فأجابوه بالحق ، ودعوه إلى الله عز وجل ؛ ولهذا أخبر تعالى عنهم بقوله : { وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا }"[2].

قوله تعالى:{لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا} [الكهف : ١٤]، أي:" لو قلنا غير هذا لكُنَّا قد قلنا قولا جائرًا بعيدًا عن الحق"[3].

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه: لئن دعونا إلها غير إله السموات والأرض، لقد قلنا إذن بدعائنا غيره إلها، شططا من القول: يعني غاليا من الكذب، مجاوزا مقداره في البطول والغلوّ"[4].

وفي قوله تعالى:{شَطَطًا} [الكهف : ١٤]، وجوه:

أحدها : كذباً ، قاله قتادة[5].

قال القاسم بن سلام:" {شططا}: كذبا بلغة خثعم"[6].

الثاني : خطأ. و«الشطط:»: الخطأ من القول. قاله ابن زيد[7].

الثالث : جوراً ، قاله الضحاك[8]، والسدي[9]، ومقاتل[10]، والزجاج[11]، ومن ذلك قوله تعالى: {فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ} [ص : ٢٢]، وقوله تعالى: {وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا} [الجن : ٤].

وقال يحيى بن سلام:" جورا، أي: كذبا"[1].

---

[1] صحيح البخاري برقم (٣٣٣٦)، ومسلم برقم (٢٦٣٨)

[2] تفسير ابن كثير:١٤٠/٥-١٤١.[بتصرف بسيط]

[3] التفسير الميسر:٢٩٤/١.

[4] تفسير الطبري:٦١٦/١٧.

[5] انظر: تفسير الطبري:٦١٦/١٧.

[6] لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم:٨.

[7] انظر: تفسير الطبري:٦١٦/١٧.

[8] حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون:٢٨٨/٣.

[9] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٢٧):ص٢٣٥١/٧.

[10] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٧٧/٢.

[11] انظر: معاني القرآن:٢٧١/٣.

الرابع: غلوّاً ، يقال: قد أشط علي: إذا غلا في القول. قاله ابن قتيبة[٢].
الخامس: جورا وغلوّا. قاله أبو عبيدة، وأنشد قول الشاعر[٣]:
ألا يا لقوم قد أشطّت عواذلى ... ويزعمن أن أودى بحقي باطلى
ويلحيننى فى اللهو أن لا أحبّه ... وللهو داع دائب غير غافل.
وقال ابن قتيبة:" أي: غلوا في الكذب والجور"[٤].
الفوائد:
١- فضيلة الجرأة في الحق والتصريح به ولو أدى إلى القتل أو الضرب أو السجن.
٢- تقرير التوحيد وأنه لا إله إلا الله على لسان أصحاب الكهف.
٣- إن الشرك بالله شطط من القول وكذب وافتراء وبهتان عظيم.

القرآن
{هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (١٥)} [الكهف : ١٥]
التفسير:
ثم قال بعضهم لبعض: هؤلاء قومنا اتخذوا لهم آلهة غير الله، فهلا أتَوْا على عبادتهم لها بدليل واضح، فلا أحد أشد ظلمًا ممن اختلق على الله الكذب بنسبة الشريك إليه في عبادته.
قوله تعالى:{هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً} [الكهف : ١٥]، أي:" هؤلاء أهل بلدنا عبدوا الأصنام تقليداً من غير حجة"[٥].
قوله تعالى:{لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ} [الكهف : ١٥]، أي:" هلاّ يأتون على عبادتهم لها ببرهان ظاهر"[٦].
قوله تعالى:{فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا} [الكهف : ١٥]، أي:" لا أحد أظلم ممن كذب على الله بنسبة الشريك إليه تعالى"[٧].
الفوائد:
١- بطلان عبادة غير الله لعدم وجود دليل عقلي أو نقلي عليها.
٢- الشرك ظلم وكذب والمشرك ظالم مفتر كاذب.

القرآن
{وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا (١٦)} [الكهف : ١٦]
التفسير:
وحين فارقتم قومكم بدينكم، وتركتم ما يعبدون من الآلهة إلا عبادة الله، فالجؤوا إلى الكهف في الجبل لعبادة ربكم وحده، يَبْسطْ لكم ربكم من رحمته ما يستركم به في الدارين، ويسهل لكم من أمركم ما تنتفعون به في حياتكم من أسباب العيش.
قوله تعالى:{وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ} [الكهف : ١٦]، أي:" وإذْ اعتزلتم أيها الفتية قومكم وما يعبدون من الأوثان غير الله تعالى"[١].

---
[١] تفسير يحيى بن سلام:١/١٧٤.
[٢] انظر: غريب القرآن:٢٦٤.
[٣]البيتان للأحوص وقد مر تخريج الثاني وأما الأول فهو فى الكامل: ٤٩ وتفسير الطبري ١٧/ ٦١٦، واللسان والتاج (شطط)، وشواهد الكشاف ٢١٧.
[٤] تاويل مشكل القرآن:٢٤١.
[٥] صفوة التفاسير:٢/١٧٠.
[٦] صفوة التفاسير:٢/١٧٠.
[٧] صفوة التفاسير:٢/١٧٠.

قال الطبري:" يقول: وإذا اعتزلتم قومكم الذين يعبدون من الآلهة سوى الله"[٢].
قال النحاس:" هذا قول بعض الفتية لبعض، أي: اذكروا إذا اعتزلتموهم"[٣].
قال البغوي:" قالوا ذلك لأن قومهم كانوا يعبدون الأوثان"[٤].
قال عطاء الخراساني:" كان قوم الفتية يعبدون الله ويعبدون معه آلهة شتى، فاعتزلت الفتية عبادة تلك الآلهة ولم تعتزل عبادة الله"[٥].
قال قتادة:" هي في مصحف عبد الله: «ومَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله» هذا تفسيرها"[٦].
قوله تعالى:{فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ} [الكهف : ١٦]، أي:" فالجؤوا إلى الكهف في الجبل لعبادة ربكم وحده "[٧].
قال الطبري:" فصيروا إلى غار الجبل الذي يسمى بنجلوس"[٨].
قال مجاهد:" كان كهفهم بين جبلين"[٩].
قوله تعالى:{يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ} [الكهف : ١٦]، أي:" يَبْسطْ لكم ربكم من رحمته ما يستركم به في الدارين"[١٠].
قال الطبري:" يقول: يبسط لكم ربكم من رحمته بتيسيره لكم المخرج من الأمر الذي قد رُمِيتم به من الكافر دقينوس وطلبه إياكم لعرضكم على الفتنة"[١١].
قوله تعالى:{وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا} [الكهف : ١٦]، أي:" ويسهل لكم من أمركم ما تنتفعون به في حياتكم من أسباب العيش"[١٢].
قال مقاتل:" يعنى ما يرفق بكم فهيأ الله لهم الرقود في الغار"[١٣].
وعن السدي قوله: "{ويهيئ لكم من امركم مرفقا}، يقول: غذاء"[١٤].
قال الطبري:" يقول: وييسر لكم من أمركم الذي أنتم فيه من الغمِّ والكرب خوفا منكم على أنفسكم ودينكم مرفقا، ويعني بالمرفق: ما ترتفقون به من شيء"[١٥].
قال السعدي:" فجمعوا بين التبري من حولهم وقوتهم، والالتجاء إلى الله في صلاح أمرهم، ودعائه بذلك، وبين الثقة بالله أنه سيفعل ذلك، لا جرم أن الله نشر لهم من رحمته، وهيأ لهم من أمرهم مرفقا، فحفظ أديانهم وأبدانهم، وجعلهم من آياته على خلقه، ونشر لهم من الثناء الحسن، ما هو من رحمته بهم، ويسر لهم كل سبب، حتى المحل الذي ناموا فيه، كان على غاية ما يمكن من الصيانة"[١٦].
قرأ نافع وابن عامر {مرفقا} بفتح الميم وكسر الفاء، والباقون بكسر الميم وفتح الفاء[١٧].
الفوائد:

---

[١] صفوة التفاسير:١٧٠/٢.
[٢] تفسير الطبري:٦١٧/١٧.
[٣] إعراب القرآن:٢٩٠/٢.[بتصرف]
[٤] تفسير البغوي:١٥٦/٥.
[٥] أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٧٢٩):ص٢٣٥١/٧.
[٦] أخرجه الطبري:٦١٧/١٧.
[٧] التفسير: الميسر:٢٩٥.
[٨] تفسير الطبري:٦١٧/١٧.
[٩] اخرجه ابن ابي حاتم(١٢٧٣١):ص٢٣٥١/٧.
[١٠] التفسير: الميسر:٢٩٥.
[١١] تفسير الطبري:٦١٧/١٧.
[١٢] التفسير: الميسر:٢٩٥.
[١٣] تفسير مقاتل بن سليمان:٥٧٧/٢.
[١٤] أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٧٣٢):ص٢٣٥١/٧.
[١٥] تفسير الطبري:٦١٨/١٧.
[١٦] تفسير السعدي:٤٧٢.
[١٧] انظر: التيسير في القراءات السبع:١٤٢.

١- بيان فضل الهجرة في سبيل الله.
٢- أن أصحاب الكهف مع كونهم أولياء الله لم يكن في قدرتهم أن يدفعوا عن أنفسهم الأعداء؛ فاضطروا للفرار والهجرة حتى لجأوا إلى الغار فارين بدينهم، فلو كانوا يملكون النفع والضر والتصرف في الكون- لما لجؤوا إلى الفرار والدخول في الغار.
٣- فضيلة الالتجاء إلى الله تعالى وطلب حمايته لعبده وكفاية الله من لجأ إليه في صدق، فإن هؤلاء الصالحين أصحاب الكهف قد تركوا الأهل والولد والوطن والعشيرة حين علموا أنه لا طاقة لهم بمواجهة ومجابهة قومهم فنجوا بأنفسهم إلى ذلك الكهف الذي تجلت فيه معجزة عظيمة يسوقها الله لنا عبرة وعظة في حفظه لعباده الصالحين.

لقد كان موقف هؤلاء الفتية صريحاً وواضحاً وحاسماً. وحين تتباين الطريقان ويختلف المنهجان لا يعود هناك سبيل إلى الالتقاء ولا للمشاركة في الحياة. بل لا بد من الفرار بالعقيدة.

انهم ليسوا رسلاً إلى قومهم فيواجهوا بالعقيدة الصحيحة ويدعوهم إليها، ويتلقوا ما يتلقاه الرسل، إنما هم فتية تبين لهم الهدى في وسط ظالم كافر، ولا حياة لهم في هذا الوسط إن هم أعلنوا عقيدتهم وجاهروا بها. وهم أيضاً لا يطيقون مداراة قومهم، وعبادة آلهتهم على سبيل التقية وإخفاء عبادتهم لله.

على أن الأرجح أن أمرهم قد كشف فلا بد من الفرار بدينهم إلى الله، وقد فروا إلى كهف خشن ضيق، مؤثرين له على كل زينة من زينة الحياة الدنيا.

إنهم يستروحون رحمة الله ويحسونها ظليلة فسيحة ممتدة {ينشر لكم ربكم من رحمته} ولفظه {ينشر} تلقي ظلال السعة والبحبوحة والانفساح فإذا الكهف فضاء فسيح رحيب، تنتشر فيه الرحمة وتتسع خيوطها.

إنه الإيمان! وما قيمة الظواهر؟ وما قيمة القيم والأوضاع والمدلولات التي تعارف عليها الناس في حياتهم الأرضية؟

إن هناك عالماً آخر في جنبات القلب المعمور بالإيمان، المأنوس بالرحمن عالماً تظلله الرحمة والرفق والاطمئنان والرضوان[١].

القرآن

{وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا (١٧)} [الكهف : ١٧]

التفسير:

فلما فعلوا ذلك ألقى الله عليهم النوم وحَفِظهم. وترى -أيها المشاهد لهم- الشمس إذا طلعت من المشرق تميل عن مكانهم إلى جهة اليمين، وإذا غربت تتركهم إلى جهة اليسار، وهم في متسع من الكهف، فلا تؤذيهم حرارة الشمس ولا ينقطع عنهم الهواء، ذلك الذي فعلناه بهؤلاء الفتية من دلائل قدرة الله. من يوفقه الله للاهتداء بآياته فهو الموفَّق إلى الحق، ومن لم يوفقه لذلك فلن تجد له معينًا يرشده لإصابة الحق؛ لأن التوفيق والخِذْلان بيد الله وحده.

قوله تعالى:{وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ} [الكهف : ١٧]، أي:" وترى -أيها المشاهد لهم- الشمس إذا طلعت من المشرق تميل عن مكانهم إلى جهة اليمين"[٢].

قال مقاتل:" يعني: تميل عن كهفهم فتدعهم ذات اليمين"[٣].

---

[١] انظر: في ظلال القرآن:٢٢٦٢/٤. [بتصرف بسيط]
[٢] التفسير: الميسر:٢٩٥.
[٣] تفسير مقاتل بن سليمان:٥٧٧/٢.

قال الطبري: معناه: " وترى الشمس إذا طلعت تعدل عن كهفهم، فتطلع عليه من ذات اليمين، لئلا تصيب الفتية، لأنها لو طلعت عليهم قبالهم لأحرقتهم وثيابهم، أو أشحبتهم"[1].

قال السعدي:" أي: حفظهم الله من الشمس فيسر لهم غارا إذا طلعت الشمس تميل عنه يمينا"[2].

قوله تعالى:{وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ} [الكهف : ١٧]، أي:" وإذا غربت تتركهم إلى جهة اليسار"[3].

قال ابن عباس:" يقول: تذرهم"[4].

قال سعيد بن جبير ومجاهد:"تتركهم ذات الشمال"[5].

قال قتادة:" تدعهم ذات الشمال"[6].

قال مقاتل:" يعني: تدعهم ذات الشمال"[7].

قال الطبري: أي:"وإذا غربت تتركهم بذات الشمال، فلا تصيبهم"[8].

قال السعدي:" وعند غروبها تميل عنه شمالا، فلا ينالهم حرها فتفسد أبدانهم بها"[9].

وفي قوله تعالى:{وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ} [الكهف : ١٧]، وجوه:

أحدها : معنى:«تقرضهم»، تحاذيهم، و«القرض» المحاذاة ، حكاه الماوردي عن الكسائي والفراء[10].

الثاني : معناه: تخلّفهم شمالا وتجاورهم وتقطعهم وتتركهم عن شمالها، يقال: هل مررت بمكان كذا وكذا، فيقول المسئول: قرضته ذات اليمين ليلا . وهذا قول أبو عبيدة[11]، وأنشد قول ذي الرّمّة[12]:

إلى ظُعْن يَقْرِضْنَ أجْوَاز مُشْرِفٍ ... شِمالا وعن أيمانِهنَّ الفوارِسُ

وقال ابن قتيبة:" تعدل عنهم وتجاوزهم"[13].

الثالث : معناه: تعطيهم اليسير من شعاعها ثم تأخذه بانصرافها ، مأخوذ من قرض الدراهم التي ترد لأنهم كانوا في مكان موحش ، وقيل لأنه لم يكن عليهم سقف يظلهم ولو طلعت عليهم لأحرقتهم[14].

قال الراغب:" «القرض»: ضرب من القطع، وسمي «قطع المكان وتجاوزه» قرضا، كما سمي:قطعا. قال: {وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال}[الكهف: ١٧] ، أي: تجوزهم وتدعهم إلى أحد الجانبين، وسمي ما يدفع إلى الإنسان من المال بشرط رد بدله قرضا، قال: {من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا} [البقرة: ٢٤٥] ، وسمي المفاوضة في الشعر مقارضة، والقريض للشعر، مستعار استعارة النسج والحوك"[15].

---

[1] تفسير الطبري:٦٢١/١٧.

[2] تفسير السعدي:٤٧٢.

[3] التفسير: الميسر:٢٩٥.

[4] أخرجه الطبري:٦٢١/١٧.

[5]انظر: قول سعيد بن جبير في تفسير الطبري:٦٢٢/١٧، وقول مجاهد في تفسير مجاهد:٤٤٦

[6] اخرجه عبدالرزاق في تفسيره(١٦٦١):ص٣٢٨/٢.

[7] تفسير مقاتل بن سليمان:٥٧٧/٢-٥٧٨.

[8] تفسير الطبري:٦٢١/١٧.

[9] تفسير السعدي:٤٧٢.

[10] انظر: النكت والعيون:٢٩٠/٣.

[11] مجاز القرآن:٣٩٦/١.

[12]ديوانه ٣١٣، وتفسير الطبري:٦٢١/١٧، وتفسير القرطبي: ١٠/ ٣٥٠، والصحاح واللسان والتاج (قرض) ومعجم البلدان ٤/ ٥٣٨.

[13] غريب القرآن:٢٦٤.

[14] انظر: النكت والعيون:٢٩٠/٣.

[15] المفردات:٦٦٦.

قوله تعالى:{وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ} [الكهف : ١٧]، أي:" وهم في متسع من الكهف، فلا تؤذيهم حرارة الشمس ولا ينقطع عنهم الهواء"[١].

قال الطبري:" يقول: والفتية الذين أووا إليه في متسع منه يُجْمَع: فَجَوات، وفِجَاء ممدودا"[٢].

قال السعدي:" أي: من الكهف، أي: مكان متسع، وذلك ليطرقهم الهواء والنسيم، ويزول عنهم الوخم والتأذي بالمكان الضيق، خصوصا مع طول المكث"[٣].

وفي قوله تعالى:{وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ} [الكهف : ١٧]، وجوه من التفسير:

أحدها : يعني: في فضاء من الكهف ، قاله قتادة[٤].

الثاني : داخل منه ، قاله سعيد بن جبير[٥].

وروي عن مجاهد :"{وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ}، قال: المكان الذاهب"[٦].

الثالث : أنه المكان الموحش. حكاه الماوردي[٧].

الرابع : يعني: في زاوية من الكهف. قاله مقاتل[٨].

وقال سعيد بن جبير:"يعني بالفجوة: الخلوة من الأرض. ويعني بالخلوة: الناحية من الأرض"[٩].

الخامس: أنه ناحية متسعة ، قاله الفراء[١٠]، وأبو عبيدة[١١]، ومنه قول الشاعر[١٢]:

ونحن ملأنا كلَّ وادٍ وفجوةٍ ... رجالاً وخيلاً غير ميلٍ ولا عُزْلِ

قوله تعالى:{ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ} [الكهف : ١٧]، أي:" ذلك الذي فعلناه بهؤلاء الفتية من دلائل قدرة الله"[١٣].

قال السعدي:" وذلك من آيات الله الدالة على قدرته ورحمته بهم، وإجابة دعائهم وهدايتهم حتى في هذه الأمور"[١٤].

قال الطبري:" يقول عز ذكره: فعلنا هذا الذي فعلنا بهؤلاء الفتية الذين قصصنا عليكم أمرهم من تصييرناهم، إذ أردنا أن نضرب على آذانهم بحيث تزاور الشمس عن مضاجعهم ذات اليمين إذا هي طلعت، وتقرضهم ذات الشمال إذا هي غَرَبت، مع كونهم في المتسع من المكان، بحيث لا تحرْقهم الشمس فتُشحبهم، ولا تبلى على طول رقدتهم ثيابهم، فتعفَّن على أجسادهم، من حجج الله وأدلته على خلقه، والأدلة التي يستدل بها أولو الألباب على عظيم قدرته وسلطانه، وأنه لا يعجزه شيء أراده"[١٥].

قال ابن كثير:" حيث أرشدهم تعالى إلى هذا الغار الذي جعلهم فيه أحياء ، والشمس والريح تدخل عليهم فيه لتبقى أبدانهم"[١٦].

---

[١] التفسير: الميسر:٢٩٥.
[٢] تفسير الطبري:٦٢٢/١٧.
[٣] تفسير السعدي:٤٧٢.
[٤]انظر: تفسير الطبري:٦٢٢/١٧.
[٥]انظر: تفسير الطبري:٦٢٢/١٧.
[٦]انظر: تفسير الطبري:٦٢٢/١٧.
[٧] انظر: النكت والعيون:٢٩١/٣.
[٨] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٧٨/٢.
[٩] أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٧٣٤):ص٢٣٥٢/٧.
[١٠] انظر: معاني القرآن:١٣٧/٢.
[١١] انظر: مجاز القرآن:٣٩٦/١.
[١٢] انظر: النكت والعيون:٢٩١/٣، وتفسير القرطبي:٣٦٩/١٠.
[١٣] التفسير: الميسر:٢٩٥.
[١٤] تفسير السعدي:٤٧٢.
[١٥] تفسير الطبري:٦٢٣/١٧.
[١٦] تفسير ابن كثير:١٤٣/٥.

قوله تعالى:{مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ} [الكهف : ١٧]، أي:" من يوفقه الله للاهتداء بآياته فهو الموفَّق إلى الحق"[١].

قال الطبري:" يقول عزّ وجلّ: من يوفقه الله للاهتداء بآياته وحججه إلى الحق التي جعلها أدلة عليه، فهو المهتدي: يقول: فهو الذي قد أصاب سبيل الحقّ"[٢].

قال السعدي:" أي: لا سبيل إلى نيل الهداية إلا من الله، فهو الهادي المرشد لمصالح الدارين"[٣].

قوله تعالى:{وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا} [الكهف : ١٧]، أي:" ومن لم يوفقه لذلك فلن تجد له معينًا يرشده لإصابة الحق"[٤].

قال الطبري:" يقول: ومن أضله الله عن آياته وأدلته، فلم يوفقه للاستدلال بها على سبيل الرشاد، فلن تجد له يا محمد خليلا وحليفا يرشده لإصابتها، لأن التوفيق والخِذْلان بيد الله، يوفق من يشاء من عباده، ويخذل من أراد، يقول: فلا يَحْزُنْك إدبار من أدبر عنك من قومك وتكذيبهم إياك، فإني لو شئت هديتهم فآمنوا، وبيدي الهداية والضلال"[٥].

قال السعدي:" أي: لا تجد من يتولاه ويدبره، على ما فيه صلاحه، ولا يرشده إلى الخير والفلاح، لأن الله قد حكم عليه بالضلال، ولا راد لحكمه"[٦].

قال ابن قتيبة:" قد قال قوم بقصور العلم وسوء النظر في قوله تعالى: {وَتَرَى الشَّمْسَ إِذا طَلَعَتْ تَتَزاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذاتَ الْيَمِينِ وَإِذا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذاتَ الشِّمالِ} [الكهف: ١٧] : وما في هذا الكلام من الفائدة؟.

وما في الشمس إذا مالت بالغداة والعشيّ عن الكهف من الخبر؟.

ونحن نقول: وأيّ شيء أولى بأن يكون فائدة من هذا الخبر؟

وأيّ معنى ألطف مما أودع الله هذا الكلام؟.

وإنما أراد عز وجل: أن يعرّفنا لطفه للفتية، وحفظه إياهم في المهجع، واختياره لهم أصلح المواضع للرّقود، فأعلمنا أنه بوّأهم كهفا في مقنأة الجبل[٧]، مستقبلا بنات نعش، فالشمس تزورّ عنه وتستدبره: طالعة، وجارية، وغاربة. ولا تدخل عليهم فتؤذيهم بحرّها وتلفحهم بسمومها، وتغيّر ألوانهم، وتبلي ثيابهم. وأنهم كانوا في فجوة من الكهف- أي متّسع منه- ينالهم فيه نسيم الريح وبردها، وينفي عنهم غمّة الغار وكربه"[٨].

الفوائد:

١- بيان لطف الله تعالى بأوليائه بإكرامهم في هجرتهم إليه.
٢- تقرير أن الهداية بيد الله فالمهتدي من هداه الله والضال من أضله الله ولازم ذلك طلب الهداية من الله، والتعوذ به من الضلال لأنه مالك ذلك.

القرآن

{وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا (١٨)} [الكهف : ١٨]

التفسير:

---

[١] التفسير: الميسر:٢٩٥.
[٢] تفسير الطبري:٦٢٣/١٧.
[٣] تفسير السعدي:٤٧٢.
[٤] التفسير: الميسر:٢٩٥.
[٥] تفسير الطبري:٦٢٣/١٧.
[٦] تفسير السعدي:٤٧٢.
[٧]مقنأة الجبل: الموضع الذي لا تصيبه الشمس.
[٨] تأويل مشكل القرآن:١٤-١٥.

وتظن -أيها الناظر- أهل الكهف أيقاظًا، وهم في الواقع نيام، ونتعهدهم بالرعاية، فنُقَلِّبهم حال نومهم مرة للجنب الأيمن ومرة للجنب الأيسر؛ لئلا تأكلهم الأرض، وكلبهم الذي صاحَبهم مادٌّ ذراعيه بفناء الكهف، لو عاينتهم لأدبرت عنهم هاربًا، ولَمُلِئَتْ نفسك منهم فزعًا.

قوله تعالى:{وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ} [الكهف : ١٨]، أي:" وتظن -أيها الناظر- أهل الكهف أيقاظًا، وهم في الواقع نيام"[١].

عن قتادة :"{وتحسبهم} يا محمد {أيقاظا وهم رقود}"[٢].

قال مكي:" أي: تظنهم يا محمد لو رأيتهم أيقاظاً، أي: أعينهم مفتوحة فتظنهم لذلك منتبهين"[٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وتحسب يا محمد هؤلاء الفتية الذين قصصنا عليك قصتهم، لو رأيتهم في حال ضربنا على آذانهم في كهفهم الذي أووا إليه أيقاظا. والأيقاظ: جمع يَقِظ، ومنه قول الراجز[٤]:

وَوَجدُوا إخْوَتهُمْ أيْقاظا ... وسَيْفَ غَيَّاظٍ لَهُمْ غَيَّاظا "[٥].

وفيما تحسبهم من أجله أيقاظاً وهم رقود قولان:

أحدهما : لانفتاح أعينهم.

قال يحي بن سلام:" مفتحة أعينهم وهم موتى"[٦].

الثاني : لتقليبهم ذات اليمين وذات الشمال[٧].

قال السعدي:" : تحسبهم أيها الناظر إليهم كأنهم أيقاظ، والحال أنهم نيام، قال المفسرون: وذلك لأن أعينهم منفتحة، لئلا تفسد، فالناظر إليهم يحسبهم أيقاظا، وهم رقود"[٨].

قوله تعالى:{وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ} [الكهف : ١٨]، أي:" ونُقَلِّبهم حال نومهم مرة للجنب الأيمن ومرة للجنب الأيسر؛ لئلا تأكلهم الأرض"[٩].

قال السعدي:" وهذا أيضا من حفظه لأبدانهم، لأن الأرض من طبيعتها، أكل الأجسام المتصلة بها، فكان من قدر الله، أن قلبهم على جنوبهم يمينا وشمالا بقدر ما لا تفسد الأرض أجسامهم، والله تعالى قادر على حفظهم من الأرض، من غير تقليب، ولكنه تعالى حكيم، أراد أن تجري سنته في الكون، ويربط الأسباب بمسبباتها"[١٠].

قال مكي:" أي: نقلبهم في حال رقادهم مرة للجنب اليمين ومرة للجنب الأيسر"[١١].

قال ابن عباس:" ستة أشهر على ذي الجنب، وستة أشهر على ذي الجنب"[١٢].

قال ابن عياض:" في كل عام مرتين"[١٣].

---

[١] التفسير: الميسر:٢٩٥.

[٢] أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٧٣٥):ص٢٣٥٢/٧.

[٣] الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٣٤٤/٦.

[٤]البيتان (في ديوان العجاج الراجز، في الملحق بديوانه ص ٨١ - ٨٢) من أرجوزة عدتها ١٩ بيتا. ورقما البيتين فيها هما ٨، ١٦. وهما من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن ١: ٣٩٧) قال " وتحسبهم أيقاظا ": واحدهم يقظ. ورجال أيقاظ؛ وكذلك جمع يقظان: أيقاظ، يذهبون به إلى جمع يقظ.
وقال رؤبة: " ووجدوا ... البيتين" وقد نسبهما لرؤبة، وهما في ديوان العجاج. وقد تداخلت أشعارهما على الرواة واللغويين. وغياظ: اسم رجل.

[٥] تفسير الطبري:٦٢٣/١٧.

[٦] تفسير يحيى بن سلام:١٧٥/١.

[٧] انظر: بحر العلوم:٣٤١/٢، والنكت والعيون:٢٩٢/٣.

[٨] تفسير السعدي:٤٧٢.

[٩] التفسير: الميسر:٢٩٥.

[١٠] تفسير السعدي:٤٧٢.

[١١] الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٣٤٤/٦.

[١٢] تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٣٨):ص٢٣٥٢/٧.

[١٣] تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٣٩):ص٢٣٥٢/٧.

عن مجاهد: "{ونقلبهم}، قال: في التسع سنين ليس فيما سواه"[١].

قوله تعالى:{وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ} [الكهف : ١٨]، أي:" وكلبهم الذي صاحَبهم مادٌّ ذراعيه بفناء الكهف"[٢].

قال السعدي:" أي: الكلب الذي كان مع أصحاب الكهف، أصابه ما أصابهم من النوم وقت حراسته، فكان باسطا ذراعيه بالوصيد، أي: الباب، أو فنائه، هذا حفظهم من الأرض. وأما حفظهم من الآدميين"[٣].

قال مقاتل:" كان الكلب لمكسلمينا، وكان راعي غنم، فبسط الكلب ذراعيه على باب الكهف ليحرسهم وأنام الله- عز وجل- الكلب في تلك السنين كما أنام الفتية"[٤].

عن عبد الله بن حميد المكي قوله: "{وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد}، قال: جعل رزقه في لحس ذراعيه"[٥].

وفي «كلبهم»، قولان:

أحدهما : أنه كلب من الكلاب كان معهم ، وهو قول الجمهور[٦].

قال مجاهد:" اسم كلبهم قطمور"[٧].

قال الحسن:" اسم كلب أصحاب الكهف، قطمير"[٨].

قال ابن جريج:" قلت لرجل من اهل العلم: زعموا إن كلبهم كان أسدا، قال: لعمر الله ما كان أسدا، ولكنه كان كلبا أحمر خرجوا به من بيوتهم يقال له، قطمور"[٩].

وقيل: "إن اسمه كان حمران"[١٠].

أخرج ابن ابي حاتم من طريق سفيان قال: "قال رجل بالكوفة يقال له: عبيد، وكان لا يتهم بكذب، قال: رأيت كلب أصحاب الكهف أحمر كأنه كساء انبجاني"[١١].

الثاني : أنه إنسان من الناس كان طباخاً لهم تبعهم، وقيل: بل كان راعياً. حكاه الطبري[١٢].

وفي «الوصيد»، أقوال:

أحدها : أنه العتبة[١٣].

الثاني : أنه الفناء. قاله ابن عباس[١٤]، وسعيد بن جبير[١٥]، ومجاهد[١٦]، وقتادة[١٧]، والضحاك[١٨]، وبه قال الفراء[١٩].

وقال مقاتل:" يعني: الفضاء الذي على باب الكهف"[٢٠].

---

(١) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٤٠):ص٢٣٥٢/٧.
(٢) التفسير: الميسر:٢٩٥.
(٣) تفسير السعدي:٤٧٢.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٧٨/٢.
(٥) اخرجه ابن ابي حاتم(١٢٧٤٤):ص٢٣٥٣/٧.
(٦) انظر: تفسير الطبري:٦٢٤/١٧، والنكت والعيون:٢٩٢/٣.
(٧) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٤١):ص٢٣٥٢/٧.
(٨) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٤٢):ص٢٣٥٢/٧.
(٩) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٤٣):ص٢٣٥٢/٧.
(١٠) انظر: النكت والعيون:٢٩٢/٣.
(١١) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٤٣):ص٢٣٥٢/٧. هكذا الترقيم بالمطبوع! وانظر: الدر ٥/ ٣٧٣- ٣٧٤.
(١٢) انظر: تفسير الطبري:٦٢٤/١٧.
(١٣) انظر: النكت والعيون:٢٩٢/٣.
(١٤) انظر: تفسير الطبري:٦٢٤/١٧.
(١٥) انظر: تفسير الطبري:٦٢٤/١٧.
(١٦) انظر: تفسير مجاهد:٤٤٦.
(١٧) انظر: تفسير الطبري:٦٢٥/١٧.
(١٨) انظر: تفسير الطبري:٦٢٥/١٧.
(١٩) انظر: معاني القرآن:١٣٧/٢.
(٢٠) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٧٨/٢.

قال ابن جريج:" يمسك باب الكهف"[1].
وقال عطية:" بفناء باب الكهف"[2].
قال القاسم بن سلام:" {بالوصيد}: بالفناء بلغة مذحج"[3].
الثالث : أنه الحظير ، حكاه اليزيدي[4].
الرابع : أن «الوصيد»: الصعيد التراب ، قاله ابن عباس أيضا[5]، سعيد بن جبير[6]، وعمرو[7].
وعمرو[7].
الخامس : أنه الباب ، قاله ابن عباس في رواية عكرمة[8]، ومنه قول الشاعر[9]:
بأرض فضاءَ لا يُسَدُّ وَصيدها ... عليَّ ومعروفي بها غيرُ مُنْكَرِ
السادس: على الباب وبفناء الباب جميعا، لأن الباب يوصد، أي: يغلق. قاله أبو عبيدة[10].
قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: الوصيد: الباب، أو فناء الباب حيث يغلق الباب، وذلك أن الباب يُوصَد، وإيصاده: إطباقه وإغلاقه من قول الله عز وجل: {إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ} وفيه لغتان: الأصيد، وهي لغة أهل نجد، والوصيد: وهي لغة أهل تهامة وذُكِر عن أبي عمرو بن العلاء، قال: إنها لغة أهل اليمن، وذلك نظير قولهم: ورّخت الكتاب وأرخته، ووكدت الأمر وأكدته، فمن قال الوصيد، قال: أوصدت الباب فأنا أُوصِده، وهو مُوصَد، ومن قال الأصيد، قال: آصدت الباب فهو مُؤْصَد، فكان معنى الكلام: وكلبهم باسط ذراعيه بفناء كهفهم عند الباب، يحفظ عليهم بابه"[11].
قوله تعالى:{لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا} [الكهف : ١٨]، أي:" لو عاينتهم لأدبرت عنهم هاربًا، ولَمُلِئَتْ نفسك منهم فزعًا"[12].
قال الطبري:" يقول: لو اطلعت عليهم في رقدتهم التي رقدوها في كهفهم، لأدبرت عنهم هاربا منهم فارّا ولملئت نفسُك من اطلاعك عليهم فَزَعا، لما كان الله ألبسهم من الهيبة، كي لا يصل إليهم واصل، ولا تلمِسهم يد لامس حتى يبلغ الكتاب فيهم أجله، وتوقظهم من رقدتهم قدرته وسلطانه في الوقت الذي أراد أن يجعلهم عبرة لمن شاء من خلقه، وآية لمن أراد الاحتجاج بهم عليه من عباده، ليعلموا أن وعد الله حق، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها"[13].
قال سهل بن عبدالله:" يعني: لو اطلعت عليهم بنفسك لوليت منهم فرارا، ولو اطلعت عليهم بالحق لوقفت على حقائق الوحدانية فيهم منه"[14].
وفي قوله تعالى:{لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا} [الكهف : ١٨]، وجهان[15]:
أحدهما : لطول أظفارهم وشعورهم يأخذه الرعب منهم فزعاً .

---

[1] أخرجه الطبري:٦٢٥/١٧.
[2] تفسير ابن أبي حاتم(١٢٧٤٦):ص٢٣٥٣/٧.
[3] لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم:٨.
[4] انظر: النكت والعيون:٢٩٢/٣.
[5] انظر: تفسير الطبري:٦٢٥/١٧.
[6] انظر: تفسير الطبري:٦٢٥/١٧.
[7] انظر: تفسير الطبري:٦٢٥/١٧.
[8] انظر: تفسير الطبري:٦٢٥/١٧.
[9] البيت لعبيد بن وهب العبسي، كما في سيرة ابن هشام: ٣٢٦/١ وهو غير منسوب في النكت والعيون: ٢٩٢/٣، وتفسير القرطبي: ٣٥١/١٠، ٣٧٣ والبحر المحيط ٩٣/٦.
[10] انظر: مجاز القرآن:٣٩٧/١.
[11] تفسير الطبري:٦٢٥/١٧-٦٢٦.
[12] التفسير: الميسر:٢٩٥.
[13] تفسير الطبري:٦٢٦/١٧.
[14] تفسير التستري:٩٧.
[15] انظر: النكت والعيون:٢٩٢/٣-٢٩٣.

الثاني : لما ألبسهم الله تعالى من الهيبة التي ترد عنهم الأبصار لئلا يصل إليهم أحد حتى يبلغ الكتاب فيهم أجله.

قال السعدي:" أخبر أنه حماهم بالرعب، الذي نشره الله عليهم، فلو اطلع عليهم أحد، لامتلأ قلبه رعبا، وولى منهم فرارا، وهذا الذي أوجب أن يبقوا كل هذه المدة الطويلة، وهم لم يعثر عليهم أحد، مع قربهم من المدينة جدا، والدليل على قربهم، أنهم لما استيقظوا، أرسلوا أحدهم، يشتري لهم طعاما من المدينة، وبقوا في انتظاره، فدل ذلك على شدة قربهم منها"[١].

قال ابن عباس:"غزونا مع معاوية غزوة المضيق نحو الروم فمررنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف الذي ذكر الله في القرآن، فقال معاوية: لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم! فقال له ابن عباس: ليس ذلك لك، قد منع الله ذلك عمن هو خير منك. فقال: لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا فقال معاوية: لا أنتهي حتي أعلم علمهم. فبعث رجالا فقال: اذهبوا فادخلوا الكهف فانظروا. فذهبوا، فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فأخرجتهم"[٢].

قال الماوردي:" وقيل إن هذه المعجزة من قومهم كانت لنبي قيل إنه كان أحدهم وهو الرئيس الذي اتبعوه وآمنوا به"[٣].

قال شهر بن حوشب:" كان لي صاحب شديد النفس، فمر بجانب كهفهم فقال: لا أنتهي حتى أنظر إليهم، فقيل له: لا تفعل ... أما تقرأ: {لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا}، فأبى إلا إن ينظر، فأشرف عليهم فابيضت عيناه وتغير شعره، وكان يخبر الناس بعد يقول: عدتهم سبعة"[٤].

الفوائد:

١- بيان عجيب تدبير الله تعالى وتصرفه في مخلوقاته فسبحانه من إله عظيم عليم حكيم.

٢- إثبات كرامات الأولياء، والمقصود: إثبات جنس الكرامات؛ لأنه ليس كل ما يذكر يكون ثابتا، ويجب التسليم به، فما يروى ويذكر من كرامات الأولياء منها ما هو ثابت في القرآن أو في السنة أو في أخبار صحيحة، ومنه ما يروى ولم تحقق صحته ولا كذبه؛ فهذا لا يلزم التصديق به، كما لا يجوز نفيه بغير حجة، ومن كرامات الأولياء التي في القرآن ما في قصة مريم وولادتها لعيسى عليه السلام؛ فإن ولادتها لعيسى بلا أب خارق للعادات، ومن كرامات الأولياء التي في القرآن ما جاء في قصة أصحاب الكهف حيث بقوا في كهفهم مدة طويلة، قال تعالى: {وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا} [الكهف: ٢٥] بقوا في كهفهم يقلبهم ربهم: {وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ} [الكهف: ١٨] وعاشوا هذه المدة الطويلة، بلا طعام ولا شراب، وبعد ذلك يستيقظون ويتحدثون ولم يشعروا بما جرى لهم {قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ} [الكهف: ١٩].

٣- استدل بعض من علماء الحنفية بقصة أصحاب الكهف على نفي سماع الموتى، قال الشيخان النيلوي والبنديالي من الحنفية المعاصرة: "إن الله تعالى قد أنام أصحاب الكهف إنامة ثقيلة بحيث إن الأصوات لا تنفذ إلى مسامعهم، وضرب الله على آذانهم حجابا يمنع السماع، فناموا نومة لا توقظهم الأصوات؛ مع أن النائم إذا سمع الصوت ينتبه، ثم هؤلاء قد لبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا، ومع ذلك لم يعرفوا ذلك، فقال بعضهم بالتخمين، والظن: {لبثنا يوما أو بعض يوم }، وقال بعضهم: {ربكم أعلم بما لبثتم}، ولو كانوا يعلمون ذلك لكان كلامهم هذا كذبا محضا، ولكن لما كان كلامهم هذا مبنيا على الظن- لم يكن كذبا.."[٥].

---

[١] تفسير السعدي:٤٧٢.

[٢] أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٧٢١):ص٢٣٤٩/٧-٢٣٥٠.

[٣] النكت والعيون:٢٩٣/٣.

[٤] أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٧٤٨):ص٢٣٥٣/٧.

[٥] انظر: جهود علماء الحنفية:٨٥٤/٢.

القرآن

{وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (١٩)} [الكهف : ١٩]

التفسير:

وكما أنمناهم وحفظناهم هذه المدة الطويلة أيقظناهم مِن نومهم على هيئتهم دون تغيُّر؛ لكي يسأل بعضهم بعضًا: كم من الوقت مكثنا نائمين هنا؟ فقال بعضهم: مكثنا يوما أو بعض يوم، وقال آخرون التبس عليهم الأمر: فَوِّضوا عِلْم ذلك لله، فربكم أعلم بالوقت الذي مكثتموه، فأرسِلوا أحدكم بنقودكم الفضية هذه إلى مدينتنا فلينظر: أيَّ أهل المدينة أحلُّ وأطيب طعامًا؟ فليأتكم بقوت منه، وليتلطف في شرائه مع البائع حتى لا ننكشف، ويظهر أمرنا، ولا يُعْلِمَنَّ بكم أحدًا من الناس.

قوله تعالى:{وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ} [الكهف : ١٩]، أي:" وكما أنمناهم وحفظناهم هذه المدة الطويلة أيقظناهم مِن نومهم على هيئتهم دون تغيُّر؛ لكي يسأل بعضهم بعضًا عن مدة مكثهم وإقامتهم في الغار"[١].

قال ابن كثير:" يقول تعالى : وكما أرقدناهم بعثناهم صحيحة أبدانهم وأشعارهم وأبشارهم ، لم يفقدوا من أحوالهم وهيئاتهم شيئًا ، وذلك بعد ثلاثمائة سنة وتسع سنين"[٢].

قال السعدي:" يقول تعالى: {وكذلك بعثناهم} أي: من نومهم الطويل {ليتساءلوا بينهم} أي: ليتباحثوا للوقوف على الحقيقة من مدة لبثهم"[٣].

قوله تعالى:{قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ} [الكهف : ١٩]، أي:" قال أحدهم: كم مكثنا في هذا الكهف؟"[٤].

قال الطبري:" فتساءلوا فقال قائل منهم لأصحابه: {كَمْ لَبِثْتمْ} وذلك أنهم استنكروا من أنفسهم طول رقدتهم"[٥].

قال ابن كثير:" أي : كم رقدتم ؟"[٦].

قوله تعالى:{قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ} [الكهف : ١٩]، أي:" فقالوا مكثنا فيه يوماً أو بعض يوم"[٧].

قال الطبري:" فأجابه الآخرون فقالوا: لبثنا يوما أو بعض يوم، ظنا منهم أن ذلك كذلك كان"[٨].

قال ابن كثير:" كان دخولهم إلى الكهف في أول نهار ، واستيقاظهم كان في آخر نهار ؛ ولهذا استدركوا فقالوا : { أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ}"[٩].

قوله تعالى:{قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ} [الكهف : ١٩]، أي:" قال بعضهم، الله أعلم بمدة إقامتنا"[١٠].

قال الطبري:" فقال الآخرون: {رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ} فسلِّموا العلم إلى الله"[١١].

---

[١] انظر: التفسير الميسر:٢٩٥، وصفوة التفاسير:١٧١/٢.
[٢] تفسير ابن كثير:١٤٥/٥.
[٣] تفسير السعدي:٤٧٢.
[٤] صفوة التفاسير:١٧١/٢.
[٥] تفسير الطبري:٦٢٧/١٧.
[٦] تفسير ابن كثير:١٤٥/٥.
[٧] صفوة التفاسير:١٧١/٢.
[٨] تفسير الطبري:٦٢٧/١٧.
[٩] تفسير ابن كثير:١٤٥/٥.
[١٠] صفوة التفاسير:١٧١/٢.
[١١] تفسير الطبري:٦٢٧/١٧.

قال ابن كثير:" أي: الله أعلم بأمركم ، وكأنه حصل لهم نوع تَرَدّد في كثرة نومهم ، فالله أعلم "[١].

وفي قوله تعالى:{قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ} [الكهف : ١٩]، ثلاثة أقوال:

أحدهما : أنه حكاية عن الله تعالى أنه أعلم بمدة لبثهم. حكاه الماوردي[٢].

الثاني :أنه قول بعضهم لبعض. قاله الطبري[٣].

الثالث: أنه قول كبيرهم مكسلمينا حين رأى الفتية مختلفين فيه فقال: {ربكم أعلم بما لبثتم}، فنطق بالصواب ورد الأمر إلى الله عالمه، وهذا قول ابن عباس[٤]، ومقاتل[٥].

قال السعدي:" فردوا العلم إلى المحيط علمه بكل شيء، جملة وتفصيلا ولعل الله تعالى -بعد ذلك- أطلعهم على مدة لبثهم، لأنه بعثهم ليتساءلوا بينهم، وأخبر أنهم تساءلوا، وتكلموا بمبلغ ما عندهم، وصار آخر أمرهم، الاشتباه، فلا بد أن يكون قد أخبرهم يقينا، علمنا ذلك من حكمته في بعثهم، وأنه لا يفعل ذلك عبثا. ومن رحمته بمن طلب علم الحقيقة في الأمور المطلوب علمها، وسعى لذلك ما أمكنه، فإن الله يوضح له ذلك، وبما ذكر فيما بعده من قوله. {وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها} فلولا أنه حصل العلم بحالهم، لم يكونوا دليلا على ما ذكر"[٦].

قوله تعالى:{فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ} [الكهف : ١٩]، أي:" فأرسلوا واحداً منكم إلى المدينة بهذه النقود الفضية"[٧].

قال الطبري:" يعني: مدينتهم التي خرجوا منها هِرابا، التي تسمى أفسوس"[٨].

قال ابن كثير:" ثم عدلوا إلى الأهم في أمرهم إذ ذاك وهو احتياجهم إلى الطعام والشراب ، فقالوا : { فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ } أي : فضتكم هذه. وذلك أنهم كانوا قد استصحبوا معهم دراهم من منازلهم لحاجتهم إليها ، فتصدقوا منها وبقي منها ؛ فلهذا قالوا : { فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ } أي : مدينتكم التي خرجتم منها والألف واللام للعهد"[٩].

وقرأ ابو عمر وابو بكر وحمزة :{بورقكم}، باسكان الراء، والباقون بكسرها[١٠].

قوله تعالى:{فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ} [الكهف : ١٩]، أي:" فلينظر: أيَّ أهل المدينة أحلُّ وأطيب طعامًا؟ فليأتكم بقوت منه"[١١].

قال الطبري:" ذكر أنهم هبوا من رقدتهم جِياعا، فلذلك طلبوا الطعام"[١٢].

قال الزجاج:" أي: أيّ أهلها أزكى طعاما"[١٣].

وفي قوله تعالى:{فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا} [الكهف : ١٩]، وجوه:

أحدها : أيها أكثر طعاماً ، وهذا قول عكرمة[١٤]، وأبو عبيدة[١٥]، ومنه قول الشاعر[١٦]:

---

[١] تفسير ابن كثير:١٤٥/٥.
[٢] انظر: النكت والعيون:٢٩٤/٣.
[٣] انظر: تفسير الطبري:٦٢٧/١٧.
[٤] انظر: النكت والعيون:٢٩٤/٣.
[٥] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٧٩/٢.
[٦] تفسير السعدي:٤٧٢.
[٧] صفوة التفاسير:١٧١/٢.
[٨] تفسير الطبري:٦٢٧/١٧.
[٩] تفسير ابن كثير:١٤٥/٥.
[١٠] انظر: التيسير في القراءات السبع:١٤٣.
[١١] التفسير الميسر:٢٩٥.
[١٢] تفسير الطبري:٦٢٧/١٧.
[١٣] معاني القرآن:٢٧٥/٣.
[١٤] انظر: تفسير الطبري:٦٣٧/١٧.
[١٥] انظر: مجاز القرآن:٣٩٧/١.
[١٦]البيت للقتال الكلابي حسبما أنشده سيبويه ٢/ ١٨١ وهو فى الشنتمرى ٢/ ١٧٥ وفى فتح الباري ٦/ ٢٦٦.

قَبائِلُنا سَبْعٌ وأنْتُمْ ثَلاثَة... وَللسَّبْعُ أزْكَى مِن ثَلاثٍ وأكثر
الثاني : أيها أحل طعاماً، وهذا قول ابن عباس[١]، وسعيد بن جبير[٢].
قال ابن عباس:"أحل ذبيحة، وكانوا يذبحون للطواغيت"[٣].
قال يحيى بن سلام:" وقد كان من طعام قومهم ما لا يستحلون أكله"[٤].
قال الزجاج:" ذكروا أن القوم كان أكثرهم مجوسا، وكانوا لا يستنظفون ذبائحهم"[٥].
الثالث : أطيب طعاماً ، قاله الكلبي[٦]، ومقاتل[٧]، واختاره ابن كثير[٨].
الرابع : خير طعاما. قاله قتادة[٩].
الخامس: أي: طعاما لم يؤخذ من غصب، ولا هو من جهة لا تحل. حكاه الزجاج[١٠].
روي عن ابن عباس:" يعني: أطهر لأنهم كانوا يذبحون الخنازير"[١١].
السادس: أرخص طعاماً. حكاه الماوردي[١٢].
قال الطبري:" وأولى الأقوال عندي في ذلك بالصواب: قول من قال: معنى ذلك: أحلّ وأطهر، وذلك أنه لا معنى في اختيار الأكثر طعاما للشراء منه إلا بمعنى إذا كان أكثرهم طعاما، كان خليقا أن يكون الأفضل منه عنده أوجد، وإذا شرط على المأمور الشراء من صاحب الأفضل، فقد أمر بشراء الجيد، كان ما عند المشتري ذلك منه قليلا الجيد أو كثيرا، وإنما وجه من وجه تأويل أزكى إلى الأكثر، لأنه وجد العرب تقول: قد زكا مال فلان: إذا كثر"[١٣].
قوله تعالى:{فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ} [الكهف : ١٩]، أي:" فليأتكم بقوت منه"[١٤].
قال الطبري:" يقول: فليأتكم بقوت منه تقتاتونه، وطعام تأكلونه"[١٥].
عن عبد الله بن عبيد بن عمير :"{فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ}، قال: بطعام"[١٦].
قوله تعالى:{ وَلْيَتَلَطَّفْ} [الكهف : ١٩]، أي:" وليتلطف في دخول المدينة وشراء الطعام"[١٧].
قال الطبري:" يقول: وليترفق في شرائه ما يشتري، وفي طريقه ودخوله المدينة"[١٨].
وفي قوله تعالى:{وَلْيَتَلَطَّفْ} [الكهف : ١٩]، وجوه:
أحدها : وليسترخص[١٩].
الثاني : وليترفق حتى لا يفطن له. قاله مقاتل[٢٠].

---

[١] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٤٩):ص٢٣٥٣/٧.
[٢] انظر: تفسير سفيان الثوري(٥٣٧: ٢: ١):ص١٧٧، وتفسير يحيى بن سلام:١٧٥/١.
[٣] تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٤٩):ص٢٣٥٣/٧.
[٤] تفسير يحيى بن سلام:١٧٥/١.
[٥] معاني القرآن:٢٧٦/٣.
[٦] انظر: النكت والعيون:٢٩٤/٣.
[٧] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٧٩/٢.
[٨] تفسير ابن كثير:١٤٥/٥. قال ابن كثير:" كقوله : { وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا } } [النور : ٢١] وقوله { قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى } [الأعلى : ١٤] ومنه الزكاة التي تُطَيب (٥) المال وتطهره".
[٩] انظر: تفسير الطبري:٦٣٨/١٧.
[١٠] انظر: معاني القرآن:٢٧٦/٣.
[١١] تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٤٩):ص٢٣٥٣/٧.
[١٢] انظر: النكت والعيون:٢٩٤/٣.
[١٣] تفسير الطبري:٦٣٨/١٧.
[١٤] التفسير الميسر:٢٩٥.
[١٥] تفسير الطبري:٦٣٩/١٧.
[١٦] أخرجه الطبري:٦٣٩/١٧.
[١٧] صفوة التفاسير:١٧١/٢.
[١٨] تفسير الطبري:٦٣٩/١٧.
[١٩] انظر: النكت والعيون:٢٩٤/٣.
[٢٠] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٧٩/٢.

الثالث: وليتلطف في إخفاء أمركم[١].

قال الماوردي:"وهذا يدل على جواز اشتراك الجماعة في طعامهم وإن كان بعضهم أكثر أكلاً وهي المناهدة ، وكانت مستقبحة في الجاهلية فجاء الشرع بإباحتها"[٢].

قوله تعالى:{وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا} [الكهف : ١٩]، أي:" حتى لا يشعر بأمرنا أحد"[٣].

قال أبو عبيدة:" لا يعلمنّ بكم، يقال: شعرت بالأمر، أي: علمت به، ومنه الشاعر"[٤].

قال الطبري:" يقول: ولا يعلمنّ بكم أحدا من الناس"[٥].

قال الزجاج:" أي: إن ظهر عليه فلا يوقعن إخوانه فيما يقع فيه"[٦].

قال عبد الله بن عبيد بن عمير: "بعثهم الله - يعني الفتية أصحاب الكهف - وقد سلط عليهم ملك مسلم، يعني على أهل مدينتهم، وسلّط الله على الفتية الجوع، فقال قائل منهم: {كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ} قال: فردّوا علم ذلك إلى الله، {قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ} وإذا معهم ورِق من ضرب الملك الذي كانوا في زمانه {فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ} : أي بطعام {وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا}. فخرج أحدهم فرأى المعالم متنكرة حتى انتهى إلى المدينة، فاستقبله الناس لا يعرف منهم أحدا، فخرج ولا يعرفونه، حتى انتهى إلى صاحب الطعام، فسامه بطعامه، فقال صاحب الطعام: هات ورقك، فأخرج إليه الورق، فقال: من أين لك هذا الورق؟ قال: هذه ورِقُنا وورِق أهل بلادنا، فقال: هيهات هذه الورِق من ضرب فلان بن فلان منذ ثلاث مئة وتسع سنين، أنت أصبت كنزا، ولست بتاركك حتى أرفعك إلى الملك، فرفعه إلى الملك، وإذا الملك مسلم وأصحابه مسلمون، ففرح واستبشر، وأظهر لهم أمره، وأخبرهم خبر أصحابه، فبعثوا إلى اللوح في الخزانة، فأتوا به، فوافق ما وصف من أمرهم، فقال المشركون: نحن أحقّ بهم هؤلاء أبناء آبائنا، وقال المسلمون: نحن أحقّ بهم، هم مسلمون منا، فانطلقوا معه إلى الكهف، فلما أتوا باب الكهف قال: دعوني حتى أدخل على أصحابي حتى أبشرهم، فإنهم إن رأوكم معي أرعبتموهم، فدخل فبشَّرهم، وقبض الله أرواحهم، قال: وعمى الله عليهم مكانهم، فلم يهتدوا، فقال المشركون: نبني عليهم بُنيانا، فإنهم أبناء آبائنا، ونعبد الله فيه، وقال المسلمون: نحن أحق بهم، هم منا، نبني عليهم مسجدا نصلي فيه، ونعبد الله فيه"[٧].

قال وهب بن منبه:" إنهم غبروا، يعني الفتية من أصحاب الكهف بعد ما بني عليهم باب الكهف زمانا بعد زمان، ثم إن راعيا أدركه المطر عند الكهف، فقال: لو فتحت هذا الكهف وأدخلت غنمي من المطر، فلم يزل يعالجه حتى فتح ما أدخله فيه، وردّ إليهم أرواحهم في أجسامهم من الغد حين أصبحوا، فبعثوا أحدهم بورق يشتري طعاما، فلما أتى باب مدينتهم، رأى شيئا يُنكره، حتى دخل على رجل فقال: بعني بهذه الدراهم طعاما، فقال: ومن أين لك هذه الدراهم؟ قال: خرجت أنا وأصحاب لي أمس، فآوانا الليل، ثم أصبحوا، فأرسلوني، فقال: هذه الدراهم كانت على عهد مُلك فلان، فأنَّى لك بها، فرفعه إلى الملك، وكان ملكا صالحا، فقال: من أين لك هذه الورق؟ قال: خرجت أنا وأصحاب لي أمس، حتى أدركنا الليل في كهف كذا وكذا، ثم أمروني أن أشتريَ لهم طعاما، قال: وأين أصحابك؟ قال: في الكهف، قال: فانطلقوا معه حتى أتوا باب الكهف، فقال: دعوني أدخل على أصحابي قبلكم، فلما رأوه، ودنا منهم ضُرِب على أذنه وآذانهم، فجعلوا كلما دخل رجل أرعب، فلم يقدروا على أن يدخلوا عليهم، فبنوا عندهم كنيسة، اتخذوها مسجدا يصلون فيه"[٨].

---

[١] انظر: النكت والعيون:٢٩٤/٣.
[٢] النكت والعيون:٢٩٤/٣-٢٩٥.
[٣] صفوة التفاسير:١٧١/٢.
[٤] مجاز القرآن:٣٩٧/١.
[٥] تفسير الطبري:٦٣٩/١٧.
[٦] معاني القرآن:٢٧٥/٣.
[٧] أخرجه الطبري:٦٣٦/١٧-٦٣٧.
[٨] أخرجه الطبري:٦٢٧/١٧-٦٢٨.

قال عكرمة:" كان أصحاب الكهف أبناء ملوك الروم، رزقهم الله الإسلام، فتعوّذوا بدينهم، واعتزلوا قومهم، حتى انتهوا إلى الكهف، فضرب الله على سمعهم، فلبثوا دهرا طويلا حتى هلكت أمتهم، وجاءت أمة مسلمة، وكان ملكهم مسلما، فاختلفوا في الروح والجسد، فقال قائل: يبعث الروح والجسد جميعا، وقال قائل: يُبعث الروح، فأما الجسد فتأكله الأرض، فلا يكون شيئا، فشقّ على ملكهم اختلافهم، فانطلق فلبس المُسُوح، وجلس على الرَّماد، ثم دعا الله تعالى فقال: أي ربّ، قد ترى اختلاف هؤلاء، فابعث لهم آية تبين لهم، فبعث الله أصحاب الكهف، فبعثوا أحدهم يشتري لهم طعاما، فدخل السوق، فجعل يُنكر الوجوه، ويعرف الطرق، ويرى الإيمان بالمدينة ظاهرا، فانطلق وهو مستخف حتى أتى رجلا يشتري منه طعاما، فلما نظر الرجل إلى الوَرِق أنكرها، قال: حسبت أنه قال: كأنها أخفاف الرُّبَع، يعني الإبل الصغار، فقال له الفتى: أليس ملككم فلانا؟ قال: بل ملكنا فلان، فلم يزل ذلك بينهما حتى رفعه إلى الملك، فسأله، فأخبره الفتى خبر أصحابه، فبعث الملك في الناس، فجمعهم، فقال: إنكم قد اختلفتم في الروح والجسد، وإن الله قد بعث لكم آية، فهذا رجل من قوم فلان، يعني ملكهم الذي مضى، فقال الفتى: انطلقوا بي إلى أصحابي، فركب الملك، وركب معه الناس حتى انتهوا إلى الكهف، فقال الفتى دعوني أدخل إلى أصحابي، فلما أبصرهم ضُرِب على أذنه وعلى آذانهم، فلما استبطئوه دخل الملك، ودخل الناس معه، فإذا أجساد لا ينكرون منها شيئا، غير أنها لا أرواح فيها، فقال الملك: هذه آية بعثها الله لكم، قال قتادة: وعن ابن عباس، كان قد غزا مع حبيب بن مسلمة، فمرّوا بالكهف، فإذا فيه عظام، فقال رجل: هذه عظام أصحاب الكهف، فقال ابن عباس، لقد ذهبت عظامهم منذ أكثر من ثلاث مئة سنة"[١].

أخرج الطبري بسنده عن ابن إسحاق فيما ذكر من حديث أصحاب الكهف، قال: ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له تيذوسيس، فلما ملك بقي ملكه ثمانيا وستين سنة، فتحزّب الناس في مُلكه، فكانوا أحزابا، فمنهم من يؤمن بالله، ويعلم أنّ الساعة حقّ، ومنهم من يكذّب، فكبر ذلك على الملك الصالح تيذوسيس، وبكى إلى الله وتضرّع إليه، وحزن حزنا شديدا لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق ويقولون: لا حياة إلا الحياة الدنيا، وإنما تُبعث النفوس، ولا تُبعث الأجساد، ونسُوا ما في الكتاب، فجعل تيذوسيس يرسل إلى من يظنّ فيه خيرا، وأنهم أئمة في الحق، فجعلوا يكذّبون بالساعة، حتى كادوا أن يُحوّلوا الناس عن الحق وملةِ الحَواريين، فلما رأى ذلك الملك الصالح تيذوسيس، دخل بيته فأغلقه عليه، ولبس مِسْحا وجعل تحته رمادا، ثم جلس عليه، فدأب ذلك ليله ونهاره زمانا يتضرّع إلى الله، ويبكي إليه مما يرى فيه الناس، ثم إن الرحمن الرحيم الذي يكره هلكة العباد، أراد أن يَظْهر على الفتية أصحاب الكهف، ويبين للناس شأنهم، ويجعلهم آية لهم، وحجة عليهم، ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن يستجيب لعبده الصالح تيذوسيس، ويتمّ نعمته عليه، فلا ينزع منه مُلكه، ولا الإيمان الذي أعطاه، وأن يعبد الله لا يشرك به شيئا، وأن يجمع من كان تبدّد من المؤمنين، فألقى الله في نفس رجل من أهل ذلك البلد الذي به الكهف، وكان الجبل بنجلوس الذي فيه الكهف لذلك الرجل، وكان اسم ذلك الرجل أولياس، أن يهدم البنيان الذي على فم الكهف، فيبني به حظيرة لغنمه، فاستأجر عاملين، فجعلا ينزعان تلك الحجارة، ويبنيان بها تلك الحظيرة، حتى نزعا ما على فم الكهف، حتى فتحا عنهم باب الكهف، وحجبهم الله من الناس بالرعب، فيزعمون أن أشجع من يريد أن ينظر إليهم غاية ما يمكنه أن يدخل من باب الكهف، ثم يتقدم حتى يرى كلبهم دونهم إلى باب الكهف نائما، فلما نزعا الحجارة، وفتحا عليهم باب الكهف، أذن الله ذو القدرة والعظمة والسلطان محيي الموتى للفتية أن يجلسوا بين ظهراني الكهف، فجلسوا فرحين مُسْفِرة وجوههم طيّبة أنفُسهم، فسلَّم بعضهم على بعض، حتى كأنما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون لها إذا أصبحوا من ليلتهم التي يبيتون فيها، ثم قاموا إلى الصلاة فصلّوا، كالذي كانوا يفعلون، لا يَرون، ولا يُرَى في وجوههم، ولا أبشارهم، ولا ألوانهم شيء يُنكرونه كهيئتهم حين رقدوا

---

[١] أخرجه الطبري:١٧/٦٢٨-٦٢٩.

بعشيّ أمس، وهم يرون أن ملكهم دقينوس الجبار في طلبهم والتماسهم فلما قضوا صلاتهم كما كانوا يفعلون، قالوا ليمليخا، وكان هو صاحب نفقتهم، الذي كان يبتاع لهم طعامهم وشرابهم من المدينة، وجاءهم بالخبر أن دقينوس يلتمسهم، ويسأل عنهم: أنبئنا يا أخي ما الذي قال الناس في شأننا عشيّ أمس عند هذا الجبار، وهم يظنون أنهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون، وقد خُيِّل إليهم أنهم قد ناموا كأطول ما كانوا ينامون في الليلة التي أصبحوا فيها، حتى تساءلوا بينهم، فقال بعضهم لبعض: {كَمْ لَبِثْتُمْ} نياما؟ {قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ} وكل ذلك في أنفسهم يسير. فقال لهم يمليخا: افتُقِدتم والتمستم بالمدينة، وهو يريد أن يُؤْتَى بكم اليوم، فتَذْبحُون للطواغيت، أو يقتُلُكم، فما شاء الله بعد ذلك، فقال لهم مكسلمينا: يا إخوتاه اعلموا أنكم ملاقَوْن، فلا تكفروا بعد إيمانكم إذا دعاكم عدوّ الله، ولا تُنكروا الحياة التي لا تبيد بعد إيمانكم بالله، والحياة من بعد الموت، ثم قالوا ليمليخا: انطلق إلى المدينة فتسمَّع ما يقال لنا بها اليوم، وما الذي نُذكر به عند دقينوس، وتلطَّف، ولا يشعرَنّ بنا أحد، وابتع لنا طعاما فأتنا به، فإنه قد آن لك، وزدنا على الطعام الذي قد جئتنا به، فإنه قد كان قليلا فقد أصبحنا جياعا، ففعل يمليخا كما كان يفعل، ووضع ثيابه، وأخذ الثياب التي كان يتنكر فيها، وأخذ وَرِقا من نفقتهم التي كانت معهم، التي ضُربت بطابع دقينوس الملك، فانطلق يمليخا خارجا، فلما مرّ بباب الكهف، رأى الحجارة منزوعة عن باب الكهف. فعجب منها، ثم مرّ فلم يبال بها، حتى أتى المدينة مستخفيا يصدّ عن الطريق تخوّفا أن يراه أحد من أهلها، فيعرفه، فيذهب به إلى دقينوس، ولا يشعر العبد الصالح أن دقينوس وأهل زمانه قد هَلكوا قبل ذلك بثلاث مئة وتسع سنين، أو ما شاء الله من ذلك، إذ كان ما بين أن ناموا إلى أن استيقظوا ثلاث مئة وتسع سنين، فلما رأى يمليخا باب المدينة رفع بصره، فرأى فوق ظهر الباب علامة تكون لأهل الإيمان، إذا كان ظاهرا فيها، فلما رآها عجب وجعل ينظر مستخفيا إليها، فنظر يمينا وشمالا فتعجب بينه وبين نفسه، ثم ترك ذلك الباب، فتحوّل إلى باب آخر من أبوابها، فنظر فرأى من ذلك ما يحيط بالمدينة كلها، ورأى على كلّ باب مثل ذلك، فجعل يخيل إليه أن المدينة ليست بالمدينة التي كان يعرف، ورأى ناسا كثيرين محدثين لم يكن يراهم قبل ذلك، فجعل يمشي ويعجب ويخيل إليه أنه حيران ثم رجع إلى الباب الذي أتى منه، فجعل يعجب بينه وبين نفسه ويقول: يا ليت شعري، أما هذه عشية أمس، فكان المسلمون يخفون هذه العلامة ويستخفون بها، وأما اليوم فإنها ظاهرة لعلّي حالم، ثم يرى أنه ليس بنائم، فأخذ كساءه فجعله على رأسه، ثم دخل المدينة، فجعل يمشي بين ظهراني سوقها، فيسمع أناسا كثيرا يحلفون باسم عيسى ابن مريم، فزاده فرقا، ورأى أنه حيران، فقام مسندا ظهره إلى جدار من جُدُر المدينة ويقول في نفسه: والله ما أدري ما هذا! أما عشية أمس فليس على الأرض إنسان يذكر عيسى ابن مريم إلا قُتل، وأما الغداة فأسمعهم، وكلّ إنسان يذكر أمر عيسى لا يخاف، ثم قال في نفسه: لعلّ هذه ليست بالمدينة التي أعرف أسمع كلام أهلها ولا أعرف أحدا منهم، والله ما أعلم مدينة قرب مدينتنا، فقام كالحيران لا يتوجه وجها، ثم لقي فتى من أهل المدينة، فقال له: ما اسم هذه المدينة يا فتى؟ قال: اسمها أفسوس، فقال في نفسه: لعلّ بي مسا، أو بي أمر أذهب عقلي، والله يحق لي أن أسرع الخروج منها قبل أن أخزى فيها أو يصيبني شرّ فأهلك، هذا الذي يحدّث به يمليخا أصحابه حين تبين لهم ما به، ثم إنه أفاق فقال: والله لو عجلت الخروج من المدينة قبل أن يفطن بي لكان أكيس لي، فدنا من الذين يبيعون الطعام، فأخرج الورِق التي كانت معه، فأعطاها رجلا منهم، فقال: بعني بهذه الورق يا عبد الله طعاما، فأخذها الرجل، فنظر إلى ضرب الورق ونقشها، فعجب منها، ثم طرحها إلى رجل من أصحابه، فنظر إليها، ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل إلى رجل، ويتعجبون منها، ثم جعلوا يتشاورون بينهم ويقول بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد أصاب كنزا خبيئا في الأرض منذ زمان ودهر طويل، فلما رآهم يتشاورون من أجله فرق فرقا شديدا، وجعل يرتعد ويظنّ أنهم قد فطنوا به وعرفوه، وأنهم إنما يريدون أن يذهبوا به إلى ملكهم دقينوس يسلمونه إليه، وجعل أناس آخرون يأتونه فيتعرّفونه، فقال لهم وهو شديد الفرق منهم: أفضلوا عليّ، فقد أخذتم ورقي فأمسكوا، وأما طعامكم فلا حاجة لي به، قالوا له: من أنت يا فتى، وما شأنك؟ والله لقد وجدت

كنزا من كنوز الأوّلين، فأنت تريد أن تخفيه منا، فانطلق معنا فأرناه وشاركنا فيه، نخف عليك ما وجدت، فإنك إن لا تفعل نأت بك السلطان، فنسلمك إليه فيقتلك، فلما سمع قولهم، عجب في نفسه فقال: قد وقعت في كلّ شيء كنت أحذر منه، ثم قالوا: يا فتى إنك والله ما تستطيع أن تكتم ما وجدت، ولا تظنّ في نفسك أنه سيخفى حالك، فجعل يمليخا لا يدري ما يقول لهم، وما يرجع إليهم، وفَرِق حتى ما يحير إليهم جوابا، فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كساءه فطوقوه في عنقه، ثم جعلوا يقودونه في سكك المدينة ملببا، حتى سمع به من فيها، فقيل: أخذ رجل عنده كنز واجتمع عليه أهل المدينة صغيرهم وكبيرهم، فجعلوا ينظرون إليه ويقولون: والله ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة، وما رأيناه فيها قطّ، وما نعرفه، فجعل يمليخا لا يدري ما يقول لهم، مع ما يسمع منهم، فلما اجتمع عليه أهل المدينة، فرق، فسكت فلم يتكلم، ولو أنه قال إنه من أهل المدينة لم يصدّق، وكان مستيقنا أن أباه وإخوته بالمدينة، وأن حسبه من أهل المدينة من عظماء أهلها، وأنهم سيأتونه إذا سمعوا، وقد استيقن أنه من عشية أمس يعرف كثيرا من أهلها، وأنه لا يعرف اليوم من أهلها أحدا، فبينما هو قائم كالحيران ينتظر متى يأته بعض أهله، أبوه أو بعض إخوته فيخلصه من أيديهم، إذ اختطفوه فانطلقوا به إلى رئيسي المدينة ومدبريها اللذين يدبران أمرها، وهما رجلان صالحان، كان اسم أحدهما أريوس، واسم الآخر أسطيوس، فلما انطلق به إليهما، ظنّ يمليخا أنه ينطلق به إلى دقينوس الجبار ملكهم الذي هربوا منه، فجعل يلتفت يمينا وشمالا وجعل الناس يسخرون منه، كما يسخر من المجنون والحيران، فجعل يمليخا يبكي، ثم رفع رأسه إلى السماء وإلى الله، ثم قال: اللهمّ إله السماوات والأرض، أولج معي روحا منك اليوم تؤيدني به عند هذا الجبار، وجعل يبكي ويقول في نفسه: فرق بيني وبين إخوتي، يا ليتهم يعلمون ما لقيت، وأني يُذهب بي إلى دقينوس الجبار، فلو أنهم يعلمون، فيأتون، فنقوم جميعا بين يدي دقينوس، فإنا كنا تواثقنا لنكوننّ معا، لا نكفر بالله ولا نشرك به شيئا، ولا نعبد الطواغيت من دون الله، فرق بيني وبينهم، فلن يروني ولن أراهم أبدا، وقد كنا تواثقنا أن لا نفترق في حياة ولا موت أبدا، يا ليت شعري ما هو فاعل بي؟ أقاتلي هو أم لا؟ ذلك الذي يحدّث به يمليخا نفسه فيما أخبر أصحابه حين رجع إليهم.

فلما انتهى إلى الرجلين الصالحين أريوس وأسطيوس، فلما رأى يمليخا أنه لم يُذهب به إلى دقينوس، أفاق وسكن عنه البكاء، فأخذ أريوس وأسطيوس الورِق فنظرا إليها وعجبا منها، ثم قال أحدهما: أين الكنز الذي وجدت يا فتى، هذا الورِق يشهد عليك أنك قد وجدت كنزا، فقال لهما يمليخا: ما وجدت كنزا ولكن هذه الورِق ورق آبائي، ونقش هذه المدينة وضربها، ولكن والله ما أدري ما شأني، وما أدري ما أقول لكم، فقال له أحدهما: ممن أنت؟ فقال له يمليخا: ما أدري، فكنت أرى أني من أهل هذه القرية، قالوا: فمن أبوك ومن يعرفك بها؟ فأنبأهم باسم أبيه، فلم يجدوا أحدا يعرفه ولا أباه، فقال له أحدهما: أنت رجل كذاب لا تنبئنا بالحقّ، فلم يدر يمليخا ما يقول لهم، غير أنه نكس بصره إلى الأرض، فقال له بعض من حوله: هذا رجل مجنون، فقال بعضهم: ليس بمجنون، ولكنه يحمق نفسه عمدا لكي ينفلت منكم، فقال له أحدهما، ونظر إليه نظرا شديدا: أتظنّ أنك إذ تتجانن نرسلك ونصدّقك بأن هذا مال أبيك، وضرب هذه الورِق ونقشها منذ أكثر من ثلاث مئة سنة؟ وإنما أنت غلام شاب تظنّ أنك تأفكنا، ونحن شمط كما ترى، وحولك سُراة أهل المدينة، وولاة أمرها، إني لأظنني سآمر بك فتعذّب عذابا شديدا، ثم أوثقك حتى تعترف بهذا الكنز الذي وجدت، فلما قال ذلك، قال يمليخا: أنبئوني عن شيء أسألكم عنه، فإن فعلتم صدقتكم عما عندي، أرأيتم دقينوس الملك الذي كان في هذه المدينة عشية أمس ما فعل، فقال له الرجل: ليس على وجه الأرض رجل اسمه دقينوس، ولم يكن إلا ملك قد هلك منذ زمان ودهر طويل، وهلكت بعده قرون كثيرة، فقال له يمليخا: فوالله إني إذا لحيران، وما هو بمصدّق أحد من الناس بما أقول، والله لقد علمت، لقد فررنا من الجبار دقينوس، وإني قد رأيته عشية أمس حين دخل مدينة أفسوس، ولكن لا أدري أمدينة أفسوس هذه أم لا؟ فانطلقا معي إلى الكهف الذي في جبل بنجلوس أريكم أصحابي، فلما سمع أريوس ما يقول يمليخا قال: يا قوم لعلّ هذه آية من آيات الله جعلها لكم على يدي هذا الفتى، فانطلقوا بنا معه يرنا أصحابه،

كما قال: فانطلق معه أريوس وأسطيوس، وانطلق معهم أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم، نحو أصحاب الكهف لينظروا إليهم.

ولما رأى الفتية أصحاب الكهف يمليخا قد احتبس عليهم بطعامهم وشرابهم عن القدر الذي كان يأتي به، ظنوا أنه قد أُخِذ فذُهب به إلى ملكهم دَقْينوس الذي هربوا منه، فبينما هم يظنون ذلك ويتخوفونه، إذ سمعوا الأصوات وجلبة الخيل مصعدة نحوهم، فظنوا أنهم رُسل الجبار دقينوس بعث إليهم ليُؤْتي بهم، فقاموا حين سمعوا ذلك إلى الصلاة، وسلَّم بعضهم على بعض، وأوصى بعضهم بعضا، وقالوا: انطلقوا بنا نأت أخانا يمليخا، فإنه الآن بين يدي الجبار دقينوس ينتظر متى نأته، فبينما هم يقولون ذلك، وهم جلوس بين ظهراني الكهف، فلم يروا إلا أريوس وأصحابه وقوفا على باب الكهف، وسبقهم يمليخا، فدخل عليهم وهو يبكي، فلما رأوه يبكي بكوا معه، ثم سألوه عن شأنه، فأخبرهم خبره وقصّ عليهم النبأ كله، فعرفوا عند ذلك أنهم كانوا نياما بأمر الله ذلك الزمان كله، وإنما أوقظوا ليكونوا آية للناس، وتصديقا للبعث، وليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها، ثم دخل على إثر يمليخا أريوس، فرأى تابوتا من نحاس مختوما بخاتم من فضة، فقام بباب الكهف، ثم دعا رجالا من عظماء أهل المدينة، ففتح التابوت عندهم، فوجدوا فيه لوحين من رصاص، مكتوبا فيهما كتاب، فقرأهما فوجد فيهما[١] أن مكسلمينا، ومحسلمينا، ويمليخا، ومرطونس، وكسطونس، ويبورس، ويكرونس، ويطبيونس، وقالوش، كانوا فتية هربوا من ملكهم دقينوس الجبار، مخافة أن يفتنهم عن دينهم، فدخلوا هذا الكهف، فلما أخبر بمكانهم أمر بالكهف فسدّ عليهم بالحجارة، وإنا كتبنا شأنهم وقصة خبرهم، ليعلمه من بعدهم إن عثر عليهم. فلما قرءوه، عجبوا وحمدوا الله الذي أراهم آية للبعث فيهم، ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه، ثم دخلوا على الفتية الكهف، فوجودهم جلوسا بين ظهرانيه، مُشرقة وجوههم، لم تبل ثيابهم، فخرّ أريوس وأصحابه سجودا، وحمدوا الله الذي أراهم آية من آياته، ثم كلم بعضهم بعضا، وأنبأهم الفتية عن الذين لقوا من ملكهم دقينوس ذلك الجبار الذي كانوا هربوا منه، ثم إن أريوس وأصحابه بعثوا بريدا إلى ملكهم الصالح تيذوسيس، أن عجل لعلك تنظر إلى آية من آيات الله، جعلها الله على ملكك، وجعلها آية للعالمين، لتكون لهم نورا وضياء، وتصديقا بالبعث، فاعجل على فتية بعثهم الله، وقد كان توفاهم منذ أكثر من ثلاث مئة سنة، فلما أتى الملك تيذوسيس الخبر، قام من المَسْندة التي كان عليها، ورجع إليه رأيه وعقله، وذهب عنه همه، ورجع إلى الله عزّ وجلّ، فقال: أحمدك اللهمّ ربّ السماوات والأرض، أعبدك، وأحمدك، وأسبح لك، تطوّلت عليّ، ورحمتني برحمتك، فلم تطفئ النور الذي كنت جعلته لآبائي، وللعبد الصالح قسطيطينوس الملك، فلما نبأ به أهل المدينة ركبوا إليه، وساروا معه حتى أتوا مدينة أفسوس، فتلقاهم أهل المدينة، وساروا معه حتى صعدوا نحو الكهف حتى أتوه، فلما رأى الفتية تيذوسيس، فرحوا به، وخرّوا سجودا على وجوههم، وقام تيذوسيس قدامهم، ثم اعتنقهم وبكى، وهم جلوس بين يديه على الأرض يسبحون الله ويحمدونه، ويقول: والله ما أشبه بكم إلا الحواريون حين رأوا المسيح، وقال: فرج الله عنكم، كأنكم الذي تُدْعَون فتحْشَرون من القبور، فقال الفتية لتيذوسيس: إنا نودّعك السلام، والسلام عليكم ورحمة الله، حفظك الله، وحفظ لك ملكك بالسلام، ونعيذك بالله من شرّ الجنّ والإنس، فأمر بعيش من خُلَّر ونشيل إن أسوأ ما سلك في بطن الإنسان أن لا يعلم شيئا إلا كرامة إن أكرم بها، ولا هوان إن أهين به[٢]. فبينما الملك قائم، إذ رجعوا إلى مضاجعهم، فناموا، وتوفى الله أنفسهم بأمره، وقام الملك إليهم، فجعل ثيابه عليهم، وأمر أن يجعل لكلّ رجل منهم تابوت من ذهب، فلما أَمْسَوا ونام، أتوه في المنام، فقالوا: إنا لم نخلق من ذهب ولا فضة، ولكنا خُلقنا من تراب وإلى التراب نصير، فاتركنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله منه، فأمر الملك حينئذ بتابوت من ساج، فجعلوهم فيه، وحجبهم الله حين

---

[١] في عدد هذه الأسماء، وضبطها، اختلاف كثير بين ناقليها.

[٢] العبارة من أول قوله: فأمر بعيش من خلر ونشيل ... إلى هنا: ساقطة من هذا الخبر في عرائس المجالس للثعلبي المفسر ص ٤٢٧: والخلر: حب يقتات به، قيل هو الجلبان، والنشيل: اللبن ساعة يحلب، والعبارة فيما يظهر من بقية كلام أصحاب الكهف.

خرجوا من عندهم بالرعب، فلم يقدر أحد على أن يدخل عليهم، وأمر الملك فجعل كهفهم مسجدا يُصَلَّى فيه، وجعل لهم عيدا عظيما، وأمر أن يؤتى كلّ سنة، فهذا حديث أصحاب الكهف"[١].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال: إن الله تعالى بعثهم من رقدتهم ليتساءلوا بينهم كما بيَّنا قبل، لأن الله عزّ ذكره، كذلك أخبر عباده في كتابه، وإن الله أعثر عليهم القوم الذين أعثرهم عليهم، ليتحقق عندهم ببعث الله هؤلاء الفتية من رقدتهم بعد طول مدتها بهيئتهم يوم رقدوا، ولم يشيبوا على مرّ الأيام والليالي عليهم، ولم يهرموا على كرّ الدهور والأزمان فيهم قدرته على بعث من أماته في الدنيا من قبره إلى موقف القيامة يوم القيامة، لأن الله عزّ ذكره بذلك أخبرنا، فقال: {وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا}"[٢].

الفوائد:

١- مظاهر قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته.
٢- الحث على العلم، وعلى المباحثة فيه، لكون الله بعثهم لأجل ذلك.
٣- الأدب فيمن اشتبه عليه العلم، أن يرده إلى عالمه، وأن يقف عند حده.
٤- صحة الوكالة في البيع والشراء، وصحة الشركة في ذلك.
٥- وجوب طلب الحلال في الطعام والشراب وغيرهما.
٦- جواز أكل الطيبات، والمطاعم اللذيذة، إذا لم تخرج إلى حد الإسراف المنهي عنه لقوله {فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه} وخصوصا إذا كان الإنسان لا يلائمه إلا ذلك ولعل هذا عمدة كثير من المفسرين، القائلين بأن هؤلاء أولاد ملوك لكونهم أمروه بأزكى الأطعمة، التي جرت عادة الأغنياء الكبار بتناولها.
٧- الحث على التحرز، والاستخفاء، والبعد عن مواقع الفتن في الدين، واستعمال الكتمان في ذلك على الإنسان وعلى إخوانه في الدين.

القرآن

{إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (٢٠)} [الكهف : ٢٠]

التفسير:

إن قومكم إن يطَّلعوا عليكم يرجموكم بالحجارة، فيقتلوكم، أو يردوكم إلى دينهم، فتصيروا كفارًا، ولن تفوزوا بمطلبكم مِن دخول الجنة -إن فعلتم ذلك- أبدًا.

قوله تعالى:{إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ} [الكهف : ٢٠]، أي:" إن قومكم إن يطَّلعوا عليكم يرجموكم بالحجارة، فيقتلوكم"[٣].

قال الطبري:" يعنون بذلك: دقينوس وأصحابه، قالوا: إن دقينوس وأصحابه إن يظهروا عليكم، فيعلموا مكانكم، يرجموكم شتما بالقول"[٤].

وفي قوله تعالى:{إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ} [الكهف : ٢٠]، ثلاثة وجوه:

أحدها : يرجموكم بأيديهم استنكاراً لكم ، قاله الحسن[٥].

الثاني : يشتموكم بالقول، يؤذوكم، قاله ابن جريج[٦].

الثالث : يقتلوكم بالرجم، و«الرجم» أحد أسباب القتل ومن أخبث القتل. قاله الزجاج[٧].

---

[١] تفسير الطبري:١٧/٦٢٩-٦٣٥.

[٢] تفسير الطبري:١٧/٦٣٧.

[٣] التفسير الميسر: ٢٩٥.

[٤] تفسير الطبري:١٧/٦٣٩.

[٥] انظر: النكت والعيون:٣/٢٩٥.

[٦] انظر: تفسير الطبري:١٧/٦٣٩.

[٧] انظر: معاني القرآن:٣/٢٧٦.

قوله تعالى:{أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ} [الكهف : ٢٠]، أي:" أو يردوكم إلى دينهم، فتصيروا كفارًا"[١].

قال الطبري:" يقول: أو يردّوكم في دينهم، فتصيروا كفارا بعبادة الأوثان"[٢].

قوله تعالى:{وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا} [الكهف : ٢٠]، أي:" ولن تفوزوا بمطلبكم مِن دخول الجنة -إن فعلتم ذلك- أبدًا"[٣].

قال الطبري:" يقول: ولن تدركوا الفلاح، وهو البقاء الدائم والخلود في الجنان، إذن: أي إن أنتم عُدْتم في ملتهم أبدا: أيام حياتكم"[٤].

قال الزجاج:" أي: ولن تفلحوا إن رجعتم إلى ملتهم"[٥].

قال مقاتل:" كان هذا من قول مكسلمينا يقوله للفتية"[٦].

الفوائد:

١- ذكر ما اشتمل عليه الشر من المضار والمفاسد، الداعية لبغضه، وتركه، وأن هذه الطريقة، هي طريقة المؤمنين المتقدمين، والمتأخرين لقولهم: {ولن تفلحوا إذا أبدا}.

٢- الموت على الشرك والكفر مانع من الفلاح يوم القيامة أبدا.

٣- أخذ بعض العلماء من هذه الآية الكريمة - أي قوله تعالى: {إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا} - أن العذر بالإكراه من خصائص هذه الأمة، لأن قوله عن أصحاب الكهف {إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم فى ملتهم} ظاهر في إكراههم على ذلك وعدم طواعيتهم، ومع هذا قال عنهم: {ولن تفلحوا إذا أبدا} فدل ذلك على أن ذلك الإكراه ليس بعذر. ويشهد لهذا المعنى حديث طارق بن شهاب في الذي دخل النار في ذباب قربه مع الإكراه بالخوف من القتل؛ لأن صاحبه الذي امتنع أن يقرب ولو ذبابا قتلوه [٧].

ويشهد له أيضا دليل الخطاب، أي مفهوم المخالفة في قوله ﷺ: «إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»[٨] فإنه يفهم من قوله: «تجاوز لي عن أمتي» أن غير أمته من الأمم لم يتجاوز لهم عن ذلك.

وهذا الحديث وإن أعله الإمام أحمد وابن أبي حاتم فقد تلقاه العلماء قديما وحديثا بالقبول، وله شواهد ثابتة في القرآن العظيم والسنة الصحيحة، فإن هذه الأمة قد صرح الله تعالى بعذرهم بالإكراه في قوله: {إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ} [النحل : ١٠٦]. والعلم عند الله تعالى[٩].

القرآن

{وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (٢١)} [الكهف : ٢١]

التفسير:

---

[١] التفسير الميسر: ٢٩٥.

[٢] تفسير الطبري:٦٣٩/١٧.

[٣] التفسير الميسر: ٢٩٥.

[٤] تفسير الطبري:٦٣٩/١٧.

[٥] معاني القرآن:٢٧٦/٣.

[٦] تفسير مقاتل بن سليمان:٥٧٩/٢ .

[٧] أخرجه أحمد في " الزهد " (١٥/١) ، وابن أبي شيبة في " المصنف " (٤٧٣/٦) (٣٣٠٣٨) ، وأبو نعيم في " الحلية " (٢٠٣/١) من طرق عن سلمان - رضي الله عنه - موقوفا عليه، وهذا الأثر صحيح الإسناد لسلمان، ولكنه ليس له حكم الرفع لأن سلمان معروف برواية الإسرائيليات.

[٨] أخرجه ابن ماجه (٦٥٩/١) (٢٠٤٣) من حديث أبي ذر - رضي الله عنه -، (٢٠٤٥) من حديث ابن عباس - رضي الله عنه - والحديث صححه الشيخ الألباني - رحمه الله -.

[٩] انظر:أضواء البيان، الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: ٢٥١/٣.

وكما أنمناهم سنين كثيرة، وأيقظناهم بعدها، أطْلَعنا عليهم أهل ذلك الزمان، بعد أن كشف البائع نوع الدراهم التي جاء بها مبعوثهم؛ ليعلم الناس أنَّ وَعْدَ الله بالبعث حق، وأن القيامة آتية لا شك فيها، إذ يتنازع المطَّلِعون على أصحاب الكهف في أمر القيامة: فمِن مُثْبِتٍ لها ومِن مُنْكِر، فجعل الله إطْلاعهم على أصحاب الكهف حجة للمؤمنين على الكافرين. وبعد أن انكشف أمرهم، وماتوا قال فريق من المطَّلِعين عليهم: ابنوا على باب الكهف بناءً يحجبهم، واتركوهم وشأنهم، ربهم أعلم بحالهم، وقال أصحاب الكلمة والنفوذ فيهم: لنتخذنَّ على مكانهم مسجدًا للعبادة.

قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا} [الكهف : ٢١]، أي:" وكما بعثناهم من نومهم كذلك أطلعنا الناس عليهم ليستدلوا بذلك على صحة البعث ويوقنوا أن القيامة لا شك فيها"[١].

قال قتادة:" يقول: أطلعنا عليهم ليعلم من كذب بهذا الحديث، أن وعد الله حقّ، وأن الساعة لا ريب فيها"[٢].

قال مقاتل:" يقول: وهكذا أطلعنا عليهم ليعلم كفارهم ومكذبوهم بالبعث إذا نظروا إليهم {أن وعد الله حق} في البعث أنه كائن، {وليعلموا أن الساعة آتية}، يعني: قائمة لا شك فيها في القيامة بأنها كائنة"[٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وكما بعثناهم بعد طول رقدتهم كهيئتهم ساعة رقدوا، ليتساءلوا بينهم، فيزدادوا بعظيم سلطان الله بصيرة، وبحسن دفاع الله عن أوليائه معرفة {وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ}، يقول: كذلك أطلعنا عليهم الفريق الآخر الذين كانوا في شكّ من قُدرة الله على إحياء الموتى، وفي مِرْية من إنشاء أجسام خلقه، كهيئتهم يوم قبضهم بعد البِلَى، فيعلموا أن وَعْد الله حق، ويُوقنوا أن الساعة آتية لا ريب فيها"[٤].

عن ابن عباس:" {وكذلك أعثرنا عليهم}، قال: أطلعنا"[٥].

وفي قوله تعالى:{لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا} [الكهف : ٢١]، وجهان[٦]:

أحدهما : ليعلم أهل بلدهم أن وعد الله حق في قيام الساعة وإعادة الخلق أحياء ، لأن من أنامهم كالموتى هذه المدة الخارجة عن العادة ثم أيقظهم أحياء قادر على إحياء من أماته وأقبره.

الثاني : معناه: ليرى أهل الكهف بعد علمهم أن وعد الله حق في إعادتهم .

قال مقاتل:" فلما ذهب يمليخا إلى القرية أنكروا دراهم دقيوس الجبار، الذي فر «٤» منه الفتية، فلما رأوا ذلك قالوا هذا رجل وجد كنزا فلما خاف أن يعذب أخبرهم «٥» بأمر الفتية فانطلقوا معه إلى الكهف فلما انتهى يمليخا إلى الكهف ودخل سد الله- عز وجل- باب الكهف عليهم فلم يخلص إليهم أحد"[٧].

قال السدي:" دعا الملك شيوخا من قومه فسألهم عن أمرهم فقالوا: كان ملك يدعى دقيوس، وأن فتية فقدوا في زمانه، وأنه كتب أسماءهم في الصخرة التي كانت على باب بالمدينة. فدعا بالصخرة فقرأها فإذا فيها أسماؤهم، ففرح الملك فرحا شديدا وقال: هؤلاء قوم كانوا قد ماتوا فبعثوا، ففشا فيهم إن الله يبعث الموتى فذلك قوله: {وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها}"[٨].

---

[١] صفوة التفاسير:١٧١/٢.

[٢] أخرجه الطبري:٦٤٠/١٧.

[٣]تفسير مقاتل بن سليمان:٥٧٩/٢-٥٨٠.

[٤] تفسير الطبري:٦٣٩/١٧-٦٤٠.

[٥] تفسير ابن أبي حاتم(١٢٧٥٠):ص٢٣٥٣/٧.

[٦] انظر: النكت والعيون:٢٩٥/٣.

[٧]تفسير مقاتل بن سليمان:٥٧٩/٢ .

[٨] تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٥١):ص٢٣٥٣/٧-٢٣٥٤.

قال يحيى بن سلام:" كانت تلك الأمة الذين هربوا منهم قد بادت وخلقت بعدهم أمة أخرى، وكانوا على الإسلام، ثم إنهم اختلفوا في البعث، فقال بعضهم: يبعث الناس في أجسادهم، وهؤلاء المؤمنون، وكان الملك منهم، وقال بعضهم: تبعث الأرواح بغير أجساد فكفروا، وهذا قول أهل الكتاب اليوم، فاختلفوا، فبعث الله أصحاب الكهف آية ليعلمهم أن الناس يبعثون في أجسادهم، وقال في آية أخرى: {يوم يقوم الروح} [النبأ: ٣٨] روح كل شيء في جسده، وهو قوله: {يوم يقوم الناس لرب العالمين} [المطففين: ٦]، فلما بعث أصحاب الكهف صاحبهم بالدراهم ليشتري لهم بها طعاما وهم يرون أنها تلك الأمة المشركة الذين فروا منهم، فأمروا صاحبهم أن يتلطف ولا يشعر بهم أحدا. فلما دخل المدينة، وهي مدينة بالروم يقال لها: فسوس، فأخرج الدراهم؛ ليشتري بها الطعام، استنكرت الدراهم وأخذ، فذهب به إلى ملك المدينة، فإذا الدراهم دراهم الملك الذي فروا منه. فقالوا: هذا رجل وجد كنزا. فلما خاف على نفسه أن يعذب أطلع على أصحابه. فقال لهم الملك: قد بين الله لكم ما اختلفتم فيه، فأعلمكم أن الناس يبعثون في أجسادهم. فركب الملك والناس معه حتى انتهوا إلى الكهف، وتقدم الرجل حتى إذا دخل على أصحابه فرآهم ورأوه ماتوا؛ لأنهم قد كانت أتت عليهم آجالهم "(١).

قوله تعالى:{إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ} [الكهف : ٢١]، أي:" حين تنازع القوم في أمر أهل الكهف بعد أن أطلعهم الله عليهم ثم قبض أرواحهم"(٢).

قال الطبري:" يعني: الذين أعثروا على الفتية يقول تعالى: وكذلك أعثرنا هؤلاء المختلفين في قيام الساعة، وإحياء الله الموتى بعد مماتهم من قوم تيذوسيس، حين يتنازعون بينهم أمرهم فيما الله فاعل بمن أفناه من عباده، فأبلاه في قبره بعد مماته، أمنشئهم هو أم غير منشئهم"(٣).

وفي تنازعهم قولان(٤):

أحدهما : أنهم تنازعوا هل هم أحياء أم موتى.

الثاني : أنهم تنازعوا بعد العلم بموتهم هل يبنون عليهم بنياناً يعرفون به أم يتخذون عليهم مسجداً .

قال الماوردي: "وقيل : إن الملك أراد أن يدفنهم في صندوق من ذهب ، فأتاه آت منهم في المنام فقال : أردت أن تجعلنا في صندوق من ذهب فلا تفعل فإنا من التراب خلقنا وإليه نعود فدعْنا"(٥).

قوله تعالى:{فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا} [الكهف : ٢١]، أي:" قال فريق من المطَّلِعين عليهم: ابنوا على باب الكهف بناءً يحجبهم"(٦).

قال الطبري:" يقول: فقال الذين أعثرناهم على أصحاب الكهف: ابنوا عليهم بنيانا"(٧).

قوله تعالى:{رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ} [الكهف : ٢١]، أي:" ربهم أعلم بحالهم"(٨).

قال الطبري:" يقول: ربّ الفتية أعلم بالفتية وشأنهم"(٩).

قوله تعالى:{قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا} [الكهف : ٢١]، أي:" قال الفريق الآخر وهم الأكثرية الغالبة: لنتخذنَّ على باب الكهف مسجداً نصلي فيه ونعبد الله فيه"(١).

---

(١) تفسير يحيى بن سلام:١/١٧٦-١٧٧.

(٢) صفوة التفاسير:٢/١٧١.

(٣) تفسير الطبري:١٧/٦٤٠.

(٤) انظر: النكت والعيون:٣/٢٩٦.

(٥) النكت والعيون:٣/٢٩٦.

(٦) التفسير الميسر:٢٩٦.

(٧) تفسير الطبري:١٧/٦٤٠.

(٨) التفسير الميسر:٢٩٦.

(٩) تفسير الطبري:١٧/٦٤٠.

قال الطبري:" يقول جلّ ثناؤه: قال القوم الذين غلبوا على أمر أصحاب الكهف: {لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا}"[٢].

قال السعدي:" {لنتخذن عليهم مسجدا}، أي: نعبد الله تعالى فيه، ونتذكر به أحوالهم، وما جرى لهم، وهذه الحالة محظورة، نهى عنها النبي ﷺ، وذم فاعليها، ولا يدل ذكرها هنا على عدم ذمها، فإن السياق في شأن تعظيم أهل الكهف والثناء عليهم، وأن هؤلاء وصلت بهم الحال إلى أن قالوا: ابنوا عليهم مسجدا، بعد خوف أهل الكهف الشديد من قومهم، وحذرهم من الاطلاع عليهم، فوصلت الحال إلى ما ترى"[٣].

قال مقاتل:" فبنوا مسجدا على باب الكهف"[٤].

قال السدي:" فقال الملك: لأتخذن عند هؤلاء القوم الصالحين مسجدا، فلأعبدن الله فيه حتى أموت. فذلك قوله: {قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا}"[٥].

واختلف في قائلي هذه المقالة، على قولين:

أحدهما: يعني عدوّهم الكفار. قاله ابن عباس[٦].

الثاني: أنهم الرهط المسلون. إذ عمَّى الله على الذين أعثرهم على أصحاب الكهف مكانهم، فلم يهتدوا، فقال المشركون: نبني عليهم بنيانا، فإنهم أبناء آبائنا، ونعبد الله فيها، وقال المسلمون: بل نحن أحق بهم، هم منا، نبني عليهم مسجدا نصلي فيه، ونعبد الله فيه. قاله عبدالله بن عبيد بن عمير[٧].

وروي عن السدي:" قوله: {قال الذين غلبوا على أمرهم} قال: هم الأمراء، أو قال: السلاطين"[٨].

الفوائد:

١- تقرير معتقد البعث والجزاء الذي ينكره أهل مكة.

٢- مصداق قول الرسول ﷺ :« لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[٩].

وقوله-ﷺ-:« قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[١٠].

وقوله-ﷺ- :« أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله»[١١].

وفي صحيح مسلم عن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت يقول: «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»[١٢].

---

[١] صفوة التفاسير:١٧١/٢.

[٢] تفسير الطبري:٦٤٠/١٧.

[٣] تفسير السعدي:٤٧٣.

[٤] تفسير مقاتل بن سليمان:٥٨٠/٢.

[٥] تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٥١):ص٢٣٥٣/٧-٢٣٥٤.

[٦] انظر: تفسير الطبري:٦٤٠/١٧.

[٧] انظر: تفسير الطبري:٦٤٠/١٧.

[٨] تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٥١):ص٢٣٥٣/٧-٢٣٥٤.

[٩] حديث على: أخرجه ابن سعد (٢٨/٤) .

حديث أبى هريرة: أخرجه النسائى (٩٥/٤، رقم ٢٠٤٧) .

حديث زيد بن ثابت: أخرجه أحمد (١٨٤/٥، رقم ٢١٦٤٤) ، والطبرانى (١٥٠/٥، رقم ٤٩٠٧) . قال الهيثمى (٢٧/٢) : رواه الطبرانى فى الكبير، ورجاله موثقون.

[١٠] صحيح البخاري (٤٣٧) ومسلم (٥٣٠).

[١١] صحيح البخاري (٤٢٧) ومسلم (٥٢٨).

[١٢] صحيح مسلم (٥٣٢).

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: "لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة على وجهه، فإذا اغتم كشفها، فقال ـ وهو كذلك ـ: لعنة الله على اليهود والنصارى، فقد اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذر ما صنعوا"[١].

وقال عليه الصلاة والسلام: «لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب؛ تبعتموهم». قلنا: يا رسول الله! أليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟!».

وفي رواية عن أبي هريرة: فقيل: يا رسول الله! كفارس والروم؟ فقال: «ومن الناس إلا أولئك»[٢].

وقال -ﷺ-: « لتتبعن سنن من قبلكم، حذو النعل بالنعل»[٣].

٣- التحذير من الغلو في القبور والتوسل بأهلها، واتخاذها مساجد ومجاوزة الحد المشروع في تعظيمها وتخصيصها بالدعاء، واعتقاد أفضلية شيء من العبادة عندها، واتخاذها أعيادا ورفعها والبناء عليها وتجصيصها واتخاذ السرج عليها، وشد الرحال لزيارتها- عدا ما ورد في الحديث: «لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»[٤]- وكل ما خرج عن الحد الشرعي الثابت عن رسول الله ﷺ، كل ذلك كان حرصا منه عليه الصلاة والسلام على عقيدة التوحيد لتبقى طاهرة صافية نقية[٥].

٤- في هذه القصة، دليل على أن من فر بدينه من الفتن، سلمه الله منها. وأن من حرص على العافية عافاه الله ومن أوى إلى الله، آواه الله، وجعله هداية لغيره، ومن تحمل الذل في سبيله وابتغاء مرضاته، كان آخر أمره وعاقبته العز العظيم من حيث لا يحتسب {وما عند الله خير للأبرار}[٦].

قال القرطبي:" هذه الآية صريحة في الفرار بالدين وهجرة الأهل والبنين والقرابات والأصدقاء والأوطان والأموال خوف الفتنة وما يلقاه الإنسان من المحنة. وقد خرج النبي ﷺ فارا بدينه، وكذلك أصحابه، وجلس في الغار..وهجروا أوطانهم وتركوا أرضهم وديارهم وأهاليهم وأولادهم وقراباتهم وإخوانهم، رجاء السلامة بالدين والنجاة من فتنة الكافرين. فسكنى الجبال ودخول الغيران، والعزلة عن الخلق والانفراد بالخالق، وجواز الفرار من الظالم هي سنة الأنبياء صلوات الله عليهم والأولياء. وقد فضل رسول الله ﷺ العزلة، وفضلها جماعة العلماء لا سيما عند ظهور الفتن وفساد الناس، وقد نص الله تعالى عليها في كتابه فقال: {فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ} [الكهف : ١٦]"[٧].

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

[١] صحيح البخاري (٤٣٥) ومسلم (٥٣١).

[٢] أخرجه البخاري في موضعين من " صحيحه ":

الأول: في (كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ٦/ ٤٩٥/ ٣٤٥٦).

والموضع الأخر: في (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم -: «لتتبعن سنن من كان قبلكم»، ١٣/ ٣٠٠/ ٧٣٢٠)، ومسلم في (كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، ٤/ ٢٠٥٤/ ٢٦٦٩)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وأما رواية أبي هريرة، فأخرجها البخاري في الموضع الثاني برقم (٧٣١٩).

[٣] رواه الترمذي بنحوه (٢٦٤١) وقال: غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه وقال الألباني ((صحيح الترمذي)) (٢٦٤١) حسن.

(٤) أخرجه البخاري مع الفتح ٦٣/٣، ومسلم بشرح النووي ١٦٧/٩، ١٦٨.

[٥] انظر: حماية الرسول ﷺ حمى التوحيد:٣٠٦.

[٦] انظر: تفسير السعدي:٤٧٣.

[٧] انظر: تفسير القرطبي:٣٦٠/١٠.

انتهى الجزء الثاني والعشرون من التفسير ويليه الجزء الثالث والعشرون بإذن الله، وبدايته تفسير الآية (٢٢) من سورة «الكهف».